مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، والصلاة والسلام على من أرسله ربه بالآيات، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ما دامت الأرض والسماوات، أما بعد:

فيسرّنا في "مركز تدبر" أن نقدّم لأهل القرآن هذا الإصدار الذي يجمع حصيلة سبع سنوات من التدبر، شارك في زرعه وسقيه أئمةٌ أكابر، وعلماءٌ وطلبةُ علم، ومحبون لكتاب الله تعالى في الغابر والحاضر.

والمؤمل أن يحقق هذا الإصدار أهدافًا أخرى من إصدار هذه السلسلة، حيث يجتمع للقارئ جميع ما سبق من تدبّرات في السنوات الماضية للسورة الواحدة في موضع واحد، وهو ما يضاعف من فائدة هذا الجمع.

نسأل الله تعالى أن يبارك في هذا الكتاب، وأن ينفع به كما نفع بأجزائه السابقة، وأن يضاعف المثوبة لإخواني في الفريق العلمي الذين أسهموا في جمعه ومراجعته وتصنيفه موضوعيًا، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

أ.د. عمر بن عبد الله المقبل

أستاذ الحديث بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

رئيس مجلس إدارة الهيئة العالمية لتدبّر القرآن الكريم

رجب ١٤٣٦هـ



كلمات في التدَبُّر

أهمية التدَبُّر وفضله

١) محاسبة أهل القرآن لأنفسهم، قال أبو الدرداء ﷺ: أَخوَف ما أخاف أن يقال لي يوم القيامة: يا عويمر! أعلمت أم جهلت؟ فإن قلت: علمت، لا تبقى آية آمرة أو زاجرة إلا أُخذتُ بفرضيتها.. الآمرة هل ائتمرت؟ والزاجرة هل ازدجرت؟ وأعوذ بالله من عِلم لا ينفع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يُسمع.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم ٢١٣/١

٢) قال الحسن البصري رحمه الله: إن هذا القرآن قد قرأه عبيدٌ وصبيان لا عِلم لهم بتأويله، وما تدبُّر آياته إلا باتباعه، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأتُ القرآن فما أسقطت منه حرفًا وقد – والله – أسقطه كله، ما يُرى القرآن له في خُلق ولا عمل.

فهم القرآن للمحاسبي ٢٧٦

٣) قال الحسن البصري رحمه الله أيضًا: تفقَّدوا الحلاوة في ثلاث: في الصلاة، وفي القرآن، وفي الذكر.. فإن وجدتموها؛ فامضوا وأبشروا، فإن لم تجدوها؛ فاعلموا أنَّ الباب مغلق.

حلية الأولياء لأبي نعيم ٣١٨/٤

٤) مَنْ هو الأُمِّي في نظر الإمام مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠)؟

قال رحمه الله في مقدمة تفسيره: "من قرأ القرآن فلم يعلم تأويله، فهو أُمِّي".

تفسير مقاتل ٢٧

٥) قال سفيان بن عيينه رحمه الله: إنما آيات القرآن خزائن؛ فإذا دخلتَ خزانةً فاجتهد أن لا تخرجَ منها حتى تعرف ما فيها.

زاد المسير لابن الجوزي ٣٧٠/٢

٦) حين تقرأ وردك من القرآن يَحسُن تَذكّر هذه الكلمة من الإمام الرباني سفيان بن عيينه رحمه الله "من القرآن سُئل عما يُسأل عنه الأنبياء عليهم السلام إلا تبليغ الرسالة".

حلية الأولياء لأبي نعيم ٢٨١/٧

٧) إذا كان كلام العالِم أولى بالاستماع من كلام الجاهل، وكلام الوالدة الرؤوم أحق بالاستماع من كلام غيرها؛ فالله أعلمُ العلماء وأرحمُ الرحماء؛ فكلامه أولى كلام بالاستماع، والتدبر، والفهم.

الحارث المحاسبي، فهم القرآن/٢٤٧

٨) قال أبو زرعة – وسئل عن كتب فيها بدع وضلالات–: "إياك وهذه الكتب.. عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك ومن لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة".

الآداب الشرعية لابن مفلح ١٥٧/٢

٩) القليل من الدرس للقرآن مع الفكر فيه وتدبُّرِه، أحبُّ إليَّ من قراءة الكثير من القرآن بغير تدبرٍ ولا تفكرٍ فيه، وظاهرُ القرآن يدل على ذلك والسنة وقول أئمة المسلمين.

الآجري، أخلاق أهل القرآن/١٦٩

١٠) إذا التبستْ عليك الطرق، واشتبهتْ عليك الأمور، وصرت في حيرة من أمرك وضاق بها صدرك؛ فارجع إلى القرآن الذي لا حيرة فيه، وقف على دلائله من الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، وإلى ما ندب الله إليه المؤمنين من الطاعة وترك المعصية؛ فإنك تخرج من حيرتك، وترجع عن جهالتك، وتأنس بعد وحشتك، وتقوى بعد ضعفك.

١١) لما كان القرآن العزيز أشرفَ العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفى المفهوم؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم.

ابن الجوزي، زاد المسير – ٣/١

١٢) ومن أوتي علم القرآن فلم ينتفع، وزجرته نواهيه فلم يرتدع، وارتكب من الإثم قبيحًا، ومن الجرائم فضوحًا؛ كان القرآن حجة عليه، وخصمًا لديه، قال ﷺ: "**القرآن حجة لك أو عليك**"[١].

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن – ٢/١

[١] أخرجه مسلم (٢٢٣)، والترمذي (٣٥١٧)، والنسائي (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٢٨٠)، وأحمد (٢٢٩٠٨).

١٣) ينبغي للقارئ أن يكون شأنه الخشوع، والتدبر، والخضوع؛ فهذا هو المقصود المطلوب، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب، وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم آية واحدة ليلة كاملة، أو معظم ليلة، يتدبرها عند القراءة.

النووي، الأذكار – ١٠٧

١٤) قد عُلم أنه من قرأ كتابًا في الطب أو الحساب او غيرهما، فإنه لا بد أن يكون راغبًا في فهمه وتصور معانيه، فكيف بمن يقرأ كتاب الله تعالى الذي به هداه، وبه يعرف الحق والباطل، والخير والشر؟ فإن معرفة الحروف بدون المعاني لا يحصل معها المقصود؛ إذ اللفظ إنما يراد للمعنى.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى – ١٥٧/٥

١٥) دخل في قوله ﷺ: "**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**"[١] تعليمُ حروفه ومعانيه جميعًا، بل تعلّم معانيه هو المقصود الأول من تعلّم حروفه، وذلك الذي يزيد الإيمان، كما قال جندب بن عبد الله وعبد الله بن عمر وغيرهما: "تعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا إيمانًا، وأنتم تعلمتم القرآن، ثم تتعلمون الإيمان"[٢]؛ ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة.

ابن تيمية، الفتاوى – ٣٠٤/١٣

١٦) فما أشدَّها من حسرة وما أعظمها من غبنة على من أفنى أوقاته في طلب العلم، ثم يخرج من الدنيا وما فهم حقائق القرآن، ولا باشر قلبُه أسرارَه ومعانيه، فالله المستعان.

ابن القيم، بدائع الفوائد – ٣٢٤/٢

١٧) فإن القرآن لم ينزل لمجرد التلاوة وانعقاده الصلاة عليه؛ بل أُنزل ليُتدبّر، ويُعقل، ويُهدى به علمًا وعملاً، ويبصر من العمى، ويرشد من الغين ويعلم من الجهل، ويشفي من الغي، ويهدي إلى صراط مستقيم.

ابن القيم، الصواعق المرسلة – ٣١٦/١

١٨) من مشاعر الأئمة تجاه القرآن: هو ينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، من اتخذ سميره وأنيسه، وجعله جليسه على مرّ الايام والليالي، نظرًا وعملاً، لا اقتصارًا على أحدهما؛ فيوشك أن يفوز بالبغية، وان يظفر بالطلبة، ويجد نفسه من السابقين في الرعيل الأول.

الشاطبي، الموافقات – ١٩٥/٨

---

[١] أخرجه البخاري (٥٠٢٧)، وأبو داود (١٤٥٢)، والترمذي (٢٩٠٧).

[٢] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٠).

١٩) ومن لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر؛ لم يدرك من لذة القرآن شيئًا.

الزركشي، البرهان في علوم القرآن – ١٥٥/٢

٢٠) من النصح لكتاب الله: شدّةُ حبه، وتعظيمُ قدره، والرغبة في فهمه، والعناية بتدبره؛ لفهم ما أحبَّ مولاه أنْ يفهمه عنه، وكذلك الناصح من الناس يفهم وصية من ينصحه، وإن ورد عليه كتاب منه عُني بفهمه؛ ليقوم عليه بما كتب به فيه إليه.. فكذلك الناصح لكتاب ربه، يُعنى بفهمه؛ ليقوم لله بما أمر به كما يحب ويرضى، ويتخلق بأخلاقه، ويتأدّب بآدابه.

ابن رجب، جامع العلوم والحكم – ٧٦

٢١) لو أن المسلمين استقاموا على تدبر القرآن والاهتداء به في كل زمان، لما فسدت أخلاقهم وآدابهم، ولما زال مُلكهم وسلطانهم، ولما صاروا عالة في معايشهم وأسبابها على سواهم. محمد رشيد رضا، تفسير المنار – ٢٤١/٥

فوائد التدبر

١) قال ابن عباس ﵄: "من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتي الحكم صبيًا".

المدخل إلى السنن للبيهقي ٣٨/٢

ولا شك في أن ابن عباس ﵄ إنما يعني بمن قرأ القرآن: من قرأه بتدبر وفقهٍ لمعانيه، إذ كانوا يطلقون القراءة على فهم القرآن وفقهه، والذي لا يُتأتى إلا بالتدبر.

٢) لو تدبر إنسان القرآن كان فيه ما يردُّ على كل مبتدع وبدعته.

أحمد بن حنبل، السنة للخلال/٩١٢

٣) من تدبر القرآن طالبًا الهدى منه؛ تبيّن له طريق الحق. ابن تيمية، الواسطية/٨

وكلمة هذا الإمام جاء، بعد سنين طويلة من الجهاد في سبيل بيان الحق الذي كان عليه سلف هذه الأمة، والرد على أهل البدع.. فهل من معتبر؟!

٤) ومن أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله ﷺ بعقله، وتدبَّره بقلبه، وجد فيه من الفهم، والحلاوة، والهدى، وشفاء القلوب، والبركة، والمنفعة؛ ما لا يجده في شيء من الكلام: لا نظمًا، ولا نثرًا. ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم – ٣٨٤/١

٥) من أهم فوائد التدبُّر: "وإذا تدبرت كتاب الله تبيّن أنه يفصل النزاع بين من يحسن الرد إليه، وأن من لم يهتدِ إلى ذلك فهو: إما لعدم استطاعته فيُعذر، او لتفريطه فيُلام".

ابن تيمية، مجموع الفتاوى – ٦٣/٣٤

٦) فتدبَّرِ القرآنَ إن رمتَ الهدى * فالعلم تحت تدبُّر القرآنِ ابن القيم، النونية/٤٩

٧) سؤالٌ طالما طرحه الشباب على أهل العلم: كيف اتخلص من الذنوب؟.. لذلك أسباب كثيرة، لكن لما تحدث ابن القيم – رحمه الله – عن تلك الأسباب في كتابه "الجواب الكافي" قال: "ومِنْ أنفع ما في ذلك: تدبُّر القرآن؛ فإنه كفيل بذلك على أكمل الوجوه، وفيه أسباب الخير والشر جميعًا مفصّلة مبيّنة". الجواب الكافي ٢١

٨) فوالله الذي لا إله إلا هو! ما رأيت – وأنا ذو النفس الملأى بالذنوب والعيوب – أعظم إلانة للقلب، واستدرارًا للدمع، وإحضارًا للخشية، وأبعث على التوبة؛ من تلاوة القرآن وسماعه. ابن باديس، تفسير ابن باديس/٣٩

٩) تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته.

ابن سعدي، تيسير الكريم الرحمن/١٨٩

١٠) ومن تدبر كتاب الله وأكثر من تلاوته، عرف صفات الرابحين وصفات الخاسرين على التفصيل. ابن باز، مجموع فتاوى ابن باز – ٩٥/٥

توجيه الأمة نحو التدبر

١) قال الشاعر محمد إقبال في آخر عمره وهو يحث المسلمين على تدبر القرآن:

"أقول لكم ما أؤمن به وأدين: إنه ليس بكتاب فحسب، إنه أكثر من ذلك؛ إذا دخل في القلب تغير الإنسان، وإذا تغير الإنسان تغير العالم.. إنه كتاب حي خالد ناطق، إنه يحتوي على حدود الشعوب، والأمم، ومصير الإنسانية". روائع إقبال ١١٥ – ١١٦

٢) وصية عالم مجرّب: "وإنَّ من أحكم الوسائل لجذب الأمة إلى القرآن: وصف القرآن، وتشويق الناس إلا الإقبال عليه وتدبره وفهمه، ومعرفة ما ضيعت من خير وما خسرت من هداية بتضييعها للقرآن، وإنما تعرف ذلك ويبلغ مكامن الوجدان من نفوسها من وصفه والإشادة بشأنه والتنويه بجلاله وخطره والتنبيه على ما يحتوي عليه من العلوم الكثيرة بألفاظ قليلة". البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي – ٣٢٣/١

٣) الأمة برجوعها إلى القرآن تجدِّدَ نفسَها، وتستأنفُ في الحياة تاريخَها.

البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي – ٢٨٤/١

٤) عليك بتدبر القرآن حتى تعرف المعنى، تدبَّره من أوله إلى آخره، واقرأه بتدبر وتعقّل، ورغبة في العمل والفائدة.. لا تقرأه بقلب غافل، اقرأه بقلب حاضر، واسأل أهل العلم عما أشكل عليك، مع أن أكثره – بحمد الله – واضح للعامة والخاصة ممن يعرف اللغة العربية. ابن باز، فتاوى ابن باز – ٢٥/٩

٥) وإني أحثكم أيها الشباب على الحرص التام على تدبر القرآن ومعرفة معانيه؛ لأن القرآن إنما نزل ليدبَّر الناس آياته، وليتذكروا به؛ إذ لا فائدة بتلاوة اللفظ دون فهمٍ للمعنى، وإذا أشكل عليكم شيء فاسألوا عنه. ابن عثيمين، لقاءات الباب المفتوح رقم (١٧١)

٦) اختبر حفظك! إن حفظ القرآن أو بعضه مهم، لكنه لا يمثل بمفرده حقيقة ما نحن فيه، بل هو أحد خطوات السير فيه! إن الحفظ المطلوب هو حفظ الصحابة – رضي الله عنهم –، الذين كانوا يتلقّون القرآن خمس آيات أو عشرًا، فيدخلون في مكابدة حقائقها الإيمانية، فلا ينتقلون إلى غيرها إلا بعد نجاحهم في ابتلاءاتها! ومن ثم يصير حفظ القرآن بهذا المسلك مشروعَ حياة! وليس مجرد هدف لسنة أو سنتين، أو لبضع سنوات!

د. فريد الأنصاري، مقال: اختبر حفظك

٧) يا صاحب القرآن: إذا أخذت في تلاوة أو استماع حزب المفصل (ق – الناس) فتنبّه، فإنه مسك ختامه، وأفضل أحزابه، قال ابن مسعود ﷺ فيه: "هو لباب القرآن"[1]، وسمَّاه ابن عباس ﷺ: "المحكم"[2]؛ لندرة متشابهه، ولا يُزهدنّك فيه قِصَر سوره، فالمعوذتان أحب إلى الله من سورتي هود ويوسف بالنَّص الثابت عن رسوله، وقد تواتر أن غالب قراءته ﷺ في الفريضة كانت من المفصل.. فأحضر قلبك وتدبر تجد ﴿عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ (الجن: ١ – ٢). د. عصام العويد

[1] أخرجه الدارمي (٣٤٢٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢٥٨)، ومصنف ابن أبي شيبة (٣٠٢٩٤).

[2] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٤/١).

٨) إذا كان القرآن الذي بين أيدينا هو نفسه الذي نزل على الجبل الأول، وإذا كان الإنسان هو الإنسان؛ فلماذا توقف عن البناء والعطاء المأمول؟ ولماذا توقفت أمة القرآن عن الشهادة والقيادة؟ الإجابة رغم بساطتها إلا أنها معقّدة ومتراكبة ومتداخلة: إنه غياب التدبر – الذي يمكّن الإنسان من البصيرة والتدبير–، وغياب فقه البينات والهدى والفرقان.

عمر عبيد حسنة، رسالة القرآن/٦٠٢

٩) مجالس مدارسة القرآن من خير ما يوصى به في رمضان، الذي ثبت في الصحيح أن جبريل كان يفعلها مع النبي ﷺ، والمساجد والبيوت ميدان لعقد هذه المجالس، التي حقًا سيكون لها الأثر المبارك. د. محمد الربيعة

من أساليب التدبر

١) وصية إمام مجرّب: يقول الشعبي – رحمه الله – : "إذا قرأت القرآن فاقرأه تُسمع أذنيك، ويفقه قلبك؛ فإن الأذن عدل بين اللسان والقلب". الزهد لابن المبارك ٤٢٢

٢) إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة، والبيان، واتساع المجال؛ ما أوتيته العرب.

ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن/١٧

٣) المؤمن العاقل إذا تلا القرآن استعرضه فكان كالمرآة يرى بها ما حسن من فعله وما قبح، فما خوّفه به مولاه من عقابه خافه، وما رغّب فيه مولاه رغّب فيه ورجاه، فمن كانت هذه صفته – أو ما قاربها – فقد تلاه حق تلاوته، وكان له القرآن شاهدًا وشفيعًا، وأنيسًا وحرزًا، ونفع نفسه، وأهلهن وعاد على والديه وولده كل خير في الدنيا والآخرة.

الآجري، أخلاق حملة القرآن/٢٧

٤) البكاء مستحب مع القراءة، وطريق ذلك: أن يحضر قلبه الحزن، فمن الحزن ينشأ البكاء، وذلك بان يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد، والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره، فيحزن لا محالة ويبكي، فإن لم يحضره حزن وبكاء، فليبكِ على فقد الحزن والبكاء، فإن ذلك أعظم المصائب. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين – ٣٧/٢

٥) فمن تدبر القرآن، وتدبر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن، تبيّن له المراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى – ٩٤/١٥

٦) قال البقاع – مبيّنًا ما قبل الآية مع ما بعدها –: "ومن تدبر الابتداء عرف الختم، ومن تأمل الختم لاح له الابتداء". نظم الدرر ٩٧/١

ومعنى كلامه: أن من تدبر بداية الآية التي هو فيها؛ عرف سر ختام الآية التي قبلها، وكذلك من تأمل ختام الآية التي هو فيها؛ ظهر له ارتباطها بالآية التي بعدها. وظهور هذا وخفاؤه يتفاوت بحسب علم الإنسان وقوة تدبره.

٧) نقرأ آيات فلربما نغفل عن تدبر كثير من معانيها ودلالاتها، فتأتي الأحداث والفتن، فيدرك المتدبّرون الرابط القرآني بين هذه الدلالات وتلك الفتن، وكأن القرآن يتحدث عن ذات الفتنة الواقعة، والمحنة النازلة، ولكنه حظ من كان القرآن آياتٍ بينات في صدورهم.

أ.د. عبد العزيز العويد

٨) الأحداث الجارية والمتغيرة تحتاج منا عكوفًا على كتاب الله تعالى؛ لاستلهام المنهج الرباني في الحكم والتعامل. وجرب أن تقرأ القرآن قراءة خاصة لهذا الغرض، فستجد القرآن وكأنه يتنزل على الاحداث، ويكشف لك سنن الله في الأمم والمجتمعات. د. محمد الربيعة

الأمور المعينة على التدبُّر

١) مقياس آخر للحب: قال ابن مسعود ﷺ: لا يسأل عبد عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله ﷺ. تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٢/١

٢) مِنْ هدي السلف مع القرآن في رمضان: كان ابن مسعود ﷺ يختم في رمضان في ثلاث، وفير غير رمضان من الجمعة للجمعة. فضائل القرآن للفريابي ٢١٩

قال ابن باز – رحمه الله – : وهذا هو الموافق للسنة، وهو أدعى للتدبر والتفكير.

٣) إذا عظم في صدرك تعظيم المتكلم بالقرآن، لم يكن عندك شيء أرفع، ولا أشرف، ولا أنفع، ولا ألذ، وال أحلى من استماع كلام الله ﷻ، وفهم معاني قوله تعظيمًا وحبًا له، وإجلالاً؛ إذ كان تعالى قائله، فحب القول على قدر حب قائله.

الحارث المحاسبي، فقه القرآن/٣٠٢

٤) فإذا استمع العبد إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ بنية صادقة على ما يحب الله، أفهمه كما يحب، وجعل له في قلبه نورًا.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن – ١٧٦/١١

٥) من مفاتيح الانتفاع بالقرآن: "الحضور والفهم، والشعور بأن القرآن رسالة الله إلى كل عبد، وأن هذا دعوة عامة لجميع الخلق، وأن هذا العبد التالي منهم".

ابن شيخ الحزاميين، مفتاح الطريق إلى سلوك التحقيق – ٩٩/٢

٦) وليس في القرآن لفظ إلا وهو مقرون بما يبيّن به المراد، ومن غلط في فهم القرآن فمن قصوره أو تقصيره.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى – ٤٧٤/٢٠

٧) ذكر ابن كثير – رحمه الله – في حوادث سنة ٣٩٤هـ أن قافلة اعترضت إحدى قوافل الحجيج، فتقدم شابان فقرآ بقراءة مدهشة مطربة، فأطلق جميع الحجيج تأثرًا بهذه القراءة، فلما كان يوم عرفة قرأ هذان الشابان بقراءة عظيمة ضج لها كل من سمعها.

البداية والنهاية ٣٣٣/١١

٨) لمن يشكو عدم تأثره بالقرآن خذها من مجرِّب:

القلب محل تلقي الوحي، فإذا أردت الانتفاع بالوحي فلا بد من تفريغ القلب من ضده، لأن إصغاء القلب كإصغاء الأذن، فإذا أصغى إلى غير حديث الله لم يبقَ فيه إصغاء، ولا فهم لحديثه، وإذا امتلأ بالشبه والشكوك، والمضحكات، والصور المحرمة، والغناء الذي يصد عن الوحي؛ جاءته حقائق القرآن، فلم تجد فيه فراغًا لها ولا قبولاً، فتعدته وجاوزته إلى محل سواه.

ابن القيم، الفوائد/٣١ (بتصرف)

٩) ومن أعظم ما يُتقرَّب به العبد إلى الله تعالى مِنَ النَّوافل: كثرة تلاوة القرآن، وسماعه بتفكُّر وتدبُّرٍ وتفهُّمٍ، قال خباب بن الأرت ﷺ لرجل: "تقرَّب إلى الله ما استطعت، واعلم أنَّك لن تتقرب إليه بشيءٍ هو أحبُّ إليه من كلامه". ابن رجب، جامع العلوم والحكم/٣٦٤

١٠) وقد سمعت من الشيخ الشنقيطي – صاحب أضواء البيان رحمة الله تعالى علينا وعليه – قوله: "لا يثبت القرآن في الصدر، ولا يسهل حفظه وييسر فهمه؛ إلا القيام به من جوف الليل". وقد كان ﷺ لا يترك ورده من الليل صيفًا أو شتاءً.

الشيخ عطية سالم، تتمة أضواء البيان – ٣٥٩/٨

١١) خمس خطوات عمليَّة لتدبُّر القرآن:

١- افتح صفحات القلب مع فتحك أوراق المصحف، وهذا ركن التدبر الأكبر.

٢- ليكن بين يديك كتاب مختصر في التفسير كالمصباح المنير.

٣- كثير من السور لها فضائل وخصائص ومقاصد، فمثلاً: قبل قراءة سورة الأنعام قِف طويلاً في معنى الآثار الواردة في فضلها.

٤- اقرأ على مكث، رتل ولا تعجل.

٥- بعد القراءة انظر إلى الأثر، فإن وجدت أثرًا في قلبك وإلا فعد رتِّلها ثانية وثالثة.

د. عصاد العويد

١٢) من أهم وأول وسائل تدبر الآيات: معرفة معنى الكلمات الغريبة، فهي مفتاح لفهم المراد، ولتحقيق ذلك:

١- احرص على القراءة في مصحف وُضع معه تفسير لغريب القرآن.

٢- لا تتجاوز آية إلا إذا أدركت مفرداتها. د. محمد الخضيري

١٣) من الأسباب المعينة على التدبُّر: استعراض موضوعات السورة قبل قراءتها، وسيكون حسنًا لو وضعتها في جدول، أو في شجرة تكون أمامك عند قراءتك؛ هناك ستتجلى فوائد لم تكن بالحسبان. د. مساعد الطيار

١٤) قال أبو حمزة رحمه الله: قلت لابن عباس ﷺ: إني سريع القراءة، إني أقرأ القرآن في ثلاثٍ، فقال: لن أقرأ البقرة في ليلة فأتدبرها وأرتلها، أحب غليَّ أن أقرأها كما تقرأ.

أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣٦٩/٢)

١٥) ومن أبلغ ما يعين على التدبُّر: أن يعرض المؤمن نفسه على كتاب ربه، فهو يتصفح القرآن ليؤدب به نفسه وهمَّته: متى أكون من المتقين؟ متى أكون من الخاشعين؟ متى أكون من الصابرين؟ متى أزهد في الدنيا؟ متى أنهى نفسي عن الهوى؟

الآجري، أخلاق أهل القرآن/٧٩

١٦) من أراد حسن التدبر فليكن له عناية بأسباب النزول وبالسيرة والتاريخ؛ فإن فيها عيشًا مع القرآن. قال الحسن البصري رحمه الله: "والله ما أنزل الله آية إلا أحب أن يعلم فيمن أنزلت، وما يعني بها".

المحرر الوجيز لابن عطية (٣٩/١)

والسؤال: كم أعطينا القرآن من وقتنا لتحقيق هذه الغاية؟

١٧) إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألقِ سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلَّم به سبحانه منه إليه؛ فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ.

ابن القيم، الفوائد/٣

١٨) يقول ابن القيم رحمه الله: فانظر محبة القرآن من قلبك، والتذاذك بسماعه، أهي أعظم من التذاذ أصحاب الملاهي والغناء المطرب بسماعهم؟ فإنَّ من المعلوم أن من أحب محبوبًا كان كلامه وحديثه أحبَّ شيء إليه.

الجواب الكافي (١٧٠)

١٩) صفة التدبر: أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به، ويتأمّل الأوامر والنواهي، فإن كان مما قصَّر عنه فيما مضى استغفر، وإذا مرَّ بآية رحمة سأل واستبشر، أو عذاب أشفق وتعوَّذ، أو تنزيه نزَّه وعظم، أو دعاء تضرع وطلب.

السيوطي، الإتقان في علوم القرآن – ١٢٧/١

٢٠) على متدبّر كتاب الله أن يبحث في معاني الكلمات الواردة فيه بحثًا لغويًّا، وكيف استعملها العرب، وكيف استُعملت وقت نزول القرآن، لا وّفق ما تطورت إليه الكلمة بعد انقطاع الوحي؛ فإن ذلك من شأنه أن يساعد – بتوفيق الله – على فهم المعنى، وأن يكون تدبره أقرب إلى الصواب.

عبد الرحمن الميداني، قواعد التدبر الأمثل للقرآن/٣١٧ (بتصرف)

٢١) من طرق التدبر: أن تقرأ القرآن آية آية، ثم ترجع للآية كلمة كلمة، وما يُشكِل معناه من الألفاظ تبحث عنه في كتب التفاسير الموثوقة، أو كتب غريب القرآن؛ لأنها أيسر، فتحلل معناها تحليلاً لفظيًّا؛ لتفهم المعنى، ثم بعد ذلك تنظر في معاني الآية الكلية.

د. عبد الكريم الخضير

٢٢) التدبر مهارة يمكن التدرب عليها إذا تخيَّلت نفسك طالبًا والأستاذ يقول لك: استنبط من الآية عشر فوائد بدون الرجوع إلى أحد.

د. عبد الله السكاكر

٢٣) من طرق التدبر: تدارس القرآن، والتدارس لا يكون إلا بين طرفين فأكثر، فينظرون في آية أو في سورة أو في موضوع، ويتبادلون الحديث، ويرجعون للكتب، ويسألون أهل العلم؛ بحثًا عن النفع، بغير تغالب أو مماراة.

د. عويض العطوي

٢٤) من طرق التدبر: التفاعل مع الآيات بالسؤال والتعوذ والاستغفار ونحوه عند مناسبة ذلك؛ فهول دالٌّ على التفاعل الحي، وأن القارئ حاضر القلب مع التلاوة، وهو من أظهر صفات التفاعل الدالة على التدبر، وقد كان هذا هو الهدي النبوي وهدي السلف الصالح.

د. محمد الربيعة

٢٥) مِنْ أوَّل ما يعين على التدبر أن يعلم القارئ أنه المقصود بالتلاوة، فإن من تلاوة القرآن حق تلاوته: التدبر؛ لأنه طريق الإيمان، ألم يقل الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ البقرة: ١٢١).

د. محمد السيد

٢٦) كرِّر الآية التي تجد قلبك قد انفتح لها، وخشع معها، فقد قام نبيك ﷺ بآية واحدة حتى أصبح: ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ (المائدة: ١٨٨)[١]. وكان أحد العامة يقرا قوله تعالى: ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (إبراهيم: ١٠)، فما زال يُردِّدها كثيرًا، وكلما قرأها قال: لا والله يا رب ما فيك شك! وأبكى من كان يسمعه.

٢٧) مما يعين على التدبر: أن يربط الإنسان الأحداث التي تمر به بكتاب الله مثال: في الهزات الأرضية، أجمع الآيات التي حوت لفظ (الزلزلة، الرجفة، البأساء، الابتلاء...) ونحوها، وأقرأها في ضوء الواقع، تجد لها معانيَ لم تتكشف لك وقت الأمن.. إنها عظمة القرآن.

٢٨) من طرق التدبر: أن يجعل لنفسه قي كل آية يتأملها بخصوصها، ويمكن أن يعلق في ورقة ليراها طول اليوم، وبجانبها ورقة، فكلما طرأ له معنى كتبه فيها.

٢٩) الوقوف على أقوال السلف بالذات في تفسير الآية، والتأمل في مضامينها – خاصة إذا تنوَّعت عباراتهم والمقصود واحد –، ما يعين على التدبّر والتفكّر في معانٍ اكثر للآية، مثال: تنوُّع عباراتهم في تفسير (الفتنة) في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (النور: ٦٣).

موانع التدبر

١) من موانع فهم القرآن والتلذذ به: "أن يكون التالي مصرًا على ذنب، أو متصفًا بكبر، أو مبتلى بهوى مطاع؛ فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدته؛ فالقلب مثل المرآة، والشهوات مثل الصدأ، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل الجلاء للمرآة". ابن قدامة، مختصر منهاج القاصدين/ ٥٣ – ٥٤

٢) العناية بالتجويد مهمة، ولكن يجب ألا تكون على حساب العناية بالتدبر والفهم لكلام الله، قال ابن تيمية رحمه الله: "ولا يجعل همته فيما حجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن: إما بالوسوسة في خروج حروفه، وترقيقها، وتفخيمها، وإمالتها، والنطق بالمد الطويل والقصير والمتوسط وغير ذلك؛ فإن هذا حائل للقلوب قاطع لها عن فهم مراد الرب من كلامه". مجموع الفتاوى ١٦/٥٠

[١] النسائي (١٠١٠)، وابن ماجه (١٣٥٠)، وأحمد (٢١٣٢٨).

٣) مراجعة الاهتمامات: يقول ابن تيمية رحمه الله: "مَن أكثر مِن سماع القصائد لطلب صلاح قلبه، تنقص رغبته في سماع القرآن.. ومن أدمن أخذ الحكمة والآداب من كلام فارس والروم، لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع.. ومن أدمن قصص الملوك وسيرهم لا يبقى لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام.. ونظير هذا كثير". اقتضاء الصراط المستقيم ٤٨٤/١

٤) من موانع التدبر: الغناء، فهو "يُلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره، والعمل بما فيه؛ فالقرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبدًا لما بينهما من التضاد؛ فالقرآن ينهى عن اتباع الهوى، ويأمر بالعفة ومجانبة الشهوات، والغناء يأمر بضد ذلك كله، ويحسنه، ويهيج النفوس إلى الشهوات، فيثير كامنها، ويحركها إلى كل قبيح".

ابن القيم، إغاثة اللهفان / ٢٤٨

٥) قال ابن مسعود ﵁: "اقرؤوا القرآن وحركوا به القلوب، ولا يكن همُّ أحدكم آخر السورة"[١].. فمما يعين على قراءة (التدبر) المحرِّكة للقلوب أن يكون حزب القارئ (وقت القراءة) لا (مقدار القراءة)، فمثلاًك بدلاً من تحديد جزء يوميًا، يكون نصف ساعة يوميًا؛ لئلا يكون الهمّ آخر السورة. عبد الكريم البرادي

٦) من الصوارف عن التدبر:

تشبيه القرآن بالغناء يورِث أن يبقى قلب القارئ مصروفًا إلى وزن اللفظ بميزان الغناء، لا يتدبره ولا يعقله، وأن يبقى المستمعون يصغون إليه لأجل الصوتِ الملَحن كما يُصغي إلى الغناء، لا لأجل استماعِ القرآن وفهمه وتدبره والانتفاع به. ابن تيمية، جامع المسائل – ٣٠٥/٣

واقع الأمة مع التدبُّر

١) القرآن لا يأتي بالمعجزات، ولا يؤتِي آثاره في إصلاح النفوس إلا إذا تولته بالفهم عقول كعقول السلف، وتولته بالتطبيق العملي نفوس سامية وهمم بعيدة كنفوسهم وهممهم، أما انتشاره بين المسلمين بهذه الصورة الجافة من الحفظ المجرد، والفهم السطحي، والتفسير اللفظي؛ فإنه لا يفيدهم شيئًا. ابن باديس، تفسير ابن باديس / ١٦

[١] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤٧١٦).

٢) لقد نجح سلفنا الصالح بهذا القرآن نجاحًا مدهشًا، مع قلة عددهم، وخشونة عيشهم، وندرة المصاحف بأيديهم، وقلة الحفَّاظ إذا ما قورنوا بأعدادهم اليوم، والسر في ذلك: أنهم توفروا على دراسة القرآن واستخراج كنوز هداياته، أما غالب المسلمين اليوم فاكتفوا بألفاظ يردّدونها، وأنغام يلحّنونها، وبمصاحف يحملونها، ونسوا أو تناسوا أن بركة القرآن العظمى إنما هي في تدبر آياته وتفهمها والتأدب بها. الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن – ٧/٢

٣) القرآن يملأ النفوس بعظم الهمة، وهذا العِظَم هو الذي قذف بأوليائه ذات اليمين وذات الشمال، حتى رفعوا لواء العدل، وفجّروا أنهار العلوم تفجيرًا، وإذا رأينا من بعض قُرائه هممًا ضئيلة خاملةح فلأنهم لم يتدبروا آياته، ولم يتفقهوا في حكمه.

الخضر حسين، "الحديقة" لمحب الدين الخطيب – ٥٣٤/١

٤) لو عمل المسلمون بأدب قرآنهم، للفتوا الأنظار إلى روعته أكثر من ألف جمعية، وألف خطاب، وألف كتاب. مصطفى السباعي، هكذا علمتني الحياة / ٢٥٢

٥) إن تحويل القرآن إلى ألحان منغومة فحسب، يستمع إليه عشاق الطرب؛ هو الذي جعل اليهود والنصارى يذيعون القرآن في الآفاق، وهم واثقون أنه لن يحيي موتى!

محمد الغزالي، فقه السيرة / ٧ – ٨

٦) إن المسلم لتأخذه الدهشة بلُبِّه كل مأخذ حين يرى مواقفَ الكثيرِ من كتاب ربهم أحاط بهم ظلام، وادلهمت عليهم خطوب، ثم هم يتخبطون خبط عشواء، أفلست النظم، وتدهورت القوميات، وهشت العولميات، فلله العجب! النور بايدينا، فكيف نلهث خلف ركاب غيرنا؟! د. سعود الشريم، خطبة: رمضان شهر القرآن

٧) إن أمة الإسلام – في كثير من مواقعها وأحوالها – تحتاج إلى أن تراجع نفسها في موقفها من قرآن ربها؛ فإن كثيرًا منهم يجهلون أن للقرآن العظيم تأثيرًا حقيقيًا في حياتهم المعاشية والمدنية، يتشككون ويترددون في أثره في تحقيق السعادة المنشودة في الدين والدنيا معًا. د. صالح بن حميد

٨) مع أهمية حفظ القرآن الكريم، إلا أننا نجد أمرًا غريبًا في عالمنا الإسلامي، حيث إن فيه مئات الألوف من المدارس التي تعتني بحفظ القرآن، على حين أننا لا نكاد نجد مدرسة واحدة متخصصة بتدبره وفهمه والتفكر فيه! أ.د. عبد الكريم بكار

٩) لو سألت أي مسلم: أتؤمن بأن القرآن هدى، ونور، ورحمة، وشفاء، وحياة للقلب؟ لأجابك – وبلا تردد – نعم! ولكنك تأسف إذا علمت أن الكثير من المسلمين لا يعرف القرآن إلا في (رمضان)! فإنَّ حال هذا في الحقيقة هي كمن يعلن استغناءه عن هدى الله، ونوره، ورحمته، وشفائه، وحياة قلبه؛ أحد عشر شهرًا! د. عمر المقبل

نماذجٌ تدبُّريّة

١) استقراء عالِم: الصدقة إذا أطلقت في القرآن فهي صدقة الفرض.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن – ١٠/٢٤٥

٢) قصَّ الله سبحانه في كتابه نصره لرسله ولعباده المؤمنين على الكفار، في قصة نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وفرعون، وغير ذلك، وحصول النصر – وغيره من أنواع النعيم – لطائفة أو شخص لا ينافي ما يقع في خلال ذلك من قتل بعضهم وجرحه، فمن عدَّ القتل في سبيل الله مصيبة مختصة بالجهاد، كان من اجهل الناس.

ابن تيمية، قاعدة في المحبة/ ١٤٩

٣) قال ابن تيمية رحمه الله: "وصف الله أهل الفواحش – الذين لا يغضون أبصارهم ولا يحفظون فروجهم – بخمسة عشر وصفًا: السكرة، والعَمَه، والجهالة، وعدم العقل، وعدم الرشد، والبغض، وطمس الأبصار، والخبث، والفسوق، والعدوان، والإسراف، والسوء، والفحش، والفساد، والإجرام" أ.هـ، ثم ذكر الآيات. مجموع الفتاوى ١٥/٤٠٢

٤) ومن ظن أن الذنوب لا تضره – لكون الله يحبه – مع إصراره عليها، كان بمنزلة من زعم أن تناول السم لا يضره مع مداومته عليه! ولو تدبر الأحمق ما قصَّ الله في كتابه من قصص أنبيائه، وما جرى لهم من التوبة والاستغفار، وما أصيبوا به من أنواع البلاء الذي فيه تمحيص لهم وتطهير؛ علم بعض ضرر الذنوب بأصحابها، ولو كان أرفع الناس مقامًا. ابن تيمية، رسالة العبودية/ ١١٤

٥) القرآن كلام الله، وقد تجلى الله فيه لعباده بصفاته؛ فتارة يتجلى في جلباب الهيبة والعظمة والجلال، فتخضع الأعناق، وتتكسر النفوس؛ وتارة يتجلى بصفات الجلال والكمال، فيستنفد حبه من قلب العبد قوة الحب كلها، بحسب ما عرفه من صفات جماله وكماله. ابن القيم، الفوائد / ٦٩

٦) ينبغي للمفتي – إذا أراد أن يصدر حكمًا قد تستغربه النفوس بسبب إلف ما يخالفه – أن يهيِّئ قبله ما يكون مؤذنًا به؛ فتامل ذكره سبحانه قصة زكريا وإخراج الولد منه بعد انصرام عصر الشيبة وبلوغه السن الذي لا يولد فيه لمثله في العادة، فذكر قصته مقدمة بين يدي قصة المسيح وولادته من غير أب؛ فإن النفوس لما أنست بولد بين شيخين كبيرين لا يولد لهما عادة، سهل عليها التصديق بولادة ولد من غير أب بأمر الله.

ابن القيم، إعلام المواقعين – ١٢٥/٤

٧) استقراء إمام: ولم يُقْسِم الله تعالى في كتابه بشيءٍ من مخلوقاته أكثرَ من السماء والنجوم والشمس والقمر. ابن القيم، مفتاح دار السعادة – ١٩٧/١

٨) الفقهاء المصنِّفون يتبِعون كتاب الصيام بكتاب الاعتكاف؛ اقتداء بالقرآن العظيم، فإنه نبَّه على ذكر الاعتكاف بعد ذكر الصوم، وفي ذلك إرشاد وتنبيه على الاعتكاف في الصيام، أو في آخر شهر الصيام، كما ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم – ٥٢٠/١

٩) كل سماع في القرآن مدح الله أصحابه وأثنى عليهم وأمر به أولياءه، فهو السماع الذي تضمن أمورًا ثلاثة: فهمًا وإدراكًا، وتدبرًا، وإجابةً.

فمن اختار هذا السماع، لم يعدم إرشادًا لحجة، وتبصرة لعبرة، وفكرة في آية، ودلالة على رشد، وردًا على ضلالة، وإرشادًا من غي، وبصيرة من عمى، وحياة لقلب.

ابن القيم، مدارج السالكين – ٤٨٥/١

١٠) الهلاك الذي اصاب قوم شعيب ذكر الله تعالى في سورة الأعراف أنه رجفة، وذكر في سورة هو أنه صيحة، وذكر في سورة الشعراء أنه عذاب يوم الظلة، فكيف كان ذلك؟ قال ابن كثير رحمه الله: "وقد اجتمع عليهم ذلك كله، أصابهم عذاب يوم الظلة، وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم فزهقت الأرواح منه". ابن كثير، تفسير القرآن العظيم – ٢٨٤/٢

١١) كل حكاية وقعت في القرآن فلا يخلو أن يقع قبلها أو بعدها – وهو الأكثر – رد لها أو لا، فإن وقع رد، فلا إشكال في بطلان ذلك المحكي وكذبه، وإن لم يقع معها رد، فذلك دليل صحة المحكي وصدقه.. ومن قرأ القرآن وأحضره في ذهنه عرف هذا بيسر.

الشاطبي، الموافقات، ١٥٨/٤ – ١٦٠

١٢) يقول الفيروز أبادي: وقد أمر الله بالتوكل في خمسة عشر موضعًا من القرآن، فساقها سياقًا بديعًا، محلى بتعليقات مليحة، من المستحسن مراجعتها في كتابه.

بصائر ذوي التمييز ٣١٣/٢

١٣) فسر الشيخ الشنقيطي رحمه الله آية، ثم ذكر أنه لم ينص أحد من المفسِّرين على ما ذكره مع احتمال الآية له، ثم قال: "لكن كتاب الله لا تزال تظهر غرائبه، وعجائبه متجددة على مرّ الليالي والأيام، ففي كلِّ حين تفهم منه أشياء لم تكن مفهومة من قبل".. فأين المتدبرون؟ أضواء البيان ٢٥٨/٢

١٤) عُرِضَ للعلامة الشنقيطي إشكال في فهم آية، فقال رحمه الله: "وقد مكثت زمنًا طويلاً أفكر في حل هذا الإشكال حتى هداني الله إليه ذات يوم، ففهمته من القرآن العظيم". دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب/٤

فانظر – أيها المبارك – بركة التدبر والتأمل، وكلما ازداد علم الإنسان، تفتحت له أنواع وكنوز من علوم هذا الكتاب العظيم.

١٥) إن من أعظم المهام التي تتولاها المرأة: الأمومة، وقد رعى القرآن حقَّ هذه القائدة الأم؛ فكرر ذكرها في سُوَرِه المكية والمدنية، وتدبر جيدًا حديثه عن حملها ورضاعها ووهنها وشفقتها، والأمر ببرها ورعايتها، وتأمل كيف جسَّد القرآنُ البرَّ الحقيقي بها، من غير ربط لذلك بيوم في العام، فالأم في نفوس أهل القرآن ملء السمع والبصر.

أ.د. ابتسام الجابري

١٦) من يظهر الغش في ثوب النصيحة والإصلاح يفضحه الله، وهم أربعة اصناف ورد تعيينهم في القرآن، محرّفو الكتاب ،البقرة: ٨٥)، ومانعو الذكر في المساجد (البقرة: ١١٤)، والمفسدون في الأرض (المائدة: ٣٣)، والمجادل الجهول المحادد لله (براءة: ٦٣) – (الحج: ٦). د. خالد المزيني

١٧) تدبَّر مصارع الأمم في كتاب الله، تجد أن الله لم يهلك أمة إلا وهي في حال قوتها وجبروتها! أهلك الله عادًا وهي ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، حتى قالوا: من أشد منَّا قوة. وأهلك ثمود الذين جابوا الصخر بالواد، فنحتوا الجبال وبنوا المصانع. وأهلك فرعون ذا الأوتاد الذي قال: أنا ربكم الأعلى، وأراد صرحًا يبلغ به السماء؛ وكل هؤلاء دمرهم الله في قمة قوتهم وجبروتهم. د. سفر الحوالي

١٨) من أعظم الغبن أن يخبرنا الله في كتابه بأن جنته – التي أعدها لعباده المتقين – عرضها السماوات والأرض، ثم لا يجد أحدنا فيها موضع قدم! صالح المغامسي

١٩) عصا موسى كانت سببًا لإسلام السحرة، وسببًا لفلق البحر والنجاة من فرعون، وسببًا لتفجير الماء من الصخرة. وقميص يوسف كان سببًا لكشف كذب إخوة يوسف عند يعقوب، وسببًا لنجاة يوسف من افتراء امرأة العزيز، وسببًا لرد بصر يعقوب.

اعتصم بالله تعالى وسيكفيك سبحانه من حيث لا تحتسب. د. عبد المحسن المطيري

٢٠) من مواضع العبرة في موضوع (الوقت):

حديث القرآن عن ندم الكفار يوم القيامة، وطلبهم المهلة والرجعة من جديد؛ ليعملوا! إن (المهلة والرجعة) تعني مزيدًا من الوقت!

فهل نتذكر أمثال هذه المعاني ونحن نستقبل عامًا هجريًا مضى سابقه كأنه أيام؟!

د. عمر المقبل

٢١) تأمّل هذه الآيات: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ ﴾ (النمل: ٩٢)، ﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ (التوبة: ٦)، ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، ونحوها من الآيات التي تشير إلى ضرورة الدعوة بالقرآن، وأنه أبلغ وأنفع ما توعظ به القلوب وتتاثر به – كما هو مشاهد –، وهي تشير – أيضًا – إلى أن البلاغ والوعظ بكلام الله من أعظم ما يُطلب من الرسول ﷺ وأتباعه.

٢٢) ورد ذكر القلب في القرآن أكثر من (١٣٠ مرة)، وأضيف إليه أكثر من (٣٦ عملاً ووصفاً)، وكل ذلك دال على عظيم محله، وأنه ملك الجوارح، وأعمال القلب هي الأصل، ومع ذلك نرى إهمال العباد لقلوبهم فلا يزكونها، ولا يتعلمون حق الله فيها، وينشغلون عنها بأعمال الجوارح. د. محمد الخضيري

٢٣) كثيرًا ما تختم الآيات بقوله: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾، وفي ذلك دعوة للعلم الذي يَبعث على العمل، وهذا يبيّن أهمية العلم بفضائل الأعمالن وأنه أعظم دافع للعمل والامتثال، وهو منهج قرآني عظيم. د. محمد الربيعة

٢٤) تأمّل في استسقاء موسى لقومه، ودعاء إبراهيم لأهل مكة بالأمن والرزق، وعلاج عيسى للأكمه والأبرص؛ ألا يدلك هذا أن على الدعاة وطلبة العلم أن يحرصوا على إصلاح دنيا الناس مع حرصهم على دينهم؟ ففيها معاشهم وقوام عبادتهم، وهذا داعٍ إلى خلطتهم أيضًا. د. محمد السيد

٢٥) تأمّل.. جبل عظيم شاهق، لو نزل عليه القرآن لخشع، بل تشقق وتصدع، وقلبك هذا، الذي هو في حجمه كقطعة صغيرة من هذا الجبل، كم سمع القرآن وقرأه؟ ومع ذلك لم يخشع ولم يتأثر! والسر في ذلك كلمة واحدة: إنه لم يتدبر. أ.د. ناصر العمر

٢٦) الأزمات والشدائد من أخصب ميادين تخريج القادة والعظماء والمصلحين. تأمل في المعاناة التي مرَّ بها يوسف عليه السلام قبل أن يصبح عزيزَ مصر، والشدائد التي عانى منها موسى عليه السلام قبل بعثه لأعظم طاغية من البشر؛ بل تدبر سورة الضحى لتعلم من هو محمد ﷺ. أ.د. ناصر العمر

٢٧) خيانة الدين اعظم من خيانة العرض – مع قبحه ونفور الناس منه–؛ لذا جعل الله من امرأتي نوح ولوط عليهما السلام مثلاً للكافرين إلى يوم القيامة، فما بال بعض نساء المسلمين أصبحن رمزًا ومثلاً في خيانة أمتهن، ومجتمعهن، وعونًا لأعدائهم؟!

أ.د. ناصر العمر

٢٨) ورد الصوم في القرآن كفارة لعدد من الذنوب العظيمة، وعند التأمل تجد أن من أبرز اسباب وقوعها ضعف الإرادة، والصوم من أعظم وسائل تقويتها وتوجيهها، فهل نستثمر هذه الشعيرة لتهذيب هذه الملكة وبنائها ابتداءً قبل أن يكون الصوم كفارة وجزاءً؟

أ.د. ناصر العمر

٢٩) يتعامل القرآن مع النفس البشرية حسب طبيعتها وميولها لا بما ينتظر منها أن تفعله فيعالج الخلل في ذلك؛ لذا تجد الأمر ببر الوالدين والوصية بهما في مواضع عدة، بينما لم يوصِ بالأولاد إلا في قسمة الميراث او عرَضًا – كما في الحديث عن الأيتام –، مع أن فضل الوالدين على الأبناء كان يتوقع ان يكون دافعًا للبر بهما دون وصيَّة، بخلاف الأولاد الذين لا فضل لهم على آبائهم، لكن واقع أكثر الناس بخلاف ذلك.. فتأمَّل.

أ.د. ناصر العمر

من أخبار المتدبِّرين

١) كان عمر ﵁ يسر بالآية في ورده، فتخنقه، فيبكي حتى يلزم بيته، فيعوده الناس يحسبونه مريضًا. مصنف ابن أبي شيبة ٩٥/٧

٢) وصفت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها حال الصحابة مع القرآن فقالت: "كانوا – كما نعتهم الله تعالى – تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم". تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٤٩/١٠

٣) قيل لعيسى بن وردان رحمه اللهك ما غاية شهوتك من الدنيا؟ فبكى، ثم قال: أشتهي أن ينفرج لي عن صدري، فأنظر إلى قلبي ماذا صنع القرآن فيه وما نكأ؟

المتمنين لابن أبي الدنيا ٤٩

فتأمّل – يا مؤمن – كيف كان السلف يعتنون بالتفتيش عن أثر القرآن في قلوبهم، وقارنه بالواقع!

٤) استقراء إمام: سأل رجلٌ الأمامَ مالكًا ﵁: حلفتُ أنَّ شرَّ ما يدخل جوف الإنسان هو الخمر. فأجابه الإمام بعد يومين: تصفّحتُ كتابَ الله وسنة نبيه ﷺ فلم أرَ شيئًا اشرَّ من الربا. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٦٤/٣

٥) قيل ليوسف بن أسباط رحمه الله: باي شيء تدعو إذا ختمت القرآن؟ فقال: أستغفر الله؛ لأني إذا ختمته ثم تذكرت ما فيه من الأعمال خشيت المقت، فأعدل إلى الاستغفار والتسبيح. إحياء علوم الدين للغزالي ٥٥/٢

٦) ما سر العبرة التي خنقت إمام أهل السنة أحمد بن حنبل؟

قال المروذي رحمه الله: سمعت أبا عبد الله يقول لرجل: اقعد اقرأ. فجئته أنا بالمصحف، فقعد فقرأ عليه، فكان يمر بالآية فيقف أبو عبد الله فيقول له: ما تفسيرها؟ فيقول: لا أدري. فيفسرها لنا، فربما خنقته العبرة فيردها. بدائع الفوائد لابن القيم ١٦٧/٤

٧) كان أبو العباس بن عطاء رحمه الله يختم القرآن كثيرًا، إلا أنه جعل له ختمة يستنبط منها معاني

القرآن، فبقى بضع عشرة سنة، فمات قبل أن يختمها.

حلية الأولياء لأبي نعيم ٣٠٢/١٠

٨) الاستفادة من منهج القرآن في تربية الناس: لما تولى عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال له ابنه عبد الملك: "ما لك لا تنفذ الأمور؟ فو الله ما أبالي لو أن القدور غلت لي وبك في الحق". قال له عمر: "لا تعجل يا بني، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه جملة، ويكون من ذا فتنة".

الشاطبي، الموافقات – ١٤٨/٢

٩) تقول عائشة برجت هوني – امرأة إنجليزية – وهي تصف قصة إسلامها: "لن أستطيع – مهما حاولت – أن أصف الأثر الطيب الذي تركه القرآن في قلبي، فلم أكد أنتهي من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى وجدتني ساجدة لخالق هذا الكون، فكانت هذه أول صلاة لي في الإسلام".

قالوا عن الإسلام للدكتور عماد خليل / ٨٨

١٠) يقين.. وليس تعطيلاً للأسباب:

أعرف امرأة مسنة آلمتها حصوات في جسمها جعلت الطبيب يقرر إجراء عملية لإزالتها، فرفضت المرأة، وبعد مدة راجعت الطبيب فتبيّن بعد الكشف عليها أن الحصوات زالت، فسألها الطبيب متعجبًا؟ فقالت: قرأت عليها القرآن الذي لو قرئ على جبل لصدعه، ألا يصدع حصوات صغيرة في جسمي؟!

د. عبد الكريم الخضير

١١) كانت بداية رحلتي مع القرآن من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ الآية (البقرة: ٣٠)، فقد رسمت لي منهجًا لا يحتاج إلى تفاصيل كثيرةٍ، وجعلتني لا أكره شيئًا من مخلوقاته اكثر من إبليس، وجعلتني أبحث عن صفات الله تعالى بتمعُّن لأُحسن الخلافة في الأرض.

متدبِّر

١٢) ذكرت صيدلية نصرانية أنَّ من أسباب إسلامها هو سماعها قول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ (المائدة: ١٧)، وتقول: لا أستطيع وصف شعوري

حينها، فكل حياتي الماضية هُدمت أمامي؛ لأنها حياةُ كفرٍ، وهنا أعلنت إسلامي.

صحيفة اليوم الإلكترونية

١٣) لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ (مريم: ٧١)، ذهب عبد الله بن رواحة إلى بيته فبكى، فبكى أهل بيته لبكائه، فلما انقطعت عبرته قال: يا أهلاه! ما الذي أبكاكم؟ قالوا: لا ندري! ولكن رأيناك بكيت فبكينا! قال: لقد أُنزلت على رسول الله ﷺ آية ينبِّئني فيها ربي أنِّي واردٌ النار، ولم ينبِّئني أني صادرٌ عنها، فذلك الذي أبكاني.

الزهد لابن المبارك/ ١٠٤

١٤) خرج عمر ﷺ يعس المدينة ذات ليلة، فمرَّ بدار رجل من المسلمين، فوافقه قائمًا يصلِّين فوقف يسمع قراءته، فقرأ: ﴿ وَالطُّورِ ﴾، حتى بلغ: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ (الطور: ١ – ٧)، قال: قسم ورب الكعبة حقّ، فنزل عن حماره، فاستند إلى حائط، فمكث مليًّا، ثم رجع إلى منزله، فمرض شهرًا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه.

الرقة والبكاء لابن قدامة (١٦٦)

١٥) ناظر أحدُ العلماء يهوديًّا شهرًا كاملاً، فأبى أن يُذعن، فجاء اليهودي يومًا وقت الصبح وكان ذلك العالم مشتغلاً بتلاوة القرآن، فلما دخل الباب وسمع القرآن أثّر في قلبه تأثيرًا بليغًا، فأعلن اليهودي إسلامه، فسأله ذلك العالم عن السبب؟ فقال: لما وصلت إلى باب سمعت منك القرآن – رغم قبح صوتك –، فأثّر بي تأثيرًا بليغًا؛ فعلمتُ أنَّه وحي.

إظهار الحق (٥٤/٢)

كلماتٌ متفرقة

١) ولو كان القرآن كله ظاهرًا مكشوفًا حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل، لبطل التفاضل بين الناس، وماتت الخواطر، ومع الحاجة: تقع الفكرة والحيلة، ومع الكفاية: يقع العجز والبلادة.

ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن / ٥٨

٢) من أصول التدبر: "أن تكون معاني كتاب الله المنزّل على نبينا محمد ﷺ لمعاني كلامِ العربِ موافِقةً، وظاهِرُهُ لظاهِرِ كلامها ملائمًا".

ابن جرير، جامع البيان – ١٢/١

٣) وقد أعلم الله تعالى خلقه أن من تلا القرآن وأراد به متاجرة مولاه الكريم؛ فإنه يرتجه

الربح الذي لا بعده ربح، ويعرّفه بركة المتاجرة في الدنيا والآخرة.

الآجري، أخلاق حملة القرن/٢

٤) من القضايا المسلَّمَةِ أنه مهما تأنق الإنسان في تحبير العبارات – وهو يوضح معاني كلام الله–، فما هو إلا كالشرح لشذرة معانيه الظاهرة، وكالكشف للمعة يسيرة من أنواره الباهرة؛ إذ لا قدرة لأحد على استيفاء جميع ما اشتمل عليه الكتاب، وما تضمنه من لب اللباب. جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل – ٥/١

٥) آفاق زمنية واسعة للمتدبر:

"من معجرات القرآن الكريم: أنه يدّخر في الألفاظ المعروفة في كل زمن حقائق غير معروفة لكل زمن؛ فيجليها لوقتها". مصطفى الرافعي، وحي القلم – ٦٥/٢

٦) دعوة للتدبُّر من عالِمٍ مجرّب:

فالآية من كتاب الله، والأثر من حديث رسول الله ﷺ، تجد فيه من أصول الهداية، ودقيق العلم، ولطيف الإشارة في لفظ بيِّن وكلام بيِّن؛ ما فيه الكفاية وفوق الكفاية، لمن أوتي العلم ومُنِح التوفيق. ابن باديس، تفسير ابن باديس / ٦١

٧) تجربة عالِم: قلوبنا معرّضة للضعف عن القيام بأعباء التكليف، وما نحن مطالبون به من الأعمال، والذي يجدد لنا فيها القوة، ويبعث فيها الهمة؛ هو القرآن العظيم، فحاجتنا إلى تجديد تلاوته، وتدبره، أكيدة جدًا؛ لتقوية قلوبنا باليقين، وبالعلم، وبالهمة والنشاط للقيام بالعمل. ابن باديس، آثار ابن باديس – ٤١٧/١

٨) القرآن هو الذي بلغ بصدر هذه الأمة تلك الدرجة العالية من التربية، ووضع موازين القسط؛ فلزم كل واحد قدره، وأفرغ في النفوس من الأدب الإلهي ما صير به كل فرد مطمئنًا إلى مكانه من المجموع، واقفًا عند حدوده، فلا المرأة تخشى ظلم الرجل، ولا العبد يخاف من جور سيده. البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي – ٩٥/٤

٩) القرآن يعطيك بمقدار ما تعطيه، ويتفتح عليك في كل مرة بإشراقات وإيحاءات بقدر ما تفتح له نفسك، ويبدو لك في كل مرة جديدًا كأنك تتلقاه اللحظة.

١٠) إياك – يا أخي – ثم إياك أن يزهدك في كتاب الله تعالى كثرة الزاهدين فيه، ولا كثرة

المحتقرين لمن يعمل به ويدعو إليه، واعلم أن العاقل الكيس الحكيم لا يكترث بانتقاد المجانين.

الشنقيطي، أضواء البيان – ٥/١

١١) ما أحسن وقع القرآن وبلَّ نداه على القلوب التي ما تحجّرت ولا غلب عليها الأشر والبطر والكفر والنفاق والزندقة والإلحاد! هو والله نهر الحياة المتدفق على قلوب القابلين له، والمؤمنين بهن يغذيها بالإيمان والتقوى لله تعالى، ويحميها من التعفن والفساد، ويجملها على كل خير وفضيلة.

الشيخ صالح البليهي، الهدى والبيان في أسماء القرآن / ١٢

١٢) تجد القرآن الكريم عندما يقصُّ أخبار الماضين فإنما ينفخ فيها روح الحياة، فإذا هي حية تسعى، نسمع فيها ضجيج العراك بين المحقين والمبطلين.. إن قصص القرآن قطع من الحياة الماضية، استرجعها الوحي الأعلى للتعليم والاعتبار.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن / ١٠٠

١٣) تأمّل كيف تكون قوة الصلة بالقرآن!

في محاضرة واحدة فقط استدل سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله فيها بأكثر من مائة آية.

عن تلميذ الشيخ: د. عمر العبد

١٤) لو رأيتم رجلاً يقرأ جريدة من أولها إلى آخرها ثم لما فرغ سألتموه: ما أخبارها؟ قال: لا أدري! لم أحاول أن أتفهم معناها! فما تقولون فيه؟ أما تنكرون عليه؟ فكيف لا تنكرون على من يعكف على المصحف حتى يتم الختمة وقد خرج منها بمثل ما دخل فيها ما فهم من معانيها شيئًا؟ من أين جاءت هذه المصيبة؟ وكيف حرم المسلمون من قرآنهم وهو بين أيديهم وملء أنظارهم وأسماعهم؟

الشيخ علي الطنطاوي

١٥) هل يوجد شيء أهم في حياة الأمة من القرآن حتى نقدمه عليه؟ كلا! فيجب أن يصبح القرآن هو الأساس في التعليم وبناء الشخصية، هذه نصيحة لله، وحقيقة نعلنها ونسرها، هذا عين الحق الذي يجب أن يتبع.. والطريق: هو أن يتجه الجميع نحو قبلة واحدة؛ هي التركيز على القرآن والوحي جملة، فالإدلاج الإدلاج.. وعند الصباح يحمد القوم السرى.

د. الشاهد البوشيخي

١٦) سأقرأ القرآن باحثًا عن دهشة الحياة.. عن الخلوص من وساوس الغواة. سأفهم القرآن للبناء والعمران، ولن أراه فكرة عديمة، أو تحفة قديمة.. سأقرأ القرآن باليقين.. بالشفوف. بالتسليم والإذعان. لن أقرأ القرآن للنكوص أو لأجل لقمة حقيرة. لن ألوي الحروف عامدًا، لن أقرأه بغية

صرف الوجوه، أو لأطعن الخصوم. د. خالد المزيني

١٧) أجريت دراسة سلوكية على (١٨٥ سجينًا) ممن حفظ القرآن داخل السجن، واستفادوا من العفو المشروط بالحفظ، على أنه لم يعد منهم أحد إلى سابق عهده، وأن نسبة العودة: (٠%). د. سليمان الصغير، كتاب عظمة القرآن

١٨) ربما تعجبون من اعتراف رجل أوروبي مثلي بهذه الطريقة: فقد درست القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العالية، والأنظمة المحكمة، والبلاغة الرائعة التي لم أجد مثلها قط في حياتي، جملة واحدة منه تغني عن مؤلفات، هذا ولا شك أكبر معجزة أتى بها محمد عن ربه. المستشرق الألماني د. شومبس، بالقرآن أسلم هؤلاء لعبد العزيز الغزاوي

١٩) كان جدي لأمي أميًا، لكن توجيهاته لنا كانت بمثابة دروس تربوية عظيمة، ففي أحد اجتماعاته بنا قال: إنكم مسؤولون أمام الله ﷻ عن كل حرف تتعلمونه، فخذوا مني هذه النصيحة: "إن أردتم أن تكونوا أقوياء في مواجهة الحياة ومصاعبها؛ فما عليكم إلا أن تكونوا أصحاب علاقة وثيقة مع القرآن الكريم، وأن تكون علاقتكم بالقرآن علاقة التدبر والتأمل، وليست علاقة التلاوة والحفظ فقط" فكان لهذه النصيحة الأثر الكبير في نجاحي وبناء ذاتي، وبلوغ آمالي وطموحاتي. د. عبد الرحمن العشماوي

٢٠) سألت أحد الشباب – الذين مَنَّ الله عليهم بحفظ القرآن، والعيش معه، كما أحسبه – فقلت له: أنت في بيئة عُرِف عنها النزاعات والخلافات والتفرق، فكيف نجوت من ذلك؟ فقال: لا أعرف سببًا أعزو الأمر إليه إلا الإقبال على القرآن؛ فقد رباني على حفظ اللسان، والإعراض عما لا ينفعني في الآخرة. فأعجبني هذا منه، فاللهُمَّ أكثِر من أمثاله.

عبد الرحمن العقل

٢١) ما أعظم أثر التدبر! أحد العلمانيين وباقتراح من أحد العلماء يقرأ القرآن قراءة تدبرية في ظرف أسبوع؛ فيقرر بعدها التراجع عما كان يحمله من أفكار منحرفة!

إنه أسلوب عظيم يمكن سلوكه مع كل من يحمل فكرًا منحرفًا، أليس الله يصفه بأنه هدى وشفاء؟

عبد الله بن منيع، مقالة: (الذهب ذهب وإن علاه الصدأ)، جريدة الرياض عدد ١٥٤١٥ (بتصرف)

٢٢) كم هو مبهج ما يرى من غضب إسلامي تجاه قضية حرق المصحف من قبل بعض النصارى!

إلا أنه من المهم – أيضًا – أن نفتش عن غيرتنا على احتراق بعض مقاصده في قلوبنا:

كم بذلنا من وقت لتعلمه وفهمه؟!

كم تدبرناه؟!

كم طبقنا أوامره؟!

كم انتهينا عما نهانا عنه؟!

كم علمناه أهلنا؟!

كم دعونا الناس به وإليه؟!

د. عبد المحسن الأحمد

٢٣) كلمة عالِم عاش مع القرآن:

هذا الكتاب المبارك انتقل بالإنسان من حدود الدنيا وضيقها إلى سعة الآخرة ونعيمها، فجعل من سعي الآخرة برًا بالدنيا، ومن العمل الصالح في الدنيا نعيمًا في الآخرة؛ فلم يعد الإنسان – بقثه القرآن – حبيس غم وهم على فوات دنياه.

محمد الراوي، حديث القرآن عن القرآن ٣٣٥

٢٤) فائدة: من تأمل موضوعات القرآن وطريقة عرضها، ثم نظر في نفائس أشعار العرب – كالمعلقات التي لا تعدو أن تكون تجارب شخصية للشاعر، كالفخر بالذات أو القبيلة–؛ تبيَّن له شيء مما أحدثه القرآن من تغيير في نفوس العرب.

د. مساعد الطيار

٢٥) تأمل في هذا النموذج التطبيقي في حياة ابن عباس ﵄ حين قال: "إني لأسمع الحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأحبه ولعله لا أقاضي إليه أبدًا، وإني لأسمع بالغيث يصيب البلدة من بلدان المسلمين فأفرح به وما لي بها سائمة ولا راعية، وإني لآتي على آية في كتاب الله، فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم"[١].

---

[١] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٦٢٤).

إنه حب الخير للناس، وسلامة الصدر لهم، والنصح كل النصح للخليفة.

٢٦) أعظم الرسائل التي تبلغ للحجاج: أقام ابن عباس ﷺ للناس الحج في بعض السنين، فخطب بهم في عرفات خطبة، وفسر فيها سورة البقرة – وفي رواية سورة النور – قال من سمعه: فسر ذلك تفسيرًا لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا!

ابن كثير، البداية والنهاية ٢٩٩/٨

٢٧) لمن قسا قلبه.. إليك دواءً قرآنيًا:

تدبر قصص القرآن، فإن ممن خوطب بهذه القصص: قلوب كانت قاسية، غافلة عن تدبره، "فكُوثِرت بالوعظ والتذكير، ورُوجعت بالترديد والتكرير؛ لعل ذلك يفتح أذنًا، أو يشق ذهنًا، أو يصقل عقلاً طال عهده، بالصقل، أو يجلو فهمًا قد غطى عليه تراكم الصدأ".

الخطيب الشربيني، السراج المنير ٣٣/٣

تدبرات من المتابعين والمشتركين بجوال تدبر

١) من ثمار المجاهدة: حاولت أن أتدبَّر فأخذت تفسير السعدي، وبدأت ارتل وأكرِّر وأفهم؛ فأحسست بانفتاحٍ وراحة عجيبة، ثم صليت الضحى، وبدأت أتأمل في الآيات والأدعية، ولو أقسمت ما حنثت: أني لا أذكر صلاة صليتها أسكن وألذ منها، فكيف أضعنا تلك الفرص العظيمة؟

٢) ما تلذذت بوقت مثلما تلذذت بجلسة الفجر مع القرآن إلى الشروق، يشرق القلب فيها بنور القرآن، وإنها والله لتذهب سريعًا مع تدبر كلام الله، يخرج بعدها القارئ المتدبر بسرور لا يعادله سرور، وهمة جديدة في يوم جديد.

٣) كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم مكانًا يربي فيه نبينا ﷺ أصحابه بالقرآن: تلاوة وتدبرًا، فهل يكون رمضان فرصة لنا لنعمر بيوتنا بأمثال تلك المجالس التي يتربى فيها أهل البيت على معاني القرآن وهداياته؟ ولعل هذا المجلس القرآني – إذا استمر – من خير ما يبقى في ذاكرة أهل البيت لوليهم الذي غرس فيهم حب أشرف المجالس.

٤) يقول أحد أعضاء اسرة تدبر (أستاذ جامعي): زرت والدي (قرابة ٧٠ سنة) في المستشفى فسألته عن نومه؟ فقال: نمت بحمد الله، وأنا أفرح إذا طار عني النوم! فقلت: لم؟ فقال: لأعيش مع كلام ربي! فقلت: كم تقرأ؟ قال: سبعة أجزاء يقول هذا الأستاذ: وأنا لا أعرف عن قراءة والدي إلا التدبر والسؤال، والتكرار، والوقوف الطويل عند الآيات.

٥) "**إنـي أحـب أن أسمعه مـن غيـري**"[١] هكذا قال النبي ﷺ حين سمع قراءة ابن مسعود ﷺ، وذرفت عيناه من التأثر، وهذا مفتاح من مفاتيح التدبر، فانظر من ترتاح له في الأشرطة أو في صلاة التراويح، فاسمع له بتدبر؛ فلعلك ترزق دمعات تنجيك من النار.

٦) من مفاتيح التدبر: التأني في القراءة؛ فقد روى الترمذي وصححه أن أم سلمة رضي الله عنها نعتت قراءة النبي ﷺ؛ فإذا هي قراءة مفسرة حرفًا حرفًا[٢]، وهذا كقول أنس – كما في البخاري –: كانت قراءة النبي ﷺ مدًا[٣]. وقال ابن أبي مليكة: "سافرت مع ابن عباس ﷺ، فكان يقوم نصف الليل، فيقرا القرآن حرفًا حرفًا، ثم يبكي حتى تسمع له نشيجًا"[٤].

٧) تجد اقترانًا لذكر بيات الجهاد مع آيات الحج، تكرر هذا في سورة البقرة والتوبة والحج، ولعل من مناسبة ذلك: أن الحج نوع جهاد، بل هو جهاد كل ضعيف وامرأة.

٨) رأى أحد طلبة العلم رجلاً من الأتراك – لا يحسن العربية – ولكنه إذا قرأ القرآن يبكي، فسأله: كيف تبكي وأنت لا تعرف معنى ما تقرأه؟ فقال له – عن طريق المترجم–: إنه كلام الله، ولكن أنتم عرب، فلماذا لا تبكون؟!

٩) قد يتعجب بعضهم ويتساءل: لماذا لا ينتقم الله لأوليائه الذين يعذبون ويقتلون بأيدي اعدائه في هذه الدنيا؟! والجواب: أن الله تعالى لم يجعل الدنيا دار جزاء لأوليائه، فقد يدركون انتقام الله لهم، وقد لا يدركه إلا من يأتي بعدهم، والنصر الحقيقي هو انتصار المبادئ، ولو فنيت الأبدان، ومن تدبر قصة تحريق أصحاب الأخدود – الموحدين – تبين له الجواب جليًّا.

١٠) تجربة مثمرة: يقول أحد أئمة المساجد: أردت أن أُجرِّب طريقة مع جماعة مسجدي في ربط الناس بكتاب ربهم، فبدأت أقرأ من كتاب "ليدبروا بياته" بعد صلاة العصر، بحيث اقتصر على فائدتين كل يوم. يقول هذا الإمام: وجدت لذلك أثرًا عظيمًا على جماعة المسجد، فجزاكم الله خيرًا.

١١) من بركات رمضان على أهل القرآن:

---

[١] أخرجه البخاري (٥٠٤٩)، ومسلم ح (٨٠٠)، وأبو داود (٣٦٦٨)، والترمذي (٣٠٢٥).
[٢] أخرجه أبو داود (١٤٦٦)، والترمذي (٢٩٢٣)، والنسائي (١٠٢٢).
[٣] أخرجه البخاري ح (٥٠٤٦).
[٤] مختصر قيام الليل للمروزي ١٣١.

١- صنف الحافظ السيوطي النصف الأول من "الجلالين" في ٤٠ يومًا، بدأت في ١ رمضان ٨٧٠هـ وانتهت في ١٠ شوال ٨٧٠هـ.
٢- وصنف العلامة السعدي كتابه "القواعد الحسان" في ١ رمضان ١٣٦٥هـ وختمه في ٦ شوال من العام نفسه.

فكم هو حسن أن ندون ما يمر بنا من تأملات، ثم نعرضها بعد ذلك على من نثق به في علمه قبل نشره.

١٢) نشر أحد المواقع الإلكترونية خبرًا مفاده: أن فلبينيًا أشهر إسلامه بعد أن (تدبر معاني القرآن) في أحد كتب الترجمة، عثر عليه مصادفة داخل سكن أحد اصدقائه في مدينة الرياض.

تعليق: اهتدى هذا الأخ بسبب تدبر المعاني، فكيف بمن يمن الله عليه بذوق معاني الالفاظ؟ ومعرفة المعاني بدون ترجمة؟!

١٣) بعد رحلة طويلة مع العلمانية، قال عن نفسه في "تويتر": (صاحب تجربة لا دينية، عاد إلى الإسلام عن قناعة حقيقية)، ثم قال في أحد تغريداته: "كل سؤال أو شبهة في بالي وجدت الإجابة عليها في القرآن، وكأنّ كل آية تعنيني، وكل حجة عندي إلا رد القرآن عليها بحجة أقوى وأبين" (انتهى).

تعليق: هذا الأخ استعمل مفتاحًا مهمًّا (وكأن كل آية تعنيني) + التدبر العميق.. (كل حجة عندي إلخ) فاللهمَّ ثبته واهدِ ضال المسلمين.

١٤) الله يخاطبك! فما دمت تتلو القرآن بهذا الشعور، وأن كل آية فيه إنما هي رسالة من الله إليك، فسيكون شعورك مختلفًا تمامًا. قال الحسن البصري رحمه الله: "إن من كان قبلكم رأوه رسائل إليهم من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها بالنهار"[١].

وإذا كانت الرسالة من الله، اليست جديرة بالتعظيم والإجلال؟

١٥) استعن على فهم ما يشكل عليك بقراءة بعض الكتب المعينة في هذا، ومنها ك التفسير الميسر (ط. مجمع الملك فهد)، أو كتاب د. الأشقر (زبدة التفسير)، أو ما تيسر من التفاسير الموثوقة كتفسير السعدي، رحمهم الله جميعًا.

---

[١] المحرر الوجيز لابن عطية (٣٩/١).

١٦) تجنب ذنوب النظر، والكلام، والسماع، وذنوب القلب؛ فإن لهذه تأثيرًا في عدم اكتمال التأثر بالقرآن، فالذنوب من الحجب عن التدبر، وتزداد كلما عظمت الذنوب. وقبل هذا وبعده: عليك بالدعاء والانطراح بين يدي مولاك بأن يفتح الله قلبك لفهم كتابه والعيش معه.

١٧) كنتُ متأثرًا ببعض الذين سلكوا منهج ما يسمى بـ (التنوير)؛ لأني كنت أرى فيهم استقلالاً فكريًا وشرعيًا! فلما تدبرت كتاب الله بتجرد، وتأملت في واقعهم وتفكيرهمن استبان لي ميلهم عن المنهج الصحيح، رأيت فيهم تمييعًا لأحكام الدين، وتنازلاً بسبب ضغط الواقع، فرجعت للمنهج الحق، هدانا الله وإياهم للحق.

سورة الفاتحة

١) يؤخذ من سورة الفاتحة إيجاز المقدمة مع بلاغتها؛ لئلا تمل نفوس السامعين بطول انتظار المقصود، وهذا سنة للخطباء ألا يطيلوا المقدمة فينسبوا إلى العي؛ فإنه بمقدار ما تطال المقدمة يقصر الغرض، ومن هذا يظهر وجه وضعها قبل السور الطوال مع أنها سورة قصيرة.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٥٣/١

٢) ما أحسنها من تربية يربينا بها ربنا، لما أثبت في سورة الفاتحة أن الحمد كله له؛ علل ذلك بأنه ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ و﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ أو ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾..! وبهذا تطمئن القلوب، وتنقاد النفوس، ويزداد إقبالها على ما أمرت به.

د. محمد الخضيري

٣) مبنى الفاتحة على العبودية؛ فإن العبودية إما محبة، أو رجاء، أو خوف، و﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ محبة، و﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ رجاء، و﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ خوف، وهذه هي أصول العبادة، فرحم الله عبدًا استشعرهان وأثرت في قلبه، وحياته.

٤) كثيرًا ما يستعجل الإمام أو يغفل المأموم عن تدبُّر سورة الفاتحة، خاصة مع تكررها في مثل التراويح، طلبًا لتدبُّر ما بعدها من تلاوة وربما لتدبر قنوت مع أنَّ الفاتحة أولى السور بالتدبر؛ لأنها أعظم سورة، والله تعالى يقول: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ (الحجر)، والفاتحة هي السبع المثاني والقرآن العظيم.

باسل الرشود

٥) من أحسن ما يفتح لك باب فهم الفاتحة قوله تعالى – في الحديث القدسي–: "**قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد:** ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، **قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال:** ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، **قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال:** ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾، **قال مجدني عبدي – وقال مرة فوض إلى عبدي – فإذا قال:** ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ **قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال:** ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) ﴾ **قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**"[1]. فإذا تأمل العبد هذا، وعلم أنها نصفان: نصف لله، ووصف للعبد، وتأمل أن الذي علمه هذا هو الله، وأمره أن يدعو به ويكرره في كل ركعة، وأنه سبحانه ضمن إجابة هذا الدعاء – إذا دعاه بإخلاص وحضور قلب–؛ تبيَّن له ما أضاع أكثر الناس.

محمد بن عبد الوهاب، تفسير سورة الفاتحة ص ٨

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

١) الحمد هو المدح المقرون بالمحبة التامة والتعظيم التام، وهذا مناسب جدًا للوصف الذي جاء بعد الحمد: (رب العالمين = الربوبية)، فإذا كان الله هو من ربَّى العبد وجب عليه أن يحبَّه، وإذا كان هو القادر على ذلك وجب عليه تعظيمه.

ابن القيم، بدائع الفوائد ١٣٢/٣ (بتصرف)

٢) لم لم يكن لهذا القرآن من وظيفة إلا أنه أتاح لنا أن نشكر الله ونحمه بكمال حمده وشكرانه؛ لكفى به نعمة عظمى على العالمين، فـ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

٣) وصف الله تعالى نفسه بعد قوله ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ بأنه ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾؛ لأنه لما كان في اتصافه بـ ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ترهيب؛ قرنه بـ ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ لما تضمنه من الترغيب؛ ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه، فيكون أعون على طاعته وأمنع.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٣٩/١

[1] مسلم (٣٩٥).

﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قال أهل العلم: هذان الاسمان يفتحان – لمن عقل – أوسع أبواب المحبَّة لله، والرجاء فيه، وتنويع الاسمين – مع أنَّ المصدر واحد وهو الرحمة – دليل سعتها، وفي الحديث القدسي: "**أنا عند ظنِّ عبدي بي**"[1]. صالح آل الشيخ

﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾

١) تأمَّل كيف تضمَّنت هذه الآية:

١- إثبات المعاد.

٢- جزاء العباد بأعمالهم – حسنها وسيِّها-.

٣- تفرَّد الرب تعالى بالحكم إذ ذاك بين الخلائق.

٤- كون حكمه تعالى بالعدل. ابن القيم، مدارج السالكين ٧/١

٢) إنما قال ﴿ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ولم يقل مالك الدين؛ لتعريفنا بأن للدين يومًا ممتازًا عن سائر الأيام، وهو اليوم الذي يلقى فيه كل عامل عمله ويوفى جزاءه.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٤٦/١

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)﴾

١) تدبر عملي: يقول مزاحم بن زفر رحمه الله: "صلى بنا سفيان الثوري رحمه الله المغرب، فقرأ حتى بلغ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فبكى حتى انقطعت قراءته، ثم عاد فقرأ: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾". حلية الأولياء ١٧/٧

كم في الفاتحة ما يبكي، ولكن إلى الله المشتكى من قسوة القلوب!

٢) قال محمد بن عوف الحمصي: "رأيت أحمد بن أبي الحواري رحمه الله قام يصلي العشاء، فاستفتح بـ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ إلى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، فطفت الحائط كله، ثم رجعت، فإذا هو لا يجاوزها ثم نمت، ومررت في السحر، وهو يقرأ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ فلم يزل يرددها إلى الصبح". سير أعلام النبلاء ٨٧/١٢

[1] البخاري ح (٧٤٠٥).

٣) قال ابن تيمية رحمه الله: "تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته تعالى، ثم رأيته في الفاتحة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾". مدارج السالكين ٧٣/١

٤) ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ الغاية، و﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ الوسيلة، فلن تستطيع أن تعبد الله إلا بالله فالبداية من الله والنهاية إلى الله، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

العبودية لابن تيمية، ص ٩٧ (بتصرف)

٥) ولا أنفع للقلب من التوحيد وإخلاص الدين لله، ولا أضر عليه من الإشراك، فإذا وجد حقيقة الإخلاص التي هي حقيقة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ مع حقيقة التوكل التي هي حقيقة: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، كان هذا فوق ما يجده كل أحد لم يجد مثل هذا.

ابن تيمية، الزهد والورع، ٨٣

٦) وكثيرًا ما يقرن الناس بين الرياء والعُجب؛ فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعُجب من باب الإشراك بالنفس، وهذا حال المستكبر، فالمرائي لا يحقق قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾، والمعجب لا يحقق قوله: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٧٧/١٠

٧) قدم العبادة على الاستعانة في قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾؛ لأن العبادة قسم الرب، وحقه، والاستعانة مراد العبد، ومن الطبيعي أن يقدم العبد ما يستوجب رضا الرب ويستدعي إجابته قبل أن يطلب منه شيئًا، وهو هنا التذلل لله والخضوع بين يديه بالعبادة؛ فكان القيام بالعبادة مظنة استجابة طلب الاستعانة.

ابن القيم، مدارج السالكين ٧٦/١ (بتصرف)

٨) قال ابن القيم رحمه الله في "المدارج": فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب، وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا، وعلى دفع ما يضاده، وعلى تكميله وتيسير أسبابه.

وقد ذكر في موضع آخر أن قوله ﷺ: "**اللَّهُمَّ أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**"(١) من أجمع الدعاء. مدارج السالكين ١٠٠/١

---

(١) رواه أبو داود (١٥٢٢).

٩) القلب يعرض له مرضان عظيمان، إن لم يتداركهما تراميا به إلى التلف ولا بد، وهما: الرياء، والكبر، فدواء الرياء بـ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾، ودءاء الكبر بـ ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله، ونقل عن شيخه ابن تيمية رحمه الله أن ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تدفع الرياء، ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ تدفع الكبرياء.

يقول ابن القيم رحمه الله: "فإذا عوفي مرض الرياء بـ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾، ومن مرض الكبر والعُجب بـ ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، ومن مرض الضلال والجهل بـ ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ عوفي من أمراضه واسقامه ورفل في أثواب العافية، وتمت عليه النعمة، وكان من المنعم عليهم، ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾، وهم أهل فساد القلب، الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه، و﴿ الضَّالِّينَ ﴾ وهم أهل فساد العلم الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه، وحُق لسورة تشتمل على هذين الشفاءين أن يستشفى بها من كل مرض".

مدارج السالكين ٥٤/١ (بتصرف)

١٠) العبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المحظورات والصبر على المقدورات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله ﷻ، فمن حقَّق الاستعانة عليه في ذلك كلِّه، اعانه.

ابن رجب، تفسير ابن رجب ٧٣/١

١١) قد يسأل بعضنا عن وجه ذكر الاستعانة بعد العبادة مع دهولها فيها؟

والجواب: أن ذلك لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى؛ فإنه إن لم يعنه الله لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر واجتناب النواهي.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ص ٣٩ (بتصرف)

١٢) كل نقض لصفاء الإخلاص؛ إنما هو نقض لعهد الله، وخيانة له جل علاه، كيف لا؟ وها أنت ذا تقطعه شهادة على نفسك صباح مساء: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ الفاتحة: ٥، ثم تتصرف خلفها إلى سواه! فمن يقيك بعد ذلك من عذاب الله؟

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن، ص ١٣٨

١٣) صليت خلف الشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله كثيرًا، فما أذكر أنه استقامت له قراءة الفاتحة بدون بكاء، خصوصًا عند قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

د. عبد العزيز العويد

١٤) لن يبلغَ العبدُ مراتبَ التوفيق والفضل بمجرَّد الرغبة، بل لا بد من الاستعانة به، والافتقار إليه، وسؤاله الفتح على القلب واللسان بألوان العبودية القلبية والبدنية: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. متدبر

١٥) الاستعانة فرع عن العبادة، ولكن لأهميتها أفردت لذاتها؛ فكانت مسلكًا خاصًا إلى توحيد الله وإفراده رغبًا ورهبًا، فلا استقامة على العبادة – ابتداء – إلا بالاستعانة بالله، ولا ثبات على العبادة – انتهاء – إلا بالله.

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

١) من أدب الدعاء أن يكون ذلك بعد الثناء، وفي قوله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ثناء، وهذا مناسب أن يكون قبل الدعاء: ﴿اهْدِنَا﴾. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٣٦/١

٢) أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)﴾؛ فإنه إذا هداه هذا الصراط أعانه على طاعته، وترك معصيته، فلم يصبه شيء لا في الدنيا ولا في الآخرة. ابن تيمية، الحسنة والسيئة ص ٨٣

٣) الصراط المستقيم: هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات، وغير ذلك، وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال قد تكون عبادات، وقد تكون أيضًا عادات في الطعام واللباس والنكاح والمسكن، والاجتماع والافتراق، والسفر والإقامة، والركوب، وغير ذلك.. وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة؛ فإنما يقوم في القلب من الشعور والحال يوجب أمورًا ظاهرة وما يقوم في الظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعورًا وأحوالاً.

ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ص ١١

٤) قد يسأل المسلم عن وجه هذا الدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم، مع أن الله قد هدانا إلى الإسلامن فيقال: بأن الهداية هي البيان والدلالة، ثم التوفيق والإلهام، وهو بعد البيان والدلالة، ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلا من جهة الرسل، فإذا حصل البيان والدلالة والتعريف؛ ترتب عليه هداية التوفيق، وجعل الإيمان في القلب، وتحبيبه إليه وتزينه في قلبه، وجعله مؤثرًا له، راضيًا به، راغبًا فيه، وهي هدايتان مستقلتان، لا يحصل الفلاح إلا بهما، وهما متضمنتان تعريف ما لا نعلمه من الحق تفصيلاً وإجمالاً وإلهامنا له، وجعلنا مريدين لاتباعه ظاهرًا وباطنًا، ثم خلق القدرة لنا على القيام بموجب الهدى بالقول والعمل والعزم، ثم إدامة ذلك لنا وتثبيتنا عليه إلى الوفاة؛ ومن هنا يعلم اضطرار العبد إلى سؤال هذه الدعوة فوق كل ضرورة، وبطلان قول من يقول: إذا كنا مهتدين فكيف نسأل الهداية؟ فإن المجهول لنا من الحق أضعاف المعلوم، وما لا نريد فعله تهاونًا وكسلاً مثل ما نريده أو أكثر منه، أو دونه، وما لا نقدر عليه مما نريده كذلك، وما نعرف جملته ولا نهتدي إلى تفاصيله فأمر يفوت الحصر، ونحن محتاجون إلى الهداية التامة، فمن كملت له هذه الأمور كان سؤال الهداية له سؤال التثبيت والدوام.

وللهداية مرتبة أخرى، وهي آخر مراتبها، وهي الهداية يوم القيامة إلى طريق الجنة، وهو الصراط الموصل إليها، فمن هدي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذي أرسل به رسله وأنزل به كتب؛ هدي هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته ودار ثوابه، وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار؛ يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذه الصراط؛ يكون سيره على ذاك الصراط: فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الركاب، ومنهم من يسعى سعيًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يحبو حبوًا، ومنهم المخدوش المسلم، ومنهم المكردس في النار، فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا، حذو القذة بالقذة، جزاءً وفاقًا، ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٠)﴾ (النمل)، ولينظر الشبهات والشهوات التي تعوقه عن سيره على هذا الصراط المستقيم، فإنها الكلاليب التي يجنبني ذاك الصراط تخطفه وتعوقه عن المرور عليه، فإن كثرت هنا وقويت، فكذلك هي هناك، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت: ٤٦)، فسؤال الهداية متضمن لحصول كل خير والسلامة من كل شر.

٥) هدايات متجددة: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ من علم حقيقة الهداية وحاجة العبد إليها؛ أدرك أن الذي لم يحصل له منها أضعاف ما حصل له، وأنه كل وقت محتاج إلى هداية متجددة.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٢٣٢/١

٦) دعاء الهدى هو الغاية التي تنتهي إليها سورة الفاتحة، فإذا كانت آية: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)﴾ هي خلاصتها وروحها، فإن دعاء ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾ هو ثمرة تلك الخلاصة، وبشارتها المتنزلة على العبد، هدية تملأ قلبه بالأمن والسلام، تحية من الله السلام، وإذنًا منه سبحانه بدخول جنات القرآن، فكانت هذه الآيات هي مصب روافد سورة الفاتحة، ومجمع بحورها، وخزائن أسرارها. د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ص ١٤٥ وما بعدها

٧) فالصراط المستقيم: إنما هو طريق أهل اليقين وكمال الإيمان، ودونه مفاوز من المجاهدة والمكابدة، فمن تحقق به فقد نال تاج النعم، وكمال الهدى، فأكرم به وأنعم؛ ولذلك وجب السعي إليه في كل صلاة؛ دعاء أبديًا يستغرق العمر كله.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن، ١٤٣

٨) تأمل كم من الأسرار العظيمة في سورة الفاتحة، وخاصة تحت قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾، إنها دعوة جماعية للهداية، تُكرِّس التفوق على الـ (أنا) التي تحاصر الآخرين بالخطأ وتختص نفسها بالصواب، فهو هتاف جماعي ينشد الهداية، ويتضرع إلى الله بتحصيلها. د. سلمان العودة، موقع الإسلام اليوم. مقال: نقطة توازن

٩) حقيقة الصراط المستقيم هو: معرفة الحقِّ والعمل به؛ لأنَّ الله لما ذكره في الفاتحة بيّن من انحرفوا عنه وهم اليهود المغضوب عليهم، الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به، والنصارى الذين ضلُّوا عن الحق وعملوا بغيره. د. محمد الخضيري

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾

١) وقد يسأل بعضنا عن إضافة الصراط هنا إلى المنعم عليه، ولم يكتف بقوله: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾؟ قال ابن القيم في الجواب عن ذلك: لما كان طالب الصراط المستقيم طالب أمر أكثر الناس ناكبون عنه، مريدًا لسلوك طريق مرافقة فيها في غاية القلة والعزة، والنفوس مجبولة على وحشة التفرد، وعلى الأنس بالرفيق؛ الله سبحانه على الرفيق في هذه الطريق، وأنهم هم ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ﴾ (النساء)، فاضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له، وهم الذين أنعم الله عليهم؛ ليزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشة تفرده عن أهل زمانه وبني جنسه، وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الــــذين أنعم الله عليهم فــــلا يكترث بمخالفة الناكبين عنــه له، فإنهم هـــم الأقــلون قدرًا، وإن كانوا

الأكثرين عددًا، كما قال بعض السلف: "عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلة السالكين، وإياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين". ابن القيم، مدارج السالكين ١/٤٥ – ٤٦

٢) وقد يسأل بعضنا عن وجه إضافة النعمة إليه ﴿ أَنْعَمْتَ ﴾، وحذف فاعل الغضب ﴿الْمَغْضُوبِ ﴾ لم يقل (غضبتَ)؟

والجواب عن ذلك – والله تعالى أعلم –: يمكن أن يكون باعتبار أن النعمة هي الخير والفضل، كما أن الغضب من باب الانتقام والعدل، ومعلوم ان الرحمة تغلب الغضب، فاضاف إلى نفسه أكمل الأمرين، وأسبقهما وأقواهما، وهذا جاء على الطريقة المعهودة في القرآن، وهي أن أفعال الإحسان والرحمة والجود تضاف إلى الله ﷻ ، فيذكر فاعلها منسوبة إليه، ولا يُبنى للمفعول أدبًا في الخطاب، وإضافة إلى الله أشرف قسمي أفعاله فمنه هذه الآية.

فإنه ذكر النعمة وأضافها إليه ولم يحذف فاعلها، ولما ذكر الغضب حَذف الفاعل وبَنى الفعل للمفعول، فقال: ﴿ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ وقال في الإحسان، ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. ابن القيم، مدارج السالكين، (١/١٢) بدائع الفوائد: (٣/٢٩، ٣٠٩) (بتصرف)

٣) ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ فيها إشارة وبشارة للمهتدي أنَّه ليس وحده على هذا الطريق، وأنه وإن كان غريبًا بين العابثين من البشر؛ فإن طريقه مليء بالصالحين، الذين حازوا أعلى نعمة؛ فليأنس بذلك.

٤) كثير من الناس إذا رأى في التفسير أنَّ اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالُّون؛ ظن أنَّ ذلك مخصوص بهم، مع أن الله أَمَرَ بقراءة الفاتحة كل صلاة، فيا سبحان الله! كيف يأمره الله أن يستعيذ من شيء لا حذر عليه منه، ولا يتصور أنه يفعله؟ بل يدخل في المغضوب عليهم من لم يعمل بعلمه، وفي الضالين العاملون بلا علم.

محمد بن عبد الوهاب، تفسير سورة الفاتحة ص ٩

٥) في لفظة: ﴿ أَنْعَمْتَ ﴾ فوائد:

١– أنَّ الهداية إلى الصراط المستقيم نعمة من أعظم النعم.

٢– أنَّ الهداية ليست بعمل العبد؛ بل نعمة من غيره أُسديت إليه.

٣– أنَّ المنعم بالهداية هو الله وحده.

٤– وفيه أدب النعمة أن تنسب لمسديها خاصة حال مخاطبته بها. باسل الرشود

٦) أسباب الخروج على الصراط المستقيم إما الجهل أو العناد، فالذين خرجوا عنه لعنادهم المغضوب عليهم، وعلى رأسهم اليهود، والذين خرجوا لجهلهم: كل من لا يعلم الحق وعلى رأسهم النصارى، وهذا بالنسبة لحالهم قبل البعثة – أي النصارى – أما بعد البعثة فقد علموا الحق، وخالفوه؛ فصاروا هم واليهود سواء، كلهم مغضوب عليهم.

ابن عثيمين، تفسير جزء عم ص ٢٣

٧) ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ دال على أن المسلم غير المتحقق بصراط أهل اليقين، وغير المتأسي بهديهم، لا يأمن على نفسه أن تزيغ به الشهوات والأهواء؛ فيتردى في جحيم العذاب؛ بما يقع عليه من غضب الله، أو يضيع في متاهات الضلال؛ بما يعبد من هواه! تمامًا كما وقع لليهود من قبل، وكما وقع للنصارى بعدهم.

٨) نمدُّ الأيدي في كل يوم لنعاهد الله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، وهذا يعني أن تكون حياتنا كلها تمتد بين ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ وحتى (آمين)، لا بد للوفاء بالعهد من قلبٍ يطرب أنسًا بسماع ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾، ويقف إجلالاً مع ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾، وينكسر راجيًا ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾، ويرتعد خوفًا من سبيل ﴿ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾، إنه اعظم عهد في أعظم سورة، فهل وعت قلوبُنا لوازم ذلك العهد؟

د. عصاد العويد

٩) من أعظم ما يذكر به الذين يتساهلون بالتشبه بالكفار: تدبر سورة الفاتحة؛ فإنها تقتلع أصول التشبه من جذوره، لكن المؤسف: أن يسأل المصلي ربه – في كل ركعة – أن يجنبه صراط المغضوب عليهم والضالين، ثم يتشبه بهم! إنه ليعز على الإنسان أن يصعب على هؤلاء التشبه بالنبي ﷺ وصحابته، ويسهل عليهم التشبه بأعداء الله!

د. عمر المقبل

١٠) كثيرًا ما ترد في سورة قضية مجملة، ثمَّ تفصل في التي تليها، فذكر في الفاتحة المغضوب عليهم والضالون، وجاء التفصيل في البقرة وآل عمران، وذكرت القرون المكذبة إجمالاً في الأنعام والفرقان ويس، وجاء التفصيل فيما يليهن الأعراف والشعراء والصافات.

د. محمد الخضيري

سورة البقرة

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢)﴾

١) لما قال العبد بتوفيق ربه: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)﴾، قيل له: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ هو مطلوبك، وفيه أربك وحاجتك، وهو الصراط المستقيم: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ القائلين: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾، والخائفين من حال: المغضوب عليهم والضالين.

ابن الزبير الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن ٨٤

٢) لما كان القرآن هو أصفى الكلام وأعلاه وأحسنه، احتاج إلى محل صاف وخالص – وهو قلوب المتقين –؛ ولهذا قال الله: ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ثم ذكر الدليل على تحققه، وهو أنهم ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ (الآيات)؛ فإن هذه الأعمال ناتجة عن تفاعل القلب بهداية القرآن مع تقوى الإنسان.

الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢/٢

٣) إنما يهتدي من يقبل الاهتداء، وهم المتقون لا كل أحد.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٥٨٨/١٦

٤) إذا عمر القلب بالتقوى انتفع العبد بالقرآن، مثله كمطر نزل من السماء، فإن وجد أرضًا طيبة، كان الربيع الذي يدهش العقول ويخلب الأبصار، ألم تقرأ في أول القرآن هذه الحقيقة؟ تأمل: ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾؛ وبهذا يعرف سر عدم انتفاع كثير من الناس بالقرآن!

د. محمد الخضيري

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)﴾

اهتم القرآن الكريم بمدح المنفقين والحث على الإنفاق؛ إذ كان من أعظم الوسائل إلى رقي الأمم وسلامتها من كوارث شتى: كالفقر، والجهل، والأمراض المتفشية، فببذل المال تسد حاجات الفقراء، وتشاد معاهد التعليمن وتقام وسائل حفظ الصحة، إلى ما يشاكل هذه من جلائل الأعمال.

محمد الخضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة ١٨/١

﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)﴾

قال ابن القيم رحمه الله: "الله تعالى إذا ذكر (الفلاح) في القرآن، علقه بفعل المفلح".

التبيان في أقسام القرآن ١٥

وليتضح كلامه رحمه الله تأول أوائل سورة البقرة؛ فإن الله تعالى بين أن سبب فلاح أولئك المتقين هو إيمانهم بالغيب، وإقامتهم للصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله... إلى آخر صفاتهم، وعلى هذا فقس، زادك الله فهمًا.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨)﴾

كرر حرف الجر (الباء) مع العطف، وهذا لا يكون إلا للتأكيد، وهذه الآية حكاية كلام المنافقين، وهم أكدوا كلامهم نفيًا للريبة وإبعادًا للتهمة؛ فنفى الله الإيمان عنهم بأوكد الألفاظ فقال: ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾.

الكرماني، أسرار التكرار في القرآن ٦٧

﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩)﴾

نفى عنهم الشعور – وهو أول مبادئ الإدراك–؛ فبنفي أول مبادئ الإدراك ينتفي كل الإدراك من باب أحرى.

ابن عرفة، تفسيره ١٣٩/١

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠)﴾

قوله تعالى في وصف المنافقين: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾، المريض يجد طعم الطعام على خلاف ما هو عليه، فيرى الحامض حلوًا، والحلو مرًّا، وكذلك هؤلاء المنافقون يرون الحقَّ باطلاً، والباطل حقًّا.

ابن هبيرة، ذيل طبقات الحنابلة ٢٤٣/١

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢)﴾

ليس كل من ادعى شيئًا يصدق في دعواه؛ لأن المنافقين قالوا: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾؛ فقال الله تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾؛ وليس كل ما زينته النفس يكون حسنًا؛ كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآَهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ (فاطر: ٨).

ابن عثيمين، تفسير سورة الفاتحة والبقرة ٤٨/١

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣)﴾

من مظاهر التكبر العقلي: عدم الرضا بما يرضى به بسطاء الناس، ﴿ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾، ﴿ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾ (الشعراء)، ﴿ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ (هود) ثم تبدأ صورة أشد من هذه حين يجعل المتكبر انقياده للأمر دليلاً على أنه صحيح، وعدم انقياده للأمر دليلاً على أنه خاطئ! ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ (١١) ﴾ (الأحقاف)! ناصر المدلج

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤)﴾

تأمل كيف قالوا: ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ مع أن مقتضى الظاهر أن يكون كلامهم بعكس ذلك؛ لأن المؤمنين يشكون في إيمان المنافقين، وقومهم لا يشكون في بقائهم على دينهم؛ لأنه لما بدا من إبداعهم في النفاق عند لقاء المسلمين ما يوجب شك كبرائهم في البقاء على الكفر، وتطرق به التهمة أبواب قلوبهم: احتاجوا إلى تأكيد ما يدل على أنهم باقون على دينهم! ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٨٧/١

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧) ﴾

١) الأمثال المضروبة في القرآن قسمان: قسم يصرح فيه بتسميته مثلاً، كقوله: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾، وقسم لا يصرح فيه باسم المثل: كقوله تعالى: ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ في ثلاثة مواضع من القرآن، وكقول يوسف: ﴿ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (يوسف). ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٦٥/١٤

٢) تأمل في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ كيف قال: ﴿ بِنُورِهِمْ ﴾ فجعله واحدًا، ولما ذكر ﴿ ظُلُمَاتٍ ﴾ جمعها؛ لأن الحق واحد – وهو الصراط المستقيم – بخلاف طرق الباطل، فإنها متعددة متشعبة؛ ولهذا يفرد الله الحق ويجمع الباطل كقوله: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (البقرة: ٢٥٧). ابن القيم، الفوائد ١٢٧

٣) قال: ﴿ بِنُورِهِمْ ﴾ ولم يقل: (بنارهم)؛ لأن النار فيها الإحراق والإشراق، فذهب بما فيه الإضاءة والإشراق، وابقى عليهم ما فيه الأذى والإحراق، وكذلك حال المنافقين! ذهب نور إيمانهم بالنفاق، وبقى في قلوبهم حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم.

ابن القيم، الوابل الصيب من الكلم الطيب ٥٤

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩)﴾

في قوله تعالى: ﴿ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ جمع الظلمات، وأفرد الرعد والبرق! إن المقتضى للرعد والبرق واحد هو: السحاب، والمقتضى للظلمة متعدد وهو: الليل والسحاب والمطر؛ فجمع لذلك. ابن جماعة، كشف المعاني ٩٠

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) ﴾

من لطائف اسم الربوبية (رب): أن أول أمر في القرآن معلل بـ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾، فكأن أول علة للأمر بالعبادة أنه ربكم. د. مساعد طيار

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

ذكر سبحانه رسوله بالعبودية في أشرف مقاماته: فقال في التحدي: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ ﴾، وفي مقام الإسراء: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ (الإسراء: ١)، وفي مقام الدعوة: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ (الجن: ١٩)، فأشرف صفات العبد صفة العبودية، وأحب أسمائه إلى الله اسم العبودية.

ابن القيم، الجواب الكافي ١٣٢

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)﴾

من أشد أنواع العقوبات أن تكون نفس الإنسان وجسده مصدرًا لعقوبته، وهذا مما توعد الله به أهل النار؛ زيادة في إيلامهم: ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾. أ.د. عبد العزيز العويد

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦)﴾

في القرآن بضعة وأربعون مثلاً، والله تعالى – بحكمته – يجعل ضرب المثل سببًا لهداية قوم فهموه، وسببًا لضلال قوم لم يفهموا حكمته، كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾.

الشنقيطي، أضواء البيان ٩٧/٣

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)﴾

يمكن أن أسيغ من عبيد البقر أن يجهلوا الكون وربه، ولكني لا أسيغ أبدًا من أتباع القرآن أن يعيشوا عَجَزَةً محجوبين بين أسرار الكون وقواه، وما أودع الله فيه من مرافق ومنافع! كيف وفي الصفحات الأولى من كتابهم: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة، ٥٥

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤)﴾

١) قال ابن عباس ﷺ: إذا كانت خطيئة الرجل في كِبْرٍ فلا تَرْجه، وإذا كانت خطيئته في معصية فارجه؛ فإن خطيئة آدم في معصية، وخطيئة إبليس في كبره.

جامع البيان للطبري ٢٨٨/١٥

٢) من لطائف اللغة العربية: أن مادة الاتصاف بالكبر لم تجيء منها إلا بصيغة (الاستفعال) أو (التفعل)؛ إشارة إلى أن صاحب صفة الكبر لا يكون إلا متطلبًا الكبر، أو متكلفًا له، وما هو بكبير حقًّا.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٤١٠/١

﴿ وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) ﴾

١) قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾، وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَيَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ (١٩) الحكمة في التعبير بلفظ ﴿ اسْكُنْ ﴾ في الآيتين دون غيره من الألفاظ التي تؤدي نفس المعنى إشارة إلى قصر وقت الإقامة في الجنة حينذاك؛ لأن الله تعالى إنما خلق آدم لخلافة الأرض.

الرازي، مفاتيح الغيب ٤٥١/٣

٢) قال سهل بن عبد الله رحمه الله: ترك الأمر اعظم من ارتكاب النهي؛ لأن آدم نهي عن أكل الشجرة فأكل منها فتاب الله عليه، وإبليس أمر أن يسجد لآدم فلم يسجد فلم يتب عليه.

الفوائد لابن القيم ١٧١

﴿ فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧)﴾

إن الله رحيم ودود، يلهم عبده المخطئ كيف يعتذر عن خطئه، فإذا اقبل عليه معتذرًا هش للقائه، وكان إليه بكل خسر أسرع؛ لذلك لم يترك آدم يواجه عاقبة عصيانه، بل علمه كيف يرجع إلى ربه ويتخلص من ذنبه: ﴿ فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة ٩٨

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) ﴾

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾ لا تسأل الهدى إلا من الله عزّ وجلّ؛ لأنه هو الذي يأتي به.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ١٣٩/١

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠)﴾.

من وسائل الدعوة إلى الله: تذكير العبد بنعمة الله عليه؛ وذلك لقبوله الحق، وأقوم للحجة عليه.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ١٤٤/١

﴿ وَآَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآَيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١)﴾

إنما قال ﴿ أَوَّلَ كَافِرٍ ﴾ مع أنه تقدمهم إلى الكفر به كفار قريش؛ لأن المراد أول كافر به من أهل الكتاب، لأنهم العارفون بما يجب للأنبياء، وما يلزم من التصديق.

الشوكاني، فتح القدير ٨٨/١

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢) ﴾

١) حالتان: من عمل بهذا من أهل العلمن فهو من خلفاء الرسل وهداة الأمم، ومن لبس الحق بالباطل، فلم يميز هذا من هذا مع علمه بذلك، فهو من دعاة جهنم؛ لأنّ الناس لا يقتدون في أمر دينهم بغير علمائهم، فاختاروا لأنفسكم إحدى الحالتين.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٠

٢) لدعاة الضلالة في إغواء الناس طريقتان: طريقة لبس الحق بالباطل، وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾، وطريقة جحد الحق وإخفائه، وهي المشار إليها بقوله: ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ﴾. محمد الخضر حسين، الأعمال الكاملة ٨٣/١

٣) الحريصون على ضبابية المصطلحات يريدون بقاء الحق متلبسًا، يُسوِّقون لرفض الحق بمزجه بالباطل. د. عبد الله بلقاسم

﴿ ۞تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤)﴾

الناس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعلَه؛ فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجرَّدة. السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦٠/١

﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤٦)﴾

١) ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ فهما أعظم عون للعبد؛ ولذلك احتُفّا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ﴾، وتلك العبادات الثلاث مجتمعات هن ﴿ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (لقمان: ١٧). د. عبد الله الغفيلي

٢) الصبر زاد، اكنه قد ينفد؛ لذا أمرنا أن نستعين بالصلاة الخاشعة؛ لتمد الصبر وتقويه.

د. محمد الخضيري

٣) معالم قرآنية في الاختبارات:

أمان نفسي: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾.

قوة في التحصيل: ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ (مريم: ١٢).

صبر فعاقبة حسنة: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

مقدمة ونتيجة: ﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (الأنفال: ٢٩).

فخذ بهذه المعالم، تنجح وتفلح في الدارين. د. محمد الربيعة

٤) من أعظم اسباب المحافظة على الصلاة والصبر عليها أمران:

١- تذوق لذة الخشوع فيها.

٢- تذكر ملاقاة الله والجزاء العظيم عنده، تدبّر قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤٦)﴾. د. محمد الربيعة

٥) تدبر عملي: كان عالم القصيم في وقته الشيخ عمر بن سليم رحمه الله إذا أصيب بمصيبة فإنه يستعين عليها بكثرة الصلاة، وقد يترك التدريس بين العشائين ويفزع إلى صلاته من المغرب إلى العشاء.

تذكرة أولي النهى والعرفان ١٥٦/٤

٦) خفة الطاعة من آثار محبة المطاع وإجلاله، فإن قرة عين المحب في طاعة المحبوب، وفي الحديث "**وجعلت قرة عيني في الصلاة**"[1]؛ لما فيها من المحاضرة والمؤانسة، ولذة القرب، وانس المناجاة. العز بن عبد السلام، شجرة العارفين والأحوال ٧٤

٧) ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾، المعنى: أن الصلاة صعبة إلا على الخاضعين الذين أسلموا وجوههم لله، والصلاة من حيث إنها قيام وركوع وسجود وجلوس ليس فيها صعوبة، والصعوبة من جهة أن الصلاة بحق هي التي يدخلها المصلي بقلب حاضر، فيؤديها مبتغيًا رضا الله تاليًا القرآن بتدبر، ناطقًا بالدعوات والأذكار التي تشتمل عليها عن قصد إلى كل معنى، دون أن تجري على لسانه، وهو في غفلة عن معانيها التي هي روح العبادة. محمد الخضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة ٨٩/١

[1] النسائي ح (٣٩٤٠).

٨) وإنما أخبر الله جل ثناؤه أن الصلاة كبيرة إلا على من هذه صفته؛ لأن من كان غير موقن بمعاد، ولا مصدق بمرجع ولا ثواب ولا عقاب، فالصلاة عنده عناء وضلال؛ لأنه لا يرجو بإقامتها إدراك نفع ولا دفع ضر، وحق لمن كانت هذه الصفة صفته أن تكون الصلاة عليه كبيرة، وإقامتها عليه ثقيلة، وله فادحة.

ابن جرير، جامع البيان ٢٢/١

٩) تذكُّر لقاء الله تعالى وعظيم ثوابه للمطيعين، من أعظم ما يخفف العبادات، ويصبر عن المعاصي، ويسلي عند المصائب، تأمل قوله تعالى – بعد أن ذكر خفة الصلاة على الخاشعين –: ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥١

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٠)﴾

١) لما كان الغرق من أعسر الموتات وأعظمها شدة، جعله الله تعالى نكالاً لمن ادعى الربوبية، وعلى قدر الذنب يكون العقاب، ويناسب دعوى الربوبية والاعتلاء؛ انحطاط المدعي وتغييبه في قعر الماء.

الألوسي، روح المعاني ٣١٠/١

٢) إغراق العدو أو إهلاكه نعمة، وكونه ينظر إلى عدوه – وهو يغرق – نعمة أخرى؛ لأنه يشفي صدره، وعند عجز الناس لا يبقى فعل الله ﷻ؛ ولهذا في غزوة الأحزاب نُصروا بالريح التي أرسلها الله تعالى.

ابن عثيمين، تفسير القرآن ١٧٩/١ – ١٨٠

٣) في يوم عاشوراء تذكر أنَّ البحر الذي حفظ الله تعالى موسى عليه السلام فيه صبيًّا هو من جنس البحر الذي أغرق فيه فرعون، وأنَّ الأنهار التي افتخر فرعون أنها تجري من تحته هي من جنس الأنهار التي أصبحت تجري من فوقه.

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥)﴾

إذا قال أحدٌ قولاً ولم ينكره مَن عنده، فإنه يعزى للجميع؛ لأنه دليلُ رضاهم به، وهذه قاعدة فيما ذكر الله تعالى عن بني إسرائيل الذين كانوا في العهد النبوي، حيث وبَّخهم الله على أفعال أسلافهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ وغيرها من الآيات، ومعلوم أنَّ اليهود في عصر النبوَّة ليسوا هم الذين قالوا ذلك.

ابن عثيمين

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١)﴾

١) يجوز للإنسان أن يعتذر عن الوساطة إذا لم يكن لها داعٍ؛ لأن موسى عليه السلام عندما قال له بنو إسرائيل: ﴿ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ ﴾، قال لهم: ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾؛ وكأنه قال: لا حاجة أن أدعو الله أن يخرج لكم مما تنبت الأرض.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ٢١٨/١ – ٢١٩

٢) ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ لا تلازم بين عطاء الله وَجُودِه بمتاع الدنيا، وبين رضاه!

د. عبد الله السكاكر

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) ﴾

بيان حكمة الله في مناسبة العقوبة للذنب؛ فالذنب الذي فعلوه أنهم فعلوا شيئًا صورته صورة المباح؛ ولكن حقيقته غير مباح؛ فصورة القرد شبيهة بالآدمي، ولكنه ليس بآدمي؛ وهذا لأن الجزاء من جنس العمل.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ٢٣١/١

﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٦٦) ﴾

التحايل على النصوص: قال تعالى عن أصحاب السبت من بني إسرائيل ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾، إذا كان الله نكَّل بعقوبة هؤلاء سائر من بعدهم، ووعظ بها المتقين، فحقيقٌ بالمؤمن أن يحذَر استحلالَ محارِمِ الله تعالى بأدنى الحيل؛ فذلك من أشد أسباب العقوبة. ابن تيمية، بيان الدليل ٤٧

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨)﴾

كان الحسين بن الفضل معروفًا بإخراج أمثال العرب والعجم من القرآن، فقيل له: هل تجد في كتاب الله "خير الأمور أوساطها"؟ قال: نعم، في أربعة مواضع!

١-﴿ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾.

٢-﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾. (الفرقان: ٦٧)

٣-﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾. (الإسراء: ٢٩)

٤-﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾. (الإسراء: ١١٠)

الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤٨/٤

﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١)﴾

﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ لم يعد لامتثالهم قيمة، بل هو إلى الذم أقرب. كم يستفزك الذين لا متثلون إلا بعد عناءٍ وتردد! د. محمد القحطاني

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤)﴾

١) فائدة تشبيه قسوة القلب بالحجارة مع أن في الموجودات ما هو أشد صلابة منها: هي أن الحديد والرصاص إذا أذيب في النار ذاب، بخلاف الحجارة. السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٥

٢) كما ترى الأحجار تتهاوى، تستبدُّ بالمؤمن أيضًا رغبةٌ قويةٌ في الهبوط من خشية الله، وتشتدُّ رياح الشوق على غصنه الضعيف راكعًا لله. د. فريد الأنصاري، قناديل الصلاة ٣٨

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) ﴾

خص الله اليهود بتحريف كلامه في مواضع كثيرة، وها هم اليوم يجددون هذا المسلم بما اعلنت عنه وزارة خارجية الكيان الصهيوني من إطلاق مشروع مشروع عالمي لتفسير القرآن بعنوان: "قرآنت" ليكون – بزعمها – وسيلة تربوية؛ فعلى المسلمين أن يحذروا من الوقوع في هذا الفخ، وليتأملوا جيدًا قول الذي خلقهم وكشف أستارهم: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) ﴾.

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨) ﴾

فمن جعل أهل القرآن كذلك، وأمرهم أن يكونوا فيه أميين، لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة، فقد أمرهم بنظير ما ذم الله عليه أهل الكتاب. ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٤١٥/١٦

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) ﴾

١) ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ الكتابة لا تكون إلا بالأيدي، وذِكْر الأيدي، مع أن كلمة: ﴿ يَكْتُبُونَ ﴾ تغني عنها، فائدته تحقيق مباشرتهم ما حرفوه بأنفسهم؛ زيادة في تقبيح فعلهم. زكريا الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ٣٢

٢) فذكر ﴿ يَكْسِبُونَ ﴾ بلفظ المستقبل، و ﴿ كَتَبَتْ ﴾ بلفظ الماضي؛ تنبيهًا على ما دل عليه حديث: "**من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**"[1]، وعبر بالكتابة دون القول؛ لأنها متضمنة له وزيادة، فهي كذب باللسان واليد، وكلام اليد يبقى رسمه، أما القول فقد يضمحل أثره. الراغب تفسيره ٢٤١/١

[1] مسلم ح (١٠١٧) ولفظه: "من سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء".

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (٨٣) ﴾

١) إذا تكلم المرء فليقل خيرًا، وليعود لسانه الجميل من القول؛ فإن التعبير الحسن عما يجول في النفس أدب عال، أخذ الله به أهل الديانات جميعًا ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ٦٨

٢) ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾، تأمل ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ دون تفريق بين جنس ولون ودين، فالعبرة بنوع الخطاب لا المخاطب. أ.د. ناصر العمر

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧)﴾

لما أراد الله إكرام نبيِّه بالشهادة، ظهر أثر سم اليهودية، وظهر سر قوله تعالى لأعدائه من اليهود: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾؛ فجاء بلفظ: ﴿ كَذَّبْتُمْ ﴾ بالماضي الذي قد وقع وتحقَّق، وجاء بلفظ: ﴿تَقْتُلُونَ﴾ بالمستقبل الذي يتوقعونه وينتظرونه. ابن القيم، زاد المعاد ١١١/٤

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩٣)﴾

قال تعالى في حق عباد العجل: ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ أي: اشربوا حبه، فإذا كان المخلوق قد يحبه القلب حبًا يجعل ذلك شرابًا للقلب، فحب الرب تعالى حتى يكون شرابًا تشربه قلوب المؤمنين أولى وأحرى. ابن تيمية، جامع المسائل ١٣٣/١

﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥) ﴾

دل على أنه يكره الموت من له ذنوب يخاف القدوم عليها، كما قال بعض السلف: ما يكره الموت إلا مريب.

ابن رجب، لطائف المعارف ٣٢

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾

﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾، كذا أخبرنا ربُّنا عن أماني بعض اليهود، فما سرُّ ذلك؟ لعلَّ من أسرار ذلك ما نبَّه عليه مجاهد رحمه الله بقوله: "حَبّبت إليهم الخطيئة طول العمر".

تفسير ابن أبي حاتم ٢٥٠/١

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾

١) من ترك ما ينفعه، وأمكنه الانتفاع به فلم ينتفع، ابتلى بالاشتغال بما يضره.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦٠

٢) إذا أعرض الإنسان عن الوحي الذي تلاه الله على رسول ﷺ؛ ابتلي باتِّباع وحي السياطين؛ فتأمل قوله ﷻ عن اليهود لما نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ ﴾ وهي سنة ماضية في كل معرضٍ ومستبدل: ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (الزخرف: ٣٦).

د. عمر المقبل

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤)﴾

١) البديل الشرعي: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا ﴾ جرت العادة أن الله ﷻ في كتابه إذا نهى عن شيء؛ بيّن وجهًا آخرَ غير منهيٍّ عنه؛ فلا ينبغي للإنسان إذا تصدَّى لتعليم أحكام الشريعة أن ينهاهم عن شيء، حتى يبين لهم بابَ الحلال.

ابن عثيمين، تفسير سورة النساء ٢٤/٢ – ٢٥

٢) هذا أول نداء في القرآن لأهل الإيمان – في ترتيب المصحف –. وقد اشتمل على الآتي:

١- أصل عقديك النهي عن التشبه بالكفار، وخاصة اليهود.

٢- قاعدة شرعية: قاعدة سد الذرائع.

٣- أدب شريف: انتقاء انسب الألفاظ والعبارات.

٤- طريقة تربوية: وهي إيجاد البدائل لما ننهى عنه قدر الإمكان. د. محمد القحطاني

﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥) ﴾

١) ولم يقل : (ما يودُّ أهل الكتاب)، ففيه تنبيه إلى أنهم قد كفروا بكتُبهم؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين بها لصدَّقوا محمَّدًا ﷺ الذي امرتهم كتبُهم بتصديقه واتِّباعه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٦٣٥/١

٢) حتى الخير لا يودُّون أن يأتينا من ربِّنا، فكيف يودون أن يأتينا منهم أو يفعلون؟! ولكن ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج: ٤٦).

أ.د. ناصر العمر

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦)﴾

إذا منع الله عباده المؤمنين شيئًا تتعلق به إرادتهم، فتح لهم بابًا انفع لهم منه وأسهل واولىن كقوله تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، وقوله: ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ ﴾ (النساء: ١٣٠)، وفي هذا المعنى آيات كثيرة. السعدي، القواعد الحسان في تفسير القرآن ١٠٣

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩)﴾

١) تدبر قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾، تجده دليلاً واضحًا على أن حرمان التوفيق أقعدهم عن الإيمان؛ فإنهم لم يحسدوا غيرهم عليه، إلا بعد أن تبينت لهم حقيقته إذ محال أن يحسدوا غيرهم على ما هو باطل عندهم، وفي أيديهم ما يزعمون أنه خير منه.

القصاب، نكت القرآن ١٣٢/١

٢) ﴿ حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾ الحسد قد يهجم على الإنسان، ولا يكون في وسعه دفعه؛ وإنما يؤاخذ الإنسان على رضاه به وإظهار القدح في المحسود، والقصد إلى إزالة النعمة عنه.

محمد الخضر حسين، الأعمال الكاملة ١٩٩/١

﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١) ﴾

١) دليل على أن كل مدعي دعوى، محتاج إلى تثبيتها وإقامة البرهان عليها، ثم لا يقبل ذلك البرهان إلا أن يكون مأخوذًا عن الله – جل وتعالى – لقوله في الآية التي قبل هذه حيث ادعى القوم أن لا تمسهم النار إلا ايامًا معدودة: ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾، فلم يصحح لهم دعواهم إلا بعهد لهم يكون عنده، أو ضمان يسبق منه لهم، ليكونالارتياب زايلاً عن صحتها ومحققًا لها.

القصاب، نكت القرآن ١٣٦/١

٢) شريعتنا مبرهنة، ففي كلِّ جزئية من جزئياتها تتبعها الحجة، ودليل من كتاب أو سنة، لا نقول: اعتقد وأنت أعمى، لما قال اليهود والنصارى كما حكى الله عنهم في سورة البقرة: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾، قال الله: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

د. عمر العيد

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤) ﴾

١) اللَّهُمَّ إنك تعلم أنهم ارتكبوا الجريمتين: فمنعوا من ذكرك في مساجدك وخرَّبوها، وقتلوا عبادك وآذوهم، فاللَّهُمَّ عجل بخزيهم وعذابهم[(١)].

٢) فلَّما تجبَّر متجبر في الأرض إلا أهانه الله قبل موته، فسخر به الصغير والكبير، وأضحى حديث مجالس، قال ابن كثير رحمه الله: "لما استكبروا لقاهم الله المذلة في الدنيا قبل الآخرة". تفسير القرآن العظيم ٣٩٩/٥

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آَيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨)﴾

هناك علاقة سببية بين الأقوال اللسانية والأحوال القلبية، فإذا تشابهت القلوب تشابهت الأقوال. أ.د. جعفر شيخ إدريس

﴿ الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١)﴾

إذا ذكر أهل الكتاب – في القرآن – بصيغة: ﴿ الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾، فهذا لا يذكر الله إلا في معرض المدح، وإذا ذكروا بصيغة: ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ ﴾ (آل عمران: ٢٣)، فلا تكون إلا في معرض الذم، وإن قيل فيهم: (أتوا الكتاب) فقد يتناول الفريقين؛ لكنه لا يفرد به الممدوحون فقط، وإذا جاءت (أهل الكتاب) عمت الفريقين كليهما. ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١٠٤/١

﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤) ﴾

١) لما قال الله تعالى لإبراهيم ﷺ: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾، قال: ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾؛ فأراد الخير لذرِّيَّته وهو قوله: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ (إبراهيم: ٣٥)، فصلاح الولد صلاح للوالد: **"إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له"**[(٢)].

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤٤٢/١ (تصرف)

---

(١) أرسلت إبان حرب غزة مطلع عام ١٤٣٠هـ.

(٢) مسلم ح (١٦٣١).

٢) وإنما قال إبراهيم: ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ ولم يقل: (وذريتي)؛ لأنه يعلم أن حكمة الله لم تجر بأن يكون جميع نسل الإنسان ممن يصلحون لأن يُقتدى بهم، فلم يسأل ما هو مستحيل ادة؛ لأن سؤال ذلك ليس من آداب الدعاء. ابن عاشور، التحرير والتنوير ٦٨٦/١

٣) تأمل كيف نصب: ﴿الظَّالِمِينَ﴾؛ حيث إنَّ عهدَ الله اصطفاءٌ من الله لمن هو أهلٌ له.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) ﴾

١) ذكرُ التَّطهير لا يدلُّ على أنَّ البيت نجسٌ، بل المقصود تطهير التعبد لا إزالة النجاسة، كما أنَّ الجنب يؤمر بالتطهُّر وليس بنجس بمجرد حدوث الجنابة.

القصاب، نكت القرآن ٨١/١

٢) من أسرار الترتيب في القرآن الترقي من الأخص إلى ما هو أعم منه، إلى ما هو أعم: ﴿ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ فذكر أخص هذه الثلاثة وهو الطواف الذي لا يجوز إلا بالبيت، ثم ذكر الاعتكاف – وهو أعم من الطواف –؛ لأنه لا يكون إلا في المساجد فقط، ثم ذكر الصلاة التي تعم سائر بقاع الأرض سوى ما استثنى شرعًا. ابن القيم، بدائع الفوائد ١٤٢/١

٣) عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل أن يطهرا البيت الحرام للمعتكفين أسوة بالطائفين والمصلين، وبين بعض أحكامه في آيات الصيام؛ مما يدل على مكانة الاعتكاف ومنزلة المعتكفين، فحريٌّ بنا ان نحييَ هذه الشعيرة العظيمة في العشر الأواخر من رمضان، متحرِّينَ فيها ليلةَ القدر. أ.د. ناصر العمر

٤) انظر كيف أمر الله أفضل رجلين في ذلك الزمان – وهما نبيَّان رسولان – بإعانة العاكفين؛ فعلى أهل الإحسان إعانة المعتكفين من القيام بطعامهم وحاجتهم من أمتعةٍ ولباسٍ وغيرها. متدبر

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آَمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) ﴾

١) قال في هذه السورة: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آَمِنًا ﴾ أي: جعل هذه البقعة بلدًا آمنًا، وناسب هذا؛ لأنه قبل بناء الكعبة. وقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آَمِنًا ﴾ (إبراهيم: ٣٥) وناسب هذا هناك لأنه – والله أعلم – كأنه وقع دعاء ثانيًا بعد بناء البيت واستقرار أهله به، وبعد مولد إسحاق الذي هو أصغر سنًا من إسماعيل بثلاث عشرة سنة؛ ولهذا قال في آخر الدعاء: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ (إبراهيم: ٣٩).

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤٢٥/١

٢) قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آَمِنًا ﴾ وقال في إبراهيم: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آَمِنًا ﴾ فجاءت آية البقرة بدون تعريف، وآية إبراهيم معرفة، والسر في ذلك: أن آية (البقرة) دعا به الخليل عليه السلام قبل أن يكون بلدًا، بل قاله عند ترك هاجر وإسماعيل به وهو واد، فدعا بأن يصير بلدًا، أما آية (إبراهيم) فإنه دعا به بعد عودته، وسكنى جرهم به، وبعد أن صار بلدًا، فدعا بأمنه.

السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ٣٩٤/٣

٣) تأمل التلازم الوثيق بين الأمن والرزق، وبين الخوف والجوع تجده مطردًا في القرآن كله، مما يؤكد أهمية ووجوب المحافظة على الأمن؛ لما يترتب على ذلك من آثار كبرى في حياة الناس وعباداتهم واستقرارهم البدني والنفسي، واي طعم للحياة والعبادة إذا حل الخوف؟ بل تتعثر مشاريع الدين والدنيا، وتدبر سورة قريش تجد ذلك جليًّا.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) ﴾

كثيرًا ما يأمر الله بذكره بعد قضاء العبادات. عن وهيب بن الورد أنه قرأ: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾، ثم بكى، وقال: يا خليل الرحمن! ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مُشفق أن لا يُتقبَّل منك؟[1]

[1] أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ح (١٢٤٠).

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨)﴾

يفرغان من بناء أعظم بيوت الله في الأرض ويسالان ربهما التوبة! ما أجمل الأدب مع الله!

د. عبد الله بلقاسم

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) ﴾

١) حفظ القرآن وفهمه والعمل به جاء في آيةٍ واحدة:

﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ﴾، لفظًا وحفظًا وتحفيظًا ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ معنى ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ بالتربية على الأعمال الصالحة، والتبرؤ من الأعمال الرديئة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦٦/١

٢) لقد كان نبي الله إبراهيم عليه السلام يحمل هم هداية الأجيال القادمة، ولم يقصر نظره على جيله، أو على بيته، أو على أهله؛ فقال: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ﴾، فيا له من هم ما أكمله، ويا لها من نفس ما أزكاها!

د. محمد الخضيري

٣) قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ﴾، ثم قال في آخر الآية: ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾؛ فما وجه المناسبة؟ قال الشيخ ابن عثيمين: "مناسبة العزَّة والحكمة لبعث الرسول ظاهرة جدًّا؛ لأن ما يجيء به الرسول كله حكمة، وفيه العزة: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾، للمؤمنين عربًا وعجمًا، فمن كان مؤمنًا فله العزَّة؛ ومن لم يكن كذلك فإنه من العزة بقدر ما أخلَّ به من الإيمان".

تفسير الفاتحة والبقرة ٦٨/٢

﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آَبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣) ﴾

١) أُدرج العم ضمن الآباء؛ تغليبًا، بقول ابن كثير رحمه الله: "وهذا باب التغليب؛ لأن إسماعيل عم يعقوب". تفسير القرآن العظيم ٤٤٧/١

٢) ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آَبَائِكَ ﴾، ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آَبَائِي ﴾ (يوسف: ٣٨)، ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ (الزخرف: ٢٣) قوة التأثر والالتزام بما عليه الآباء والأجداد حقيقة غالبة وأمر لا ينكرن فالهداية تتوارث فطرة، والضلال يورثه التعصب؛ لذا لا بد أن يعي الآباء ذلك، فكيفما تحب أن يكون أبناؤك وأحفادك فكن ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ (الكهف: ٨٢). أ.د. ناصر العمر

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤) ﴾

قال إبراهيم بن آزر: حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عمَّا جرى بين عليٍّ ومعاوية؟ فأعرض عنه، فقيل له: يا أبا عبد الله، هو رجلٌ من بني هاشم، فأقبل عليه، فقال: اقرأ: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد ٢٢١

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) ﴾

استقراء إمام: (الحنيف) تكرر في القرآن، وهو في جميع مواضع القرآن يدل على أن الحنيفية ملة إبراهيم، وتشمل أمرين:

١-إفراد الله بالعبادة، والبراءة من الشرك.

٢-سلامة الدين من الابتداع.

فكل من بدّل في دين الأنبياء فليس بحنيف؛ ولذا أمر الله أهل الكتاب وغيرهم بالحنيفية، لكنهم بدلوا وتصرفوا من بعد ما جاءتهم البينة، وكلام السلف وأهل اللغة يدل على هذا وإن تنوعت عباراتهم.

ابن تيمية، جامع المسائل ١٧٩/٥ - ١٨٠

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦)﴾

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ وفي آل عمران: ﴿ النَّبِيُّونَ ﴾ بدون ذكر الإيتاء، والحكمة من هذا: أن آل عمران تقدم فيها: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ (آل عمران: ٨١)؛ فأغنى عن إعادة إيتائهم ثانيًا، ولم يتقدم مثل ذلك في البقرة، فصرح فيه بإيتائهم ذلك. ابن جماعة، كشف المعاني ١٠٨

﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧)﴾

الشقاق بين أهل الكتاب والمسلمين أمرٌ قدريٌّ، فلا يمكن أن يتَّفق المسلمون واهل الكتاب فتبطل دعوة أهل الضلال الداعين إلى توحيد الأديان؛ لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾، فلما لم يؤمنوا صاروا معنا في شقاق، وهذا الشقاق لا بد أن يؤدِّي إلى عداوةٍ وبغضاء، وبالتالي إلى مدافعة، وهكذا وقع.

ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة ٩٤/٢

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨) ﴾

فسمي الدين صبغة استعارة ومجازًا؛ حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين، كما يظهر أثر الصبغ في الثوب. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٤٤/٢

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣) ﴾

١) دليل على شرف هذه الأمة من وجوهن منها: وصف الأمة بالعدل والخيرية، ومنها: أن المزكِّي يجب أن يكون أفضل واعدل من المُزَكِّين ومنها: أن المزكي لا يحتاج للتزكية.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢١/٢

٢) التقدُّم حقيقةً بالإسلام، والرجعية حقيقةً بمخالفة الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾، فإنَّ هذا حقيقة الرجوع على غير هدى؛ لأنَّ الذي ينقلب على عقبيه لا يبصر ما وراءه؛ فمن قال للمتمسكين بكتاب الله وسنة رسوله رجعيون، قلنا له: بل أنت الرجعي حقيقة.

ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة ١١٩/٢

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤)﴾

قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾، دون قوله: تحبها أو تهواها فيه دلالة على أن ميل الرسول إلى الكعبة ميل لقصد الخير لا لهوى النفس؛ وذلك أن الكعبة أجدر بيوت الله بأن يكون قبلة فهو اول بيت وضع للناس بالتوحيد، وفي استقبال بيت المقدس أولاً ثم التحول إلى الكعبة إشارة إلى استقلال هذا الدين عن دين أهل الكتاب.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٨/٢

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥) ﴾

١) ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ إنما قال: ﴿ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ بلفظ الجمع؛ تنبيهًا على أن لكل واحد منهم هوى غير هوى الآخر، ثم هوى كل واحد منهم لا يتناهى.

الراغب الأصفهاني، تفسيره ٣٠٦/١

٢) إنما قال: ﴿ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ ولم يقل: دينهم؛ لأن ما هم عليه مجرد أهواء نفس، حتى هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين، ومن ترك الدين؛ اتبع الهوى ولا محالة، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (الجاثية: ٢٣).

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٧٢

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦)﴾

إنما قال: ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ ولم يقل (أنفسهم)؛ لأن الإنسان لا يعرف نفسه إلا بعد انقضاء برهة من دهره، ويعرف ولده من حين وجوده، ثم في ذكر الابن ما ليس في ذكر النفس؛ فإن ابن الإنسان عصارة ذاته ونسخة صورته.

الراغب الأصفهاني، تفسيره ٣٣٨/١

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨) ﴾

١) ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾، إشارة إلى تنوُّع الناس في أعمالهم وعباداتهم، ما بين صلوات وتعليم ودعوة وإغاثة، وكل ميسر لما خلق له، لكن المهم أن يكون المرء سابقًا في المجال الذي يذهب إليه مع مراعاة أنه محاسبن وهنا يُرَبِّينا القرآن لنكون الأوائل دائمًا. د. محمد السيد

٢) ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ الأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات؛ فإن الاستباق إليها يتضمن فعلها، وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوالن والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٧٣

٣) تجارة رابحة، وسباق إلى الجنة تفتح أبوابه ليلة القدر، ونداء القرآن يعلو: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ ومن الحرمان البين أن تكون أوقات التجارة مع الله، ومواسم الآخرة كغيرها من الأوقات عند أكثر الناس! د. عمر المقبل

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢) ﴾

١) من حفظ معاملته عن المخادعة في البيع وخلف الوعد؛ فقد وفق لأمر عظيم، وأفضل ما يستعين به من له عناية بدنية: القناعة، وحسن الظن بالله، والثقة بما ضمن له من الرزق، وخوف الحساب، ومراقبة الجليل، فإنه قال وقوله الحق: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: ١٥٢). ابن تيمية، شرح حديث النزول (٦١٠)

٢) ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ يقول خالد الرُّبَعَي: قف عند هذه الآية ولا تعجل، فلو استقر يقينها في قلبك، ما جفت شفتاك. الدر المنثور ٢/٦٥

٣) ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ قال ثابت البناني رحمه الله: "إني أعلم متى يذكرني ربي ﷻ، ففزعوا منه! وقالوا: كيف تعلم ذلك؟ فقال إذا ذكرته ذكرني". الإحياء للغزالي ٢/٧١

٤) ﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ العجب ممن يعلم أنَّ كلَّ ما به من النعم من الله، ثم لا يستحي من الاستعانة بها على ارتكاب ما نهاه! ابن رجب، تفسير ابن رجب ١/١٣٠

٥) ﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ قال جمع من السلف: الشكر ترك المعصية.

وسئل بعضهم: ما الشكر؟ فقال: الشكر أن لا يستعان على المعاصي بشيء من نعمه.

الدر المنثور للسيوطي ١/٣٧١

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) ﴾

١) لما فرغ تعالى من بيان الأمر بالشكر، شرع في بيان الصبر، والإرشاد إلى الاستعانة بالصبر والصلاة؛ فإن العبد إما أن يكون في نعمة فيشكر عليها، أو في نقمة فيصبر عليها. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١/٤٤٦

٢) ﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾، توجيه رباني وجدت بركته أخت لنا فجعت بفقد والديها وأخيها وأختها جميعًا في حادث؛ إذ لما اشتدت عليها المصيبة تذكرت هذه الآية ففزعت للصلاة، موقنة بكلام ربها، فتقسم أنه نزل على قلبها سكينة عظيمة خففت عليها مصيبتها. وذلك تأكيد عملي على أثر تدبر القرآن والعمل له في حياة العبد في ظروفه كلها.

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤) ﴾

لا نقول: ربحنا أو خسرنا؛ فالربح والخسارة من مفردات قاموس التجار، أما الجهاد الذي غايته تثبيت الحقائق الإلهية في الأرض، وغرس البذور الروحية في الوجود، فلغته سماوية لا تحمل معنى التراب، متسامية لا تسف إلى ما تحت السحاب، فهي أرباح مستمرة. محمد البشير الإبراهيمي، آثاره ٤/٢٧٦

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) ﴾

١) الرضا بالاقدار المكروهة فضلٌ مندوبٌ إليه، ولكنَّ الصبرَ واجبٌ.. قال الحسن ابصري رحمه الله: "الرضا عزيز، ولكنَّ الصبرَ معوَّلُ المؤمن".

تفسير ابن رجب ١٣١/١

٢) ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ ﴾، تأمَّل كيف قال: ﴿ بِشَيْءٍ ﴾ فهو شيء يسير؛ لأنه ابتلاء تمحيص لا ابتلاء إهلاك. د. عبد المحسن المطيري

٣) عندما تجعل القرآن منطلق تفسيرك لكل حدث يواجهك في الحياة؛ ستكتشف أن المصائب تتحول بعد لحظات من وقوعها إلى منح دافعة للتفاؤل والعطاء المثمر والصبر الجميل، تدبر هذه الآية وما بعدها؛ لتدرك هذا المنهج الفريد الذي خص الله به المؤمن دون غيره: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾.

أ.د. ناصر العمر

﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾

١) إنما قال: ﴿ صَلَوَاتٌ ﴾ على الجمع؛ تنبيهًا على كثرتها منه، وأنها حاصلة في الدنيا توفيقًا وإرشادًا، وفي الآخرة ثوابًا ومغفرة. الراغب الأصفهاني، تفسيره ٣٥٤/١

٢) ما أحوج الناس – في ظل غلاء الأسعار – أن يقفوا مع هذه الآيات: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾، فتأمل ما فيها من العبر في تفسير السعدي رحمه الله.

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨) ﴾

﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ في قوله: ﴿خَيْرًا﴾ إعلام بفضيلة النفقة في الحج والعمرة بالهدي ووجوه الملافق للرفقاء، بما يفهمه لفظ الخير؛ لأن هذا اللفظ عرف استعماله في خير الرزق والنفقة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (العاديات: ٨). الحرالي، تراثه ٢٩١

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩)﴾

لكتمان المنتمين إلى علوم الدين عللٌ كثيرة، ومدارها على عدم الرسوخ في الإيمان، وإيثار رضا المخلوق على رضا الخالق. محمد الخضر حسين، الأعمال الكاملة ٢٨٥/١

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠) ﴾

تأمّل ﴿ وَبَيَّنُوا ﴾ شرطًا لقبول التوبة؛ إذ إنَّ كثيرًا ممن يضل الناس ثم يتوب بعد ذلك يتهيب أن يعلن رجوعه للحقِّ خوفًا من الناس، فيبقى كثيرٌ منهم على ضلالِه، فيتحمل أوزارهم لخفاء توبته، مع أن إعانت الرجوع إلى الحق شجاعةٌ وليس ضعفًا!

أ.د. ناصر العمر

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١)﴾

والسر في التعبير بلعن الملائكة والناس – مع أن لعن الله يكفي–؛ للدلالة على أن جميع من يعلم أحواله من العوالم العلوية والسفلية يراه أهلاً للعن الله ومقته، فلا يشفع له شافع ولا يرحمه راحم، فهو قد استحق اللعن لدى جميع من يعقل ويعلم، ومن استحق النكال من الرب الرؤوف الرحيم؛ فماذا يرجو من سواه من عباده؟

المراغي، تفسير المراغي ٣٢/٢

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥)﴾

١) قيل لسفيان بن عيينه رحمه الله: إن أهل الأهواء يحبون ما ابتدعوه من أهوائهم حبًا شديدًا! فقال: أنسيت قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ (البقرة: ٩٣)؟!

قاعدة في المحبة لابن تيمية ٨٨

٢) مَن جعل ما لم يأمر الله بمحبّته محبوبًا لله، فقد شرع دينًا لم يأذن الله به، وهو مبدأ الشرك، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾. ابن تيمية، الاستقامة ٣٤٨/١

٣) من أنصف نفسه وعرف أعماله، استحى من الله أن يواجهه بعمله أو يرضاه لربه وهو يعلم من نفسه أنه لو عمل لمحبوب له من الناس؛ لبذل فيه نصحه ولم يدع من حسنه شيئًا إلا فعله، فاسمع صفة المؤمنين ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٣٣٣

٤) هل جرب الراكضون خلف سراب (عيد الحب) أن يملأ أحدهم قلبه بحب الله؟

ماذا لو جرب أن يناديه باسمائه الحسنى كما يتقرب الحبيب إلى حبيبته بمناداته بأحب أسمائه؟ وكيف سيكون حبه لله لو حاول أن يفكر في معاني صفات الله العلي كما يفكر المحبوب بصفات حبيبه؟

إذن لأخذت عليه كل تفكيره، ولغمرته سعادة لا يمكن وصفها إلا بسعيه بالمزيد في إرضاء مولا: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾. د. محمد السيد

٥) تأمل تلك المظاهر المترفة تعبيرًا عما يسمى بـ (عيد الحب)، وتذكر قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾؛ فسترى أن سَكْرَة الحب عند بعضهم فاقت مظهر حبه لله: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾، فتفقد قلبك قبل أن تبلى السرائر. أ.د. ناصر العمر

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧) ﴾

من جعل عقله صدى لعقل غيره، دون قناعة أو برهان، سيكون ذلك أشد خصومة يومًا من الدهر! تدبر: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ﴾

وتأمل: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ (الأعراف: ٣٨)! أ.د. ناصر العمر

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨)﴾

١) في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾، إشارة إلى دور الشيطان في صرف الناس عن إطابة المطعمن مع الإشارة إلى أن إطابة المطعم سبب في إجابة الدعاء، فكم هي جناية الشيطان علينا حين يغرينا بأكل الحرام؟ د. محمد السيد

٢) الخطوات الأولى! ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾، مبدأ كل عمل هو الخواطر والأفكار؛ فإنها توجب التصورات، والتصورات تدعو ‘لى الإرادات، والإرادات تقتضي وقوع الفعل، وكثرة تكراره تعطي العادة، فصلاح كل هذا بصلاح الخطوة الأولى وهي الخواطر الأفكار، وفساده بفسادها. ابن القيم، الفوائد ٢٥٢ – ٢٥٣

٣) تدبر قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾، فتسمية استدراج الشيطان "خطوات" فيه إشارتان:

١- الخطوة مسافة يسيرة، وهكذا الشيطان يبدأ بالشيء اليسير من البدعة أو المعصية؛ حتى تألفها النفس.

٢- قوله: ﴿ خُطُوَاتِ ﴾ دليل على أن الشيطان لن يقف عند أول خطوة في المعصية.

فهد العيبان

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٧٣) ﴾

قيل في سبب تقديم الغفور على الرحيم: أن المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة. د. فاضل السامرائي، التعبير القرآني ٥٧

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾

قال القرطبي رحمه الله: قال علماؤنا: هذه آية عظيمة من أمهات الأحكام؛ لأنها تضمنت ست عشرة قاعدة: الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته – وقد أتينا عليها في (الكتاب الأسنى)- والنشر والحشر والميزان والصراط والحوض والشفاعة والجنة والنار –وقد أتينا عليها في كتاب (التذكرة)- والملائكة والكتب المنزلة وأنها حق من عند الله والنبيين وإنفاق المال فيما يعن من الواجب والمندوب وإيصال القرابة وترك قطعهم وتفقد اليتيم وعدم إهماله والمساكين كذلك، ومراعاة ابن السبيل –قيل المنقطع به، وقيل: الضيف- والسؤال وفك الرقاب، والمحافظة على الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء بالعهود والصبر في الشدائد. وكل قاعدة من هذه القواعد تحتاج إلى كتاب. الجامع لأحكام القرآن ٢٤١/٢

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) ﴾

١) الحكمة في تصدير الخطاب بـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ تقوية لداعية إنفاذ حكم القصاص، فكأنه يقول: إن معكم من الإيمان ما يمنعكم من التهاون بإقامة هذا الواجب؛ فإن المؤمن الصادق يحرص على أن يسد الأبواب، في وجه كل فتنة تحل عرى الألفة والمودة بين الأفراد والجماعات، وتلقي بحبل الأمن في اضطراب واختلال.

محمد الخضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة ٣١٩

٢) ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾، إطلاق وصف الأخ على المماثل في الإسلام أصل جاء به القرآن، وجعل به التوافق في العقيدة كالتوافق في نسب الإخوة بل أشد، وحقًا فإن التوافق في الدين رابطة نفسانية، والتوافق في النسب رابطة جسدية، والروح أشرف من الجسد! ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢/١٤١

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) ﴾

١) ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾، معناه كثير، ولفظة قليل؛ لأن معناه: أنَّ الإنسان إذا علم أنه متى قتل اقتصوا منه كان داعيًا ألا يقدم على القتل، فارتفع كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، وكان ارتفاع القتل حياةٌ لهم. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ٣/١٨٥

٢) والتنكير في ﴿ حَيَاةٌ ﴾ للتعظيم، وتلك الحياة العظيمة هي ما فيه من ارتداع الناس عن قتل النفوس؛ لأن أشد ما تتوقاه نفوس البشر من الحوادث الموت، فلو علم القاتل أنه يسلم من الموت لأقدم على القتل مستخفًا بالعقوبات، ولو ترك الأمر للثأر كما في الجاهلية لأفرطوا في القتل، وتسلسل الأمر، فكان في مشروعية القصاص حياة عظيمة من الجانبين. ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢/١٤٥

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾

١) من لطف الله تعالى بعباده أنه لا يواجههم بأعظم المشاقّ، ومن هذا المعنى قال بعض العلماء: إن الله تعالى قال في المكروهات: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، وإن كان قد عُلِمَ أنه هو الكاتب، فلما جاء إلى ما يوجب الراحة قال: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام: ١٢). ابن الجوزي، صيد الخاطر ١٦٣ – ١٦٤

٢) إذا تأملت في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ وكيف تلقى المسلمون هذه الفريضة بالقبول التام، وقارنته بتردد وتباطؤ بني إسرائيل في ذبح بقرة فقط! علمت شرف هذه الأمة على سائر الأمم. د. سلمان العودة

٣) استنبط منها بعض العلماء:

١- أن صيام أهل الكتاب كان بالرؤية لا بالحساب بدليل قوله: ﴿ كَمَا ﴾ ولكن أهل الكتاب غيروا وبدلوا بعد ذلك.

٢- محبة الله لهذه الفريضة، وإلا لما شرعها في جميع الأمم. اقتضاء الصراط المستقيم (٢٨٦)

٤) الصيام كان في الأمم السابقة: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾، والاعتكاف والقيام كذلك: ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (البقرة: ١٢٥)؛ وفي هذا إلهاب لعزائم هذه الأمة ألا تقصِّر عمن قبلها في تلك العبادات، فإنا الآخرون السابقون. د. عبد المحسن العسكر

٥) الصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى. ابن القيم: زاد المعاد ٢٨/٢

٦) ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ لعل -هنا- للتعليل، أي: كي تتقوا، وهنا قاعدة مفيدة، وهي: أن (لعل) إذا جاءت بعد الأمر فهي للتعليل، كقوله تعالى -بعد ذلك-: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)﴾.

د. عبد المحسن العسكر

٧) رمضان مدرسة التقوى: تأمل كيف ذكرت التقوى في أول آية وآخر آية من آيات الصيام؛ ذلك أن الصيام من أعظم ما يعزز التقوى في النفوس، فلنفتش عن أثر الصيام على تقوانا لربنا في أسماعنا وأبصارنا وكلامنا؛ لنحقق الغاية: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

د. محمد الربيعة

٨) بالأمس اقبل رمضان وكان أمر الخالق بصيامه معللاً بـ : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ واليوم حين شارفت أيامه على الانقضاء بدأت الأنفس تتشوف إلى قبول صيامه وقيامه؛ فلنفتش عن نصيبنا من قول الله: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة: ٢٧).

أ.د. ابتسام الجابري

﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) ﴾

١) ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ وإنما عبر عن رمضان بايام -وهي جمع قلة- ووصف بمعدودات -وهي جمع قلة أيضًا-؛ تهوينًا لأمره على المكلفين؛ لأن الشيء القليل يعد عدًا؛ والكثير لا يعد. ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٥٩/٢

٢) وصف سبحانه رمضان، فقال: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾، كناية عن قلَّة أيامه ويسرها، فالمغبون من فرَّط في تلك الأيام دون جدٍّ أو تحصيل، وسيدرك غبنه حين يقول: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ (الزمر: ٥٦)، و﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ (التغابن: ٩). أ.د. ناصر العمر

٣) تأمَّل كم في آية الصيام من ترغيب في الصوم، بدأها بالنداء المحبَّب ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، وبيَّن أنه فريضة لا مندوحة في تركه ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾، وأنه ليس خاصًّا بنا بل هو للأمم كلِّها ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾، وبيَّن ثمرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾، وقلَّله: ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ (البقرة: ١٨٣ – ١٨٤). د. عبد المحسن المطيري

٤) ﴿ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ دليل على أنه يقضي عدد أيام رمضان كاملاً كان أو ناقصًا، وعلى أنه يجوز أن يقضي أيامًا قصيرة باردة عن أيام طويلة حارة كالعكس.

السعدي، تيسير اللطيف المنان ١٦٣

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) ﴾

١) الصيام سبب لارتفاع القلب من الاتصال بالعلائق البشرية إلى الاتصال والتعلق بالعلائق السماوية التي نزل منها القرآن؛ ففيه اتصال مباشر بجهة نزول القرآن. وبهذا يلتقيان من هذا الوجه. الألوسي، روح المعاني ٦٢٧/١

٢) ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾، نزول القرآن في هذا الشهر سابق على فرض الصيام فيه، فهو شهر قرآن قبل أن يكون شهر صيام، فاجتمعت ميزتان، وقد فقه السلف هذا، فصاموه، وعمَّروا ليله ونهاره بالقرآن تلاوةً وتدبُّرًا؛ تحقيقًا للاسم والمسمَّى وتركوا ما سواه. أ.د. ناصر العمر

٣) ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾، الصيام له ارتباط بالقرآن، من جهة أنَّه سبب لارتفاع القلب من الاتصال بالعلائق البشرية إلى التعلق بالله تعالى، كما أنَّ الصيام سبب لصفاء الفكر ورقة القلب التي خي سبب الانتفاع بالقرآن. د. محمد الربيعة

٤) وصف الله شهر رمضان بأنه: ﴿ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾؛ لتتأكَّد العناية به فيه، فلنشتغل بالقرآن: نقرأه وحدنا ومع أهلنا، ونملأ به وقتنا، منتفعين بالتقنية الحديثة من إذاعات وقنوات وعبر ملفات حاسوب وجوال، ويتهادى المسلم مع إخوانه المقاطع المؤثرة والتلاوات المرقِّقة؛ ليكون شهر القرآن. متدبر

٥) أنزل القرآن ليكون هدى؛ ولذلك ذكرت الهداية في "الفاتحة" وفي أول البقرة ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، وتلاوة القرآن إذا خلت من هذا المعنى فقدت أعظم مقاصدها؛ فعلى التالي للقرآن أن يستحضر قصد الاهتداء بكتاب الله والاستضارة بنوره، والاستشفاء من أدوائه بكلام ربه، ولا يقتصر على مجرد تلاوة الحروف: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾. د. محمد الخضيري

٦) من فضائل شهر الصيام أن الله تعالى مدحه من بين سائر الشهور، بان اختاره لإنزال القرآن العظيم فيه، واختصه بذلك، ثم مدح هذا القرآن الذي أنزله الله فقال: ﴿ هُدًى ﴾ لقلوب من آمن به ﴿ وَبَيِّنَاتٍ ﴾ لمن تدبرها على صحة ما جاء به، ومفرقًا بين الحق والباطل والحلال والحرام. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢٦٩/١

٧) تجتاز الأمة مرحلة من أصعب مراحل تاريخها، حيث تلاحقت الفتن، وتنوعت الشبه، والتبس الحق بالباطل، فمن وفق للفرقان بان له طريق الهدى فنجا، وسبيل ذلك هو القرآن لا سواه؛ فتدبر: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾. أ.د. ناصر العمر

٨) لما شرع الله الصوم بغير بدل – مع ما فيه من المشقة المعروفة – قال بعدها: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، فاليسر هو ما جاء عن الله تعالى، لا أن يكون التيسير شماعة تغير بها الشرائع الصوم والحج والأعياد.

٩) قال ابن عباس ﷺ: حقٌّ على المسلمين إذا نظروا إلى هلال شوال أن يكبِّروا الله حتى يفرغوا من عيدهم؛ لأنَّ الله تعالى ذكره يقول: ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾. جامع البيان للطبري ٤٧٩/٣

١٠) تكبير الله على هدايته جاء في ثنايا آيات الصيام: ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾ وفي ثنايا آيات الحج: ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ (الحج: ٣٧) فإذا أردت أن تعرف موقع هاتين الآيتين الكريمتين، فيكفي أن تتذكر أن هناك (٥ مليارات) من البشر محرومون من هذه الهداية! فلمن المنة؟ ﴿ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الحجرات: ١٧). د. عمر المقبل

١١) ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ كم يفوت علينا من الخير العظيم عندما نقصر على بعض معانيها دون أن نقف متدبرين للوازن تحققها؛ حيث إن من إكمال العدة إتمامها عددًا وكيفًا، ويستلزم ذلك الاستمرار في أداء كل العبادات التي لها مزية وفضل في رمضان، وفرح ونشاط كأول الشهر والعشر. فلا يفوت عليك خير عظيم لفوات معنى دقيق. أ.د. ناصر العمر

١٢) ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ الهداية تشمل: هداية العلم، وهداية العمل، فمن صام رمضان وأكمله، فقد منّ الله عليه بهاتين الهدايتين، وشكره سبحانه على أربعة أمور: إرادة الله بنا اليسر، وعدم إرادته العسر، وإكمال العدة، والتكبير على ما هدانا، فهذه كلها نِعَم تحتاج منا أن نشكر الله بفعل أوامره، واجتناب نواهيه. ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ٣٣٦/٢

١٣) ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فتأمل ﴿ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾ إنها تقطع أوصال العجب.. فما منك شيء أيها الصائم القائم المنفق، بل هي هداية الله وحده؛ ولذا ذكرك ربك بقوله: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.

متدبر

١٤) ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾ وإذا كان التكليف شاقًا ناسب أن يعقب بترجي التقوى، وإذا كان تيسيرًا ورخصة ناسب أن يعقب بترجي الشكر؛ فلذلك ختمت هذه الآية بقوله: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ لأن قبله ترخيص للمريض والمسافر بالفطر.

أبو حيان، البحر المحيط ١٦/٢

١٥) ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ قد يقول قائل: في الصوم مشقة وتعب، فكيف يؤمر العبد بالشكر؟ فيقال: من نظر في الثمرات العظيمة التي ترتبت على هذه الفريضة: من حلاوة المناجاة، وتلاوة القرآن، وأنواع الإحسان التي وفق لها العبد، ومواهب الرحمن، والعتق من النار، عرف أن الله وحده يستحق الشكر على واسع فضله، وعظيم نعمائه.

الشعراوي، تفسير ١٩٠/١

١٦) ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (لعل) هنا للتعليل؛ و﴿ تَشْكُرُونَ ﴾ على أمور أربعة: إرادة الله بنا اليسر، عدو إرادته العسر، إكمال العدة، التكبير على ما هدانا، هذه الأمور كلها نِعَم تحتاج منا أن نشكر الله ﷻ عليها.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ٣٣٦/٢

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾

١) مفتاح البحار السفن، ومفتاح الأرض الطرق، ومفتاح السماء الدعاء.

الحسن البصري، الدر المنثور ٤٧٠/١

٢) قرب الله المذكور في القرآن والسنة قرب خاص من عابديه، وسائليه وداعيه، وهو من ثمرة التعبد باسمه الباطن ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٢

٣) تدبر هذه الآية ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ ففيها من الكنوز ما لا يمكن حصره:

١- فهي في وسط آيات الصيام، مشعرة بأهمية الدعاء في رمضان وأثره.

٢- تامل هذا الشرف الذي ألبسك الله إياه، إذ نسبك إلى نفسه سبحانه ﴿عِبَادِي﴾ فأي كرم سيناله العبد من سيده؟

٣- فيها عدة جمل عظيمة، وأعظمها قرب الله منك، فما ظنك بعطاء أعظم قريب؟ فازدد غوصًا، تجد لؤلؤًا. أ.د. ناصر العمر

٤) ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (هود: ٦١)، ما أقرب الله! ليس بيننا وبينه أحدٌ، لا مواعيد تلاحق، ولا طوابير تنتظر، ولا سكك تقطع.

٥) كان خالد الربعي يقول: عجبت لهذه الأمة! أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة، وليس بينهما شرط! فسئل عن هذا؟ فقال: مثل قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (البقرة: ٢٥) فها هنا شرط – أي: البشارة مشروطة بالإيمان والعمل الصالح – ، وقوله: ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (غافر) فها هنا شرط، وأما قوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر: ٦٠) ليس فيه شرط.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٣٠٩/٢

٦) قال بعض السلف: متى أطلق الله لسانك بالدعاء والطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك؛ وذلك لصدق الوعد بإجابة من دعاه، ألم يقل الله تعالى: ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾. شرح الحكم العطائية (٨٥)

٧) ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ الداعي لا بد وأن يجد من دعائه عوضًا: إما إسعافًا بطلبته التي لأجلها دعا؛ وذلك إذا وافق القضاء، فإذا لم يساعده القضاء، فإنه يعطى سكينة في نفسه وانشراحًا في صدره، وصبرًا يسهل معه احتمال البلاء الحاضر، وعلى كل حال فلا يعدم فائدة، وهو نوع من الاستجابة. الرازي، مفاتيح الغيب ٢٦٥/٥

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧) ﴾

١) ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ في الآية معنيان لطيفان:

١- التكنية عما لا يحسن التصريح به.

٢- عدي الرفث بـ (إلى) مع أنه لا يقال: رفثت إلى النساء، ولكنه جيء به محمولاً على الإفضاء الذي يراد به الملابسة. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣١٦/٢

٢) تأمل قوله تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾، وما فيها من تربية الذوق والأدب في الكلام، إضافة إلى ما في اللباس من دلالة (الستر، والحماية، والجمال، والقرب).. وهل أحد الزوجين للآخر إلا كذلك؟ وإن كانت المرأة في ذلك أظهر أثرًا كما يشير إلى ذلك البدء بضميرها ﴿هُنَّ﴾. د. عويض العطوي

٣) ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾، ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ (النبأ)، ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾ (الأعراف: ٢٦) تأمل هذه الآيات، تجد الرابط بينها (الستر) والمشترك بين الثياب حسن سترها، فهل يدرك الزوجان أنه عندما يتحدث أحدهما بعيوب شريك حياته ويكشف أسراره قد أصبح كالثوب المخرق قبيح المنظر، فاضح المخبر؟. أ.د. ناصر العمر

٤) ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ هل يستغني أحد عن اللباس؟ فكيف يستغني أحد عن الزواج ويؤخره بلا سبب معتبر؟

اللباس يستر العورات فلِمَ يفضح البعض شريك عمره وقد خلق لستره؟

اللباس شعار ودثار، فكيف تصفو الحياة الزوجية مع النفور والجفاء؟

اللباس من أجمل ما تتزين به، فمتى يكون الزوجان أحدهما جمالاً للآخر؟

اللباس وقاية من البرد والحر، فهل كل منا يشعر أنه وقاية وحماية وأمان لشريك حياته؟ فما أعظمه من كتاب! أ.د. ناصر العمر

٥) ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: اقصدوا في مباشرتكم لزوجاتكم التقرب إلى الله بذلك، وابتغوا أيضًا ليلة القدر، فإياكم أن تشتغلوا بهذه اللذة وتوابعها وتضيعوا ليلة القدر – وهي مما كتبه الله لهذه الأمة – وفيها من الخير العظيم ما يعد تفويته من أعظم الخسران فاللذة مدركة، وليلة القدر إذا فاتت لم تدرك، ولم يعوض عنها شيء.

السعدي، تيسير اللطيف المنان ١٦٩

٦) ﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ في تجويز المباشرة إلى الصبح، الدلالة على جواز تأخير الغسل إليه، وصحة صوم المصبح جنبًا.

البيضاوي، أنوار التنزيل ٤٧٠/١

٧) ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ في إباحته تعالى جواز الأكل إلى طلوع الفجر دليل على استحباب السحور؛ لأنه من باب الرخصة والآخذ بها محبوبته ولهذا وردت السنة الثابتة بالحث عليه.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢٧٦/١

٨) ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾، هذا غاية للأكل والشرب والجماع، وفيه أنه إذا أكل ونحوه شاكًا في طلوع الفجر، فلا بأس عليه، وفيه دليل على استحباب السحور، وأنه يستحب تأخيره؛ أخذًا من معنى رخصة الله وتسهيله على العباد.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٨٧

٩) ﴿ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ وليس المراد النهي عن مباشرتهن في المساجد؛ فذلك ممنوع منه في غير الاعتكاف، وإنما نزلت في أقوام يخرجون لحاجتهم في بيوتهم، فربما جامع أحدهم أهله، فنهوا عن ذلك؛ فتأمل كيف افادت حكمين بجملة مختصرة اشتراط المسجد في الاعتكاف، والنهي عن المباشرة أثنائه.

البغوي، معالم التنزيل ٢٠٩/١ (بتصرف)

١٠) استدل العلماء بقوله: ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ على أن الاعتكاف لا يصح إلا في المسجد، ووجه الدلالة: كأن الأمر مستقر ومفروغ منه، أن الاعتكاف لا يكون إلا في المسجد، وقد حكى الإجماع على ذلك.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٣٢/٢ (بتصرف)

١١) ﴿ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ لقد جعل الإسلام هذه العزلة في إطار المسجد، فلم يسمح بانقطاع في غار أو في غابة؛ وذلك حتى لا ننهى صلة المسلم بالجماعة.

محمد الغزالي/ ركائز الإيمان بين العقل والقلب، ١٧٠

١٢) للمعتكف التنقل في أنحاء المسجد؛ لعموم: ﴿ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾، وأما الخروج منه فهو أقسام:

١- لأمر مناف للاعتكاف كالوطء والبيع، فإنه يبطل.

٢- لأمر معتاد لابد منه كالخلاء، وأكل لا يأتي به أحد، واغتسال لإزالة رائحة، فجائز.

٣- لأمر لا ينافي الاعتكاف، لكن ليس لازمًا، كتشييع جنازة وزيارة قريب، فلا يفعل، وبعضهم يجيز ذلك باشتراطه.

ابن عثيمين، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عثيمين (١٧٤/٢٠ – ١٧٧) (بتصرف)

١٣) ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ وقال بعد ذلك في (آية ٢٢٩): ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ سر الفرق بين الآيتين: أن الآية الأولى قيل فيها: ﴿ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾؛ لأنها وردت بعد عدة نواهي، فناسب النهي عن قربانها، أما الآية الثانية فقد جاءت بعد أوامر؛ فناسب النهي عن تعديلها وتجاوزها، بأن يوقف عندها.

السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ٣٩٤/٣

١٤) حقيقة الإيمان: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾، قال سفيان بن عيينه رحمه الله: "لا يصيب العبد حقيقة الإيمان حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزًا من الحلال، وحتى يدع الإثم وما تشابه منه". تفسير ابن رجب ١٤٤/١-١٤٥

١٥) لما ذكر الله تعالى المنهيَّات في الصيام والاعتكاف، أعقبها بقوله: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾، و ﴿ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ أبلغ من: (فلا تفعلوها)؛ لأنَّ القربان يشمل النهي عن فعل المحرم بنفسه، والنهي عن وسائله الموصلة إليه. السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٨٧

١٦) ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ إن العلم الصحيح سبب للتقوى؛ لأنهم إذا بان لهم الحق اتبعوه، وإذا بان لهم الباطل اجتنبوه، ومن علم الحق فتركه، والباطل فاتبعه، كان أعظم لجرمه وأشد لإثمه. السعدي، تيسير اللطيف المنان ١٧١

١٧) العبادات التي كان نبيُّنا ﷺ يحرص عليها في رمضان كلها مذكورة في آيات الصيام في سورة البقرة (١٨٣ – ١٨٧): الصدقة ﴿ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾، تلاوة القرآن ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾، الدعاء ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، والاعتكاف ﴿ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾، والتكبير للعيد ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾. د. محمد الخضيري

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨)﴾

١) لما انقضت آيات الصيام أعقبها الله بالنهي عن أكل أموال الناس بالباطل؛ لأنه محرم في كل زمان ومكان، بخلاف الطعام والشراب فكأنه يقال للصائم: يا من أطعت ربك وتركت الطعام والشراب الذي حرم عليك في النهار فقط، فامتثل أمر ربك في اجتناب أكل الأموال بالباطل، فإنه محرم بكل حال، ولا يباح في وقت من الأوقات.

ابن رجب، لطائف المعارف ٢٩٢

٢) ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ والمراد من الأكل ما يعم الأخذ والاستيلاء، وعبر به؛ لأنه أهم الحوائج وبه يحصل إتلاف المال غالبًا، والمعنى: لا يأكل بعضكم مال بعض، فهو كقوله تعالى: ﴿ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (الحجرات: ١١)

الألوسي، روح المعاني ١٤٠/٢

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩)﴾

١) قال قتادة رحمه الله: سألوا نبي الله ﷺ: لِم جُعِلتْ هذه الأهلة؟ فأنزل الله فيها ما تسمعون فيجعلها لصوم المسلمين ولإفطارهم، ولمناسكهم وحجهم، ولعدة نسائهم ومحل دينهم في أشياء، والله أعلم بما يصلح خلقه. جامع البيان للطبري ٣٣٥/٣

٢) وفي قولهك ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ إشارة إلى كون الرؤية ميقاتًا للناس كلهم، فما كان رؤية في عهد النبوة فهو المعتبر بعده. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣٤٤/٢) (بتصرف)

٣) هل يدرك الذين يسعون لربط أُمَّتهم بغير الأشهر القمرية والتاريخ الهجري أنهم يخالفون سنة ربانية أزلية وينتهكون حرمات الله بإضاعة الأشهر الحرم، أو خفاء توقيتها بسبب غلبة التاريخ بالميلادي، فيرتكبون فيها ما حرم الله؟ قف، وتدبَّر ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾، مع ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ (التوبة: ٣٦)، تدرك أبعاد جريمة أولئك، مع ما في ذلك من تشبُّهٍ وتبعيَّة وخضوعٍ. أ.د. ناصر العمر

﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١)﴾

كتب أحد رموز الضلال مدافعًا عمن قال كفرًا: (لماذا كل هذا الشبق إلى الدم)؟ ووصف من نطق زندقة وإلحادًا بكلام بارد: (بأنه خانه التعبير)!

وهجر هذا الضال للقرآن الكريم هو الذي أوصله إلى هذا المستوى من فساد التفكير، والدفاع عن الإلحاد والكفر والبواح، تدبر ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾، ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (البقرة: ٢١٧). ولا علاج لهؤلاء إلا بالنص المحكم: ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾ (الأحزاب: ٦٠).

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥)﴾

١) الإحسان يفرح القلب، ويشرح الصدر، ويجلب النعم، ويدفع النقم، وتركه يوجب الضيم والضيق، ويمنع وصول النعم إليه، فالجبن ترك الإحسان بالبدن، والبخل ترك الإحسان بالمال، والله يقول: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾. ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٧٩

٢) إذا بذل المسلمون وسعهم ولم يفرطوا في شيء، ثم ارتبكوا في أمر بعد ذلك فالله ناصرهم ومؤيدهم فيما لا قبل لهم بتحصيله، ولقد نصرهم الله ببدر وهم أذلة، لكنهم يومئذ لم يقصروا في شيء، فأما أقوام يتلفون أموال المسلمين في شهواتهم، ويفوتون الفرص وقت الأمن فلا يستعدون لشيء ثم يطلبون بعد ذلك من الله النصر والظفر فأولئك قوم مغرورون؛ ولذلك يسلط الله عليهم أعداءهم بتفريطهم.

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦) ﴾

١) ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ المراد بإتمام الحج والعمرة الإتيان بهما تامين؛ ظاهرً: بأداء المناسك على وجهها، وباطنًا: بالإخلاص لله تعالى وحده.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار ١٧٥/٢

٢) ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾، ففي قوله: ﴿ لِلَّهِ ﴾ تنصيص على أهميَّة الإخلاص في هاتين العبادتين. السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٩٠

٣) ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾، بدأ بالتذكير بالتوحيد والإخلاص قبل ذكر الأحكام التفصيلية، فلا رياء ولا ثناء ولا تكاثرَ في الحج من الناس. د. عبد الله السكاكر

٤) ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ لا تفكر في تصميم حج مختصر. د. عبد الله بن بلقاسم

٥) قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ ﴾ ولم يقل: ولا تقصروا، ففيه دلالة على أن الحلق أفضل وهو مقتضى دعاء الرسول ﷺ للمحلقين ثلاثًا وللمقصرين مرة[1].

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٨١/٢

٦) جاء لفظ القرآن في بيان الرخصة بالأسهل: ﴿ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾، ولما أمر النبي ﷺ كعب بن عجرة بذلك أرشده إلى الأفضل فالأفضل، فقالت: "انسك شاة، أو أطعم ستة مساكين أو صم ثلاثة أيام"[2]، فكل شيء حَسَنٌ في مقامه.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥٣٦/١

---

[1] أخرجه مسلم ح (١٣٠٣) ولفظه: عن يحيى بن الحصين، عن جدته، أنها سمعت النبي ﷺ في حجة الوداع "دعا للمحلقين ثلاثًا، وللمقصرين مرة".

[2] أبو داود ح (١٨٦٠)، النسائي ح (٢٨٥١)، الموطأ (٥٠٤) ولفظة: "صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين فرقًا من زبيب أو انسك شاة" موافقًا للفظ الآية لا كما ذكر الحافظ رحمه الله وغفر له.

٧) ﴿ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾، ﴿ وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾ (الحج: ٣٦)، ﴿ وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ (الحج: ٢٨) يلحظ المتدبر عناية الشرع بمسألة إطعام المساكين في المناسك، فهنيئًا لمن وفقه الله فأطعم مسكينًا، وسد جوعته، وكفاه هم السؤال. د. محمد الربيعة

٨) ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ عطف السبعة على الثلاثة يحتمل معنيين: ١- أن تكون سبعة خارجة عن الثلاثة. ٢- أن تكون سبعة بالثلاثة التي قبلها، فلما قال: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ علمنا أن السبعة مستقلة لا تدخل فيها الثلاثة المتقدمة.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٣٧

٩) من بلاغة القرآن في قوله تعالى – عن الهدي –: ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ أنه لم يحدد ما الذي لم يوجد؛ ليشمل من لم يجد الهدي، ومن لم يجد ثمنه، فاستفدنا زيادة المعنى، مع اختصار اللفظ.

ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة ٤٠٩/٢

١٠) بعدما ذكر الله تعالى أحكامًا كثيرة للحج قال: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾، وختم الله الآية بقوله سبحانه: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾، وهو معنى عظيم يغفل عنه الكثير من الحجاج، فالج المقصود منه تحقيق تقوى الله لذلك أكد هذا المعنى بالآية التي تليها فقال: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾. د. عبد المحسن المطيري

١١) آية البقرة: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾، هي أطول آيات الحج في التيسير، ختمها بقوله: ﴿﴾؛ مما يؤكِّد أنَّ التيسيرَ حُكمٌ شرعي كالأمر، لا يجوز أن يُسلك إلا بدليل صحيح، فحكم الفعل كحكم الترك؛ لذا جمع فيها بين الأمر الجازم وبين التخفيف، فمن تجاوز حدود الله تشديدًا أو تساهلًا فقد عرَّض نفسَه لشديد عقاب الله. أ.د. ناصر العمر

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧)﴾

١) كيف قيل: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾، وهو شهران وبعض الثالث؟ يجيب ابن جرير الطبري رحمه الله فيقول: "إنَّ العرب لا تمتنع خاصةً في الأوقات من استعمال مثل ذلك، فتقول له: اليوم يومان منذ لم أره. وإنما تعني بذلك يومًا وبعض آخر، وكما قال جل ثناؤه: ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ (البقرة: ٢٠٣)، وإنما يتعجل في يوم ونصف".

جامع البيان ٣/٤٥٢

٢) وقفت متأملاً لقوله تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ فتساءلت: لماذا تميز وقت الحج بـ ﴿ أَشْهُرٌ ﴾ دون سائر الأركان؟ فكأنه لعدم وجوبه في العمر إلا مرة واحدة، ولبعد مسافة قاصده غالبًا ﴿ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج: ٢٧)؛ أطال أمده ليقضي المسلم نهمته من العبادة في الحرم، ويتهيأ قبل فترة المناسك وبعدها، إذ يقدم مبكرًا وينصرف متأخرًا إن رغب، توسعة ورحمة، وحثًا على المبادرة والتزود؛ لما لذلك من أثر إيجابي في حياته.

أ.د. ناصر العمر

٣) عند التأمل في آيتي: ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ ﴾، ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (البقرة: ١٩٦) مع أن الحج قد يكون تطوعًا، لكنه أوجبه على نفسه بمجرد دخوله فيه؛ ففي هذا درس في تعظيم شأن الالتزام بإتمام أي عمل إيجابي يشرع فيه المسلم، وعدم الخروج منه إلا بمسوغ معتبر عقلاً وشرعًا، وفي الصحيح: "**أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل**"[(١)].

أ.د. ناصر العمر

٤) ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ فليحفظ الحاج جوارحه ومما يعينه على ذلك: أن يستشعر أنه ضيف على الله ﷻ، والضيف يرعى حرمة مضيفه، وأن يتقي الله، ومن تقواه له سبحانه: أن يحفظ جوارحه وأركانه، فلا يرسل عينه بالنظرات إلى عورات المؤمنين والمؤمنات.

محمد المختار الشنقيطي، محاضرة (زاد الحجيج إلى البيت العتيق)

٥) ينبغي البعد حال الإحرام عن كل ما يشوش الفكر، ويشغل النفس؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾؛ ومن ثم يتبين خطأ أولئك الذين يزاحمون على الحجر عند الطواف؛ لأنه يشوش الفكر، ويشغل النفس عما هو أهم من ذلك.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ٢/٤١٨، ٤١٩

(١) مسلم ح (٢٨١٨).

٦) ﴿ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ لو كان في الملاحاة خير لما كانت سببًا لنسيان القدر! ولأن الله تعالى صان الإحرام عن الجدال فقال: ﴿ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾.

ابن مفلح، الآداب الشرعية ٣/٣٧٧

٧) لما نهى الله عباده عن إتيان القبيح قولاً وفعلاً: ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾، حثهم على فعل الجميل، وأخبرهم أنه عالم به، وسيجزيهم عليه أوفر الجزاء يوم القيامة فقال: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥٤٧

٨) الخادم متى علم أن مخدومه مطلع عليه؛ كان أحرص على العمل وأكثر التذاذًا به، وأقل نفرة عنه، وكان اجتهاده في أداء الطاعات وفي الاحتراز عن المحظورات أشد؛ فلهذه الوجوه اتبع الله تعالى الأمر بالحج والنهي عن الرفث والفسوق والجدال بقوله: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾. الرازي، مفاتيح الغيب ٣/١٨٥

٩) في سياق بيات الحج: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ وكان المتوقع أن يقال: وما تفعلوا من شيء؛ ليتناول كل ما تقدم من الخير والشر، إلا أنه خص الخير بأنه يعلمه لفوائد، منها: إذا علمتُ منك الخير ذكرته وشهرته، وإذا علمتُ منك الشر سترته وأخفيته؛ لتعلم أنه إذا كانت رحمتي بك في الدنيا هكذا، فكيف في العقبى؟

الرازي، مفاتيح الغيب ٥/٣٢٠

١٠) تأمل هذه الآية العجيبة في آيات الحج: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ مع أنه سبحانه يعلم كل شيء؛ ففيها تنويه بمراعاة أعمال القلوب أثناء النسك، فالحاج قد يغفل عن قلبه، فيتركز اهتمامه غالبًا على إتمام الشعيرة ظاهرًا، فإذا أحس بمراقبة الله لعمله كان أكثر إتقانًا وسكينة وتقوى؛ لذا ختمت الآية بقوله: ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾. أ.د. ناصر العمر

١١) مجمل عبادات الحج من طواف وسعي ورمي ظاهرة، لكن ثمة مجال لأسرار العبد مع ربه: من نوافل وأذكار وتلاوة، وتعليم جاهل، وتأمين خائف، وإغاثة محتاج، وهذا كله داخل تحت قوله: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ وهو تعبير يفيد العموم الذي لا حصر له، وهو مجال للركض في الطاعات والتسابق في الخيرات. د. محمد السيد

١٢) ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾، أمر الحجاج بان يتزودوا لسفرهم ولا يسافروا بغير زاد، ثم نبههم على زاد سفر الآخرة وهو التقوى فكما أنه لا يصل المسافر إلى مقصده إلا بزاد يبلغه إياه، فكذلك المسافر إلى الله تعالى والدار الآخرة لا يصل إلا بزاد من التقوى، فجمع بين الزادين، فذكر الزاد الظاهر والزاد الباطن.

ابن القيم، إغاثة اللهفان ٥٨/١

١٣) ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾، الجملة تتضمن غرضين:

الغرض الأول: الأمر بالتزوُّد للحج؛ إبطالاً لما كانوا يفعلونه من ترك التتزوُّد للحجِّ وقطعًا لتعلق القلب بالخلق عن الخالق، ويؤيد هذا سبب النزول من قول ابن عباس ﷺ: "كان اهل اليمن يحجُّون ولا يتزوَّدون، ويقولونك نحن المتوكِّلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾"[1].

السيوطي، الدر المنثور ٥٣١/١ (بتصرف)

والغرض الثاني لقوله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾: الحث على التزود من الطاعات للآخرة، وهو إشارة إلى استغلال موسم الحجِّ بالطاعة فيه، ويؤيد هذا الغرض: تعقيب الجملة بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾.

١٤) ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ قال رجل – يريد الحج – ليونس بن عبيد: أوصني! فقال له: اتق الله؛ فمن اتقى الله فلا وحشة عليه. جامع العلوم والحكم لابن رجب ١٦١/١

١٥) ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ التزود المادي في الحج مشروع؛ ليقطع الإنسان حاجته للخلق ويتفرغ للتعلق بالخالق، وهذا من أعظم مقاصد الحج؛ ولهذا فإن تفرغ الحاج لعبادته وتوكيل من يخدمه من حملة أو فرد؛ أدعى لتحقيق هذا المقصد.

د. محمد الربيعة

[1] البخارى ح (١٥٢٣).

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ﴾

١) ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ لما أمر تعالى بالتقوى، أخبر تعالى أن ابتغاء فضل الله بالتكسب في مواسم الحج وغيره، ليس فيه حرج إذا لم يشغل عما يجب، إذا كان المقصود هو الحج، وكان الكسب حلالاً منسوبًا إلى فضل الله، لا منسوبًا إلى حذق العبد، والوقوف مع السبب، ونسيان المسبب، فإن هذا هو الحرج بعينه. السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٩٢/١

٢) تأمل كيف يربط الله تعالى الحاج بذكره سبحانه بعد كل منسك: ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾، ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ﴾ (البقرة: ١٩٩)، ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ (البقرة: ٢٠٠)، ثم قال: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ (البقرة: ٢٠٣)، ثم انظر لحالنا، كما نغفل عن الذكر في الحج؟!

د. عبد المحسن المطيري

٣) ﴿ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ أي: وافعلوا ما أمرناكم به من الذكر؛ كما هداكم الله لدين الإسلام، فكأنه تعالى قال: إنما أمرتكم بهذا الذكر؛ لتكونوا شاكرين لتلك النعمة.

الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢٩/٥

٤) المتأمِّل في شعائر الحج يلحظُ تربية عجيبةً على كثرة الذكر؛ فنجد النصَّ عليه في القرآن في مواضع: عند المشعر الحرام، وفي أيام التشريق، وعند الفراغ من المناسك، وعند الذبح، والذكر على عموم نعمة التوحيد، والتوفيق لهذه المناسك؛ فلنفتِّش عن اثر هذه العبادة في مناسكنا. أ.د. محمد العواجي

﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩)﴾

١) التميز عن الناس في الحج على وجه الاختصاص والكبر من أمور الجاهلية، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾، لا كما كان يفعل الْحُمْسَ من قريش.

٢) ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ الاستغفار ختام الأعمال الصالحة كلها، فيختم به الصلاة، والحج، وقيام الليل، ويختم به المجالس؛ فإن كانت ذكرًا كان كالطابع عليها، وإن كانت لغوًا كان كفارة لها. ابن رجب، لطائف المعارف ٢٣٢

٣) تأمل قوله تعالى بعد أن ذكر أهم أعمال الحج: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ ذلك أن الحاج يغشاه فرح وسرور بعد أداء تلك المناسك، وقد يصاحب ذلك إعجاب بعمله، إذ أنجز تلك الأعمال في فترة وجيزة مع مشقة ظاهرة، فجاء الأمر بالاستغفار؛ ليستصحب التقصير الذي لا ينفك منه عمل وقربة، فيتلاشى الإعجاب والزهو، ولا يعارض ذلك الفرح والسرور ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ (يونس: ٥٨). أ.د. ناصر العمر

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠)﴾

١) ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ ﴾ - أي: بعد التحلل من النسك - ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ﴾، قال عطاء: هو كقول الصبي: "أبه، أمه" أي: فكما يلهج الصبي بذكر أبيه وأمه، فكذلك أنتم، فالهجوا بذكر الله بعد قضاء النسك. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣٠٢/١

٢) ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا ﴾ فيها: أن الناس ليسوا في الطتعة سواء، وأن من طلب الدنيا لا يفرق بين هوى برديه، وصالح بقيمه! محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير ٦٢٧

٣) في آيات الحجِّ عالج القرآنُ خصائص الجاهلية وكيفية تنقية المجتمع المسلم منها بأسلوب يستثمر المناسبة ويقتضيها، ومن ذلك التكبُّر على الناس والتميُّز عنهم، والفخر بالآباء والتعصب لهم، تدبر: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ (البقرة: ١٩٩)، و﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾، فما أحوج الدعاة والأمة جميعًا لمثل هذا الأسلوب، ولذلك النقاء. أ.د. ناصر العمر

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١)﴾

قال ثابت لأنس ﷺ: إن إخوانك يحبون أن تدعو لهم، فقال: اللَّهُمَّ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، فأعاد عليه! فقال: تريدون أن اشفق لكم الأمور؟! إذا آتاكم الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقاكم عذاب النار؛ فقد آتاكم الخير كله. الدر المنثور للسيوطي ٥٥٩/١

﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣)﴾

١) لبُّ الحج هو الذكر، فمن وفق له فهو الموفق، واسمع برهان ذلك: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ (البقرة: ٢٠٠)، ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾، ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ﴾ (الحج: ٢٨)، وفي الحديث: "**أفضل الحجِّ: العجُّ والثَّج**"[1]، والعجُّ: رفع الصوت بالتلبية.

د. محمد الخضيري

٢) ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾، من حكمة الله تعالى في توقيت المشاعر بالأشهر الهجرية المعروفة ما ذكره الشافعي رحمه الله بقوله: "قد يتأخَّر الزمان ويتقدَّم، وليس تتأخر الأهلة أبدًا أكثر من يوم". تفسير الإمام الشافعي ٣٢٣/١

٣) ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ أيام التشريق يجتمع فيها للمؤمنين نعيم أبدانهم بالأكل والشرب ونعيم قلوبهم: بالذكر والشكر؛ وبذلك تتم النعم، وكلما أحدثوا شكرًا على النعمة، كان شكرهم نعمة أخرى، تحتاج إلى شكر آخر، ولا ينتهي الشكر أبدًا.

ابن رجب، لطائف المعارف ٢٩١

٤) ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ تقليل لعددها؛ لتأكيد الحرص على استثمارها.

د. عبد المحسن المطيري

٥) حضور الآخرة في قلب الحاج.. تأمل قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى ﴾: فإنه لما ذكر الله تعالى النفر الأول والثاني، وهو تفرق الناس من موسم الحج إلى سائر الأقاليم والآفاق، بعد اجتماعهم في المشاعر والمواقف، قال: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أي: تجتمعون يوم القيامة.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥٦٢/١

[1] أخرجه ابن أبي شيبة ح (٣٣٠).

٦) ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى ﴾ ليست العبرة بطول الزمن الذي يبقاه الحاج في منى فقط، بل العبرة باستحضار نية العبد؛ لذلك قال سبحانه: ﴿ لِمَنِ اتَّقَى ﴾، فإياك أن تقارن الأفعال بزمنها؛ فإنما هي بإخلاص النية، والتقوى فيها. الشعراوي، تفسيره ٢٠٧/١

٧) وقفت متأملاً لقوله سبحانه: ﴿ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ حيث ذكرها في التعجل والتأخر في الحج، وتساءلت: إذا كان رفع الإثم ظاهرًا في التعجل، فلم جاء في التأجر مع أنه هو الأفضل: ﴿ لِمَنِ اتَّقَى ﴾؟ فبدا لي أن ذلك إيماء إلى أن العبادات توقيفية سواء أكانت رخصة أو عزيمة.

وهذا يوجب على الحاج أن يتحرى من مشروعية أي عمل في الحج؛ حتى لا يحدث فيه ما ليس منه – كما يفعل كثير من الحجاج – احترازًا من أن يرد عليه حجه لبدعة استحسنها. أ.د. ناصر العمر

٨) الأعمال المخير فيها إنما ينتفي الإثم عنها؛ إذا فعلها الإنسان على سبيل التقوى لله تعالى؛ دون التهاون بأوامره؛ لقوله: ﴿ لِمَنِ اتَّقَى ﴾، فمن فعل ما يخير فيه، على سبيل التقوى لله، والأخذ بتيسيره، فلا إثم عليه، ومن فعلها على سبيل التهاون وعدم المبلاة، فإن عليه الإثم بترك التقوى، وتهاونه بأوامر الله. تفسير العثيمين، الفاتحة والبقرة ٤٤٠/٢

٩) ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى ﴾، التعجُّل أو التأخُّر يدور في حكم الأفضل لا الواجب، ومع ذلك تنزل فيه آية عظيمة؛ لبيان أن الأحكام التعبدية على التوقيف، كما أن التشريع من عند الله وحده لا يشاركه فيه أحد، ولو كان في الفضائل، فماذا يقول المشرعون من دون الله في الدماء والأموال والحقوق؟ نذكرهم بآخر الآية: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾. أ.د. ناصر العمر

١٠) بعد أن أباح الله التعجل لمن اتقاه قال: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾، فالعلم بالجزاء من أعظم الدواعي لتقوى الله؛ فلهذا حث تعالى على العلم بذلك.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٩٣

١١) لما كان الحج حشرًا في الدنيا، والانصراف منه يشبه انصراف أهل الموقف بعد الحشر عن الدنيا – فريقًا إلى الجنة وفريقًا إلى السعير –؛ ذكّرهم بذلك بقوله: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ فاعملوا لما يكون سببًا في انصرافكم منه إلى دار كرامته لا إلى دار إهانته. البقاعي، نظم الدرر ٣٠٧/١ (بتصرف)

١٢) ختمت آيات الحج في سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ فتأمل كلمة : ﴿ تُحْشَرُونَ ﴾ ومناسبتها لزحمة الحج؛ فمن حشركم هذا الحشر باختياركم، فهو قادر سبحانه على أن يحشركم بغير اختياركم. الشعراوي، تفسيره ٢٠٧/١

١٣) في آيات الحج الاثنتي عشرة في شورة البقرة اثنا عشر أمرًا بالتقوى وأسبابها من الذِّكْر والاستغفار ومجانبة ما يناقضها من فسوق وجدال؛ وذلك كله تأكيد على أن حج القلب قبل حج البدن. د. عبد الغفيلي

١٤) رغم اختلاف سياق الآيات في سورة البقرة عن سورة الحج إلا أن الذي لم يختلف أبدًا هو إبراز الأصلين الكبيرين – اللذين هما من أعظم مقاصد نسك الحج–:

١– تحقيق التقوى.

٢– كثرة ذكر الله ﷻ فحري بالحاج أن يجعل هذين الاصلين نصب عينيه، وليفتش عن أثرهما في قلبه.

د. محمد الربيعة

١٥) ركزت آيات الحج في سورة (البقرة) على إظهار كمال الشريعة؛ بتضمنها للتخفيف والتيسير وإبطال ما احدثه المشركون وأهل الكتاب في الحج من تحريف وتغيير بعد ملة إبراهيم عليه السلام، بينما ركزت سورة الحج على مقاصد الحج الكبرى؛ بربطه بالتوحيد، وتأكيد الإخلاص، وتعظيم الشعائر والحرمات. د. محمد الربيعة

١٦) ختمت آيات الحج في البقرة بذكر الحشر، وبدأت سورة الحج بذكر زلزلة الساعة! وهذا يدل على ما في الحج من مشاهد وأعمال تذكر بالحشر والنشور: فابتداء الحج بالإحرام يذكر بالكفن، والموت أول خطوة نحو القيامة، ثم تتوالى المشاهد والقرائن، فهل من معتبر؟ أ.د. ناصر العمر

﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) ﴾

والفساد له مظاهر شتى، أولها: الخروج على سنن الله الكونية والاجتماعية ومعالجة الشئون الخاصة والعامة بالهوس والقصور، وقد يبدأ ذلك بأمور تافهة، كترك صنبور الماء مفتوحًا دون سبب، أو مكسورًا دون إصلاح، أو ترك خلل طارئ؛ ليصبح عاهة مستديمة!

محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم ١٥٧

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) ﴾

عزة النفس والمكابرة جبلٌ عظيم يحول بين إنسان قل توفيقه وبين قبول الحق: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾. د. عبد الله السكاكر

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨)﴾

الذين ذهبوا إلى كسرى لم يذهبوا إليه باسطوانات المصحف المرتل، ولا بطبعة جديدة من المصحف، إنما ذهبوا بدرجة كبيرة من الوعي والطهر والعدل! وقف ربعي بن عامر يعرض الإسلام خلقًا وسلوكًا، ويعرضه نظام حياة وأمل جماهير.. إن القرآن قد بدأ بسورة العلق، وختم بسورة المائدة وسورة النصر؛ ليقال لنا: هذا هو الخط السماوي الذي يجب أن يعيش الناس به! الغزالي، خطب الشيخ الغزالي ١٦٠

﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) ﴾

حُكي أنَّ أعرابيًّا قارئًا يقرأ: ﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾، فاعلموا أنَّ الله غفور رحيم، ولم يكن الأعرابي من القرَّاء، فقال: إن كان هذا كلام الله، فلا يقول كذا، ومرَّ بهما رجلٌ، فقال: كيف تقرأ هذه الآية، فقال الرجل: ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فقال: هكذا ينبغي، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراء عليه.

السيوطي، الإتقان ٣/٣٠٣

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢)﴾

قال السيلوكتي: إن جميع ما في الكافرين والمنافقين من صفات ذميمة فإنما هو بسبب تهالكهم على الدنيا، وإعراضهم عن غيرها؛ لأنها قد زُيّنت لهم، حتى صار ذلك التزيين مركوزًا في طبيعتهم، فتدبر كلمة (زين) في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. محاسن التأويل للقاسمي (٩٢/٢) بتصرف

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) ﴾

١) طريق الجنَّة إنما هو الصبر على البلاء اقرأ إن شئت: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾.

ابن الجوزي، زاد المسير ٢٣٢/١

٢) من كان يحب الراحة ولا يريد أن ينزعج ولا أن يخالف نفسه ولا أن يتحمل مشقة، فهذا لا يستطيع سلوك طريق الجنة: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية ٢٤٠

٣) إن الإيمان مستقر في أعماق كل قلب، ولكنه يحتاج إلى هزة شديدة تبديه وتظهره؛ ولذلك كانت المصائب والأزمات سببًا لظهور الإيمان.

علي الطنطاوي، نور وهداية ١٨

٤) ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ الله ﷻ إنما يفرِّج عن أنبيائه ومن معهم بعد انقطاع اسبابهم ممن سواه؛ ليمتحن قلوبَهم للتقوى، فتتقدَّس سرائرهم من الركون لشيء من الخلق، وتتعلَّق ضمائرهم بالله تعالى وحده.

البقاعي، نظم الدرر ٣٩٧/١

٥) تدبر هذه الآية إذا اشتد بالأمة البلاء: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ﴾ حيث مازال البلاء بهم حتى بلغ إلى شدته وغايته، عندها يقولون: ﴿ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ﴾ أي: يستفتحون على أعدائهم، ويدعون الله بقرب الفرج، وليس فيه استعجال النصر أو اليأس من نصر الله، كما بين الشوكاني[1] وغيره.

أ.د. ناصر العمر

(١) ينظر: فتح القدير (٢٤٧/١)

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)﴾

١) قال ابن عقيل: تستبطئ الإجابة من الله لأدعيتك في أغراضك التي يجوز أن يكون في باطنها المفاسد في دينك ودنياك، وتتسخط بإبطاء مرادك مع القطع بأنه سبحانه لا يمنعك شحًا ولا بخلاً ولا نسيانًا، وإنما أخر رحمة لك وحكمة ومصلحة، وقد تقدم إليك بذلك تقدمة؛ فقال سبحانه: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣٨٨/٢

٢) ما يصيب الإنسان إن كان يسره، فهو نعمة بينة. وإن كان يسوؤه، فهو نعمة من جهة أنه يكفر خطاياه، ويثاب بالصبر عليه. ومن جهة أن فيه حكمة ورحمة لا يعلمها ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣٠٤/١٤

٣) رغم هول الكارثة التي أصيبت بها جدة في الايام الماضية، إلا أن المؤمن لا يغفل النظر إلى ما في هذه المحنة من منح: فكم اصطفى الله فيها من الشهداء؟ وكم كانت سببًا في توبة أناس مفرطين؟ وكم رفع الله بها من درجات المصابين بذويهم وكفر بها من ذنوبهم؟ وكم ازداد بهذه المحنة من إيمان، وظهر فيها أثر الفساد المالي والإداري؟ إلى غير ذلك من المصالح الكثيرة، وصدق الله: ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[1].

٤) ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، في هذه الآية عدة حِكَم وأسرار ومصالح للعبد؛ فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه لم يأمن ان توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم ييأس أن تاتيه المسرة من جانب المضرة، لعدم علمه بالعواقب فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد. ابن القيم، الفوائد ١٤٦

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢١٨)﴾

١) من رجا شيئًا استلزم رجاؤه ثلاثة أمور: محبة ما يرجوه، وخوفه من فواته، وسعيه في تحصيله بحسب الإمكان. وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني، والرجاء شيء والأماني شيء آخر، فكل راج خائف، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات. ابن القيم، الجواب الكافي ٢٤

[1] أرسلت إبان السيول التي اجتاحت (جدة) يوم الأربعاء ٨ (ذي الحجة) ١٤٣٠هـ.

٢) تأمل كيف جعل رجاءهم إتيانهم بهذه الطاعات! فالرجاء وحسن الظن إنما يكون مع الإتيان بالأسباب المشروعة، فيأتي العبد بها ثم يحسن ظنه بربه، ويرجوه أن لا يكله إليها، وأن يجعلها موصلة إلى ما ينفعه، ويصرف ما يعارضها ويبطل أثرها.

ابن القيم، الجواب الكافي ٣٩

٣) بعد أن وصف الله عباده بتلك الأوصاف العالية قال: ﴿ أُولَئِكَ يَرْجُونَ ﴾! وإنما قال: ﴿ يَرْجُونَ﴾ بعد تلك الأوصاف المادحة التي وصفهم بها؛ لأنه لا يعلم أحد في هذه الدنيا أنه صائر إلى الجنة ولو بلغ في طاعة الله كل مبلغ. الشوكاني، فتح القدير ٢٥١/١

٤) لو قال قائل في هذه الآية العظيمة: أنا ارجو رحمة الله وأخاف عذابه. ننظر: هل هو من المتصفين بهذه الصفات؟ فإن كان كذلك فهو صادق، وإلا فهو ممن تمنى على الله الأماني؛ لأن الذي يرجو رحمة الله حقيقة لا بد أن يسعى لها.

ابن عثيمين، التعليق على القواعد الحسان ٥٨

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) ﴾

١) ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ إذا أحب مولاك المتطهرين من الأحداث الأنجاس، فما الظن بمن تطهر من الذنوب والأدناس!

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٦١

٢) ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ ليس هناك نظام أرضي أو سماوي اهتم كل هذا الاهتمام بجمال الجسم وطهارته! وإن نقاء المسلمين البدني شارة تميزوا بها بين الشعوب الأخرى. محمد الغزالي، المحاور الخمسة ١٩٥

﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣)﴾

هذه الآية من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة، وهذه واشباهها في كلام الله آداب حسنة، على المؤمنين أن يعلموها ويتأدبوا بها، ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم.

الزمخشري، الكشاف ٢٩٤/١

﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩) ﴾

١) ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ﴾ إنما قال سبحانه: ﴿ مَرَّتَانِ ﴾ ولم يقل طلقتان؛ إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون الطلاق مرة بعد مرة، لا طلقتان دفعة واحدة، كذا قال جماعة من المفسرين.

الشوكاني، فتح القدير ٢٧٣/١

٢) ﴿ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾، هذه الآية في شأن النساء، وإمساكهن بالمعروف، أو تسريحهن بإحسان، ولا يبعد أن يشمل المعنى كل من يتعامل معه من الناس، كموظف او مدرس، فقد يمكث أحدهم مدة، ثم تقتضي المصلحة أن ينتقل إلى ميدان آخر، فهل ينقطع حبل المودة؟ او يفسر انتقاله بقلة المروءة ونكران الجميل؟ الجواب: لا. فأهل الكرم ينأون بأنفسهم عن ذلك، ويحسنون التسريح والتوديع، فيبقى الود، وتحفظ الذكريات الجميلة، وإن تفارقت الأجساد.

د. محمد الحمد، خواطر ١٢٦

﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠)﴾

١) ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ وفي هذا دلالة على أنه ينبغي للإنسان، إذا أراد أن يدخل في أمر من الأمور – خصوصًا الولايات الصغار والكبار – نظر في نفسه، فإن رأى من نفسه قوة على ذلك، ووثق بها أقدم، وإلا أحجم.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٠٢/١

٢) وإنما قال: ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾؛ لأن الجاهل إذا كثر له أمره ونهيه، فإنه لا يحفظه ولا يتعاهده، والعالم يحفظ ويتعاهد؛ فلهذا المعنى خاطب العلماء ولم يخاطب الجهال.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٥٤/٣

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١)﴾

﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾، إنها تربية قرآنية تؤكد على أن الاعتداء على الآخرين هو ظلم للنفس أولاً؛ بتعريضها لسخط الله وغضبه.

أ.د. عبد العزيز العويد

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣) ﴾

١) نذكر الىباء بأنه يجب عليهم مراعاة أولادهم وأهلهم عند ابتداء الدراسة، في تهيئة ما يحتاجون إليه من أدوات مكتبيَّة أو غيرها؛ لأنَّ ذلك من الإنفاق عليهم: ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾، ثم قال: ﴿ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾، ويعطي كلَّ واحد منهم ما يحتاج إليه، سواء كان بقدر ما اعطى الآخر، أو أقل، او أكثر، فمن دراسته في الثانوي يحتاج من الأدوات المدرسيَّة أكثر مما يحتاجه من هو دونهم.

ابن عثيمين، اللقاء الشهري (رقم: ٤٨، ص: ١)

٢) تأمل في هذا المنهج الرباني: ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ فإذا كان يلزم التشاور والإتقان، عن تراض من أجل رضيع في المهد؛ حتى لا يُظلم هذا الصبي، فكيف يستبد البعض برأيه في شأن اسرة كاملة راشدة، دون مراعاة لأحوال أهله وعشيرته؟!

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧)﴾

١) ﴿ وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ قال ابن عقيل: تمام المروءة أن تراعي ورثة من كنت تراعيه، وتخلفه بزيادة على ما كنت تراعيهم حال حياته؛ لتكون الزيادة بإزاء إرعائه، ولا توهمهم أن المنزلة سقطت بموت كاسبهم، ووفر الإكرام على الأيتام؛ لتشوب مرارة يتمهم حلاوة التحنن.

الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/٣٢٠

٢) المسلم – وإن كان يحب النفع للناس كافة – فهو لنفع أصدقائه أحب، ولما يصلهم من خير أفرح، ولا بأس إن وجد فضلاً أن يذكر منه أصحابه ﴿ وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٧٧

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨) ﴾

١) مجيء هذه الآية بين آيات الطلاق؛ لتصور لنا ما يجب أن يكون عليه المؤمن إذا سمع نداء الله – وهو منهمك في معركة الحياة – فكأنه بهذا الأسلوب ينادينا: إنه ليس شأن المؤمن أن يحتاج إلى كبير معالجة للتسامي بروحه فوق مشاعر الأهل والولد، وإنما شأنه أن ينتشل نفسه من غمرتها انتشالاً فوريًا؛ ليسرع إلى تلبية ذلك النداء الأقدس قائلاً للدنيا كلها: **ذريني أتعبد لربي**"[1]. محمد دراز، النبأ العظيم (هامش ٣ ص: ٢٧٧)

٢) أجيال من الأمم قبل هذه الأمة كانت تقيم الصلاة، أغواها الشيطان فأغفت لدى بارقة العصر؛ فضلَّت قوافلها الطريق! د. فريد الأنصاري، قناديل الصلاة ٢٠

٣) عناية الأئمة بالتدبّر في فهم بيات الأحكام: قال الإمام أحمد رحمه الله – في مسألة الطلاق –: تدبرت القرآن؛ فإذا كل طلاق فيه؛ فهو الرجعي.

جامع المسائل لابن تيمية ١/٢٥٥

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)﴾

في قوله تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ إشارة إلى أن الصدقة ترجع لصاحبها حقيقة، ناهيك عن الأجر؛ حيث سماها ﴿ قَرْضًا ﴾ القرض حقه السداد، والمقترض هو الله سبحانه، ومن أوفى من الله؟ فكان رجوعها مقطوعًا به.

د. عبد المحسن المطيري

[1] الحديث أخرجه ابن حبان ح (٦٢٠) ولفظه: "ذريني أتعبد الليلة لربي".

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) ﴾

لا يسلم الناس قيادتهم إلا لمن يتميز (بقوة) معتبرة تكون عاملاً مؤثرًا في تجاوبهم له، تدبر: ﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾. أ.د. ناصر العمر

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) ﴾

١) تأمل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ حيث جعل عدم القدرة على منع النفس عن رغباتها في الأمور اليسيرة دليلاً على عدم الثبات في المواقف الكبرى، وبخاصة أنه تعامل مع هذه النفس باعتدال وواقعية، إذا أتاح لها أن تأخذ ما يكسر حدة عطشهان فما زاد عن ذلك فهو استسلام للشهوة وضعف في الإرادة.

ومن هنا ندرك أن كثيرًا من الجزئيات قد تكون دليلاً على الكليات. أ.د. ناصر العمر

٢) متى تنتهي لغة: ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾؟ تنتهي إذا رفعنا شعار: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. أ.د. ناصر العمر

٣) الاستغراق في الجانب السلبي لحدث ما؛ يعمي عن طريق الخلاص، ويحدث الفشل، بينما نقل التفكير خارج الحدث يفتح أبوابًا للخروج من الأزمة. قف متأملاً لمنهج كل طائفة في قصة أصحاب طالوت، وكيف كانت النتيجة: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ حيث

استغرقهم مشهد كثرة جنود جالوت فضعفوا وفروا، بينما نظر الصادقون إلى عظمة الله، فقويت عزيمتهم وثبتوا فانتصروا: ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ الآيات.

أ.د. ناصر العمر

٤) اليقين بلقاء الله ومعيَّته زادان ضروريان، حين يبدو للعيان انتصار الاعداء وغلبتهم؛ لئلَّا تحصل الهزيمة النفسية، فيحدث اليأس والخذلان: ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

أ.د. ابتسام الجابري

﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) ﴾

الصبر من عناصر الرجولة الناضجة والبطولة الفارعة؛ فإن أثقال الحياة لا يطيقها المهازيل ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١١٩

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣) ﴾

١) ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ إنما قال: ﴿ تِلْكَ ﴾ ولم يقل: (أولئك الرسل)؛ لأنه ذهب إلى الجماعة، كأنه قيل: تلك الجماعة الرسل.

الرازي، مفاتيح الغيب ٦/٥٢١

٢) ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ إن قتال الحوثيين[١] محنة في باطنها منح وحكم، منها:

- رفع راية الجهاد الحقيقي.

- ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (آل عمران).

- ما أورثته من تلاحم بين الراعي والرعية.

- رأى الناس من بعض أهل العلم – الذين ذهبوا للجبهة لتثبيت الجنود، وتبشيرهم – ما ذكرهم بسير العلماء الذين كانوا يعيشون هموم أمتهم واقعًا عمليًا[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)﴾

وأكثر ما ذكر في القرآن من وعيد الظالمين، إنما أريد به المشركون كما قال تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. ابن رجب، جامع العلوم والحكم ٣٦/٢

---

[١] الحوثيون: حركة شيعية تاسست في (صعدة) شمال اليمن، أسسها حسين بدر الدين الحوثي بعد أن حصل انشقاق بينه وبين علماء الزيدية؛ بسبب برائه المخالفة لهم؛ ومنها: دفاعه المستميت ومَيْله الواضح لمذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية وتصحيحه لبعض معتقداتهم، فاصدر حينها علماء الزيدية بيانًا تبرَّأوا فيه من الحوثي وآرائه. عندها اضطرَّ الحوثي للهجرة إلى إيران، وعاش هناك عِدَّة سنوات تغذَّى فيها من المعتقد الصفوي وازدادت قناعته بالمذهب الإمامي الإثنى عشري، وفي عام ٢٠٠٢م ميلادية عاد الحوثي إلى بلاده، لتدريس أفكاره الجديدة، والتي منها: لعن الصحابة وتكفيرهم، وأخذ الخُمس، وغيرها.. وقام بتأسيس التنظيم الذي عرف باسم (الشباب المؤمن)، قم غيروا تسميتهم مؤخرًا إلى (أنصار الله)، وتربطهم علاقات سياسية ومذهبية بـ (حزب الله) الشيعي اللبناني، و(الحرس الثوري) الإيراني، ومن أبرز معتقداتهم: أنَّ النفَس الثوري الناقم على الحكومة اليمنية؛ فاندلعت حروب خمسة بين الفريقين كلَّفت بلاد اليمن آلاف الارواح وخسائر مالية كبرى.. وفي الحرب السادسة قام الحوثيون بالتسلل إلى الأراضي السعودية، وشنّوا هجومًا ضد مواقع حدودية وقتلوا من جرائه جنديًا سعوديًا وأصابوا ١١ آخرين، فقامت القوات السعودية بالتصدي لهم ودك معاقلهم حتى أعلنوا الانسحاب من الأراضي السعودية، بعد أن استمر القتال بين الجانبين نحو ثلاثة أشهر..

[٢] أرسلت في تاريخ ١ (المحرم) ١٤٣١هـ، أثناء تصدي القوات السعودية لهجوم شرذمة الحوثيين على بعض مناطق الحدود الجنوبية للمملكة العربية السعودية.

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥)﴾

١) آية الكرسي أعظم بية، وتدبُّرها اولى ما يكون، وقد شرعت قراءتها في مواضع كثيرة، ويحق لمن قرأها متدبِّرًا متفقِّهًا، أن يمتلئ قلبه من اليقين والعرفان والإيمان، وأن يكون بذلك محفوظًا من شرور الشيطان. السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٢٨

٢) لما قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ قال بعدها: الحي القيوم، فبعد أن ذكر استحقاقه للعبودية ذكر سبب ذلك وهو كماله في نفسه ولغيره، فلا تصلح العبادة إلا لمن هذه شأنه: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ (الفرقان: ٥٨)، "**ومن كان يعبد الله، فإنَّ الله حيٌّ لا يموت**"[1]. د. عبد المحسن المطيري

٣) ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ فيها نفي وإثبات؛ نفي الألوهية وإثباتها لله وحده، وهذا من التخلية قبل التحلية، وقد فصل هذا أيضًا في الآية التي تليها ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

ينظر: تفسير أضواء البيان

٤) ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ نفي استيلاء السنة والنوم على الله تعالى تحقيق لكمال الحياة ودوام التدبير، وغثبات لكمال العلم فإن السنة والنوم يشبهان الموت، فحياة النائم في حالهما حياة ضعيفة، وهما يعوقان عن التدبير وعن العلم بما يحصل في وقت استيلائهما على الإحساس. ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٩/٣)

٥) ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ ذكر النوم بعد السنة ترقّ من نفي الأضعف إلى نفي الأقوى. المراغي، تفسيره (١٢/٣)

٦) من مناسبة قوله تعالى: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ بعد التوحيد ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أنَّ قوله: ﴿مَا﴾ عامٌّ، فكل ما في السموات والأرض لله، مملوك من مماليكه وعبدٌ من عبيده، فكيف يعبد العبد عبدًا ولا يعبد مالكه؟!

السعدي، تيسير اللطيف المنان (١٨)

[1] البخاري ح (١٢٤١)، ابن حبان ح (٦٦٢٠).

٧) لما قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ قال بعدها: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ومن مناسبة هذا: أنَّ القلوب متعلِّقة بمن يرزقها كما في قول إبراهيم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾ (العنكبوت: ١٧)، فدلهم على العبوديَّة من الباب الذي يَرغبونه.

ينظر: أيسر التفاسير للجزائري

٨) ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ تأمَّل في أعظم مساحة يملكها تاجر أو حاكم؛ إنها ذرَّة في هذا الكون الفسيح، وهي تشير – أيضًا – إلى أنَّ ما في أيدي الخلق فمآله إليه، فتبارك مَن وسع ملكه وسلطانه السماوات والأرض والدنيا والآخرة.

د. عمر المقبل

٩) ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ ﴾ لم يقل: بعلمه، فهم لا يحيطون بعلمه، ولا بشيء من علمه، بل هم إن علمواهن فإنما يعلمونه من وجه دون وجه بغير إحاطة.

ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل

١٠) ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هناك ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكل الأبصار، وتقلقل الجبال، فكيف بعظمة خالقها ومبدعها، والذي قد أمسك السماوات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصبٍ؛ فلهذا قال: ﴿ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١١٠

١١) ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ مثل هذه الجملة التي طرفاها معرفتان تفيد الحصر، فهو وحده العلي؛ أي: ذو العلوِّ المطلق، وهو الارتفاع فوق كل شيء، و﴿ الْعَظِيمُ ﴾؛ أي: ذو العظمة في ذاته، وسلطانه، وصفاته. ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة ٣/٢٥٦

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧) ﴾

حضرت لقاء مع أحد الإخوة البريطانيين – حديث عهد بإسلام – واسمه عبد الجليل، فسألوه عن أثر الإسلام عليه؟ فأجاب: كنت أعيش في ظلام كما قال الله: ﴿ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾، ثم أشار إلى عينيه كحال من غطى على بصره.

متدبر

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨) ﴾

١) إن المحاجة لإبطال الباطل، ولإحقاق الحق من مقامات الرسل؛ لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾.

ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة ٣/٢٨١

٢) إن النعم قد تكون سببًا للطغيان؛ لأن الإنسان إذا دام في نعمة، وفي رغد، وعيش هنيء فإنه ربما يطغى، وينسى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾ فهذا الرجل ما طغى وأنكر الخالق إلا لأن الله آتاه الملك؛ ولهذا أحيانًا تكون الأمراض نعمة من الله على العبد؛ والفقر والمصائب تكون نعمة على العبد!

ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة ٣/٢٨١ (بتصرف)

٣) من أخذ بالعدل كان حريًا بالهداية؛ لمفهوم المخالفة في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾؛ فإذا كان الظالم لا يهديه الله، فصاحب العدل حري بأن يهديه الله ﷻ؛ فإن الإنسان الذي يريد الحق ويتبع الحق – والحق هو العدل – غالبًا يُهدى، ويوفق للهداية.

ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة ٣/٢٨٦

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠)﴾

قال تعالى في قصة الطير مع الخليل عليه السلام: ﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ والحكمة من كونها تأتي سعيًا دون أن تأتي طيرانًا؛ كونه أبعد من الشبهة؛ لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطير وأن أرجلها غير سليمة والله أعلم. البغوي، معالم التنزيل ١/٣٢٤

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ﴾

تأمل هذا المثل؛ فالأرض إذا أعطيتها حبة أعطتك سبع مائة حبة، هذا عطاء مخلوق، فكيف بعطاء الخالق؟!

﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) ﴾

الحرمان مع الأدب أفضل من العطاء مع البذاءة. محمد الغزالي، خلق المسلم ٧١

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤)﴾

١) إن القلب المقفر من الإخلاص، لا ينبت قبولاً كالحجر المكسو بالتراب لا يخرج زرعًا: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم: (٦٢)

٢) قال تعالى هنا: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا ﴾ وفي سورة إبراهيم: ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ (١٨) وسر هذا التغاير: أن المثل هنا للعامل، فكان تقديم نفي قدرته وصلتها أنسب، أما بية (إبراهيم) فالمثل للعمل؛ لقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ تقديره: مثل أعمال الذين كفروا. ابن جامعة، كشف المعاني ١٢٠

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨)﴾

١) فهذا وعد الله، وذاك وعد الشيطان؛ فلينظر البخيل والمنفق: أي الوعدين هو أوثق، وإلى ايهما يطمئن قلبه، وتسكن نفسه، والله يوفق من يشاء ويخذل من يشاء، وهو الواسع العليم. ابن القيم، طريق الهجرتين ٣٧٥

٢) حينما تهم بالصدقة، ثم تغلُّ يدكَ خشية الفقر، فاعلم أنَّ الشيطان قد نفَّذ المهمة: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ﴾. إبراهيم السكران

٣) تأمل هذا التقابل العجيب: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ﴾ ثم التفت إلى قلبك حين تهم بالنفقة، فإن وجدت ميلاً لوعد الشيطان، فانظر كيف تضمن الله لهؤلاء الذين أطلقوا ايديهم في إنفاق أموالهم دون التفات لتخويف الشيطان: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٤)، فإن لم تؤثر فيك هذه الضمانات الربانية، فابك على إيمانك وموت قلبك. أ.د. ناصر العمر

٤) ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾، يقول أحدهم – وهو من أغنياء الرياض –: لا زلت أذكر ضعفاء الناس منذ أكثر من ثلاثين سنة يقولون: التعليم الديني ليس له مستقبل ولا وظائف، يتالون على الله، وقد تخرَّجت من كلية شريعة، وترقيت بحمد الله، ومازلنا نرى الناس كذلك، ومن لم يجد وظيفة، فكم ممن له تخصص دنيوي لم يجد كذلك، فالرزق بيد الله، وكلٌّ يدخل ما هو أنسب له.

﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٢٧٠) ﴾

ومفهوم الآية: أن الله آخر بيد السخي وبيد الكريم كلما عثر، فيجد له نصيرًا ولا يجد الظالم – بوضع القهر موضع البر – ناصرًا. الحرالي، تراثه ٤٧٠

﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٧١) ﴾

البذل الواسع عن إخلاص ورحمة، يغسل الذنوب ويمسح الخطايا.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٠٨

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) ﴾

آكل الربا ينسلخ عقله في طلب المكاسب الربويَّة ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾، وحين يُبعث يتخبَّط من هولِ العقاب.

د. محمد الربيعة

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) ﴾

١) ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ تأمل حكمته تعالى في محق أموال المرابين وتسليط المتلفات عليها، كما فعلوا بأموال الناس ومحقوها عليهم وأتلفوها بالربا؛ فجُوزوا إتلافًا بإتلاف! فقلَّ أن ترى مرابيًا إلا وآخرته إلى محق وقلَّة وحاجة.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (٢٥٣/١)

٢) ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ وهذا عكس ما يتبادر لأذهان كثير من الخلق، أن الإنفاق ينقص المال، وأن الربا يزيده؛ فإن مادة الرزق وحصول ثمراته من الله تعالى، وما عند الله لا ينال إلا بطاعته وامتثال أمره، فالمتجرئ على الربا، يعاقبه الله بنقيض مقصوده، وهذا مشاهد بالتجربة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٩٥٩

٣) كما أنَّه مستقرٌّ في الأذهان أنَّ الله يمحق الربا ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾، فهو كذلك يمحق الكافرين ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤١)، فكيف إذا اجتمع كفر وتعاملٌ بالرِّبا؟! ومن العجيب أنه لم يرد في القرآن كلِّه لفظة: ﴿ يَمْحَقُ ﴾ إلا في هذين الموضعين.

متدبر

٤) ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ يظهر من كلمة كفار أن الموصوف بها اجتاز عدة مراحل من نسيان الله، واعتداء حدود، حتى أمسى الكفر في نفسه ظلمات بعضها فوق بعض. محمد الغزالي، المحاور الخمسة ١٩٩

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)﴾

﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ففي ضمن هذا الوعيد أن المرابي محارب لله ورسوله، قد آذنه الله بحربه، ولم يجيء هذا الوعيد في كبيرة سوى: الربا وقطع الطريق والسعي في الأرض بالفساد؛ فاحذر هذه الصفات. ابن القيم، طريق الهجرتين ٣٧٨

﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠)﴾

تأمل كلمة: ﴿ مَيْسَرَةٍ ﴾ فإنها تشعرك بما يلي:

- توافر المال دون مشقة – كاستدانته مع الحرج – إراقة ماء الوجه عند الآخرين.
- أن يفيض عن حاجته، مما لا يوقعه في الضنك والشدة، وإلا ما انتقل العسر إلى يسر.
- أن أي أذى حسي أو معنوي لا يتفق مع دلالة: (نظرة).

أ.د. ناصر العمر

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)﴾

١) قال القاسم بن أبي أيوب: سمعت سعيد بن جبير يردد هذه الآية في الصلاة بضعًا وعشرين مرة. الزهد لابن حنبل ٣٧٠

فما أعظمها من آية.. وما أجدرها بالتدبر والتكرار والتأمل!

٢) أعظم آية يوعظ بها آكلوا الربا، وأصحاب الأموال – الذين أشغلتهم أموالهم عن طاعة الله – ما ختم الله به آيات الربا، وهي آخر ما أنزله من وحيه، وهي قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. د. محمد الربيعة

٣) الصغير يكتب له الثواب؛ وذلك لعموم قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة ٤٠١/٣

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢)﴾

١) قال بعض العلماء: ارجى آية في القرآن آية الديْن؛ فقد أوضح الله فيها الطرق الكفيلة بصيانة الديْن من الضياع، ولو كان الديْن حقيرًا، قالوا: وهذا من صيانة مال المسلم، وعدم ضياعه ولو قليلًا يدل على العناية التامة بمصالح المسلم؛ وذلك يدل على أن اللطيف الخبير لا يضيعه يوم القيامة عند اشتداد الهول، وشدة حاجته إلى ربه.

الشنقيطي، أضواء البيان ٤٨١/٥

٢) ﴿ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ إنما قال: ﴿ بَيْنَكُمْ ﴾ ولم يقل: (أحدكم)؛ لأنه لما كان الذي له الدين يتهم في الكتابة الذي عليه الدين، وكذلك بالعكس؛ شرع الله سبحانه كاتبًا غيرهما يكتب بالعدل لا يكون في قلبه ولا قلمه محبة لأحدهما على الآخر.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٨٣/٣

٣) ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ من خصه الله بنعمة من النعم يحتاج الناس إليها، فمن تمام شكر هذه النعمة أن يعود بها على عباد الله، وأن يقضي بها حاجاتهم؛ لتعليل الله النهي عن الامتناع عن الكتابة بتذكير الكتاب بقوله: ﴿ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾، ومع هذا فـ "**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**"[1][2].

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١١٨

---

(1) علق د. عبد الوهاب الطويري على هذه الرسالة فقال: أولاً: عندما يكون المرء متشبعًا بمعنى من المعاني؛ فإنه يستنبطه من الدلالات الجلية والدقيقة، ولتشبع الشيخ السعدي رحمه الله بمعاني بذل الخير لم يتجاوز هذه الآية حتى جلاها هذا الجلاء الرائع. ثانيًا: كانت حياة الشيخ تطبيقًا لهذا المعنى؛ فقد عاش يكتب كما علمه الله، ويعلم كما علمه الله، في تناغم جميل بين فقهه وحياته، فرحمه الله وأثابكم على إبراز ذخائره.

(2) البخاري ح (٢٤٤٢)، مسلم ح (٢٥٨٠)، أبو داود ح (٤٨٩٣)، الترمذي ح (١٤٢٦).

٤) ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾، أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لمعنى التزكية والتقوى في تحصيل العلم، وهو معنى قرآني يغفل عنه الكثيرون، فقال: "لِلتزكية النفس والعمل بالعلم وتقوى الله تأثيرٌ في حصول العلم". درء التعارض ٤٣٠/٥

﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤)﴾

١) لما نزلت: ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ اشتد ذلك على الصحابة، فقالوا: قد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال ﷺ: "**أتريدون أن تقولوا كما قال أهلُ الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا**"، فلما اقترأها القوم ذلَّت بها السنتهم، (فنسخها الله)، وأنزل الله في إثرها: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾[1].

فتأمل أثرَ التدبُّر في وجل الصحابة، وتأمَّل بركة تسليمهم لأمر الله، حين نسخ الله الآية الأولى بالثانية.

٢) ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ إنما تدل على أن الله يحاسب بما في النفوس، لا على أنه يعاقب على كل ما في النفوس.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٠١/١٤

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) ﴾

١) قال الزجاج: لما ذكر الله في سورة البقرة أحكامًا كثيرة وقصصًا، ختمها بقوله: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ تعظيمًا لنبيِّه ﷺ وأتباعه، وتأكيدًا لجميع ذلك المذكور من قبل، وأنهم آمنوا بأخباره وعملوا بأحكامه. التحرير والتنوير (١٣١/٣)

٢) ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، ثم قال: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ دلَّ أنَّ الإيمان الصحيح يقود إلى العمل، فهو ليس مجرَّد معرفة قلبيَّة، وتصورات ذهنية.

[1] رواه مسلم (ح ١٢٥).

٣) ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ هذه الأمة أُمَّة اتِّباع، فإذا بتاها الله العقل الدالُّ على صدق رسوله ﷺ وصحة كتابه، فإنها لا تعارض أفراد الأدلة بعقولها، بل هي تسمع لها وتطيع.

ابن باز، فتاوى ابن باز ١٠٤/١

٤) ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ لما علموا أنهم لم يوفوا مقام الإيمان حقه مع الطاعة والانقياد، سألوه غفرانه هو غاية سعادتهم ونهاية كمالهم؛ فإن غاية كل مؤمن المغفرة من الله تعالى. ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٣٦/١٤

٥) من ارتباط أول سورة البقرة بآخرها مدح الله تعالى في أولها للمتقين الذين يؤمنون بالغيب، ثم فصل صفتهم في آخرها بأنهم الرسول ومن معه إذ آمنوا بالغيب من مثل أركان الإيمان، وسمعوا وأطاعوا، وذكر في أولها أنهم بالآخرة هم يوقنون، وفي آخرها قالوا: ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾. ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب ٥٢٢/٤ (بتصرف)

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) ﴾

١) ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فلولا أن في وسعكم الفهم لأحكام القرآن، ما أمركم بتدبره. ابن حزم، الإحكام ٢٨٢/٦

٢) ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يستدل بها بعضهم على الترخُّص، مع أنها تدل على العزيمة أيًا، فيقال: إن الله تعالى لم يكلِّف نفسًا فوق وسعها، فمعناه: أنَّ كل ما كان في وسعه، فهو داخل في التكليف. ابن عثيمين

٣) ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾، جاءت العبارة بـ ﴿ لَهَا ﴾ في الحسنات؛ لأنها مما ينتفع العبد به، وجاءت بـ ﴿ وَعَلَيْهَا ﴾ في السيئات؛ لأنها مما يضر العبد.

ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل ١٥٧/١

٤) ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ فرق بين (الكسب) و(الاكتساب)، فالكسب هو ما حصَّله الإنسان من عمله المباشر وغيره، فالعبد يعمل الحسنة الواحدة ويجزى عليها عشرًا، وأما الاكتساب؛ فهو ما باشره فحسب، فلو عمل سيئة لم تكتب عليه إلا واحدة، وذلك من فضل الله ورحمته. القاسمي، محاسن التأويل ٢٤٣/٢

٥) وليس أحد أن يتبع زلات العلماء كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم والإيمان إلا بما هم له أهل؛ فإن الله تعالى عفا المؤمنين عما أخطؤوا كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ وأمرنا أن نتبع ما أنزل إلينا من ربنا ولا نتبع من دونه أولياء وأمرنا أن لا نطيع مخلوقًا في معصية الخالق ونستغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، فنقول: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ (الحشر: ١٠) الآية.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٣٩/٣٢)

٦) ﴿ لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ جمع الله في هذه الآية بين ترك الأمر وارتكاب النهي؛ لأنَّ المراد بالنسيان هنا: الترك فالنسيان أن يترك الفعل لتأويل فاسد، والمراد بالخطأ: أن يفعل الفعل لتأويل فاسد، فدعوا الله أن يعفوَ عنهم هذا وهذا.

ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب ٥٣٧/٤

٧) ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ﴾ في الحديث القدسي: "**أنَّ الله تعالى قال: قد فعلت**"[١]، وانظر إلى ترتبها: فالعفو طلب إسقاط العقوبة، ثم تدرج منه إلى المغفرة، وهي طلب الستر (وقد تسقط العقوبة ولا يستر الذنب)، ثم تدرج منه إلى الرحمة، وهي كلمة جامعة لأنواع من الخير والإحسان، فالحمد لله الذي لا أعظم من رحمته.

٨) ﴿ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ يا لها من كلمة تبعث في نفس المؤمن القوة والسعي في الأخذ بالاسباب في دفاع الكفار الذين ما فتئوا يحاربون المسلمين في عقائدهم وأخلاقهم وأموالهم وديارهم، فمهما عظمت جنودهم فالله مولانا ولا مولى لهم[٢].

---

[١] مسلم ح (١٢٦).

[٢] أرسلتِ إيان غزة مطلع ١٤٣٠هـ.

٩) "هذا باب من السماء فُتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم.. هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبيٌ قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة"[١].

إنَّهما نوران لم يؤتهما أحد من قبل هذه الأمة قط – ينصِّ كلام المعصوم ﷺ –، فهل يستشعر قارئ هاتين الآيتين هذا، وهل فتَّش من أثر هذين النورين في قلبه، وهو يقرأ هاتين الآيتين يوميًا؟

١٠) استخرج العلامة العثيمين رحمه الله من سورة البقرة فقط من الفوائد العقديَّة والفقهيَّة والأصوليَّة والتربويَّة أكثر من ٢٥٠٠ فائدة! أي بمعدل (٩ فوائد) لكلِّ آية! إنها بركة التدبُّر.

١٢) إن المستظهر لسورة البقرة، إذا لم يسلم وجهه لله في كل شيء، ولم يسلك بها إلى ربه متحققًا باركان الإسلام وأصول الإيمان، متخلقًا بمقام الجهاد في سبيل الله، صابرًا في البأساء والضراء وحين البأس، متنزهًا عن المحرمات في المطعومات والمشروبات.. إلخ، واضعًا عنقه تحت ربق أحكام الشريعة في دينه ونفسه وماله، متحققًا بخلق السمع والطاعة لله على كل حال، من غير تردد ولا استدراك؛ لا يكون حافظًا حقًا لسورة البقرة!

د. فريد الأنصاري. من مقالة: هذه رسالات القرآن فمن يتلقاها

١٣) الإحاطة بمقصود سورة البقرة كنز، وهو مضمن في الكنزين العظيمين في آخرها، فالسورة كلها في الوحي وموقف الناس منه)، وأول الآيتين الأخيرتين: في الأصول الخمسة التي تتابع عليها وحي السماء، وموقف أهل الإيمان منها، وأما آخرهما: فهي في الوحي المحمَّدي وما خصَّنا الكريم به.

د. عصام العويد

---

[١] رواه مسلم ح (٨٠٦).

سورة آل عمران

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آَيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)﴾

قال عمر بن الخطاب ﷺ: ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانُه، ولا من فاسقٍ بيِّنٍ فسقُه، ولكني أخاف عليها رجلاً قد قرأ القرآن بلسانه، ثم تأوله على غير تأويله!

جامع بيان العلم وفضله ٢/١٢٠٠

﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (١٧) ﴾

أمر الله عباده أن يختموا الأعمال الصالحات بالاستغفار، فكان ﷺ إذا سلم من الصلاة يستغفر ثلاثًا[1]، وقد قال تعالى: ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾، فامرهم أن يقوموا بالليل ويستغفروا بالأسحار، وكذلك ختم سورة (المزمل) هي سورة قيام الليل بقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المزمل).

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٦٨٩/١١

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآَيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩)﴾

عبارة: (الديانات السماوية) غلط، والصواب: (الشرائع السماوية)؛ لأن الله يقول: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾.

د. محمد الراوي، تعليق على سورة هود (شريط صوتي)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) ﴾

[1] أخرجه مسلم ح (١٣٥)، الترمذي ح (٣٠٠)، النسائي (١٣٣٧)، ابن ماجه (٩٢٨).

هذه الآية من أظهر الأدلَّة على بيان منزلة العلماء الآمرين بالمعروف، حيث قرن الله قتلهم بقتل الأنبياء؛ لأنَّ العلماء هم ورثة الأنبياء.

ابن رجب، مجموعة رسائل ابن رجب (٣٢/١)

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣)﴾

إنما قال: ﴿ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ﴾؛ لأن هذا الوصف ليس عاما لكل فرد منهم، بل كان منهم أمة يهدون بالحق وبه يعدلون.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٢١٩/٣

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) ﴾

﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ تحكي حال كثير من أهل الباطل يفترون الباطل من عند أنفسهم، ثم يصدقونه.

د. عبد الله السكاكر

﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨) ﴾

انظر كيف عبر بصيغة النفي لا النهي مبالغة في التقرير؛ لأن اتخاذهم أولياء – بعد أن سفه الآخرون دينهم، وسفهوا أحلامهم في اتباعه – يعد ضعفًا في الدين، وتصويبًا للمعتدين.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢١٥/٣

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) ﴾

١) من أحبَّ الله ورسوله ﷺ محبةً صادقةً من قلبه، أوجب له ذلك أن يحبَّ بقلبه ما يحبه الله ورسوله ﷺ، ويكره ما يكرهه الله ورسوله ﷺ، فإن عمل بجوارحه شيئًا يخالف ذلك، دلَّ على نقص محبته الواجبة؛ فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع إلى تكميل محبته الواجبة.

ابن رجب، تفسير ابن رجب ٢٠١/١

٢) تأمل هذه الآية: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، إنها آية واضحة في بيان معيار المحبة والاتباع الحقيقي للنبي ﷺ، فلا يصح لأحد أن يزايد على هذه المحبة بفعل ما لم يشرعه، فضلاً عن الابتداع في دينه بدعوى المحبة، وأشد من ذلك أن يقلب الأمر فيوصف من لم يوافق المبتدع على بدعته، بأن محبته للنبي ﷺ ناقصة.

٣) في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾، عبر بلفظ الاتباع دلالة على التقرب؛ لأنه من آثار المحبّة تطلّب القرب من المحبوب، وعلق محبة الله تعالى على لزوم اتباع الرسول؛ لأنه رسوله الداعي لما يحبه. ابن عاشور، التحرير والتنوير ٨١/٣ (بتصرف)

٤) لا نقدس جبلاً ولا نعبد حجرًا حتى الحجر الأسود نقبله امتثالاً لأمر الشرعن ونعلم أنه حجر، والجمرات في منى نرميها امتثالاً لأمر الشرع، ونعلم أنها حجر، وما عظمنا الأول لذاته، ولا حقّرنا الثاني لذاته؛ إننا نفعل ذلك ونحن نتذكر قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾. علي الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي ١٤٨/٣

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥)﴾

١) جاء في التفسير: أنَّ امرأةَ عمران نذرت أن يكون ولدها عابدًا في بيت المقدس؛ إذًا حقيقة الحرية أن تكون عبدًا لله. د. عبد المحسن المطيري

٢) كانوا يعدون ابناءهم لحمل همِّ هذا الدين قبل ولادتهم، ويسألون ربهم أن يتقبَّل منهم ذلك، فما عذر من يمضي عمره دون أن يحدِّدَ مشروعَه في الحياة؟ أ.د. ناصر العمر

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦)﴾

١) ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾ وما تخطئ المرأة في شيء خطأها في محاولة تبديل طبيعتها؛ فإن هذا لن يتم للمرأة ولن يكون منه إلا أن تعتبر هذه المرأة نقائض أخلاقها من أخلاقها. مصطفى الرافعي، وحي القلم ١٩٧/١

٢) يخطئ كثير من المسلمين في قولهم: "الإسلام دين المساواة"؛ وذلك لرد تهمة التغريبيين تجاه المرأة وهذا مخالف لمحكم التنزيل: ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾ والصواب أن يقال: الإسلام دين العمل، أعطى كل ذي حق حقه وما يناسبه: ﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ وفرق بين العدل والمساواة فتدبر. أ.د. ناصر العمر

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) ﴾

١) ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ هذا من فضائل مريم، ومن جملة ما يزيد فضلها؛ لأنَّ المتربِّي يكتسب خلقه وصلاحه ممن يربيه. ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٦٨/٣

٢) انفتاح خزائن الرزق والرحمة والمنح الربانية، من أعظم أسبابه: لزوم المحاريب ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾... ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ﴾. د. محمد المصري

٣) فتأمَّل كيف أنَّ زكريا عليه السلام لم يكتف بطلب الولد، بل قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾، وقال: ﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ (مريم: ٦).

٤) ﴿ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ ﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ والولد إذا كان بهذه الصفة نفع أبويه في الدنيا والآخرة، وخرج مِن حدِّ العداوة والفتنة إلى حد المسرَّة والنِّعمة.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٨٠/١١

٥) كل غني إذا طمعت فيه مقَتكَ وحرَمكَ وأقصاك إلا الله، فإنك إذا طمعت فيه ظفرت منه بالقرب والرضا والعطاء، فزكريا حين رأى لطف الله بمريم طمع فيما عنده، فقربه ربه وأثنى عليه، وأعطاه عطاء لا يليق إلا به سبحانه. د. عبد الله السكاكر

٦) ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾، ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (إبراهيم) هكذا ختم الخليل وزكريا عليهم السلام دعواتهما! إن استشعار العبد قرب ربه منه حال دعائه؛ من أعظم ما يعين على إظهار الافتقار بين يدي الغني، والذل بين يدي العزيز سبحانه، والتبرؤ من الحول والقوة، وتلك – والله – سمة العبودية، وما أحرى من هذه حاله بإجابة دعائه!

د. عمر المقبل

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (٣٩)﴾

تخيَّرت الملائكة أشرف حالاته، وهو يؤدي صلاتَه؛ فبشرته ببشارة الله التي كان ينتظرها.. الصلاةُ وقتُ رحمةٍ وبشارةٍ. د. عبد الرحمن الشهري

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٤١)﴾

عندما بُشِّر زكريا بالولد، قال: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾، فأمسك عليه لسانه، فلم يتكلم بشيء من كلام الناس، ثم قال له: (واذكر ربك كثيرًا)، فلو أذن لأحد بترك الذكرح لأذن لزكريا عليه السلام. د. محمد الخضيري

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)﴾

كلما منَّ الله عز وجل على إنسان بشيء كانت مطالبته بالعبادة أكثر؛ لأن الملائكة لما قالت: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾، أمرتها بالقنوت والسجود والركوع، فدلَّ هذا على أنه ينبغي للإنسان كلما ازدادت عليه نعم الله أن يزداد على ذلك شكرًا بالقنوت لله والركوع والسجود وسائر العبادات. ابن عثيمين، تفسير آل عمران ٢٦٠/١

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤)﴾

﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ في المجتمع الصالح يزدحم الناس على التطوع، حتى يحتاجوا للقرعة.

د. عبد الله بن بلقاسم

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) ﴾

لم يقل: عيسى ابنك إنما قال ﴿ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ مع كون الخطاب لها؛ تنبيهًا على أنه يولد من غير أب، فلا ينسب إلا إلى أمه، وبذلك فضلت على نساء العالمين.

القاسمي، محاسن التأويل ٣١٨/٢

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧)﴾

قال تعالى في قصة مريم: ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ ولم يقل: يفعل كما في قصة زكريا، بل نص ههنا على أنه يخلق؛ لئلا يبقى لمبطل شبهة، وأكد ذلك بقوله: ﴿ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤٤/٢

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) ﴾

إنما قال: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ ﴾ دون (علم) وغيرها؛ تنبيهًا أنه ظهر منهم الكفر ظهورًا باديًا لذي الحاسة، فضلاً لذي العقل.

الراغب، تفسير الراغب الأصفهاني ٥٨٢/٢

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥)﴾

﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ فيها إشارة إلى نجاسة الكفار معنويًا، وأن من يعايشهم ويشبع أثرهم ويتشبه بهم؛ فسيعلق به أثر من نجاستهم. أ.د. سيد ساداتي الشنقيطي

﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) ﴾

ذم الله في القرآن أربعة أنواع من الجدل:

١-الجدل بغير علم: ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾

٢-الجدل في الحق بعد ظهوره: ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ ﴾ (الأنفال: ٦).

٣-الجدل بالباطل: ﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ (غافر: ٥).

٤-الجدل في آياته: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (غافر: ٤).

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣/٣٠٩

﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨)﴾

إنما قال: ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ولم يقل: وليهم؛ تنبيهًا ان موالاة الله تعالى تستحق بالإيمان، وأنها ليست بمقصورة على من تقدم ذكرهم، بل ذلك لكل مؤمن في كل وقت.

الأصفهاني، تفسيره ٢/٦٢٤

﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢)﴾

التخطيط لإفساد الدين عادة اليهود وأتباعهم في كل زمان. د. نايف الزهراني

﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) ﴾

١) ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ ﴾ ونحوها من الآيات، تدل على أن من طلب الهدى والرشد من غير الكتاب والسنة ضل؛ لأن الهدى محصور في هدي الله الذي أرسل به رسوله ﷺ. السعدي، فتح الرحيم الملك العلام ١٧١

٢) لماذا يشمخ الإنسان بأنفه وهو لولا إعزاز الله ذليل؟ ولولا ستره مفضوح؟ وإذا كان لدى البعض فضل ذكاء أو ثراء فمن أين جاءه؟ ﴿ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾، ولو قطع الوهاب إمداده لانتقل العبقري إلى مستشفى المجانين! ولمد القَوارين – جمع قارون – أيديهم متسولين: ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ﴾ (الملك: ٢١).

محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن ١٧٠

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨) ﴾

إتقان الوقف والابتداء يعين على التدبر:

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ هنا يحسن الوقف، ثم تبتدئ فتقول: ﴿ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾؛ لأن قوله: ﴿ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ رد لقوله: ﴿ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ ﴾.. ثم يقرأ: ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ هنا يحسن الوقف أيضًا، ثم تبتدئ فتقول: ﴿ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾.

ابن عثيمين، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، (شريط ٥)

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩)﴾

١) دلَّت الآيةُ على أنَّ العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانيًّا؛ فمنِ اشتغل بذلك لا لهذا المقصد ضاع سعيه، وخاب عمله. الرازي، مفاتيح الغيب ٢٧٢/٨

٢) قف عند هذه الآية متدبرًا، حيث حددت أبرز معالم العالِم الذي يعتد بدعوته وفتواه، فإن لم تر في علمه ودعوته التجرد والدعوة لـ (الربانية)، وهي (الخشية) فاحذره؛ فإنه يدعو إلى نفسه علم أو جهل. أ.د. ناصر العمر

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٩١) ﴾

فلو أن كافرًا تقرب بسبيكة ذهبية بحجم الكرة الارضية؛ لينجو من النار ما قبل منه، بينما لو جاء أفقر مسلم مر على الدنيا كلها، فإن مآله إلى الجنة، فهل ندرك عظيم نعمة الله علينا بالهداية للإسلام؟! د. عبد الرحمن المحمود

﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢) ﴾

١) التدبر يسهل العمل الصالح:

قال ابن عمرك خطرت على قلبي هذه الآية: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾، ففكرت فيما اعطاني الله، فلم يكن شيء أحب إلى من (رميثة) – مولاه له–؛ فهي حرة لوجه الله تعالى. الزهد لأبي داود ٢٧٠/١

٢) ينبغي للإنسان أن يعمل بهذه الآية ولو مرة واحدة، إذا اعجبه شيء من ماله، فليتصدق به؛ لعله ينال هذا البر. ابن عثيمين

﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٩٥) ﴾

﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾، ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ لقمان: ١٥، ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ الأنعام: ٩٠، تأمل الرابط بينها، تجد أنه أمر باتباع السبيل والملة والهدى مع أن هؤلاء ائمة معصومون؛ وذلك لتوجيه الأمة بألا تقتدي بالأفراد لذواتهم مهما علا شأنهم وارتفعت مكانتهم وإنما تقتدي بهداهم، فإن زل أحد عن المنهج بقيت هي على الطريق، وهذا درس عظيم لو وعاه كثير من المسلمين، لسلموا من التعصب الذي أضل الأمة.

أ.د. ناصر العمر

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)﴾

١) تأمل أوصاف المسجد الحرام: أول بيت وضع للناس (عتيق)، مبارك وهدى للعالمين، فيه آيات بينات من دخله كان آمنًا، لله على الناس حجه، حرم، حرام، محرم، من يرد فيه بإلحاد بظلم اذيق من عذاب اليم، قيام للناس، فلك أن تتصور حاجًا يستشعر هذه الفضائل والمزايا لبيت الله الحرام، ألا يجد لنسكه طعمًا آخر؟ د. محمد الربيعة

٢) هذا من أوكد ألفاظ الوجوب عند العرب، وإنما ذكر الله سبحانه الحج بأبلغ ألفاظ الوجوب؛ تأكيدًا لحقه، وتعظيمًا لحرمته، وتقوية لفرضه. ابن العربي، أحكام القرآن ٥٣/٢

٣) من روائع الاستنباط:

دل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ على فرض الحج من عشرة أوجه، منها:

- تقديم اسمه تعالى، وأدخل عليه لام الاستحقاق ﴿ وَلِلَّهِ ﴾ ودخول ﴿ عَلَى ﴾ ثم مجيء ﴿ سَبِيلًا ﴾ نكرة في سياق الشرط، والمعنى: أي سبيل تيسرت، فالحج معها واجب، ثم إتباعه الأمر باعظم الوعيد ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾.

- ختمها بإخباره باستغنائه عن العالمين، إعلامًا بمقت التارك مع قدرته.

ابن القيم، بدائع الفوائد ٤٦٠/٢

٤) لما كانت العرب تشرك في حجها وتلبيتها، جاءت آيات الحج مؤكدة شأن الإخلاص في بداية الكلام؛ فقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾، وقال في البقرة: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (البقرة: ١٩٦)، وقال في سورة الحج: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾ (الحج: ٢٦). د. محمد الخضيري

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١) ﴾

في الآية دلالة على عظم قدر الصحابة، وأن لهم وازعين عن مواقعة الضلالك سماع القرآن، ومشاهدة الرسول ﷺ، فإن وجوده عصمة من ضلالهم. قال قتادة رحمه الله: "أما الرسول فقد مضى إلى رحمة الله، وأما الكتاب فباق على وجه الدهر".

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٧٢/٣

﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)﴾

قال تعالى: ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾، ثم قال في آية بعدها: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾، أي: كما عرفتم النعيم والكمال بعد الشقاء والشناعة، فالأحرى بكم أن تسعوا بكل عزم إلى انتشال غيركم من سوء مت هو فيه إلى حسنى ما أنتم عليه. ابن عاشور، التحرير والتنوير ٣٦/٤ (بتصرف)

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)﴾

١) النهي عن التفرُّق بعد ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يدلُّ على أنَّ تركه هو سبب للتفرق لا أنه هو سبب التفرق. ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ٤٩٨/٤

٢) مجيء هذه الآية عقيب قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ فيه إشارة إلى أن اعظم الدعوة إلى الخير: تأليف القلوب، وأن من أعظم الأمر بالمعروف: الأمر بالاعتصام بحبل الله، وأن من أعظم النهي عن المنكر: النهي عن التفرق، فهلا احتسب بعض العقلاء على فضلاء المختلفين؛ لتحقيق هذا القصد الشريف: الاعتصام بحبل الله ونبذ الفرقة. إبراهيم الأزرق

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢) ﴾

١) اليهود من حين: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ﴾ لم يكونوا بمجردهم ينتصرون لا على العرب ولا غيرهم، وإنما كانوا يقاتلون مع حلفائهم قبل الإسلام، والذلة ضربت عليهم من حين بعث المسيح عليه السلام فكذبوه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٠١/١)

٢) قد يمتلك اليهود المال والسلاح والمرتزقة واللصوص، لكنهم لن يمتلكوا الشجاعة، تدبر ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا ﴾. ولن يملكوا العقل والرشاد، فاستراتيجياتهم الفتن والحروب والفساد، والله لهم بالمرصاد، فتأمل: ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ المائدة: ٦٤.

أ.د. ناصر العمر

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣)﴾

ينبغي لقارئ القرآن ان يعتني بقراءة الليل أكثر، قال تعالى: ﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾، وإنما رجحت صلاة الليل وقراءته؛ لكونها أجمع للقلب وأبعد عن الشاغلات والملهيات، والتصرف في الحاجات، وأصون عن الرياء وغيره من المحيطات.

النووي، التبيان في آداب حملة القرآن ٢٨

﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) ﴾

الداعية الصادق لا يتأخر في طريق دعوته، ولا يتوانى عن إجابة داعي الخير كلما دعا، بل يبادر إليه ويسارع، ويجعل تلبية ندائه أول همه ومسعاه، فتلك صفة الصالحين حقًا، التي بها نالوا القبول عند الكريم.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٣٠٦

﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥)﴾

إنما قال: ﴿ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ مع أنه عالم بالكل؛ بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على أنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى.

الرازي، مفاتيح الغيب ٣٣٥/٨

﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٧)﴾

حدث يونس المكي فقال: زرع رجل من أهل الطائف زرعًا، فلما بلغ، أصابته آفة فاحترق، فدخلنا عليه نواسيه عنه فبكى، وقال: والله ما عليه أبكي، ولكني سمعت الله ﷻ يقول: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾، فأخاف أن أكون من أهل هذه الصفة، فذلك الذي أبكاني. الرضا عن الله بقضائه لابن أبي الدنيا ٥٠

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨)﴾

١) يستخفي المنافقون ببغضهم وكيدهم للمؤمنين، فتفضحهم عثرات ألسنتهم، وما ظهر من مكرهم، وليس كالتقوى والصبر دافعًا لأذاهم: ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (آل عمران: ١٢٠). د. عبد الله السكاكر

٢) لم أستغرب ان ينهج الأعداء عداوة الإسلام؛ لأنَّ هذا من بديهيات معرفة حقيقة اليهود والنصارى، كما بيَّن الله في كتابه، وإنما مكمن الاستغراب أن يتجاوز بعض أفراد الأمة هذه الحقيقة. أ.د. ناصر العمر

﴿ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠)﴾

١) يزداد حسّادك بقدر ما تقدمه لأمتك من عطاء، مما أنعم الله به عليك، فلا تحزن؛ فهذه سنة جارية ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (النساء: ٥٤)، وأعظم ما يقطع قلوبهم غيظًا وكمدًا أن تمضي في طريقك دون أن تلتفت لهم، وسيكفيكهم الله، تأمل: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾. أ.د. ناصر العمر

٢) يدل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ ﴾، على أن الاستثمار الأساسي في مواجهة عدوان الخارج يجب أن يكون بتحصين الداخل من خلال الاستقامة على أمر الله، ومن خلال النجاح في مواكبة معطيات العصر.

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) ﴾

فيه: فضل البكور والمبادرة بالعمل من أول النهار، وفيه: العناية بتوديع الأهل عند الخروج لسفر، وفيه: إيثار حق الله على حق من سواه؛ فإن العبد يخرج من أحب الناس إليه، إلى شيء تكرهه النفوس؛ تقديمًا لما يحبه الله على ما تحبه نفوسهم.

د. محمد الخضيري

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) ﴾

١) ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾، أي: ضعفاء؛ لقلة عَدَدِكم وعُدَّتكم،، وحال المسلمين اليوم لا تقارن بأعدائهم من الأمم التي تداعت عليهم من أقطار الأرض، مدعومة بالعَدَد والعدة. وسبيل النصر عليهم والوقاية من كيدهم بينه الله للرسول ﷺ وللصحابة رضوان الله عليهم قبيل آية بدر فقال: ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ (آل عمران: ١٢٠)، فلما التزموا الصبر والتقوى، تحقَّق لهم النصر العظيم.

أ.د. ناصر العمر

٢) الانتصار في بدر كان هزيمة للكفار وانتصارًا على النفوس المهزومة التي تبني إيمانها على الماديات المشاهدة دون الإيمان بقوة من أودع فيها قوتها؛ فتدبر هذه الآية تتكشف لك حقائق ربانية تقضي على أوهام المنهزمين: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾، فلنأخذ بالأسباب المشروعة؛ لنرى ما رأى سلفنا. أ.د. ناصر العمر

٣) قال بعض السلف: الشكر تقوى الله تعالى، ألا ترى أنه يقول: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فالمتقي – في هذه الآية – هو الشاكر لنعمة الله، ومن لم يكن متقيًا لم يكن شاكرًا. شعب الإيمان ٣٠٩/٦

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)﴾

١) لما رغَّب الله تعالى في الجنة قال: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ﴾، ولما أباح طلب الدنيا قال: ﴿ سَابِقُوا ﴾، فلا يصلح أن يكون العكس؛ فيكون الإسراع والمسابقة للدنيا، ومشى الهوينا للآخرة! والحزم كلُّه في قوله تعالى: ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ (الذاريات: ٥٠)، وهذا الشهر فأين المشمرون؟ أ.د. ناصر العمر

٢) في (آل عمران): ﴿ وَسَارِعُوا ﴾ وفي الحديد: ٢١): ﴿ سَابِقُوا ﴾ فأين الذين يسارعون إلى الخيرات؟ وأين الذين إذا دخلوا الميدان لا يرضون بأن يكونوا في الأخير؟ بل هم حريصون على السبق، وبهذا يتحقق التدبر العملي للآيتين.

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾

١) الحج ميدان التقوى الواسع: ففيه الإنفاق، وضبط النفس، والعفو عن الناس، والإحسان لهم، ولنتذكر قوله تعالى: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

٢) في بيان صفات المتقين – الذين وعدهم الله بجنة عرضها السماوات والأرض–، ابتدأت بـ ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ والمتوقع أن يكون البدء بترك الفواحش المذكورة في نفس الآية، أو بذكر أجل الأعمال وهي الصلاة، والسر في ذلك أنه لما نهى عن أكل الربا أضعافًا مضاعفة في الآية التي قبل هذه الصفات: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٣٠) بدأ بذكر ضده – ضد أكل الربا – وهو الإنفاق: ﴿ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾.

ابن عثيمين، تفسير سورة آل عمران ٢/١٧٠

٣) كان عند ميمون بن مهران ضيف، فاستعجل جاريته بالعشاء، فجاءت مسرعةً ومعها إناء، فعثرت وأراقته على رأس سيِّدها، فقال: يا جارية أحرقتني، قالت: يا معلم الخير ارجع إلى ما قال

الله تعالى، قال: وما قال؟ قالت: قال: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾، قال: كظمت غيظي، قالت: ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾، قال: عفوت عنك، قالت: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾، قال: اذهبي فأنت حرَّة. إحياء علوم الدين ٢/٢٢٠

٤) ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾، وليس عن المسلمين فحسب، ومن عاجل جزاء العفو ما يجده العافي من سعادةٍ ولذَّةٍ وسلامةِ قلب، فأبونا إبراهيم ﵇ لم يَدْعُ على أحدٍ، وشهد الله له: ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الصافات: ٨٤)، ونبينا ﷺ لم ينتقم لنفسه أبدًا، وزكاه ربه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤). أ.د. ناصر العمر

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) ﴾

إشارةٌ إلى أنَّ المذنبين ليس لهم من يلجأون إليه، ويعولون عليه في مغفرة ذنوبهم غيرُه.

ابن رجب، جامع العلوم والحكم ٢/٤٥

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٨) ﴾

بعد أن ذكر الله تعالى شيئًا من تفاصيل غزوة أحد في سورة آل عمران، قال: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾؛ لأن الكلمة الهادية لا يستشرفها إلا القلب المؤمن المفتوح للهدى، والعظة البالغة لا ينتفع بها إلا القلب التقي الذي يخفق لها ويتحرك بها.

سيد قطب، في ظلال القرآن ١/٤٨٠

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) ﴾

١) للعبد من العلوِّ بحسب ما معه من الإيمان. ابن القيم، إغاثة اللهفان ٢/١٨١

٢) الأعلون فيما تدافعون عنه: فإنكم على الحق، وهم على الباطل، الأعلون لمن تدافعون عنه: فقتالكم لله، وقتالهم للشيطان، الأعلون فيما لكم: فقتلاكم في الجنة، وقتلاهم في النار. ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ١/٤١٢ (بتصرف).

٣) قيل للمؤمنين بعد خسارتهم في معركة أحد: ﴿ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ فمهما كانت انكساراتنا السياسية أو الاقتصادية أو الحضارية، فنحن الأعلون بالإيمان.

د. عبد الله بن بلقاسم

﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) ﴾

١) إن هذه الدنيا: ارتفاع وانخفاض، امتلاء وفراغ، فقر بعده غنى، وغنى قد يأتي بعده الفقر، لا العالي يبقى فوق ولا الواطي تحت، ولا يدوم في الدنيا حال، ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾.

علي الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي ٢٣٩/١

٢) تمضي الأعوام ويقع فيها ما يقع من الأحداث العظامن يتذكر معها المؤمن قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾، فتدبر ﴿ نُدَاوِلُهَا ﴾ فهي لا تستقر عند أحد، وتأمل في بقية الآية ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ثم ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ وخاتمتها ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾.

د. عمر المقبل

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) ﴾

١) العقلاء يستحيون أن يطلبوا السلعة الغالية بالثمن التافه – وهم يبدون استعدادهم للتضحية بأنفسهم في سبيل ما ينشدون – إلا أن الاستعداد أيام الأمن يجب ألا يزول أيام الروع.

محمد الغزالي، فقه السيرة ٢٧٠

٢) إن من يريد أن يسلك طريق الجنة عليه أن يعد نفسه للمتاعب والمشقات، وأن يصبر عن المعاصي اللذيذة فلا يقربها، وأن يصبر على الطاعات الصعبة فلا يقصر فيها. ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية ٢٤٠

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ﴾

١) لقد جمع النبي ﷺ الناس حوله على أنه عبد الله ورسوله، والذين ارتبطوا به عرفوه كذلك، فإذا مات عبد الله، بقيت الصلة الكبرى بالحي الذي لا يموت؛ فأصحاب العقائد الحقة اتباع مبادئ لا أتباع أشخاص.

محمد الغزالي، فقه السيرة ٢٧١

٢) هنيئًا لك وبشرى أيها الحاج، فقد ولدت بحجك هذا ميلادًا جديدًا، وتركت وراءك ركام الذنوب، وعدت كيوم ولدتك أمك، فاجعل من حجك بداية حياة جديدة، ومعاملة صادقة مع الله، واستأنف عملك، فقد كفيت ما مضى، ولكن الشأن فيما بقى، ﴿ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾.

د. عبد الوهاب الطريري، مقال: أيها الحاج استأنف عملك

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧)﴾

يقاتلون مع الأنبياء، ويبذلون مهجهم في سبيل الله، إلا أنهم لم يغتروا بأعمالهم، بل يستشعرون تقصيرهم في حل الله مهما بذلوا، وهذا من أعلى مقامات العبودية، ومن كان شانه دوام النظر إلى التقصير أكثر من النظر إلى الطاعة؛ فحري به أن يرتقي في درجات العبودية والتقوى.

فهد العيبان

﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (١٥١) ﴾

الشرك يخاف المخلوقين ويرجوهم فيحصل له رعب، والخالص من الشرك يحصل له الأمن كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام: ٨٢).

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٥٧/١٠

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤)﴾

حين تتذكَّر أنَّ هذا يوم نجَّى الله فيه نبيَّه موسى ، وقتل فيه سبط نبيِّنا ﷺ (الحسن) كما أنَّه اليوم ذاته الذي أغرق فيه فرعون، وتسلَّط فيه الشقي قاتل الحسين، ايقنت أن ﴿الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾، وأنَّه ليس للخلق من الأمر شيء؛ فلم يبق إلا الشكر على نجاة أنبيائه وهلاك أعدائه، والصبر على مصائبنا في أوليائه. د. عمر المقبل

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥)﴾

إذا قارف العبد الذنب، ولم يبادر إلى التوبة؛ فلا يأمن أن يسلط الله عليه الشيطان؛ فيستزله ويغويه. د. عبد الله السكاكر

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦)﴾

١) سمعتُه يلوم المقاومة، ويتهكَّم بها بأنهم لو كانوا عقلاء وسمعوا نصيحتنا والتزموا الصمتَ لما وقع عليهم القتل والذبح، فظننت أنَّ مثل هذه المواقف إنما هي من الانتكاسات المعاصرة التي لا سابق لها، حتى قرأتُ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾. إبراهيم السكران

٢) من عمل الشيطان: تشييع الماضي بالنحيب والإعوال، وما يلقيه في النفوس من أسى وقنوط على ما فات ﴿ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ﴾. الغزالي، خلق المسلم ٨٩

٣) ذم الله قومًا تسخَّطوا القدر، واعترضوا على قضاء الله في حقِّ المجاهدين، وخذلوا بكلامهم، فقالوا: ﴿ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾، وها نحن نسمع من يقول مثل هذا القول في حقِّ إخوتنا في غزة[1].

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) ﴾

١) ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾، دلت الآية على أن لينه ﷺ لمن خالفوا أمره وتولوا عن موقع القتال؛ إنما كان برحمة من الله، فالله حقيق بحمد نبيه ﷺ إذ وفقه بفضيلة الرفق لأولئك المؤمنين، وحقيق بحمد اولئك المؤمنين، إذ كان لين رسوله ﷺ إنما هو أثر من آثار رحمة الله. محمد الخضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة ٣٩٠/١

٢) قال ابن عقيل: ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ هذا رسول الله ﷺ، شهد الحق له لولا تخلقه للخلق الجميل لانفضوا عنك، ولم يقنع بالمعجز في تحصيلهمن لا تقنع أنت بالعلوم وتظن أنها كافية في حوش الناس إلى الدين، بل حسن ذلك وجله بالأخلاق الجميلة. الآداب الشرعية لابن مفلح ١٩٠/٢ – ١٩١

٣) ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ ليعتبرْ في هذه الآية من يتولى أمرًا يستدعي أن يكون بجانبه أصحاب يتظاهرون عليه؛ فليعلم أن الذكاء وغزارة العلم وعظم الثروة لا تكسبه أنصارًا مخلصين، إلا أن يكون صاحبَ خُلقٍ كريم.

محمد الخضر حسين، الأعمال الكاملة ٣٩١/١

٤) فهل يليق بمؤمن بالله ورسوله، ويدعي اتباعه والاقتداء به، أن يكون كلاً على المسلمين، شرس الأخلاق، شديد الشكيمة عليهم، غليظ القلب، فظ القولن فظيعة؟!.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٩٨

٥) قال الحسن البصري رحمه الله: أمر الله نبيَّه بالتشاور، فو الله ما تشاور قوم بينهم إلا هداهم الله لأفضل ما بحضرتهم. المحرر الوجيز ٥٦٥/١

[1] أرسلت هذه الرسالة في إحدى الحروب على غزة.

٦) ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، أمر الله نبيه ﷺ – وهو أكمل الناس عقلاً – أن يشاور، إذ الحقيقة أن الإنسان – وإن بلغ عقله الغاية – لا يستغني عن الاستعانة في مشكلات الأمور بآراء الرجال؛ إذ العقول قد تكون نافذة في ناحية من الأمر، واقفة عند الظاهر في ناحية أخرى. محمد الخضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة ٣٩٣/١

﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣)﴾

١) التسابق للحصول على أعلى الدرجات في الامتحانات، واستغلال الأوقات، وحفز الهمم لبلوغ أعلى المناصب والمراتب، لا بدَّ أن يدفعنا لتنافس أكبر لنيل درجات اعظم ثمرتها ليست شهادة على ورق بل جنة عرضها السماوات والأرض، بل لا ينبغي أن تقف آمالنا إلا عند الفردوس الأعلى، تأمل ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾. أ.د. ابتسام الجابري

٢) سئلت أختٌ اسلمت قريبًا عن أعظم آية تستوقفها بعد هدايتها للإسلام؟ فقالت: هي الآية (١٦٣) من سورة آل عمران: ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ نسأل الله لنا ولها الثبات على دينه.

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤) ﴾

إنما السعيد من أكرمه الله بالاشتغال بالقرآن الكريم، تلاوة وتزكية وتعلمًا وتعليمًا؛ إذ هو مجمل وظائف الأنبياء عليهم السلا، وعلى رأسهم رسولنا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾. د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٩٨

﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥) ﴾

١) يخطئ كثير من الناس في فهم الإيمان بالقضاء والقدر، فكلما أصابتهم مصيبة قالوا: (قضاء وقدر) فيغفلون عن الأسباب البشرية، وما يجب تجاه ذلك، ومنهج القرآن يربي على النظر في الأسباب؛ لمعالجتها، مع الإيمان بقضاء الله وقدره. تدبر: ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فبدأ بالسبب قبل بيان قدر الله. أ.د. ناصر العمر

٢) إننا إذا نظرنا إلى تسليط اليهود على العرب، وجدناه من عند أنفسهم كما أجيب المصابون يوم أحد: ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾، ولو تصورنا حال العرب اليوم، لوجدنا فيهم ما هو من أكبر أسباب الخذلان والهزيمة! ففيهم من يدعو غير الله، وفيهم من لا يقيم الصلاة ولا يؤتي الزكاة، وفيهم من يعطل الشريعة، فإذا كانت معصية واحدة من أسباب الهزيمة، فما بالكم بهذه الفظائع التي توجد في بعض البلاد العربية اليوم؟

ابن عثيمين، الضياء اللامع ٣٣٥/٢

٣) ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ نقضت هذه الآية – في وقت مبكر – المبالغة في نظرية المؤامرة. د. حمد الماجد

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧)﴾

لم يذكر الله تعالى قولاً مقرونًا بذكر الأفواه والالسن إلا وكان قولاً زورًا، كقوله: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ وقوله: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ (الكهف: ٥) وقوله: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (الفتح: ١١).

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١١٨/٨

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤)﴾

١) منهج القرآن في بناء التفاؤل الذاتي في نفوس المؤمنين – مهما كانت الظروف والأحوال المحيطة به – يؤسس حصانة متينة دون التردي في الهزيمة النفسية، وبثارها السلبية على الفرد والأمة، والآيات في ذلك متعددة متواترة، تدبر – مثلاً –: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ الآيات، ثم انظر كيف كانت النتيجة! أ.د. ناصر العمر

٢) من صفات خيار المؤمنين: إحسان الظن بربهم؛ لذا فهم ينظرون إلى الأحداث نظرةَ تفاؤل مهما بدا من ظاهرها من شدة، مع مبادرتهم في الأخذ بالأسباب المشروعة في التعامل معها بحكمةٍ وتعقُّل. أ.د. ناصر العمر

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٧٨)﴾

إن مجرد طول العمر ليس خيرًا للإنسان إلا إذا أحسن عمله؛ لأن طول العمر أحيانًا يكون شرًا للإنسان وضررًا عليه، فهؤلاء الكفار يملي الله لهم أي يمدهم بالرزق والعافية وطول العمر والبنين والزوجات لا لخير لهم، ولكنه لشر لهم؛ لأنهم سوف يزدادون بذلك إثمًا.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ١٠٧/٢

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٩) ﴾

تمر بالأمة أحداث عظيمة ينتظر فيها الأخيار قول الحق من بعض المتبوعين، فإذا هم من المعوقين؟ فيزداد الناس حزنًا وقنوطًا، ولو تدبروا هذه الآية؛ لأدركوا كم في ذلك من منح تفوق تلك المحن.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠) ﴾

كثيرون يقصرون معنى هذه الآية على البخل بالمال، والمعنى اشمل وأعم كما ورد عن ابن عباس ﷺ واختاره ابن كثير[1]؛ ولهذا لم يدرك أولئك خطورة ما يبخلون به من علم أو جاه أو نعمة خصهم الله بها، ويحسبون أنهم يصنعون خيرًا لأنفسهم، وما صنعوا إلا شرًا، والجزاء العاجل سلب هذه النعم من العبد وغدًا، ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

أ.د. ناصر العمر

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١٧٥/٢).

﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ﴾

١) ما الفرق بين إثبات السمع في هاتين الآيتين: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ و﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١١)؟

السمع في الآية الأولى: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ ﴾ خرجت مخرج التهديد لقائله، بخلاف الآية الأخرى: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ فهي لإثبات كمال سمعه.

العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام ٢٣٥/١

٢) تأمَّل حِلْمَ الله ﷻ: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾، فمع هذا الفحش في القول والشطط في الاعتقاد لم يعاقبهم الله بالفقر، بل إنَّ اليهود من أغنى أثرياء الأمم، وأجَّلَ الله عذابَهم إلى الآخرة، فما أحلم الله مع تمام ملكه وكمال قدرته وعزَّته! أ.د. ناصر العمر

٣) هل سمعت بطفلٍ يتدبَّر القرآن؟ قال أحدهم: كنت مع ابنتي (٧ سنوات)، فسمعت قارئًا عبر الإذاعة يتلو: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾، فسألت ببراءة: إذا كان الله فقيرًا وهم أغنياء، فمن الذي أغناهم؟! متدبر

٤) انظر كيف قال: ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ﴾ حين وصفوا الله تعالى بالنقص، قبل أن يقول: ﴿ وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ ﴾؛ مما يدلّ على أن وصف الله بالنقص أعظم من قتل الأنبياء.

ابن عثيمين، تفسير سورة الحجرات ١٤

﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨٣) ﴾

إنما قال: ﴿ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾؛ لأن أكل النار للذي قربه أحدهم لله في ذلك الزمان، كان دليلاً على قبول الله منه ما قرب له، ودلالة على صدق المقرب فيما ادعى أنه محق فيما نازع أو قال. الطبري، جامع البيان ٤٤٨/٧

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) ﴾

١) ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ كلهم سيذوقونه: المحسن والمسيء، الغني والفقير، المتواضع والمتكبر.. فإذا كانت هذه نهاية الجميع، فطوبى لمن لقي ربَّه وقد أمضى حياته فيما يستطيعه من تعبُّد، ودعوة إلى الله ونفع للخلق.

٢) الحكمة من التعبير بـ (زحزح) – والله أعلم –، لأن النار أعاذنا الله منها، محفوفة بالشهوات، والشهوات تميل إليها النفوس، فلا يكاد ينصرف عن هذه الشهوات إلا بزحزحة؛ لأنه يقبل عليها بقوة. ابن عثيمين، تفسير آل عمران ٥١٢/٢

٣) من أعظم نفحات رمضان: مصادفةُ ساعة إجابةٍ، يسأل العبدُ فيها الجنة والنجاةَ من النار، فيجابُ سُؤالهُ، فيفوزُ بسعادة الأبد، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾. ابن رجب، لطائف المعارف ٢١٦

٤) طريق الجنة أوله صعب، ولكن إن صبرت على صعوبته، وصلت إلى اللذة الدائمة. وطريق النار أوله سهل جميل، ولكن إذا غرك جماله، أبلغك الشقاء الدائم ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾. علي الطنطاوي، نور وهداية ٢٤٠

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٨٦) ﴾

١) ما نسمعه من النصارى وأضرابهم من سب حبيبنا ﷺ والغساءة إليه، قد جاء الخبر عنه في القرآن: ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ﴾، ثم بين المخرج فقال: ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ فإذا صبرنا على دينناn ولم نتعد حدود الله بعواطفنا، واتقينا ربنا، فإن العاقبة لنا.

د. محمد الخضيري

٢) إن أي اهتزاز أمام الحملات الإعلامية المريبة من أعداء الملة، ضعف في الإيمان وخور في العزيمة؛ لأن الحقيقة الراسخة: ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ (آل عمران: ١٢٠). أ.د. ناصر العمر

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧) ﴾

١) ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾، إنَّ وظيفة علماء المسلمين أن يقفوا أنفسهم لصدِّ المعاني العدوة المغيرة على الإسلامي وعقائده، وأحكامه، وهي أفتك من الجنود؛ لأنها خفية المسارب، غرَّارة الظواهر، سهلة المدخل إلى النفوس، تأتي في صورة الضيف فلا تلبث أن تطرد رب الدار.

محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد الإبراهيمي ١١٨/٤

٢) قال ابن عقيل: فالله الله! لا تنس الأدب فيما وجب عليك فيه حسن الأدب، ما أخوفني أن يكون المصحف في بيتك وأنت مرتكب لنواهي الحق سبحانه فيه فتدخل تحت قوله: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾. الآداب الشرعية لابن مفلح ٤٣٠/٢

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠)﴾

١) في إيجاد السموات والأرض آيات، وفي اختلاف الليل والنهار: طولاً وقصرًا، وحرارةً وبرودةً، وخوفًا وأمنًا، وشدةً ورخاءً، وعزًّ وذلاً، وملكًا وخلعًا، وغير ذلك من أنواع الاختلاف، كل ذلك فيه آيات تدل على عظمة الربِّ ﷻ، وأنَّ له الملك المطلق والتدبير المطلق. ابن عثيمين

٢) والله لن تنور هذه القلوب إلا بالتفكر، عبادة الأنبياء والأولياء في كل زمن، يقول عامر بن عبد قيس: سمعت غير واحد من الصحابة يقولون: "إنَّ نور الإيمان في التفكُّر"[1]، ومع أنَّها وسيلتنا الأعظم لمعرفة الرب، إلا أن إعراضنا عنها عجب، وهذا مصداق خبر الله حين خصَّ فقال: ﴿ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾. د. عصام العويد

[1] تفسير ابن كثير ١٨٥/٢.

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)﴾

١) قارن: كيف ذم الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (يوسف: ١٠٥)، ومدح عباده المؤمنين: ﴿ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قائلين: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ﴾. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٨/٢

٢) فيه الذكر على كلِّ حال، فيستفاد منه جواز قراءة القرآن للحائض، وهو مذهب مالك، وقول لأحمد والشافعي، وكثير من المحققين، وأما حديث: "**لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئًا من القرآن**"[1]، فمعلول باتفاق أهل الشان، وفي منعها من القرآن وتدبُّره فوات خير كثير، خاصة وأنَّ حيضتها ليست بيدها. ابن القيم، إعلام الموقعين ٢٣/٣

٣) ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾ وإذا كان هذا في الذكر الذي هو مقصودٌ في التعظيم؛ فالفتوى جالسًا او مضجعًا لحاجة الناس من باب أولى.

د. عبد الكريم الخضير

٤) ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ ﴾ تأمَّل كيف جاء الثناء عليهم بصيغة الفعل المضارع (يتفكَّرون) التي تدل على الاستمرار، فالتفكر ديدنهم، وليس أمرًا عارضًا.ز قال أبو الدرداء ﷺ: "**فكرة ساعة خيرٌ من قيام ليلة**"[2]. وكلام السلف في تعظيم عبادة التفكُّر كثير، فكم هو نصيبنا منها؟

٥) ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾، وهذا دليل على أنَّ التوسل بأفعال الله تعالى وربوبيته من أسباب إجابة الدعاء؛ فإنه قال بعد ذلك: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾. ابن عثيمين

٦) الفكر هو مبدأ أي عمل؛ فالإنسان إنما يعمل – عادة – بعد أن يجيل فكره، وبعد ان ينظر، ثم بعد ذلك يقدم على العمل: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾، فبعد أن تفكروا عملوا؛ فسألوا الله الجنة، واستعاذوا به من النار. د. خالد السبت

---

[1] أخرجه الترمذي ح (١٣١)، ابن ماجه ح (٥٩٦).

[2] المحرر الوجيز ٥٥٥/١.

٧) وإنما قال: ﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾، ولم يقل: ما خلقت (هذه، ولا هؤلاء)؛ لأنه أراد بهذا الخلق الذي في السماوات والأرض، يدل على ذلك قوله: ﴿سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. ابن جرير، جامع البيان ٦/٣١١

٨) قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ فيه تعليم العباد كيفية الدعاء وآدابه، وذلك أنَّ من أراد الدعاء فليقدم الثناء، ثم يذكر بعده الدعاء، كهذه الآية. ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب ٦/١١٥

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) ﴾

ليس الخزي أن تدعو وتأمر بمعروف وتنهى عن منكر، فلا يستجاب لك، أو ترد دعوتك، أو تهان أمام عشرة أو مائة، بل الخزي هو الغضب من أعظم عظيم، والعذاب الأليم، أمام جميع العالمين من الأولين والآخرين. متدبر

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣)﴾

١) فيها فوائد:

١- الإيمان بالمرسل، وبصدق الرسول.

٢- تزكية الرسل بأنهم بلغوا عن الله.

٣- ربوبية الله سبب عقلي موجب للإيمان به.

٤- التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة، وأعظمها: الإيمان به، وذلك من ادب الدعاء.

٥- ان من أعظم ما يطلب: مغفرة الذنوب.

ابن القيم، حادي الأرواح ٦٢

٢) لقد سمعنا ﴿ مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ﴾ فهل هناك صوت أندى من هذا الصوت، أو سبيل أجدى من هذا السبيل؟ محمد الغزالي، المحاور الخمسة ٢٩

٣) من فضائل القرآن أنه المنادي للإيمان، قال محمد بن كعب: "ليس كل الناس سمع النبي ﷺ، ولكن المنادي القرآن". جامع البيان للطبري ٧/٤٨٠

٤) سئل الحسن البصري رحمه الله: من هم الأبرار؟ قال: هم الذين لا يؤذون الذر!

الدر المنثور ٤١٥/٢

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) ﴾

١) جاءت هذه الآية بعد أن دعوا ربهم بخمس دعوات عظيمات، قال الحسن رحمه الله: "مازالوا يقولون ربَّنا ربَّنا؛ حتى استجاب لهم"[1]، فكم يخسر المقصرون في عبادة الدعاء، والمتعجلون في رؤية ثمرته؟! وكم يربح ويسعد من فتح له باب الدعاء، ومناجاة مولاه الذي يحب الملحين في الدعاء.

٢) تدبر: ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ الله أكبر! كل هذه الأعمال العظيمة: هجرة، وإخراج من الديار، وجهاد، بل وقتل، ومع ذلك يقول الله: ﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾! وأحدنا اليوم يجر نفسه لصلاة الفرض جرًا، ويرى أنه بلغ مرتبة الصديقين!. عبد العزيز المديهش

٣) ﴿ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ أضافه إليه ونسبه إليه ليدل على أنه عظيم؛ لأن العظيم الكريم لا يعطي إلا جزيلاً كثيرًا. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٩١/٢

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧)﴾

١) ذكر الله حال الكفار في الدنيا: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾، ومصيرهم في الآخرة: ﴿ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾، ثم عقَّبه بقوله: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾؛ لتختار أي الفريقين. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٩٢/٢ (بتصرف)

---

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣١٨/٤.

٢) حين ترى غرور الكفار باقتصادهم بالأمس وهلعهم من أزمتهم اليوم تذكَّر قوله تعالى: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾، قال السعدي رحمه الله: هذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا، وتنعُّمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذات، وأنواع العز، والغلبة في بعض الأوقات، فإن هذا كلَّه ﴿ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾ ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتَّعون به قليلاً، ويعذبون عليه طويلاً، هذه أعلى حالة تكون للكافر. تيسير الكريم الرحمن ١٦٢

٣) إذا أحزنك أن أعداء الإسلام لا يزالون أشدَّ قوة، وأكثر عددًا، وأجمع لوسائل النصر، فتذكر: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾، إنهم في مثل ضياء الأصيل، يملأ الدنيا ولكنه إلى زوال.

علي الطنطاوي، نور وهداية ٧١

﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (١٩٨) ﴾

قال أبو الدَّرداء ﷺ: ما مِن مؤمن إلا الموت خيرٌ له، وما مِنْ كافر إلا الموت خير له، فمن لم يصدقني؛ فإن الله يقول: ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ ويقول: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾.

الدر المنثور ٣٩٢/٢

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠) ﴾

١) ما أروع القرآن حين يكون مؤثِّرًا في حياتنا كلِّها، ومفزعًا لحل مشاكلنا، شكى مسؤول للشيخ ابن باز رحمه الله عقبات يجدها في عمله، فأخذ الشيخ بيده، وعقد أصابعه واحدًا واحدًا عند كلِّ أمر من هذه الأوامر التي ختمت بها السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

٢) في الحديث أنَّه ﷺ بكى حتَّى بلَّ لحيته وبلَّ الأرض، وقال: "لقد أنزلت عليَّ الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكَّر فيها" ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآيات من آخر آل عمران[١].

[١] ابن حبان ح (٦٢٠).

سورة النساء

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾

١) في سورة النساء لطيفة عجيبة، وهي أن أولها مشتمل على بيان كمال قدرة الله تعالى؛ لقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾، وآخرها مشتمل على بيان كمال العلم، ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (النساء: ١٧٦)، وهذان الوصفان – العلم والقدرة – بهما تثبت الربوبية والألوهية والجلال والعزة، وبهما يجب على العبد أن يكون مطيعًا للأوامر والنواهي، منقادًا للتكاليف. ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب ٧١٥٨

٢) طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة في الإسلام هي علاقة تكاملية لا تنافسية، فحواء لم تخلق كما خلق آدم، بل خلقت منه ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾، فإن ظلمها؛ فإنما يظلم قلبه، وإن نشرت واسترجلت، فما أبشعه من منظر!! د. عصام العويد

٣) في أول سورة (النساء) قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾، وفسَّرها الحديث الصحيح: "**إنَّ المرأة خُلقت من ضِلَعٍ**"[1]، وهو ضلع الصدر، وهذا فيه إشارة ظاهرة إلى طبيعة التكامل بين الرجل والمرأة، فالمرأة خلقت من الرجل ومن ضِلَعِه تحديدًا لا ليخنقها؛ بل ليعطف عليها بجناحه حبًّا وحماية لها كما يفعل بأضلاع صدره، وهي كذلك لتبقى في محلِّها؛ فإنَّ نشوز عظم الصدر مؤلم، بل ترق وتلين له كما الضلع في رقَّته ولينه.

د. عصام العويد

٤) ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ قرن الله الأمر بتقواه بالأمر ببر الأرحام والنهي عن قطيعتها؛ ليؤكد هذا الحق، وأنه كما يلزم القيام بحق الله، كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصًا الأقربين منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حق الله الذي أمر به.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٦٣

[1] أخرجه البخاري ح (٣٣٣١)، ومسلم ح (١٤٦٨).

﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا (٤)﴾

﴿ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ لو تدبر هذه الآية اولئك الذين يأخذون أموال الضعفة ممن تحت أيديهم، وبدون طيبة أنفس منهم –وإن أذنوا ظاهرًا–؛ لعلموا أنهم ربما أكلوه غصة فأعقبهم وبالاً. أ.د. ناصر العمر

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٥)﴾

١) ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ﴾ إذا كان هذا أمرًا بحفظ المال؛ فحفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى، وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق. أبو حامد الغزالي، الإحياء ١٥٨

٢) ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ﴾ إنَّ أمَّة تنفق مئات الملايين في الشهر على اللهو والدخان، وتنفق مثلها على المحرمات، وتنفق مثلها على البدع الضارة، وتنفق أمثال ذلك كله على الكماليات التي تنقص الحياة، ولا تزيد فيها، ثم تدعي الفقر إذا دعاها الداعي لما يحييها، لأمة كاذبة على الله، سفيهة في تصرُّفاتها.

محمد البشر الإبراهيمي، آثاره ٣٤٥/٣

٣) ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ ولم يقل : (أموالهم) مع أنها أموال السفهاء؛ لقوله بعده: ﴿﴾ فاضافها إليهم حين صاروا رشداء.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٦٥/١٤

٤) ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا ﴾ إنما قال: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ ولم يقل: (منها)؛ لأن ﴿فِيهَا﴾ يقتضي بقاءها بالتنمية والتجارة حتى تكون محلاً للرزق والكسوة.

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ٤٦٥/١

﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٦) ﴾

﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ إنما قال: ﴿ حَسِيبًا ﴾ ولم يقل: شهيدًا مع مناسبته؛ تهديدًا للأوصياء لئلا يكتموا شيئًا من مال اليتامى، فإذا علموا أن الله يحاسبهم على النقير والقطمير، ويعاقبهم عليه؛ انزجروا عن الكتمان.

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ٤٦٦/١

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (٧) ﴾

الحكمة من قوله ﴿ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ﴾ لعل أحدًا يتوهم أن النساء والولدان ليس لهم نصيب إلا من المال الكثير، فأزال ذلك بقوله: ﴿ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ﴾، فتبارك الله أحسن الحاكمين.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٦٥

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨)﴾

يؤخذ من هذا المعنى، أن كل من تطلع وتشوف إلى ما حضر بين يدي الإنسان، ينبغي له أن يعطيه منه ما تيسر.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٦٥

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١) ﴾

١) استنبط بعض الأذكياء من قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾، انه تعالى أرحم بخلقه من الوالد بولده، حيث أوصى الوالدين بأولادهم، فعلم أنه أرحم بهم منهم، كما جاء في الحديث الصحيح. تفسير القرآن العظيم ٢٢٥/٢

٢) ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ إنما قال: ﴿ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ ولم يقل: (في ابنائكم)؛ لأن الابن يقع على الابن من الرضاعة، وعلى ابن البنت، وعلى الابن المتبنى، وليسوا من الورثة.

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ٤٧١/١

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢)﴾

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ ﴾ تأمل تعليقه سبحانه التوارث بلفظ الزوجة دون المرأة؛ غيذانًا بأن هذا التوارث إنما وقع بالزوجية المقتضية للتشاكل والتناسب، والمؤمن والكافر لا تشاكل بينهما ولا تناسب، فلا يقع بينهما التوارث، وأسرار مفردات القرآن ومركباته فوق عقول العالمين.

ابن القيم، جلاء الأفهام (٢٦٢)

﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا (١٦)﴾

من أقبح الخِلال : تعنيف المذنبين والمخطئين بعد اعترافهم وتوبتهم، وقد يدعوهم ذلك إلى معاودة الذنب أو الخطأ ﴿ فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾.

د. محمد الخضيري

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧)﴾

١) ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ ﴾، فكلٌّ من يعمل السوء لا بد أن يكون جاهلاً: فإما أن يجهل ما فيه من القبح والضرر، وإما أن يجهل سوء عاقبته وقبح تأثيره في نفسه، وما يترتب على ذلك من سخط ربه وعقابه؛ ذهابًا مع الأماني واغترارًا بتأول النصوص.

رشيد رضا، تفسير المنار ٣٧٥/٧

٢) وقت التوبة: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾، قال ابن عباس ﷺ: "فقيل المرض والموت". علَّق ابن رجب رحمه الله: "هذه إشارة إلى أن أفضل أوقات التوبة، هو أن يبادر الإنسان بها حال صحته قبل نزول المرض به؛ حتى يتمكن حينئذٍ من العمل الصالح". تفسير ابن رجب ٢٩٩/١

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آَتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩) ﴾

١) لا يُقر الخطأ، سواء في جاهلية أو إسلام، وانظر كيف جمع بين ذكر خطأين في سياق واحد: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ﴾، وهذا من أفعال الجاهلية: كانوا يرثون المرأة كالمتاع، ثم قال: ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ أي: لا تمنعونهن التزويج، وهذا يقع من أهل الجاهلية وأهل الإسلام. د. محمد الخضيري

٢) إنَّ من أعظم المعروف كلمة حلوة تنفذ إلى قلب المرأة؛ فتروي عطشه، ولكن المحروم منا – معاشر الأزواج – من يصاب بجفاف الريق بسبب هبوط نسبة (السكر) لديه، فما يلفظ إلا قوالب الثلج. د. عصام العويد

٣) ﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾؛ أي: ينبغي – أيُّها الأزواج – أن تمسكوا زوجاتكم ولو مع الكراهة؛ فإن في ذلك خيرًا كثيرًا، من ذلك:

١- امتثال أمر الله، وقبول وصيته التي فيها سعادة الدنيا والآخرة.

٢- أن إجباره نفسه – مع عدم محبَّته لها – فيه مجاهدة النفس، والتخلق بالأخلاق الجميلة.

٣- وربما أنَّ الكراهة تزول وتخلفها المحبة، كما هو الواقع في ذلك.

٤- وربما رُزق منها ولدًا صالحًا نفع والديه في الدنيا والآخرة. وهذا كله مع الإمكان في الإمساك وعدم المحذور. السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٧٢

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٣)﴾

١) قوله: ﴿ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ ﴾ قيد خرج مخرج الغالب لا مفهوم له؛ فإن الربيبة تَحرُم ولو لم تكن في حجره ولكن للتقييد بذلك فائدتان:

إحداهما: فيه التنبيه على الحكمة في تحريم الربيبة، وأنها كانت بمنزلة البنت؛ فمن المستقبح إباحتها.

والثانية: فيه دلالة على جواز الخلوة بالربيبة، وأنها بمنزلة من هي في حجره من بناته ونحوهن. والله اعلم.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٧٤

٢) قال تعالى في المحرمات من النساء: ﴿ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾ من المعلوم أن الابن لا يكون إلا من الصلب، وإنما قال: ﴿ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾؛ لأن معناه: وحلائل أبنائكم الذين ولدتموهم، دون حلائل أبنائكم الذين تبنيتموهم.

الطبري، جامع البيان ١٤٩/٨

﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٥)﴾

من علوم التفسير المعينة على التدبر: علم الوجوه والنظائر، وهو: معرفة معاني الكلمة في سياقات مختلفة، انظر إلى قوله: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ فـ ﴿ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ بمعنى الحرائر، و﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ بمعنى: عفيفات، و﴿أُحْصِنَّ ﴾ بمعنى: تزوجن.

د. محمد الخضيري

﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧)﴾

١) ما رأيت تاريخًا صنعته الشهوات والملذات! ولكن دعاة الشهوات والملذات عندنا يزعمون أنهم يصنعون تاريخنا الحديث، فهل هم جاهلون؟ أم متآمرون؟ أم جمعوا بين الجهل والتآمر؟. د. مصطفى السباعي، هكذا علمتني الحياة ١٠٢

٢) السفور والحسور والتكشف والموضات، وكشف النساء العورات، وسلوك الشباب سبيل الفساد كل ذلك قنابل للعدو تتساقط علينا، وتهدم كياننا، وتصدع بنباننا، وتُذهب قوانا، فهل نكون من غفلتنا عونًا للعدو على أنفسنا؟! علي الطنطاوي، نور وهداية ٦٩

٣) لن يكتفي أتباع الشهوات بما يسوغ الخلاف فيه؛ حتى يجنحوا بالأمة إلى ما لا خلاف على تحريمه: ﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾.

د. عبد الله السكاكر

٤) ﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ هذا بيان صريح من الذي يعلم السرَّ وأخفى – سبحانه – أنَّ هذا الصنف من الناس – سواء كانوا صحفيِّين، أو كتَّابًا، أو روائيين، أو أصحاب قنوات هابطة – يريدون يميلوا بالأمة ميلاً، وأكد هذا الميل بأنه عظيم، إذ لا تكفيهم مشاريع الإغواء الصغيرة. د. عبد المحسن المطيري

٥) كلما رأيت إصرار أصحاب مشاريع إفساد المجتمع على تحقيق مشاريعهم – رغم العقبات التي في طريقهم – تعجبت! لكن آيتين كشفتا سرَّ ذلك: ﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ﴾ الآية (النور: ١٩)، فحققوا (المحبة) الدافعة لـ (قوة الإرادة)؛ فأثمرتا الإصرار: ﴿ وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ (ص: ٦)، فأين المصلحون من ذلك؟ أ.د. ناصر العمر

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (٢٨)﴾

١) سئل سفيان الثوري عن قوله تعالى: ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ ما ضعفه؟ قال: المرأة تمر بالرجل، فلا يملك نفسه عن النظر إليها، ولا هو ينتفع بها، فأي شيء أضعف من هذا؟ حلية الأولياء ٦٨/٧

٢) في قوله تعالى: ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ بيان لضعف الإنسان الجبلين وفيه إرشاد له بألا يغرر بنفسه فيلقي بها في مواطن الشهوات؛ ثقة بعلمه ودينه، فمن حام حول الحمى أوشك أن يرتع فيه. د. محمد الحمد

٣) ضعف الرجل بين في أمر النساء؛ ولذا لما ذكر النكاح والشهوة والإحصان وحد الزنى في سورة النساء، ختمها بقوله: ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ فعلى المتعفف الخائف على دينه أن لا يستهين بأمرهن، ولا يدنو من فتنتهن؛ ثقة برجولته، وتمام عقله، وكمال عفته! فكم من متعثر غرته التجربة، وغره بالله الغرور! د. محمد الخضيري

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) ﴾

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾، ورحمته ليست خاصةً بإزهاق الروح بدون حق، بل إن من أعظم الرحمة به: حمايته مما سيالقيه قاتل نفسه من عذاب شديد: ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾ (النساء: ٣٠).. ومن قتل اخاه بدون حق فقد قتل نفسه؛ فجريرة قتله سترجع إليه.. فهل يعي ذلك من ولغوا في دماء إخوانهم المجاهدين في الشام ظلمًا وعدوانًا؟!

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٣٢) ﴾

١) إذا منع الله عباده المؤمنين شيئًا تتعلق به إرادتهم؛ فتح لهم بابًا انفع لهم منه وأسهل وأولى، وهذا من لطفه، فنهاهم عن تمني ما ليس بنافع، وفتح لهم أبواب الفضل والإحسان، وأمرهم أن يسألوه بلسان الحال. السعدي، القواعد الحسان ١٢٤

٢) فإذا كان هذا النهي – بنص القرآن – عن مجرد التمني، فكيف بمن ينكر الفوارق الشرعية بين الرجل والمرأة وينادي بإلغائها، ويطالب بالمساواة، ويدعو إليها باسم المساواة بين الرجل والمرأة؟ د. بكر أبوزيد، حراسة الفضيلة ٢٢

٣) من تمنى شيئًا مباحًا من أمر دنياه وآخرته، فليكن فزعه فيه إلى الله ﷻ، ومسألته منه، وإن عظمت أمنيته، ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾.

البغوي، شرح السنة ٥/٢٠٧

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) ﴾

١) ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ ﴾ القنوت هنا هو المداومة على طاعة الزوج؛ فالسياق كلُّه في العلاقة بين الخليلين: الزوج والزوجة، ومن سبر واقع حياة الناس، وجد أن أسعد النساء قلبًا هي الطَّيِّعةُ السهلة، وأنكدهُنَّ عيشًا هي الشرسة المعاندة. د. عصام العويد

٢) تهديد الرجال!

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ هكذا ختمت آية النشوز، التي تهدد الرجال من ظلم نسائهم، فإنهن وإن ضعفن عن دفع ظلمكم، وعجزن عن الإنصاف منكم؛ فالله علي كبير، قادر، ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن، فلا تغتروا بكونكم أعلى يدًا منهن، وأكبر درجة منهن، فإن الله أعلى منكم، واقدر منكم عليهن، فختم الآية بهذين الاسمين فيه تمام المناسبة.

القاسمي، محاسن التأويل ٣/١٠٠

٣) ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾، ختم الآية بهذه الجملة؛ للتحذير من التعالي على النساء، ولإشعار الرجل بعلو الله عليه، فلا يتعالى ولا يتكبر، ففَوقه من هو أعلى وأكبر منه وهو الله ﷻ. ابن عثيمين، تفسير سورة النساء ١/٢٩٣

٤) لما ذكر الله قوامة الرجل على المرأة، وحق الزوج في تأديب امرأته الناشز، ختم الآية بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾، فذكر بعلوه وكبريائه ﷻ ترهيبًا للرجال؛ لئلا يعتدوا على النساء، ويتعدوا حدود الله التي أمر بها. د. محمد الخضيري

٥) ختم الله آية الإصلاح بين الزوجين بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ فإن تذكر علو الله وكبره، من أعظم ما يردع عن ظلم الزوجات، وبخس حقوقهن.

متدبر

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٣٥) ﴾

أصلح إرادتك: ﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾، ننال من التوفيق في حياتنا بقدر ما فينا من رغبة الإصلاح.

د. عبد الله بلقاسم

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦)﴾

١) ذكر الله المأمورين بالإحسان إليهم، وقال: ﴿ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ ﴾، وهذا يعم كلَّ مصاحب، وفسره طائفة بالرفيق في السفر، ولم يريدوا إخراج الصاحب الملازم في الحضر، وإنما أرادوا أنَّ مجرَّد صحبة السفر – على قصرها – تكفي؛ فالصحبة الدائمة في الحضر أولى.

ابن رجب، جامع العلوم والحكم ٣٨٢/١

فلنتفقد أحوالنا مع صاحب الدراسة والوظيفة والحلقة، وأعظم من ذلك: صحبة البيت من والدين وزوجة وقربى.

٢) قال عبد الله بن واقد: لا تجد سيء المَلكة إلا وجدته مختالاً فخورًا، وتلا: ﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾، ولا عاقًا إلا وجدته جبارًا شقيًا، وتلا: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ (مريم: ٣٢). جامع البيان للطبري ٣٥٠/٨

﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (٣٧)﴾

بخل عريض، فاحذر!

﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ قد تؤولت في البخل بالمال والمنع، والبخل بالعلم ونحوه، وهي تعم البخل بكل ما ينفع في الدين والدنيا من علم ومال وغير ذلك، كما تأولوا قوله: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ النفقة من المال والنفقة من العلم، والنفقة من العلم هذ صدقة الأنبياء وورثتهم من العلماء.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٤/ ٢١٢

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (٤٣) ﴾

فهل نحن – وقد عافانا الله من السكر – نعي ما نقول؟

متدبر

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤)﴾

حقيق بمن مَنّ الله عليهم بشيء من العلم أن يكونوا أسرع الناس انقيادًا للحق، وأبعد الناس عن الباطل؛ ولهذا شدد الله الذم بمخالفة هذين الأمرين على أهل العلم كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ ﴾.

السعدي، المواهب الرابنية من الآيات القرآنية ٦٦

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٤٧) ﴾

مرَّ كعب الأحبار – قبل أن يسلم – بقارئ يقرأ هذه الآية قراءة حزينة، فقال كعب: يا رب! أسلمتُ؛ مخافة أن تصيبه الآية، ثم رجع فأتى أهله باليمن، ثم جاء بهم مسلمين.

جامع البيان (٨/ ٤٤٦)

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨)﴾

في قوله تعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ نعمة عظيمة من وجهين:

أحدهما: أنه يقتضي أن كل ميت على ذنب دون الشرك لا نقطع له بالعذاب وإن كان مصرًا.

والثانية: أن تعليقه بالمشيئة فيه نفع للمسلمين، وهو أن يكونوا على خوف وطمع.

ابن الجوزي، زاد المسير ١٠٣/٢

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) ﴾

هل تذكرتها؟ نار حرها شديد، وقعرها بعيد، وعمقها طويل، لا يموت أهلها؛ فيستريحوا، ولا تقال عثرتهم، ولا ترحم عبرتهم، طعامهم الزقوم، وشرابهم الحميم: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾. الآجري، أخلاق أهل القرآن ٨٠

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨)﴾

قال القرطبي رحمه الله: هذه الآية من أمهات الأحكام تضمنت جميع الدين والشرع.

الجامع لأحكام القرآن ٢٥٥/٥

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩) ﴾

١) ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾، دليلٌ على شمول الوحي؛ فلو لم يكن فيه الكفاية لما كان للأمر بالرجوع له عند التنازع فائدة. د. عبد الرحمن الشهري

٢) لم يقع الإنكار على أهل الإسلام إن هم اختلفوا؛ فالخلاف طبيعة بشرية ولكن الله تعالى أرشدهم للعلاج الناجح الناجع: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ وجعل في ذلك الخير وحسن العاقبة: ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾. أ.د. عبد العزيز العويد

٣) ﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾، ولم يقل: وإلى رسول الله ﷺ؛ فإنَّ الردَّ إلى القرآن ردٌّ إلى الله والرسول ﷺ، فما حكم به الله تعالى هو بعينه حكم رسوله ﷺ، وما يحكم به الرسول ﷺ هو بعينه حكم الله، فإذا رددتم إلى الله ما تنازعتم فيه – يعني كتابه – فقد رددتموه إلى رسوله ﷺوكذلك إذا رددتموه إلى رسوله ﷺ فقد رددتموه إلى الله، وهذا من أسرار القرآن.

ابن القيم، الرسالة التبوكية ٤١

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٦٤) ﴾

وعدل عن قول: (واستغفرت لهم) إلى: ﴿ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾؛ لأن في هذا الالتفات بيان تعظيم استغفاره، وأنهم سينالون شفاعته لأنه رسول، وفي ذلك تنويه بمكانة الرسالة التي جاء بها.

الزمخشري، الكشاف ٤٢٨/١

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) ﴾

١) وإذا كان توقف القلب عن الرضا بحكم الرسول ﷺ يخرج عن الإيمان، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فكيف يصح الإيمان مع الاعتراض على الله تعالى؟

ابن مفلح، الآداب الشرعية ٢٩٠/٢

٢) أعظم دلائل الإيمان الصادق: التسليم التام لأمر الله ورسوله، من غير حرج في النفس ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾.

د. محمد الربيعة

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) ﴾

من أسباب الفتنة: أن تترك ما أُمِرت به شرعًا، وتنشغل بما لم تُؤمَر به، ولن تُسأَل عنه: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾.

فهد العيبان

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩)﴾

تَدرُّجق من القلة إلى الكثرة، ومن الأفضل إلى الفاضل؛ إذا قدم ذكر ﴿ اللَّهُ ﴾ على ﴿وَالرَّسُولَ﴾ ورتب السعداء من الخلق بحسب تفاضلهم كما تدرج من القلة إلى الكثرة، فبدا بالنبيين وهم أقل الخلق عددًا، ثم الصديقين وهم أكثر، فكل صنف أكثر من الذي قبله.

د. فاضل السامرائي، التعبير القرآني ٥٤

﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧٣)﴾

فهؤلاء المبطئون لم يحبوا لغخوانهم المؤمنين ما يحبون لأنفسهم، بل أصابتهم مصيبة فرحوا باختصاصهم، وإن غصابتهم نعمة لم يفرحوا لهم بها، فهم لا يفرحون إلا بدنيا تحصل لهم، أو شر دنيوي ينصرف عنهم، ومن لم يسره ما يسر المؤمنين، ويسوءثه ما يسوء المؤمنين؛ فليس منهم.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٢٨/١٠

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥) ﴾

ذكر الولدان تكميلاً للاستعطاف، وتنبيهًا على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ أذاهم للصبيان، وفيه دلالة على إجابة دعائهم، واقتراب الخلاص؛ لما فيه من التضرُّع لله.

أبو السعود، إرشاد العقل السليم ٢٠٢/٢

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) ﴾

١) سمى الله الإنسان ضعيفًا، وقال عن كيد الشيطان: ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ والضعيفان إذا اقتتلا، ولم يكن لواحد منهما مُعين، لم يظفر بصاحبه؛ فأمر الله الإنسان الضعيف أن يستعين بالرب اللطيف من كيد الشيطان الضعيف؛ ليعصمه منه ويعينه عليه.

ابن الجوزي، بستان الواعظين ورياض السامعين ١٠

٢) كثير من الناس حينما يستعيذ بالله من الشيطان، يستعيذ وفي نفسه نوع رهبة من الشيطان، وهذه الحال لا تليق أبدًا بصاحب القرآن، الذي يستشعر أنه يستعيذ – اي يلوذ ويعتصم ويلتجئ – بربب العالمين، وأن هذا الشيطان في قبضة الله، كيف لا وهو يقرأ قول ربه – الذي خلق هذا العدو – ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾؟ د. عمر المقبل

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩) ﴾

١) ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ﴾، هكذا قال المنافقون عن الرسول ﷺ، وهذا يتناول كل من جعل طاعة الرسول وفعل ما بعث به مسببًا لشر أصابه، إما من السماء وإما من آدمي، وهؤلاء كثيرون.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٤٩/١٤

٢) ﴿ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ فلو كان المؤمنون لا يفقهونه – أيضًا –؛ لكانوا مشاركين للكفار والمنافقين فيما ذمهم الله تعالى به.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥٨/٥

٣) في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ من الفوائد: أن العبد لا يطمئن إلى نفسه؛ فإن الشر لا يجيء إلا منها، ولا يشتغل بملام الناس وذمهم، ولكن يرجع إلى الذنوب فيتوب منها، ويستعيذ بالله من شر نفسه وسيئات عمله، ويسأل الله أن يعينه على طاعته؛ فبذلك يحصل له الخير ويدفع عنه الشر. ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢١٥/٨)

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾

١) فكما أن من تعامى في حياته ﷺ عن نبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك من معجزاته ملوم مدحور، ومأزور غير مأجور؛ فكذلك من تعامى عن آيات الكتابن وكان لم يقرع اذنه قارع، فهو من هذا البابح ولهذا نبه تعالى بقوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾.

ابن الزبير الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن ٧٦

٢) ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾، من المعلوم أنه في تفاصيل آيات القرآن من العلم والإيمان ما يتفاضل فيه الناس، فالقرآن يقرأه الناس بالليل والنهار لكن يتفاضلون في فهمه تفاضلاً عظيمًا، وقد رفع الله بعض الناس على بعض درجات. ابن تيمية، درء التعارض ٤٢٧/٧

٣) ملحظ دقيق: قال بعض الصالحين في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ "جرأك على تلاوة خطابه، ولولا ذاك لكلّت الألسن عن تلاوته". تاريخ الإسلام للذهبي ٥٤٠/٢٦

٤) وكل شيء في القرآن تظن فيه التناقض – فيما يبدو لك – فتدبره حتى يتبين لك؛ لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، فإن لم يتبين لك، فعليك بطريق الراسخين في العلم الذين يقولون: ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ (آل عمران: ٧)، واعلم أن القصور في علمك، أو في فهمك.

ابن عثيمين، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٣١٧/٣

٥) ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾، من التزم الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم لم يختلف كلامُه وعقائِدُه؛ لأن ذلك غير مختلف، بخلاف من تعصَّب لطائفةٍ من الطوائف. ابن تيمية، مسألة حدوث العالم ١٥٩

٦) القوانين الوضعية مهما كبرت عقول واضعيها واتسعت مداركهم وامتدت أنظارهم، فهي تختلف فيما بينها، وأوضاع الناس وأعرافهم تتبدل دائمًا؛ فتختلف القوانين عن مسايرة أوضاع الناس؛ فتحتاج إلى تعديل: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾. الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي ٣٢٥/٤

٧) تأمل سياق هذه الآية: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ثم جاء بعدها مباشرة: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ الآية. ففيها إشارة إلى أن الاختلاف والاضطراب في التعامل مع المستجدات من أهم أسبابه: الاخذ ممن لم يجعل الوحي مصدره في تقييم ما يستجد، والله أعلم. أ.د. ناصر العمر

﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا (٨٥)﴾

عبر بالنصيب: لأنه – غالبًا – في الربح والخير، وبالكفل؛ لأن الاغلب استعماله في الشر والخسارة، فهل يدرك من يتوسطون لأناس، على حساب حقوق الآخرين، أي جرم يرتكبون؟ وأي غرم يتحملون؟ فـ "من أشر الناس من ظلم الناس للناس".

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (٨٦)﴾

تشمل الحسن في لغة الوجه، فمن سلم عليك مبتسمًا، فابتسم له، ومن لم يبتسم، فابتسم له؛ تكن أحسن منه. د. صالح البهلال

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧) ﴾

من صور البلاغة القرآنية:

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ أبلغ مما لو قيل: لا أحد أصدق من الله حديثًا؛ لأن الاستفهام يعني التحدي. ابن عثيمين، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة (شريط ٢)

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٨٨) ﴾

١) ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ﴾، عَتِبَ الله ﷻ على الصحابة اختلافهم في المنافقين؛ فاحذر أن تختلف مع إخوانك مدافعًا عن منافقين.

د. عبد المحسن المطيري

٢) تدبر ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ﴾ ثم تأمل في الجدل الإعلامي حول أشخاص أشربوا الفتنة وأركسوا فيها؛ تدرك مدى البعد عن هدي القرآن ودلالته، وتنزيل واقع الناس عليه. أ.د. ناصر العمر

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤) ﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾، فيه تربية عظيمة: وهي أن يستشعر الإنسان – عند مؤاخذته غيره – أحوالاً كان هو عليها تساوي أحوال من يؤاخذه، كمؤاخذة المعلم التلميذ بسوء إذا قصر في إعمال جهده، وكذلك هي عظة لمن يمتحنون طلبة العلم، فيعتادون التشديد عليهم، وتطلب عثراتهم. ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٦٨/٥

﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) ﴾

﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ فيه مخرج لذوي الأعذار: "**إنَّ بالمدينة أقوامًا ما سِرْتُم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا، إلا كانوا معكم، حبسَهُمُ العذر**"[(١)]:

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد سرتم جسومًا وسرنا نحن أرواحا
إنا أقمنا على عذر وعن قدر ومن أقام على عذر كمن راحا

القاسمي، محاسن التأويل ١٣٥/٨

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) ﴾

لم أجد – في نفسي – أقوى تأثيرًا لدفع الفرد المسلم على أن يكون مبادرًا وباذلاً كل ما يملك لأجل تحقيق أهدافه النبيلة، مثل هذه الآية الكريمة، وقد نزلت في تأنيب من لم يبادر بالهجرة وبقي في مكة خوفًا على أهله ومصالحه. متدبر

(١) البخاري ح (٤٤٢٣)

﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٠٢)﴾

تدبر قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ﴾، حيث قال: ﴿ لَهُمُ ﴾ مما يدل على أن الإمام ينبغي أن يعتني بصلاته أكثر، ويعتني بحال المأمومين؛ لأنه لا يصلي لنفسه بل يصلي لمن خلفه من المأمومين أيضًا. د. عبد الرحمن الدهش

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (١٠٣) ﴾

الاستغفار بعد الفراغ من العبادة هو شأن الصالحين، فالخليل وابنه قالا – بعد بناء البيت–: ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَا ﴾ (البقرة: ١٢٨)، وأمرنا به عند الانتهاء من الصلاة: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾، وبينت السنة أنه البدء بالاستغفار، وكذا أمرنا به بعد الغفاضة من عرفة، فما أحوجنا إلى تذكر منة الله علينا بالتوفيق للعبادة، واستشعار تقصيرنا الذي يدفعنا للاستغفار. د. عمر المقبل

﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٠٤)﴾

١) ما نراه من مآسي المسلمين أمر يُجسد كلَّ صور الألم الجسدي والنفسي؛ لكن عزاؤنا أنَّ ربنا أخبرنا أنَّ الألم متبادل: ﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾، فعلى المؤمنين أن يُقَوُّوا رجاءَهم بربهم، فهو ما يُميزهم عن غيرهم. د. عويض العطوي

٢) هذا تشجيعٌ لنفوس المؤمنين، وتحقيرٌ لأمر الكفرة، ولما كانوا مستوين في الألم؛ أكد التشجيع بقوله: ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ وهذا برهان بيِّن ينبغي بحسبه أن تقوى نفوس المؤمنين. الثعالبي، الجواهر الحسان ٢/٢٩٥ (بتصرف)

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٦) ﴾

١) عندما يتدبر المؤمن قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ ثم يتأمل الواقع؛ يدرك كم من إنسان نصب نفسه مجادلاً ومحاميًا لأهل الباطل، إما حمية، أو لطلب مال أو شهرة، بل قد يفعل ذلك بعضهم تأولاً وبحسن نية؛ لذا جاء بعدها: ﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. أ.د. ناصر العمر

٢) حكى ابن تيمية رحمه الله عن بركة تطبيق هذا التوجيه الرباني فقال: إنه ليقف في خاطري في المسألة أو الشيء أو الحالة، فأستغفر الله ألف مرة أو أكثر أو اقل؛ حتى ينشرح الصدر، وينحل إشكال ما أشكلن وأنال مطلوبي. العقود الدرية لابن عبد الهادي ٢٢

﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧) ﴾

استقراء إمام:

يقول ابن تيمية رحمه: من فسر من العلماء: (الاختيان) بأنه ظلم النفس بأي ذنب كان سرًا أو علانية؛ ففي قوله نظر؛ لأن الاختيان إنما يستعمل في الذنوب التي تفعل سرًا فحسب، كقوله تعالى: ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٧). مجموع الفتاوى ٤٣٨/١٤

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (١١٠) ﴾

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ﴾ سمّى ظلم النفس ظلمًا؛ لأن نفس العبد ليست ملكًا له، وإنما هي ملك لله قد جعلها أمانة عند العبد. السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٢٠٠

﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (١١٢) ﴾

وإنما فرق بين (الخطيئة) و(الإثم)؛ لأن (الخطيئة)، قد تكون من قِبَل العمد وغير العمد، و(الإثم) لا يكون إلا من العمد، ففصل جل ثناؤه لذلك بينهما؛ فقال: ومن يأت خطيئة على غير عمد منه لها أو إثمًا على عمد منه... إلخ. الطبري، جامع البيان ١٩٧/٩

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣) ﴾

حتى الأنبياء لم يسلموا من محاولات الإغواء والإضلال، فمن يأمن البلاء بعد نبينا ﷺ؟ ومن الذي يظن أنه بمعزل عن الفتنة! نسأل الله الثبات على الحق.

﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤) ﴾

تدبَّر هذه الآية تلحظ أنَّ الأصل في هذه الثلاثة الإخفاء؛ فذلك أقوى أثرًا وأعظم أجرًا، وارجى في تحقيق المراد، وأما العلانية فيها فهي الاستثناء إذا وجد لذلك سبب معتبر.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) ﴾

لا يستغربنّ أحد هذا الوعيد! فإن جرثومة الشقاق لا تولد؛ حتى يولد معها كل ما يهدد عافية الأكة بالانهيار.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٦٨/١

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣)﴾

١) كل ظالم معاقب في العاجل على ظلمه قبل الجل، وكذلك كل مذنب ذنبًا، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ وربما رأى العاصي سلامة بدنه وماله فظنَّ ألا عقوبة، وغفلته عما عوقب به عقوبة، وغفلته عما عوقب به عقوبة، وربما كان العقاب العاجل معنويًا، كما روي أن بعض أحبار بني إسرائيل قال: يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني؟ فقيل له: كم أعاقبك وأنت لا تدري؟! أليس قد حرمتك حلاوة مناجاتي؟

ابن الجوزي، صيد الخاطر ٦٥

٢) من الاغترار أن تسيء فترة إحسانًا، فتظن أنك قد سومحت، وتنسى: ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾.

صيد الخاطر، ابن الجوزي ١٩٣

﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٢٩) ﴾

في هذه الآية إشارة إلى المبادرة في الحسم وإصلاح الشأن: إما بالوفاق أو الفراق، بعد أن تُتخذ الوسائل المشروعة، ولعل ذلك لا يقف عند مسألة الزوجية، بل يتعداه إلى أمور كثيرة من شأنها أن تعقد المشكلات، أو تنشئها إن لم تكن موجودة، فاللائق – في الأحوال التي لا يسوغ فيها التروي – أن تحسم الأمور ولا تظل معلقة؛ ليعرف كل طرف ما له وما عليه، ولئلا يبقى في النفوس أثر يزداد مع الأيام سوءًا. د. محمد الحمد

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥)﴾

اختيار صيغة المبالغة ﴿ قَوَّامِينَ ﴾؛ دلالة على أنه ينبغي الصبر واحتمال مشقة إقامة العدل في شأن المسلم كله، مع نفسه ومع الآخرين، وأن ذلك لا يتم إلا بالصبر وتوطين النفس على العدل. د. عبد الرحمن الشهري

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١٣٦) ﴾

دعوة صريحة لكل مؤمن أن يتعاهد إيمانه ويجدده؛ فإنه يبلى ويضعف وتصيبه الىفات، وفي الآثر: "**إن الإيمان ليَخلَق في جوف أحدكم كما يَخلَق الثوب الخَلِق، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم**"[1]. د. محمد الخضيري

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) ﴾

---

[1] الحاكم ح (٥).

١) رفع لعمر بن عبد العزيز قوم يشربون الخمر فأمر بجلدهم فقيل له: إن فيهم صائمًا، فقال: ابتدأوا به! أما سمعتم الله يقول: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾؟ فبين رحمه الله أن الله جعل حاضر المنكر كفاعله.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٨/٢٢١)

٢) مفارقة المنكرات: يجب مغادرة المكان الذي يكفر فيه بآيات الله، ولا يبقى الإنسان ويقول: أنا مُنكِرٌ بقلبي! فلو صدق لقام؛ فالجوارح تبعٌ للقلب، فلو كره القلب لكرهته الجوارح! ابن عثيمين، تفسير سورة النساء ٢/٣٥٥

٣) اعيذ بالله مسلمًا صام يومًا من رمضان طاعة لله، أن يجلس مجلسًا يشاهد فيه قناة تستهزئ بالله وبياته! وقد قال الله: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ﴾.

د. محمد الخضيري

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢)﴾

١) في هذا الذم للمنافقين دليل على وجوب الطمأنينة في الصلاة، وتكميل ركوعها وسجودها وقيامها وقعودها؛ لأنَّ العبد لا يسلم من هذا الذم إلا بهذا التكميل والإخلاص لله تعالى. السعدي، فتح الرحيم الملك العلام ١١٨

٢) إذا رأيت الصلاة ثقيلة عليك، حتى ولو كانت نافلة، فاعلم أن في قلبك نفاقًا؛ لأن هذا شأن المنافقين، الذين قال الله فيهم: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى ﴾، وإذا رأيت من قلبك خفة واستبشارًا، فاعلم أن هذا دليل على قوة إيمانك.

ابن عثيمين، شرح صحيح مسلم: (ح: ٦٥١)

٣) أيام عشر ذي الحجة: أيام ذكر وتكبير وصدقة، ومسابقة في الأعمال الصالحة، وقد وصف الله المنافقين بأنهم: ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وأنهم: ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ التوبة: ٥٤، فاحذر أن تشابههم في صفة من صفاتهم. أ.د. ناصر العمر

﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (١٤٣)﴾

علامة النفاق: إذا وجدت نفسك مترددًا بين القبول والإنكار لحكمٍ شرعي، فاعلم أنَّ فيك شَبَهًا من المنافقين؛ لأن المؤمن لا يمكن أن يكون مترددًا.

ابن عثيمين، تفسير سورة النساء ٣٦٩/٢

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (١٤٧) ﴾

١) قال مكحول الشامي: أربع من كن فيه كن له: الشكر والإيمان والاستغفار والدعاء، قال الله تعالى: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ﴾، وقال: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الأنفال: ٣٣)، وقال: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ (الفرقان: ٧٧). حلية الأولياء ١٨١/٥

٢) من الغرائب أن بعض الناس فهم أن الإسلام يمجد الآلام لذاتها، ويكرم الأوجاع والأوصاب ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ﴾. محمد الغزالي، خلق المسلم ١٢٠

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥)﴾

١) من أخطر آثار الذنوب!

والله سبحانه جعل مما يعاقب به الناس على الذنوب سلب الهدى والعلم النافع كقوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾، وقال: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (الصف: ٥). ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥٢/١٤)

٢) فقوم هذا تاريخهم لا يستغرب منهم ما يفعلونه بإخواننا المسلمين! إنما الغرابة والعجب أن يُوثق بعهود مَن نقضوا عهودهم ومواثيقهم مع رب العالمين، وأن يؤتمن قتلة المرسلين.

﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠)﴾

١) استقراء عالم: تحريم الشيء عقوبة وتأديبًا وقع في بعض الشرائع الماضية، كما قال تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾، ولكن لم يقع في الشريعة الإسلامية بحال. محمد الخضر حسين، من تعليقاته على موافقات الشاطبي ٤٨/١

٢) ارتكاب الآثام سبيل السقوط والإهانة، ومزلقة إلى خزي الفرد والجماعة ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٨٢

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٧١) ﴾

إطلاق العنان للتجربة الوجدانية، قد يؤدي إلى تجاوز النصوص التي هي حدود الله لضبط الوجدان الديني؛ وإذن يكون الانحراف والانجراف! هذا معطى أساسي لفهم (النفسية الغالية في الدين)! د. فريد الأنصاري، البيان الدعوي ١٤٠

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) ﴾

١) فالقرآن هو عهد الله إلى الناس أجمعين، فهل عقدت عليه عزمك، وأبرمت عليه ميثاقك، أم أنك لا تزال من المترددين؟ نعم لك أن تنتظر ماذا ترى، ولكن اعلم أن العمر لا ينتظرك، وأن الأرض تجري في دورتها الفلكية؛ لتلقي بك عن كاهلها قريبًا، فالبدار البدار قبل فوات الأوان. د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٩٤

٢) ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ يستنير به: القلب، والوجه، والطريق إلى الله ﷻ.

فابحث عن أثر هذا النور في قلبك ووجهك وحياتك كلها. ابن عثيمين

٣) ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ لما مات ﷺ زار أبو بكر وعمر أم أيمن رضي الله عنها، فوجداها تبكي، فقالا: ألا تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله؟ قالت: بلى، ولكني أبكي لانقطاع الوحي من السماء!![1].

فتأمل جوابها العجيب، ثم انظر كم في المسلمين من تمر عليه الأيام والأشهر دون أن يتأثر قلبه لعدم اتصاله بهذا الوحي! فضلاً عن أن يبكي. د. عمر المقبل

[1] رواه ابن ابي شيبة في مصنفه ح (٣٧٠٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٣٥٣٦).

سورة المائدة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١)﴾

تأمل – أيها المؤمن – في سطرين فقط، وفي آية واحدة: نداء وتنبيه، أمر ونهي، تحليل وتحريم، إطلاق وتقييد، تعميم واستثناء، وثناء وخبر، فسبحان من هذا كلامه!

د. عويض العطوي

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢) ﴾

١) ما أحسن العبد – وهو ذاهب لأداء نُسكه – أن يستشعر هذه الآية: ﴿ آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ﴾؛ لعلَّ ذلك يحدوه إلى امتثالها، ودعاء الله بتحقيقها.

متدبر

٢) قال الماوردي: ندب الله سبحانه إلى التعاون على البر، وقرنه بالتقوى له، فقال سبحانه: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾؛ لأن في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس؛ فقد تمت سعادته وعمت نعمته.

تفسير القرطبي ٤٧/٦

٣) ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ ولا فرق في أصل طلب التعاون بين أن يكون الخير من مصالح الحياة الدنيا – التي أذنت الشريعة بإقامتها – وأن يكون من وسائل السعادة في الأخرى.

محمد الخضر الحسين، رسائل الإصلاح ١٦٣/١

٤) قال جمهور الأئمة: لا يحل للمسلمين أن يبيعوا للنصارى شيئًا من مصلحة عيدهم: لا لحمًا ولا ثوبًا، ولا يعارون دابَّة، ولا يعاونون على شيء من دينهم؛ لأنَّ ذلك من تعظيم شركهم وعونهم على كفرهم، وينبغي للسلاطين أن ينهوا المسلمين عن ذلك؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣٣٢/٢٥

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣) ﴾

١) قال رجل من اليهود لعمر: يا أمير المؤمنين، لو أنَّ علينا نزلت هذه الآية: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، فقال عمر: إني لأعلم أيَّ يوم نزلت هذه الآية، نزلت يوم عرفة، في يوم جمعة[1].

والسؤال: كم هم المسلمون الذين يعرفون من قيمة هذه الآية ما عرفه هذا اليهودي؟!

٢) قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: من أحدث في هذا الأمة شيئًا لم يكن عليه سلفًا، فقد زعم أن الرسول ﷺ خان الدين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ فما لم يكن يومئذ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا. الإمام مالك بن أنس، الاعتصام للشاطبي ٥٣/٢

٣) أيام الحج أيام عظيمة، وفي مثلها نزلت آيات عظيمة، يقول بعضهم: "هذا يوم صلة الواصلين: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾، ويوم قطيعة القاطعين: ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ (التوبة: ٣)، ويوم إقالة عثر النادمين وقبول توبة التائبين: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ﴾ (الأعراف: ٢٣)، ويوم وفد الوافدين: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ (الحج: ٢٧)". الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢٦/٥

٤) في يوم عرفة نزل قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾، "وهذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل لهم دينهمن فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا نبي غير نبيهم؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه". ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢٦/٣

[1] أخرجه البخاري (٧٢٦٨)، ومسلم ح (٣٠١٧).

٥) من مظاهر الإعجاز البلاغي في القرآن إيثار لفظٍ بَدَل آخر، فتأمل – مثلاً –: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، فما السرُّ في التعبير عن الدين بالكمال وعن النعمة بالتمام؟ السر – والله أعلم – أنَّ الكمال لا زيادة عليهن ومن هنا يعلم أنه لا زيادة في الدين؛ لأنه اكتمل، أما النعمة فعبر عنها بالتمام؛ لأنَّ التمام يقبل الزيادة ليصل إلى الكمال، ودليل ذلك أن النعم تختلف من زمن إلى آخر، فما يتنعم به بعض الفقراء اليوم لم يكن يحلم به هارون الرشيد في زمنه.

أ.د. محمد الصامل، مجلة بصائر العدد الأول ١٤٣٠هـ

٦) (٢٣ سنة) هي الفاصلة بين هذه الآية التي نزلت في مثل هذا اليوم: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ وبين نزول: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾ الآيات (العلق: ١ – ١٧)، فأين الشقي أبو جهل – ومن كان معه في نادي قريش –؟! ليروا جموع الحجيج على صعيد عرفات وقد جاؤوا من كل فج عميق!

د. عمر المقبل

٧) في الصحيحين أن يهوديًا قال لعمر ﷺ: لو علينا نزلت هذه الآية: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ الآية؛ لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، فأخبره عمر بعلمه بوقت نزولها[1]، والشاهد هنا: أن عمر لم يبتدع عيدًا موافقة لقول اليهودي؛ لعلم الفاروق أن الأعياد مبناها على النص الشرعي.

د. عمر المقبل

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤) ﴾

١) ﴿ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾، من شرف العلم: أنه لا يباح إلا صيد الكلب العالِم؛ فانظر حتى الكلاب تتمايز بالعلم!

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٥٥/١

٢) ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ﴾ فيه دليل على أنَّ كلَّ آخذ علمٍ؛ عليه ألا يأخذه إلا من أتقن أهله علمًا، وأنحرهم دراية، وأغوصهم على لطائفه وحقائقه، وإن احتاج إلى أن يضرب إليه أكباد الإبل، فكم من آخذ من غير متقن قد ضيَّع أيامه، وعض عند لقاء النحارير إبهامه.

النسفي، مدارك التنزيل ٢٧٠/١

---

[1] سبق تخريجه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦) ﴾

١) دلت آية الوضوء: على سبعة أصول، كلها مثنى: طهارتان والغسل. ومطهران: الماء والتراب. وحُكمان: الغسل والمسح. وموجبان: الحدث والجنابة. ومبيحان: المرض والسفر. وكنايتان: الغائط والملامسة. وكرامتان: تطهير الذنوب وإتمام النعمة.

البجيرمي، حاشيته على الخطيب ٤٥٧/١

٢) في قوله تعالى في ختام آية الوضوء: ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ دلالة على أنَّه يُعفى عن كلِّ ما يشق التحرز منه من مبطلات الوضوء، وموانع كمال الطهارة.

د. إبراهيم الحميضي

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) ﴾

نهى أن يحمل المؤمنين بغضهم للكفار على ألا يعدلوا عليهم؛ فكيف إذا كان البغض لفاسق أو مبتدع متأول من أهل الإيمان؟ فهو أولى ان يجب عليه ألا يحمله ذلك على ألا يعدل على مؤمن وإن كان ظالمًا له، فهذا موضع عظيم المنفعة في الدين والدنيا.

ابن تيمية، الاستقامة ٣٨/١

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٢) ﴾

الصلاة أعظم الأعمال، فإذا صَلَحَت صَلَحَ كل شيءٍ للإنسان دنيا وآخرة.. وفي أجواء الفتن التي نعيشها، وشدة الحاجة والأزمات، لا يحتاجُ الإنسان – إن كان مُتقِنًا لصلاته – لغير الله، وبفضل الله يكون الفرج: ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ ﴾.

د. عبد الرحمن الدهش

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣)﴾

١) عن ابن مسعود ﷺ قال: إن المرء قد ينسى بعض العلم بالمعصية، وتلا قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾. النسفي، مدارك التنزيل ٢٧٩/١

٢) سئل سفيان بن عيينة رحمه الله: أيسلب العبدُ العلمَ بالذنب يُصيبه؟ قال: ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾؟ وهو كتاب الله، وهو أعظم العلم، وهو حظهم الأكبر الذي صار لهم، واختصُّوا به، وصار حجَّة عليهم. أخبار لحفظ القرآن لابن عساكر ٢٤

٣) مفهوم خاطئ للهزيمة:

العفو والتجاوز ليس هزيمةً كما يظن بعض الناس، وقد أشار ابن كثير رحمه الله لهذا المعنى فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ﴾: "هذا هو عين النص والظفر، كما قال بعض السلف: "ما عاملتَ من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه"؛ وبهذا يحصل لهم تأليفٌ وجمعٌ على الحق، ولعل الله أن يهديهم". تفسير القرآن العظيم ٦٦/٣

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨) ﴾

ذكر ابن كثير أن بعض الشيوخ قال لصاحبه: أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه؟ فلم يجب! فتلا الشيخ: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾، علق ابن كثير قائلاً: "وهذا الذي قاله حسن". تفسير القرآن العظيم ٦٩/٣

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣) ﴾

١) إذا تخاذل الناس فليكن لك موقفُ صدقٍ، تأمَّل في قصة فتح بيت المقدس وكيف قال بنو إسرائيل لموسى ﷺ: ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾، فحفظ القرآن موقف رجال الصدق في هذا المشهد المليء بالتخذيل: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ﴾. د. محمد الربيعة

٢) إذا انغلق عليك أمر مشروع، أو ترددت فيه؛ شكًّا في عدم قدرتك عليه؛ فاعزم وتوكل: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾. أ.د. ناصر العمر

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) ﴾

فراق الفجرة من شيم البررة؛ لأن جليس السوء كصاحب الكير.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٢٥٥

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦) ﴾

١) تأمل هاتين الآيتين: ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ و﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ تدرك أن (الأربعين) قد انقرض فيها جيل الهزيمة ﴿ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ونشأ جيل بلغ الأشد والاستواء؛ فكان على أيديهم فتح بيت المقدس، بقيادة يوشع بن نون، أحد الرجلين المتفائلين الواثقين بنصر الله، فلا يأس من روح الله. أ.د. ناصر العمر

٢) قف وتدبر قصة التيه، وموقف بني إسرائيل من موسى وهارون عليهما السلام بعد هذه المسيرة الطويلة، والجهاد العظيم؛ تجد فيها تسلية وعزاء لكل عالم وداعية وإمام، وهي برهان على الثبات على المنهج من قِبَل الرواد والأئمة، مهما كان التجاوب الظاهر سلبيًا ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾. أ.د. ناصر العمر

٣) لما رفض قوم موسى عليه السلام دخول بيت المقدس! صدع رجلان بالحق، ومع أنهما لم يستطيعا تغيير الواقع، بل أصر القوم على التمرد؛ فقد أثنى الله عليهما، ودخل الساكتون المداهنون في الذم، فتدبر هذه القصة العجيبة: ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) ﴾

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كونوا لقبول العمل أشد همًا منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله يقول: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾. الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا ٣٩

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١)﴾

١) هذا المشهد العظيم هو:

١- مشهد أول حضارة في البشر، وهي من قبيل طلب ستر المشاهد المكروهة.

٢- ومشهد أول علم اكتسبه البشر بالتقليد وبالتجربة.

٣- ومشهد أول مظاهر تلقي البشر معارفه من عوالم أضعف منه كما تشبه الناس بالحيوان في الزينة، فلبسوا الجلود الحسنة الملونة وتكللوا بالريش الملون.

فكم في هذه الآية من عبرة للتاريخ والدين والخلق! ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٧٤/٦

٢) ﴿ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾، ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴾ (الشعراء: ١٥٧)، لم يكن بين قوة الدافع لارتكاب الجريمة والانتقام، وطغيان الشعور بالزهو والانتصار، وبين الندم والخسران، والبؤس والكآبة: سوى لحظات فعل الجريمة وتنفيذها، فيا طول حسرة المتعجلين! أ.د. ناصر العمر

٣) ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾، حتى ولو أخفى القاتل مشاعره، فرحى الجريمة تطحنه، وصوت الفعلة النكراء يضج في داخله. د. عبد الله بلقاسم

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٣٧)﴾

درتان من عقد بيان ابن تيمية رحمه الله:

الأولى: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾: ففيها إشارة إلى ما هو لازم لهم في الدنيا والآخرة من الآلام النفسية: غمًا وحزنًا وظلمة قلب، فللكفر والمعاصي من الآلام العاجلة الدائمة ما الله به عليم؛ ولذا نجد غالب هؤلاء لا يطيبون عيشهم إلا بما يزيل العقل، ويلهي القلب: من تناول مسكر، أو سماع مطرب، ونحو ذلك..

الدرة الثانية: وفي مقابل ما حكاه الله عن الكافرين؛ قوله في المؤمنين: ﴿ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ (التوبة: ٧١) فإن الله يعجل للمؤمنين من الرحمة في قلوبهم، وغيرها، بما يجدونه من حلاوة الإيمان ويذوقونه من طعمه، وانشراح صدورهم للإسلام، إلى غير ذلك من السرور بالإيمان، والعلم، والعمل الصالح، بما لا يمكن وصفه.

اقتضاء الصراط المستقيم ٩٧/١

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) ﴾

قد لا تُختم الآية الكريمة بأسماء الله الحسنى صراحة، ولكن قد تذكر فيها أحكام تلك الأسماء، كقوله تعالى – لما ذكر عقوبة السرقة، فإنه قال في آخرها-: ﴿ نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾، أي: عز وحكم فقطع يد السارق، وعز وحكم فعاقب المعتدين شرعًا، وقدرًا، وجزاء. السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٢٣٠

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١)﴾

١) يخلط كثيرون بين الحذر وبين الخوف، والمتدبر للقرآن يجد أن الحذر جاء بصيغة الأمر ﴿ فَاحْذَرُوا ﴾، وأن الخوف جاء بصيغة النهي ﴿ أَلَّا تَخَافُوا ﴾ (فصلت: ٣٠)، والفرق بينهما أن الحذر يكون مع العمل والإقدام، والخوف يولد القعود والإحجام، فجاء الأمر في (الأول)، والنهي عن (الثاني) فتأمل.

أ.د. ناصر العمر

٢) ليس من شاننا أن نُسمع الصم أو نهدي العمي، ولا الذين يجعلون أصابعهم في آذانهم، فإذا هم لا يسمعون، أو يضعون أكفَّهم على أعينهم، فإذا الشمس الطالعة ليست بطالعة: ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾، وإنما سبيلنا أن ننصب الحجة لجاهلها من طلاب الحق، ونوضح الطريق لسابلها من رواد اليقين.

د. محمد دراز، النبأ العظيم ٩٨

٣) حين ترى حقًا أبلق، وعمىً مطبقًا، فتذكَّر قول الحق: ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾.

د. عبد الله السكاكر

٤) القلب لا يدخله حقائق الإيمان إذا كان فيه ما ينجسه من الكبر والحسد، قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾، وقال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ (الأعراف: ١٤٦) وأمثال ذلك.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٠٨/٢

﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢) ﴾

﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ إذا كان ربنا تعالى قد عاب سماع الكذب، فما ظنك بالكذب نفسه؟ والغيبة والنميمة والبهتان؛ لأن مجرد سماع الكذب يفضي لشر كثير، أوله: مرض القلب بالشبهة، ثم تتأثر الجوارح – بعد ذلك – تبعًا لتأثر القلب. متدبر

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) ﴾

عن أبي المثاب القاضي قال: كنت عند القاضي إسماعيل يومًا؛ فسئل: لِمَ جاز التبديل على أهل التوراة، ولم يجز على أهل القرآن؟ فقال: قال الله – تعالى – في أهل التوراة: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴾، فوكل الحفظ إليهم. وقال في القرآن: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩)، فلم يجز التبديل عليهم! تاريخ قضاة الأندلس ٣٣/١

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) ﴾

١) ففي شريعته ﷺ من اللين والعفو والصفح ومكارم الأخلاق، أعظم مما في الإنجيل، وفيها من الشدة والجهاد، وإقامة الحدود على الكفار والمنافقين، أعظم مما في التوراة، وهذا هو غاية الكمال؛ ولهذا قال بعضهم: "بعث موسى بالجلال، وبعث عيسى بالجمال، وبعث محمد بالكمال". ابن تيمية، الجواب الصحيح ٨٦/٥

٢) إذا كان الله تعالى يريد هيمنة القرآن على بقية الكتب السماوية، رغم كونها جميعًا كتب الخالق سبحانه؛ فكيف بمن يقاوم هيمنة القرآن على كتب المخلوقين، ودساتير البشر؟! إبراهيم السكران

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) ﴾

١) كل حكم يخالف شريعة الله، فهو من فصيلة أحكام الجاهلية: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾.

محمد الخضر حسين، مجموع مؤلفاته ٢١٦٢/٥

٢) أضيف لفظ ﴿ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ في القرآن إلى أربع كلمات: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾، ﴿ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ (آل عمران: ١٥٤)، ﴿ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ (الأحزاب: ٣٣)، ﴿ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ (الفتح: ٢٦)، فالأول يأتي من فساد النظم، والثاني من فساد التصورات والمشاعر، والثالث من فساد اللباس لدى المرأة، والرابع من العصبيات والموروثات الفاسدة.

عبد العزيز العومي

٣) ها هم يبحثون عن حلول الأرض لعقوبات السماء، لقد فشل هؤلاء في بناء نظام يحفظ هذا المال الذي يعبدونه، والذي هو منتهى نظرهم ومدار فكرهم، وتالله إنهم لفي بناء النظام الاجتماعي والتربوي والقانوني أفشل، وهو درس لمن طلب هدايته من الضالين، أو رأى مصلحته في غير شرع الحكيم الخبير.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)﴾

علاقة الكافر بالكافر وإن كانت في الأصل موجودة: ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ لكنها في الحقيقة هزيلة؛ لضعف الرابطة وعدم أصالتها: ﴿ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ (البقرة: ١٤٥)، وفي الآخرة تنهار هذه الرابطة: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٦٧ – ٦٨).

د. عبد الله الجلالي، العلاقات الاجتماعية في القرآن ١٧٨

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) ﴾

١) من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه، وأن تسمع داعيَه ثم تتأخر عن الإجابة، وأن تعرف قد الربح في معاملته ثم تعامل غيره! وأعجب من كل ذلك.. علمك أنَّك لا بد لك منه، وأنك أحوجُ شيءٍ إليه، وأنت عنه مُعرِض، وفيما يبعدك عنه راغب! ابن القيم، الفوائد ٦٢

٢) الحب في قاموس أهل القرآن لا يضاهيه أي حب، إنه حب يتَّصل بالملكوت الأعلى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾، وإمامهم فيه محمد ﷺ: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (آل عمران: ٣١)، فلا ينقضي عجبك حين يغفل بعض المسلمين عن هذا الحب الذي لا ينقطع لحظة واحدة، وينشطون لحبٍّ يتذاكرونه مرة كل سنة، وإمامهم فيه قسيس نصراني يدعى (فلنتاين)، ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ (البقرة: ٦١)؟ د. عمر المقبل

﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) ﴾

هذه بشارة عظيمة لمن قام بأمر الله وصار من حزبه وجندِه؛ أنَّ له الغلبة، وإن أديل عليه في بعض الأحيان – لحكمة يريدها الله تعالى – فآخر أمره الغلبة والانتصار، ومن أصدق من الله قيلاً؟ السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٢٣٦

﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (٦٣)﴾

فليفتح العلماء لهذه الآية مسامعهم ويفرحوا لها عن قلوبهم؛ فإنها قد جاءت بما فيه البيان الشافي لهم بأن كفهم عن المعاصي مع ترك إنكارهم على أهلها لا يسمن ولا يغني من جوع، بل هم أشد حالاً وأعظم وبالاً من العصاة. الشوكاني، فتح القدير ٦٤/٢

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤) ﴾

١) سمعت العلامة ابن باز يبكي لما قرئ عليه قوله تعالى عن أهل الكتاب: ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ ويقول: نعوذ بالله من الخذلان! بدلاً من أن يزيدهم القرآن هدى وتقى، زادهم طغيانًا وكفرًا! وهذا بسبب إعراضهم وعنادهم وكبرهم، فاحذر يا عبد الله من ذلك حتى لا يصيبك ما أصابهم. د. عمر المقبل

٢) تدبر كم في القرآن من ذكر لجرائم اليهود:

في حق الله: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾.

وملائكته: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴾ (البقرة: ٩٧).

وكتبه: ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ (المائدة: ٤١).

ورسله: ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة: ٨٧).

والمؤمنين: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ ﴾ (المائدة: ٨٢).

البلاد والعباد: ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ (المائدة: ٦٤).

أليسوا هم بذلك رؤوس الإرهاب بلا ارتياب؟

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦) ﴾

النعيم في الآخرة يُنال بالإيمان والتقوى، والنعيم في الدنيا يُنال بإقامة حكم الله في الارض.

متدبر

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧) ﴾

من لم يتقن صحة الطريق، فتراه مرة ذات اليمين، ومرة ذات الشمال، فكيف يهدي غيره سواء السبيل؟

أ.د. ناصر العمر

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) ﴾

١) إن القرآن ليحدثنا أن شعبًا قديمًا قد تعرضوا للعنة على ألسنة الأنبياء، وكان كل ذنبه – حتى يستحق هذه اللعنة–: أن المجتمع لم ينكر على بعض أعضائه فعلهم للشر!

محمد دراز، دستور الأخلاق في القرآن ١٥٥

٢) لو سكت أهل الحق عن بيان الحق، لاستمر المخطئون على أخطائهم، وقلدهم غيرهم في ذلك، وباء الساكتون بإثم الكتمان.

ابن باز، مجموع فتاواه ٧٢/٣

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢)﴾

دعا حاخام أمريكي لإبادة العرب ومقدساتهم، وذلك في العدد الأخير من مجلة "مومنت" الأمريكية (يونيو ٢٠٠٩) في زاوية "اسألوا الحاخامات"، وأضاف فريدمان، الحاخام بمعهد "بياس تشانا" للدراسات اليهودية: "الطريقة الوحيدة لخوض حرب أخلاقية هي الطريقة اليهودية: دمروا مقدساتهم، واقتلوا رجالهم ونساءهم وأطفالهم ومواشيهم... فعند تدمير مقدساتهم سوف يتوقفون عن الاعتقاد بأنَّ الرب إلى جانبهم"، وصدق الله: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ ﴾.

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)﴾

هذا وصف حالهم، وحكاية مقالهم، ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقهم.

القرطبي، التذكار في أفضل الأذكار ١٥٩

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣) ﴾

قال العلامة السعدي رحمه الله: تأملت في تكرار التقوى ثلاث مرات في هذه الآية، فوقع لي وجهين:

١-أحدهما: أن الأول للماضي والثاني للحال والثالث في المستقبل.

٢-الثاني: أن الأول في مقام الإسلام والثاني في مقام الإيمان والثالث في مقام الإحسان: والمؤمن لا تكمل تقواه حتى يترك ما حرم الله ولا يتم دينه إلا بهذه المقامات الثلاثة.

المواهب الربانية ١٢٨ – ١٢٩

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤) ﴾

١) ﴿ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ﴾ جاءت في سياق آيات منع المُحرِم من الصيد، وفيها تربية للنفس على ترك المباح في أصله – وهو الصيد – الذي حُرّم مؤقتًا؛ طاعةً لله، وتأمل كلمة: ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾ ففيه تنبيه على نية من يصيد، ومن يُصاد له.

أ.د. محمد العواجي

٢) الأمن في الحج:

تأمل التهديد العظيم لمن عاد – بعد نهي الشرع له – إلى قتل الصيد وهو محرم، أو في حدود الحرم: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فإذا كان من يقتل حمامة أو أرنبًا فهذا جزاؤه! فماذا يكون جزاء من قتل مسلمًا أو اعتدى عليه؟!

د. عمر المقبل

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٩٧) ﴾

١) الحج قوام الدين والدنيا: يقول ابن جرير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ﴾: "كانت هذه الأربع قوام أمر العرب – الذي كان به صلاحهم في الجاهلية–، وهي في الإسلام لأهله معالم حجهم، ومناسكهم، ومتوجههم لصلاتهم وقبلتهم التي باستقبالها يتم فرضهم".

جامع البيان ٩/٩

٢) إنما كانت الكعبة قيامًا للناس – وهم العرب –؛ لأنها كانت سبب هدايتهم إلى التوحيد، واستبقت الحنيفية في مدة جاهليتهم، فلما جاء الإسلام كان الحج إليها من أفضل الأعمال، وبه تكفر الذنوب، فكانت الكعبة – بهذا – قيامًا للناس في أمور أخراهم بمقدار تمسُّكهم بما جعلت الكعبة له قيامًا. وقد عطف (الشهر الحرام) على (الكعبة) باعتبار كون الكعبة أريد بها ما يشمل علائقها وتوابعها؛ فإن الاشهر الحرم ما اكتسبت الحرمة إلا من حيث هي أشهر الحج والعمرة للكعبة. ابن عاشور، التحرير والتنوير ٣٨٣/٤

﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٨)﴾

إن الإنسان محتاج دائمًا إلى منشطات الأمل وكوابح الغرور، فإن بأسه من النجاح يقوده إلى السقوط، واغتراه بما عنده يمنعه السبق؛ ولذا كان من سنن القرآن الجمع بين الوعد والوعيد، كما في قوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ليظل الإنسان دائمًا محكومًا بمشاعر الخوف والرجاء. محمد الغزالي، التفسير الموضوعي ٣٦٣

﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) ﴾

١) في أواخر سورة المائدة ذكر الله ﷻ التحريف في الوصية: ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾، ثم أتبعه بتحريف من نوع آخر، وهو تحريف النصارى لوصية عيسى بالتوحيد: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ ﴾. متدبر

٢) ﴿ سُبْحَانَكَ ﴾ هكذا افتتح عيسى عليه السلام جوابه الذي تبرأ فيه من التثليث، مبينًا منهج الداعية فيما يأتي من الأقوال ويدع: ﴿ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ﴾ وقوله: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ مستحضرًا في ذلك علم الله ومراقبته: ﴿ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ فوقفه ربه للأدب معه، وتعظيمه ومراقبته ومعرفة القول المشروع واجتناب الممنوع. د. عبد الله الغفيلي

٣) تأمل قول عيسى عليه السلام: ﴿ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ وانظر واقع بعض المتبوعين في قول غير الحق؛ لتدرك سر الانحراف وتحملهم وزر ضلال كثير من المسلمين. أ.د. ناصر العمر

﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨)﴾

١) قام نبيك ﷺ ليلة كاملة بية يرددها حتى أصبح، وهي: ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[١]؛ لذا قال ابن القيم رحمه الله: "فإذا مر ببية – وهو محتاج إليها في شفاء قلبه – كررها ولو مئة مرة، ولو ليلة! فقراءة آية بتفكر وتفهم، خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن". مفتاح دار السعادة ١/١٨٧

٢) إذا انفتح قلبك فقف! والمراد: أنك إذا وجدت قلبك قد تأثر بآية، وانفتح لها، فقف وكررها كثيرًا، فقد بقي نبيك ﷺ يردد آية ليلة كاملة حتى أصبح[٢]، وهي خواتيم سورة المائدة: ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾.

٣) التأمل في الأسماء الحسنى التي تختم بها الآيات الكريمة من مفاتيح فهم القرآن وتدبره، ومثاله: قوله تعالى: ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨)﴾، فلم تختم الآية بقوله: (الغفور الرحيم)؛ لأن المقام مقام غضب وانتقام ممن اتخذ إلهًا مع الله، فناسب ذكر العزة والحكمة، وصار اولى من ذكر الرحمة.

ابن سعدي، القواعد الحسان ٥٧

---

[١] اخرجه النسائي ح (١٠١٠)، وابن ماجه ح (١٣٥٠).

[٢] سبق تخريجه.

سورة الأنعام

من المفاتيح المعينة على تدبر القرآن: معرفة مقصد السورة، أي: موضوعها الأكبر الذي عالجته، فمثلاً: سورة النساء تحدثت عن حقوق الضعفة: كالأيتام، والنساء، والمستضعفين في الأرض، وسورة المائدة في الوفاء بالعقود والعهود مع الله ومع العباد، بينما سورة الأنعام – هي كما قال ابو غسحاق الإسفراييني-: "فيها كل قواعد التوحيد"[1] وقس على ذلك.

د. عصام العويد

﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣)﴾

من مفاتيح التدبر: معرفة الوقف والابتداء.

لو قرأت قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾ ثم وقفت، ثم استأنفت وقلت: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ فسيظهر من جلال الآية وعظمتها أنه سبحانه مع كونه في السموات، فإنه يعلم سركم وجهركم في الأرض، فليس علوه في السموات بمانع من علمه بسركم وجهركم في الأرض.

ابن عثيمين، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة (شريط ٢)

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧)﴾

في الآية أن المحروم لا ينفع معه علاج، نعوذ بالله من الحرمان.

د. صالح البهلال

﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣) ﴾

وما تحرَّك، لكنه خص السكون بالذكر؛ لأنه أغلب حالي المخلوقات من الحيوان والجماد، وكل متحرك فمصيره للسكون. د. عبد الرحمن الشهري

---

[1] حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٣/٣٠٧.

﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥)﴾

حفظها القرآن في ثلاثة مواضع عن نبينا ﷺ لما أريد على دينه ورسالته، فما أحوج المؤمن أن يعلنها مدوية كلما أريد على دينه، أو عرضت له معصية تقطعه عن سيره إلى الله تعالى.

د. عمر المقبل

﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧)﴾

قال عامر بن عبد قيس: آيات في كتاب الله إذا ذكرتهن، لا أبالي على ما أصبحت أو أمسيت: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾، ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (فاطر: ٢)، ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٧)، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود: ٦).

الدر المنثور ٥/٧

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨) ﴾

إنما قال: ﴿ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾؛ لأنه وصف نفسه بقهره إياهم، ومن صفة كُلِّ قاهرٍ شيئًا أن يكون مستعليًا عليه.

الطبري، جامع البيان ٢٨٨/١١

﴿ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) ﴾

فهم أرادوا الكذب على الله، ولكن صدَّقوا أنفسهم بما كذَّبوا به، فحقيقة الكذب ما صدَّقه المكذوب عليه وأضرَّخ، ومن أسوء أنواع الكذب: أن يصدِّقَ الإنسان كذِبَ نفسه ويجر الضرر على ذاته؛ ولذا جاء في سياق التعجب من سوء حالهم، أما الله سبحانه فلن يضرَّه ذلك شيئًا؛ لأنه يعلم كذبهم: ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (التوبة: ١٠٧).

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦)﴾

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ عرف الكفار عظيم تأثير هذا القرآن؛ فلم يكتنفوا بإعراضهم عنه، بل اجتهدوا في صد الناس عنه بكل وسيلة؛ فصار نشر القرآن – حفظًا، وتدبرًا، وتعليمًا. من أعظم درجات الجهاد: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٢).

د. عمر المقبل

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣١) ﴾

١) ﴿ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾، هذا مشهد من مشاهد حسرات الكفار التي يتألمون فيها يوم القيامة على تفريطهم في أيام المهلة، وها هي الأزمنة الفاضلة تبلغنا؛ فلنحذر أن نقف موقف الندم غدًا إذا فرطنا فيها!

د. عمر المقبل

٢) قضاء الأوقات بالاستمتاع بغير ما يقربك من الله؛ هو اختزال وتقصير لعمرك الذي وهبك الله إياه، وإضاعة لمنحة ربانية لا تتكرر أبدًا. فيا طول حسرة الغافلين والمفرطين: ﴿ قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾!

أ.د. ناصر العمر

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣)﴾

من المهم أن يدرك خصمك في قرارة نفسه أنك صادق في دعوتك، ثابت على منهجك، ولو خالفك وآذاك ورماك بأبشع التهم: تدبر هذه الآيات: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾، ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (النمل: ١٤)، ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ (الإسراء: ١٠٢).

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨) ﴾

١) لو اقتصر على ذكر الطائر فقال: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ ﴾؛ لكان ظاهر العطف يوهم "ولا طائر على الارض"؛ لأن المعطوف عليه إذا قُيِّد بظرف أو حال تقيّد به المعطوف، فكان ذلك يوهم اختصاصه بطير الأرض الذي لا يطير بجناحيه: كالدجاج والإوزّ والبط ونحوها؛ فلما قال: ﴿ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ زال هذا التوهم، وعُلِم أنه ليس الطائر مقيدًا بما تقيدت به الدابة. ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٣٩

٢) قال سفيان بن عيينه رحمه الله: ما في الأرض آدمي إلا وفيه شبه من البهائم: فمنهم من يقدم كالأسد، ومنهم من يعدو كالذئب، ومنهم من ينبح كالكلب، ومنهم من يتطوّس كالطاووس، ومنهم من يشبه الخنزير، فإنه لو ألقي إليه الطعام الطيب تركه، وإذا رأى القذر ولغ فيه، فكذلك نجد من الآدميين من لو سمع خمسين حكمة لم يحفظ واحدة منها، فإن أخطأت مرَّة واحدة حفظها، واستحسنه الخطابي، وقال: فإنك إنما تعاشر البهائم والسباع، فبالغ في الحذار والاحتراز. مفاتيح الغيب (١٢/٥٢٥ – ٥٢٦)

٣) ذكر القرطبي في تفسيره أن بعض الطاعنين في القرآن قال: إن الله تعالى يقول في كتابكم: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ فأين ذكر التوابل المصلحة للطعام من الملح والفلفل وغير ذلك؟ فقيل له في قوله: ﴿ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ (البقرة: ١٦٤).

الجامع لأحكام القرآن ١٩٦/٢

٤) ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ اشتمل القرآن على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس مسألة إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه علم عجائب المخلوقات، وملكوت السموات والأرض، وما في الأفق الأعلى، وما تحت الثرى، وأسماء مشاهير الرسل والملائكة، وأخبار الأمم، وفيه بدء خلق الإنسان إلى موته، وكيفية قبض الروح وما يفعل بها، وعذاب القبر والسؤال فيه، ومقر الأرواح، وأشراط الساعة. السيوطي، الإكليل (١٨)

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢)﴾

إذا ابتلى الله عبده بشيء من أنواع البلايا والمحن؛ فإن رده ذلك الابتلاء والمحن إلى ربه وجمعه عليه وطرحه ببابه؛ فهو علامة سعادته وإرادة الخير به ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾. ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٥٩

﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣)﴾

تأمل واقع كثير من الناس اليوم مع هذه الفتن! ثم قف مع هذه الآية: ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ هنا يخشى أن يحل بهؤلاء ما حل باولئك؛ فتدبر الآية التي بعدها، وانجُ بنفسك. أ.د. ناصر العمر

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥) ﴾

١) قال النبي ﷺ: "إذا رأيت الله يُعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج" ثم تلا: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥) ﴾[(١)]، قال قتادة رحمه الله: بَغَت القومَ أمرُ الله، وما أخذ الله قومًا إلا عند سلوتهم ونعمتهم وغرتهم.. فلا تغتروا بالله. تفسير ابن أبي حاتم ١٢٩١/٤

٢) قال أبو حازم الأعرجك إذا رأيت الله يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه، فإنما هو استدراج فاحذره، قال تعالى: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٢)، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾. الآداب الشرعية لابن مفلح ٢٣٢/٣

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠) ﴾

بركة الوحي (الكتاب والسنة): متبع الوحي بصير، وفاقد الوحي أعمى: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾. د. عبد المحسن المطيري

---

(١) أخرجه أحمد ح (١٧٣١١).

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢) ﴾

الرجل الصالح قد يصل إلى درجة الظالمين، عندما يطرد الصالحين من مجلسه أو يؤذيهم.

محمد بن عبد الوهاب، تفسيره ٥٧

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٤) ﴾

خرج المنذر بن سعد البلوطي – أحد علماء الأندلس – ليستسقي، فلما رأى حال الناس بكى ونشج، فسلم عليهم، ثم سكت متحسرًا – ولم تكن من عادته – فاندفع قارئًا قول الله: ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾، وحث الناس على التوبة والاستغفار، فضجوا بالبكاء، ثم سقوا.

سير أعلام النبلاء ١٧٦/١٦

كم نحن بحاجة إلى حسن الظن بالله وإن وُجد منَّا تقصير، فليس لنا رب سوى الله.

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩) ﴾

بهذه الآية وأمثالها – التي تدل على أنَّ الغيب لا يعلمه إلا الله – أغلق القرآن جميع الطرق التي يراد بها التوصل إلى شيء من علم الغيب غير الوحي، وأن ذلك ضلال مبين، وبعضها قد يكون كفرًا.

الشنقيطي، أضواء البيان ٤٨٢/١

فهل يتدبر ذلك من طلب الغيب عبر الأبراج وقنوات الشعوذة؟

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨) ﴾

مجالسة الفساق تبعث على مساوقة طباعهم ورديء أخلاقهم، وهو داء دفين قلَّ ما يتنبه له العقلاء فضلاً عن الغافلين، إذ قلَّ أن يجالس الإنسان فاسقًا مدة – مع كونه منكرًا عليه في باطنه – إلا لو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته، لوجد فرقًا في النفور عن الفساد؛ لأن الفساد يصير بكثرة المباشرة هينًا على الطبع، ويسقط وقعه واستعظامه.

الغزالي، إحياء علوم الدين ٢٣٠/٢

﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠) ﴾

قال ابن عباس ﷺ الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها، قال الله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ (فاطر: ٨).

إحياء علوم الدين ١٥٧/١

﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧١) ﴾

كلما كان الإنسان موحدًا مخلصًا لله؛ كان أكثر اطمئنانًا وسعادة، وكلما كان بعيدًا عن الله؛ كان أكثر حيرة وضلالاً، اقرأ إن شئت: ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾.

د. إبراهيم الدويش

﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨)﴾

إنما قال: ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ مع كون الشمس مؤنثة؛ لأن مراده هذا الطالع.

الشوكاني، فتح القدير ١٥٣/٢

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٨٢) ﴾

الأمن: الطمأنينة مع زوال سبب الخوف، كقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾، والأَمَنَة: الطمأنينة مع وجود سبب الخوف كقوله تعالى: ﴿ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ﴾ (الأنفال: ١١).

د. صلاح الخالدي، لطائف قرآنية ١٠٤ (بتصرف)

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣)﴾

كما رفعنا درجات إبراهيم عليه السلام في الدنيا والآخرة، فإن العلم يرفع الله به صاحبه فوق العباد درجات، خصوصًا العالم العامل المعلم، فإنه يجعله الله إمامًا للناس بحسب حاله، تُرمق أفعاله، وتقتفي آثاره، ويستضاء بنوره.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٢٦٣

﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨)﴾

ذكر الله (١٨ نبيًّا) في سورة الأنعام، ثم قال: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، الإخلاصُ حقُّ الله المحض الذي لا حظَّ للنفس فيه، فهو مقام "تجريد التوحيد"!

مهند المعتبي

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩)﴾

١) لما فسر الإمام أحمد رحمه الله قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ قال: هم أهل المدينة. علق ابن القيم على هذا فقال: أهل المدينة أول من وكل بها، ولمن بعدهم من الوكالة بحسب قيامه بها علمًا وعملاً ودعوةً إلى الله تعالى.

ابن القيم، بدائع الفوائد (١٧٢/٤)

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (٩٠)﴾

١) ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ ﴾ قال أبو عثمان النهدي: كانوا – يعني السلف – يعظمون ثلاث عشرات: العشر الأول من المحرم، والعشر الأول من ذي الحجة، والعشر الأواخر من رمضان.

قيام رمضان لمحمد بن نصر المروزي ٢٤٧

٢) تلك قافلتهم ما تزال سائرةً يا صاح! وهذه الخِفاف ما تزال مرسومةً على الرمال، وأذانهم لم تزل أصداؤه تدق أبواب القلوب في كل مكان؛ فالحقْ بهم، فلو فاتك ركبُهم، لفاتك الخيرُ كلُّه، ولفاتت فرصتُك الوحيدةُ للنجاة. د. فريد الأنصاري، قناديل الصلاة ١٤٦

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢) ﴾

١) ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ هذا الكتاب مبارك، أي: كثير البركات والخيرات، فمن تعلمه وعمل به، غمرته الخيرات في الدنيا والآخرة، وكان بعض علماء التفسير يقول: اشتغلنا بالقرآن فغمرتنا البركات والخيرات في الدنيا تصديقًا لقوله ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ ونرجو أن يكون لنا مثل ذلك في الدنيا. وهذا الكتاب المبارك لا ييسر الله للعمل به إلا الناس الطيبين المباركين، فهو كثير البركات والخيرات؛ لأنه كلام رب العالمين، من قرأه وتدبر معانيه، عرف منه العقائد الحقة، وأصول الحلال والحرام، ومكارم الأخلاق، وأسباب النعيم الابدي، والعذاب الأبدي، ومن عمل به غمرته الخيرات والبركات في الدنيا والآخرة، وأصلح الله له الدارين. الشنقيطي، مقدمة العذب النمير ٧/١

٢) ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾، و﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ضع هاتين الجملتين: ﴿ فَاتَّبِعُوهُ ﴾ و ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ بين قوسين؛ لعل قارئها يستشعر أن هاتين الآيتين هما جواز الداخل إلى أقطار القرآن، ويعرف حق القرآن عليه! ووظيفته التي يجب أن يقوم بها نحوه، وهي: التدبر لمعانيه واتباعه. البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي ٣٢١/١

﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦)﴾

قلب فكرك:

﴿ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾، ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ﴾ قال الزجاج: وإذا تأملت الخلق، بان لك أن أكثره عن انفلاق: كالأرض بالنبات، والسحاب بالمطر. زاد المسير ٢٧٣/٩

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (١٠٤)﴾

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾، ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (الحشر: ٢) هكذا وجب عليك أن تقرأ آية آية، اقرأ وتدبر ثم أبصر؛ عسى أن ترى ما لم تر، وتدرك من حقائقه ما لم تدرك من قبل، فتكون له متدبرًا.

د. فريد الأنصاري، بلاغ الرسالة القرآنية ٢٣

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨)﴾

١) تتعجَّب من أناس يستشهدون بهذه الآية بمناسبة وبدونها على السكوت عن أعداء الله خوفًا من مفسدة أعظم – زعموا –، لكنهم لا يراعون هذه القاعدة العظيمة عند حديثهم عن العلماء والمصلحين وأهل المقاومة، ويحتجون بأنه لا عصمة لأحد بعد رسول الله، ويتناسون أنهم يقدمون دعمًا عظيمًا للأعداء في حربهم لولياء الله ورسوله.ز فـ ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ (المطففين: ١). أ.د. ناصر العمر

٢) تأمل في عقول المشركين كيف وصل بهم التعصب الأعمى للمخلوق إلى ذم الخالق؟ وما أشبه الليلة بالبارحة فيما يفعله بعض مبتدعي زماننا لأسيادهم ﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ (الذاريات: ٥٣). أ.د. ناصر العمر

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) ﴾

١) العينان هما ربيئة القلب، وليس من الأعضاء أشد ارتباطًا بالقلب من العينين؛ ولهذا جمع الله بينهما في قوله: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ ﴾، ﴿ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (النور: ٣٧)، ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ (الأحزاب: ١٠)، ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ (النازعات: ٨ – ٩)؛ ولأن كليهما له النظر: فنظر القلب الظاهر بالعينين، والباطن به وحده. ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٢٥/١٦

٢) من عرض عليه حق، فرده، ولم يقبله؛ عونقب بفساد قلبه وعقله ورأيه.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٩٩/١

٣) دلت هذه الآية على الإنسان إذا علم الحق ولم يذعن له من أول وهلة، فإن ذلك قد يفوته والعياذ بالله. ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ١/١٣٤

٤) من خالف الحق أول مرة، التبس عليه الحق في كل مرة: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾. د. خالد المزيني

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢)﴾

١) إذا ورث العالم من النبي ﷺ رسالته؛ فلا بد أن يرث معها خصومها، وإلا ففي رسالته خلل، فليفتش عنه. عبد العزيز الطريفي

٢) "المطربة القديرة فلانة تحكي تجربتها..، مسرحية من بطولة الفنان..، الفلم العالمي.." عناوين براقة يطالعنا بها الإعلام، تفتشها فلا تجد شيئًا، فأي مقدار وأي بطولة؟ وصدق الله: ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾.

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦) ﴾

١) اجعلوا الدين هو المقياس، فإن رأيتم الناس يمشون في طريق الحرام فلا تمشوا معهم، ولا تحتجوا بالأكثرية؛ فإن أكثر الناس غالبًا على ضلال، والله يقول: ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾، ويقول: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف: ١٠٣). علي الطنطاوي، نور وهداية ٢٣٣ – ٢٣٤

٢) من أعظم أسباب انحراف بعض الدعاة عن الطريق المستقيم: جعل كثرة الأتباع مقياس النجاح والفشل؛ فأتباع الشيطان وحده أكثر من أتباع الأنبياء والمرسلين مجتمعين! تدبر: ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فمن اغتر بالكثرة، واعتبرها مقياسه؛ أصبح تابعًا ومطيعًا لها: شاء أم ابى. أ.د. ناصر العمر

﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢) ﴾

١) وصف الإمام أحمد العلماء بقوله: "يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهلى العمى"؛ لأنه بالحياة يخرج عن الموت وبالنور يخرج عن ظلمة الجهل، فيصير حيًا عالمًا ناطقًا. ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٨/٣١٠

٢) بعض المسلمين يعرفون القرآن للموتى، فهل يعرفونه للأحياء؟ وهل يعرفونه للحياة؟ إن القرآن للحياة والأحياء، إلا أن الأحياء أبقى وأولى من الأموات، والاهتداء بالقرآن في مسارب الحياة أحق من مقابر الأموات. د. سلمان العودة

٣) ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا ﴾ قيمة النور ومكانته لا يختلف عليه أحد، فكيف إذا انتشر وعم! ﴿ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ فما أحوج أمتنا لمشاعل النور، وقناديل الضياء! متدبر

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣)﴾

قف متدبرًا لهذه السنة الكونية، ثم انظر إلى العاقبة المطردة، التي نراها اليوم في هؤلاء المجرمين الكبار: ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾؛ ولكن سكرة الإجرام أعمتهم عن هذا المصير: ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾.. ثم تأمل في هذا العاجل والآجل: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (١٢٤)﴾

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ لله تعالى حكم بالغة أن اختار لهذه الرسالة رجلاً عربيًا، فهو بحكم الضرورة يتكلم بلسان العرب؛ فلزم أن يكون المتلقون منه الشريعة في البدء عربًا، فالعرب حملة شريعة الإسلام إلى سائر الناس، اختارهم الله لهذه الأمانة؛ فوجب عليهم القيام بها. ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية ٩٣

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) ﴾

١) احذر!

سأل عمر ﷺ أعرابيًا: ما الحرجة؟ قال: الحرجة فينا الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء! فقال عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير. جامع البيان للطبري ١٠٤/١٢

٢) غن الإيمان بالحياة الآخرة يشعر الإنسان بان الموت معبر إليها، فيعيش الحياة بذوق آخر، يملؤه العمل والأمل، ويا لبئس عمر يعيشه الإنسان وهو يشعر بأن الموت هو آخر المطاف! انظر إلى هذه الإشارة الإلهية في وصف نفسية الملاحدة المنكرين للبعث ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾. د. فريد الأنصاري، جمالية الدين ٦٦ (بتصرف)

٣) سمعت أحد طلاب العلم يقول: وقفت متدبرًا لقوله سبحانه: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ فإذا هممت بأمر فانظر إلى صدرك بعد الاستخارة الصادقة، والاخذ بالأسبابن متجردًا عن المؤثرات والقرارات المسبقة؛ فإن انشرح صدرك؛ فأقدم، وإن ضاق؛ فأحجم، وقد وجدت لذلك توفيقًا مطردًا. قلت: وبعض العلماء يرى الإقدام بعد الاستخارة دون نظر لحال الصدر.

أ.د. ناصر العمر

﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤٥) ﴾

١) ﴿ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾ الخنزير مرتع خصبٌ لأكثر من أربعمائة وخمسين مرضًا وربائيًا، وهو يقوم بمهمة الوسيط في نقل سبعة وخمسين منها إلى الإنسان وأصيبت أوروبا بسببه سنة (١٩١٨م) بوباء مشابه سمي: (الأنفلونزا الأسبانية) قتل قريبًا من مليون، وتأثرت بعض بلادنا، ومات كثير حتى سُمِّيت تلك السنة: سنة الرحمة (سنة ١٣٣٧هـ).

٢) لم يرد في القرآن تحريم لحم حيوان باسمه إلا الخنزير، مع أنه لم يكن كثيرًا بأرض العرب، اليس هذا غريبًا؟! إنَّ الغرابةَ تزول حين نعلم أن الخنزير اليوم من أكثر الأطعمة انتشارًا في الأرض.. إنها عالمية القرآن.

﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١٤٧)﴾

قال بعض العلماء: يؤخذ من تقديم الرحمة الواسعة على البأس الشديد أن جانب الرجاء أقوى من جانب الخوف.

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ١٨٣/٢

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨)﴾

﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾ فمن احتج بالقدر على ما فعله من ذنوبه، وأعرض عما أمر الله به، من التوبة والاستغفار، والاستعانة بالله، والاستعاذة به، واستهدائه؛ كان من أخسر الناس في الدنيا والآخرة. ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٦٥/١٤

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) ﴾

١) ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ أي: لا تقتلوهم من فقركم الحاصل؛ ولهذا قال بعدها: ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ فذكر الرزق لهم، بينما قال في سورة الإسراء: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ (٣١)، أي: خشية حصول فقر في المستقبل؛ ولذا قال بعدها: ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ فبدأ برزقهم للاهتمام بهم، أي: لا تخافوا من فقركم بسببهم، فرزقهم على الله.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣٦٢/٣

٢) ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ دلت الآية على أنه بحسب عقل العبد يكون قيامه بما أمر الله به.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٢٨٠

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾

١) سئل ابن مسعود ﷺ عن الصراط المستقيم، فقال: تركنا محمد ﷺ في أدناه وطرفه في الجنة، وعن يمينه جوادٌّ – جمع جادة –، وعن شماله جوادٌّ، وثمَّ رجال يدعون مَنْ مرَّ بهم، فمن أخذَ في تلك الجواد انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة، ثم قرأ ابن مسعود ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾.

تفسير عبد الرزاق ٧٣/٢

٢) ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾، يا لَلعجب من بيانِ القرآن وبيِّناته وإعجازِهِ بفنون إيجازه! القرآن يأمرك بالتدبُّر واستعمال الحواس الظاهرة والباطنة في وظائفها الفطرية قبل أن يأمرك بـ (الاتباع)؛ حتى تطمئن إلى أنك إنما تتبع فيما فيه حق وخير ورحمة.

البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي ٣٢٢/١

٣) إننا كادحون إلى الله كدحًا فملاقوه، لا خيار للبشرية في ذلك أبدًا! وإنما وصية الله جاءت ببيان الصراط المستقيم هدى للعالمين؛ حتى يكون الكدح سيرًا إلى رضا الله، لا إلى عذابه ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٤٧

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) ﴾

في إعلان النبيّ ﷺ بهذه المقالة، ما يلزمُ المؤمنين التأسِّي به حتى يلتزموا في جميع أعمالهم قَصْدَ وجه الله ﷻ.

الثعالبي، الجواهر الحسان ٢/٥٣٥

٢) إن في سلوك هذه الأمة تلازمًا وثيقًا بين العقائد والعبادات، وبين سلوك الإنسان وأخلاقه، في البيت والعمل والسوق والمدرسة: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

د. صالح بن حميد

٣) السفر.. المال.. الخلوة.. أحوال يتلّبها العبدُ غالبًا، ويتقلب معها في ألوان أخرى من العبودية، ولسان حاله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

د. عمر المقبل

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٥) ﴾

﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ومن لطائف القرآن في هذه الآية: الاقتصار في وصف: (سريع العقاب) على مؤكد واحد، وتعزيز وصف: (الغفور الرحيم) بمؤكدات ثلاثة وهي: إن، ولام الابتداء، والتوكيد اللفظي؛ لأن (الرحيم) يؤكد معنى (الغفور)؛ ليطمئن أهل العمل الصالح إلى مغفرة الله ورحمته، وبيستدعي أهل الإعراض والصدوف إلى الإقلاع عما هم فيه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٧/١٥٧

سورة الأعراف

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢)﴾

﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾، ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٣٢)، ﴿ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ (ص: ٧٥) اختلاف العبارات عند الحكاية؛ يدل على أن اللعين قد أدرج في معصية واحدة ثلاث معاص: مخالفة الأمر، ومفارقة الجماعة، والاستكبار مع تحقير آدم.

محمد صديق خان، فتح البيان ٣١٠/٤

﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) ﴾

هذه الآية أصل في ثبوت الحق لأهل المحلة، أن يخرجوا من محلتهم من يخشى من سيرته فشو الفساد بينهم. ابن عاشور، التحرير والتنوير ٣٤/٨

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧) ﴾

١) لما ذكر تعالى قصة آدم في سورة الأعراف وما لقيه من وسوسة الشيطان، أعقبها بثلاث نداءات صدرت بـ: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ ﴾ فلمخاطبتهم ببني آدم وقع عجيب بعد الفراغ من ذكر قصة آدم وما لقيه من وسوسة الشيطان؛ وذلك أن شأن الذرية أن تثأر لبائها وتعادي عدوهم، ونحترس من الوقوع في شَركه. ابن عاشور، التحرير والتنوير ٥٧/٨

٢) ﴿ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ﴾ أليس التكشف هو المادة الأولى في قانون إبليس؟! لقد كانت طالبات الابتدائي عندنا بدمشق يخرجن بالحجاب الكامل، وعلى وجوههن النقاب، وأذكر أن دمشق اضربت مرة، وأغلقت اسواقها كلها، وخرجت المظاهرات تمشي في جاداتها؛ لأن وكيلة مدرسة خرجت كاشفة وجهها.

علي الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي ٢٧٠/٨

٣) شياطين الإنس في كلِّ عصر إخوان شياطين الجن، فإن الله لما ذكر عداوة الشيطان في سورة الأعراف؛ قال بعدها: ﴿ يَا بَنِي آَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا﴾ وهؤلاء ينزعون لباس بني آدم في القنوات والرياضات، وينزعون الحجاب عن المسلمات في أماكن العمل والطرقات والمتنزهات.

متدبر

٤) من أعظم طرق الشيطان في إغواء بني آدم: كشف العورات، كما قال تعالى: ﴿﴾، وهكذا شياطين الإنس اليوم، في قنوات ماكرة وشبكات فاجرة؛ لأنه متى استمرأت الأسرة ذلك، انحلت أخلاقها وانحل بعد ذلك دينها. صالح المغامسي

﴿ يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)﴾

١) قال ابن القيم رحمه الله: الأدب هو الدين كله؛ ولهذا كانوا يستحبون أن يتجمل الرجل في صلاته للوقوف بين يدي ربه، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: أمر الله بقدر زائد على ستر العورة في الصلاة، وهو: أخذ الزينة، فقال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ فعلق الأمر بأخذ الزينة لا بستر العورة؛ إيذانًا بأن العبد ينبغي له: أن يلبس أزين ثيابه وأجملها في الصلاة. مدارج السالكين ٢/٣٨٤

٢) كان لهارون الرشيد طبيب نصراني حاذق، فقال مرة لأحد العلماء: ليس في كتابكم من علم الطب شيء! فقال ذاك العالم: قد جمع الله الطب في نصف آية من كتابنا. فقال: ما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾. الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/٣٥٣

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) ﴾

تأتي الطيبات في القرآن مرادًا بها المستلذات إذا اقترنت بالرزق كقوله: ﴿ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ (الأنفال: ٢٦)،، وتأتي الطيبات مرادًا بها الحلال إذا اقترنت بتحليل أو تحريم كقوله: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾.

د. محمد الخضيري

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾

الإنسان إذا أحس بالأمانة التي يتحملها، وبجسامة التوقيع عن رب العالمين؛ أحس بخطر الفتوى، ولم يلق الكلام على عواهنه، فإن الله تعالى يقول: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. د. محمد الحسن الددو

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) ﴾

قف وتأمل! إذا كان هذا في صدور الصالحين، والنزع يدل على التجذر، فكيف بما في صدور غيرهم؟ فاحم نفسك من قلبك قبل أن يرديك ما فيه من غل، فلن ينجو يوم العرض: ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء: ٨٩).

﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤)﴾

دخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال: اذكر يا أمير المؤمنين يوم الأذان! فقال: وما يوم الأذان؟ قال: اليوم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾، فبكى سليمان وأزال ظلامته. محاضرات الأدباء ٢٦٩/١

﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧)﴾

في التعبير بـ ﴿ صُرِفَتْ ﴾ إشارة إلى أنهم أجبروا على أن ينظروا إلى أهل النار؛ لأن الهول شديد، ومنظر النار فظيع جدًا، لا ينظر إليه أحد باختياره، بينما قال في حالهم مع أهل الجنة: ﴿ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾. الشنقيطي، العذب النمير ٢٨٩/٣ – ٢٩٣

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) ﴾

١) قال الحسن البصري رحمه الله: لقد أدركنا أقوامًا ما كان على الأرض عمل يقدرون على أن يكون سرًا فيكون جهرًا أبدًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء فلا يسمع لهم صوت، إن هو إلا الهمس بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢٤/٧

٢) في إخفاء الدعاء فوائد منها:

١- أنه أعظم إيمانًا؛ لأن صاحبه يعلم أن الله تعالى يسمع دعاءه الخفي.

٢- أنه أعظم في الادب؛ ولهذا لا تُسْأَلُ الملوك برفع الأصوات، ومن فعل ذلك مقتوه -ولله المثل الأعلى-.

٣- أنه ابلغ في التضرع والخشوع؛ فإن الخاشع الذليل إنما يسأل مسألة مسكين ذليل، قد انكسر قلبه، وذلت جوارحه، وخشع صوته، حتى إنه ليكاد تبلغ به ذلته ومسكنته إلى أن ينكسر لسانه فلا يطاوعه بالنطق.

٤- انه أبلغ في الإخلاص، وفي جمع القلب على الله؛ فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته.

٥- أنه دال على قرب صاحبه من الله، يسأله مسألة مناجاة للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد؛ ولهذا أثنى سبحانه على عبده زكريا بقوله: ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ (مريم: ٣) فلما استحضر قرب ربه، وأنه أقرب إليه من كل قريب، أخفى دعاءه ما أمكنه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥/١٥ - ١٧

٣) ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ المقصود من الدعاء: أن يشاهد العبد حاجته، وعجزه، وفقره لربه - ذي القدرة الباهرة، والرحمة الواسعة - وإذا حصل له ذلك؛ فلابد من صونه عن الرياء، وذلك بالاختفاء، وتوصلاً للإخلاص، والله أعلم.

القاسمي، محاسن التأويل ١٠٢/٥

٤) قواعد الدعاء والذكر في موطنين من سورة الأعراف، فبيتا الدعاء: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥)﴾ والآية بعدها ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾، وآية الذكر: ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥) ﴾. د. محمد الخضيري

٥) جاء ذكر الاعتداء بعد ﴿ وَخِيفَةً ﴾؛ لأنَّ من الاعتداء رفع الصوت به دون حاجة لذلك، إذ هو تجاوز للحد، والبشر إذا خاطبتهم بصوت مرتفع تأذوا، فكيف بالسميع سبحانه؟ وقد أنكر النبي ﷺ على من دعا رافعًا صوته، فقال: "**اربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا بصيرًا**"[(١)].

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)﴾

١) قال عطية لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم، علق البغوي قائلاً: فعلى هذا معنى قوله: ﴿ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ أي: بعد إصلاح الله إياها بالمطر والخصب. معالم التنزيل ٢٣٨/٣

٢) لما كان قوله تعالى: ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ مشتملاً على جميع مقامات الإيمان والإحسان، وهي: الحب والخوف والرجاء، عقبها بقوله: ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: إنما تنال من دعاء خوفًا وطمعًا، فهو المحسن، والرحمة قريب منه؛ لأن مدار الإحسان على هذه الأصول الثلاثة. ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٦/١٥

٣) ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ ذكر الله الطمع – الذي هو الرجاء – في آية الدعاء؛ لأن الدعاء مبني عليه، فإن الداعي ما لم يطمع في سؤاله ومطلوبه لم تتحرك نفسه لطلبه؛ إذ طلب ما لا طمع له فيه ممتنع. ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢١/١٥

٤) ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فقال: ﴿ قَرِيبٌ ﴾ ولم يقل قريبة؛ لأنه ضمن الرحمة معنى الثواب، أو لأنها مضافة إلى الله؛ فلهذا قال: ﴿ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢٧١/٢

---

(١) البخاري ح (٦٦١٠).

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩)﴾

﴿ فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ذكر آلائه ﷻ ونعمه على عبده سبب الفلاح والسعادة؛ لأن ذلك لا يزيده إلا محبة لله، وحمدًا وشكرًا وطاعة، وشهود تقصيره، بل تفريطه في القليل مما يجب لله عليه.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٢٢٩/١

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨)﴾

قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ وقال: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ (هود)، فحين ذكر الرجفة – وهي الزلزلة الشديدة – ذكر الدار مفردة ﴿ فِي دَارِهِمْ ﴾، ولما ذكر الصيحة جمع الدار ﴿ فِي دِيَارِهِمْ﴾؛ وذلك لأن الصيحة يبلغ صوتها مساحة أكبر مما تباغ الرجفة التي تختص بجزء من الأرض؛ فلذلك أفردها مع الرجفة وجمعها مع الصيحة.

د. فاضل السامرائي، التعبير القرآني ٤٧

﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩) ﴾

اكشف عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه عن رقدة الموتى، واعلم أن من قرأ القرآن ولم يستغن، وآثر الدنيا؛ لم يأمن أن يكون بآيات الله من المستهزئين، وقد وصف الله تعالى الكاذبين ببغضهم للناصحين إذ قال: ﴿ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾.

الغزالي، إحياء علوم الدين ١٨٣/٢

﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣)﴾

من رضي عمل قوم حشر معهم، كما حشرت امرأة لوط معهم، ولو تكن تعمل فاحشة اللواط؛ فإن ذلك لا يقع من المرأة! لكنها لما رضيت فعلهم؛ عمها العذاب معهم.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٤٤/١٥)

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥) ﴾

﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ أي: لا تنقصوهم حقوقهم، وإنما قال: ﴿ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ للتعميم؛ تنبيهًا على أنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير، والقليل والكثير.

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ٢٣٨/٢

﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧) ﴾

أبَعدَ هذه الآية المحكمة وأمثالها تصبح النسبة للطائفة المؤمنة مسبة وعارًا؟

إنه البعد عن هَدْي القرآن، والخضوع لمصطلحات الإعلام، فنقول لهؤلاء: ﴿ فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) ﴾

ليست بركة واحدة.. بل بركات من السماء والأرض سينالها الناس إن حققوا الشرط.

د. عمر المقبل

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) ﴾

كان هرم بن حيان يخرج في بعض الليالي وينادي بأعلى صوته: عجبت من الجنة كيف نام طالبها؟ وعجبت من النار كيف نام هاربها؟ ثم يقول: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾.

التخويف من النار ٢١

﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) ﴾

١) خوف مكر الله وسيلة إلى إحسان العمل وإقلال الزلل.

العز بن عبد السلام، شجرة المعرف والأحوال ٨٢

٢) في هذه الآية تخويف بليغ، فإن العبد لا ينبغي أن يكون آمنًا على ما معه من الإيمان، بل لا يزال خائفًا أن يُبتلى ببلية تسلب إيمانه، ولا يزال داعيًا بالثبات، وأن يسعى في كل سبب يخلصه من الشر عند وقوع الفتن؛ فإن العبد – ولو بلغت به الحال ما بلغت – فليس على يقين من السلامة. السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٢٩٨

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠)﴾

قال ابن الجوزي: "اعظم المعاقبة ألا يحس المعاقب بالعقوبة، وأشد من ذلك أن يقع في السرور بما هو عقوبة: كالفرح بالمال الحرام، والتمكن من الذنوب، ومن هذه حاله، لا يفوز بطاعة" وشاهد ما قاله ابن الجوزي في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.

د. سليمان الماجد

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢) ﴾

قال تعالى في بيان حال الإنسان: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ﴾ هذه حاله مع ربه فكيف مع الناس! ومن عرف الناس استراح. د. عبد المحسن المطيري

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) ﴾

١) ﴿ قَالَ أَلْقُوا ﴾، ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ﴾ (طه: ٦٦) الحكمة في طلب موسى أن يبدأ السحرة بسحرهم؛ لأن موسى أراد أن تكون البداءة منهم، ليرى الناس ما صنعوا، ثم يأتي بالحق بعده فيدمغ باطلهم. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢٨٦/٤

٢) تأمل: ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ تختلف أساليب الأعداء، والغاية واحدة؛ ﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِ ﴾، والمنهج المبطل لها جميعًا هو: الالتزام بالوحي (نصًا وروحًا)، كما التزم موسى به، وهنا سنرى الانتصار المدوي: ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) ﴾.

أ.د. ناصر العمر

٣) ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ الكلمة القرآنية إذا جاءت موظفةً في أيِّ سياق دعويٍّ أو نمطٍ إصلاحيٍّ، فلها ما لعصى موسى من التأثير؛ فعلى الداعية أن يلقي (عصاه) ليس إلا! د. فريد الأنصاري، الفجور السياسي ١٢٩

﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) ﴾

تأمل: لم يقل سجدوا، كأن شيئًا اضطرهم إلى الجود، كأنهم سجدوا بغير اختيار؛ لقوة ما رأوا من الآية العظيمة. ابن عثيمين، تفسير سورة ق ٨٤

﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٢) ﴾

لقوة انبهار السحرة بآية موسى العظيمة، وخرورهم الفوري؛ عبر بـ ﴿ وَأُلْقِيَ ﴾، ثم قالوا: ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، لينفوا أي توهم بأن سجودهم كان لموسى، كما كانت عادتهم لفرعون، ثم قالوا: ﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾؛ لبيان أن السجود لله الحق، وليس لمدعي الربوبية القائل: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ (النازعات: ٢٤). أ.د. ناصر العمر

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣)﴾

﴿ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾ نعوذ بالله من تجبر الطغاة؛ حتى الإيمان بالله لا يسمح له إلا بعد إذنه؟! د. عبد المحسن المطيري

﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١) ﴾

لو تدبرت التقابل البديع في هذه الآية لوقفت خاشعًا لله!

انظر كيف عبر في جانب الحسنة بالمجيء! في حين عبر في جانب السيئة بالغصابة! لأنها تحصل فجأة من غير رغبة ولا ترقب.

وفي التعبير عن السيئة بـ ﴿ تُصِبْهُمْ ﴾ دقة؛ فالإصابة وحدها توحي بالسوء، فكيف إذا عَدَّى الإصابة بالسيئة فهو ألم فوق الم! د. فاضل السامرائي، لمسات بيانية لسور القرآن الكريم ١١٢

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧)﴾

تأمَّل أول القصص في وصف بشاعة ما كان يعمله فرعون وملأه، ثم جاءت ولادة موسى وتربيته وبعثته، وبعد أكثر من أربعين سنة من العمل الدؤوب يأتي النصر العظيم: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾، فأين التخطيط والعمل الجاد لتحقيق النصر ولو بعد حين؟ أ.د. ناصر العمر

﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢) ﴾

﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ ﴾ فلا يدري انقضى أجل الميقات عند الثلاثين وكانت العشر تمامًا، أي: زيادة بعد انقضاء أجل الميقات، أو إنما كان انقضاءه عند تمام الأربعين، وأن الإتمام بعشرة هو زيادة في الأجل؟ فلما قال: ﴿ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ علمنا أن العشر دخلت في الأجل، فصارت جزءًا منه.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٣٨

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) ﴾

١) إن موسى عليه السلام **سأل أجلَّ الاشياء فقال:** ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾، **وسأل أقل الاشياء فقال:** ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤)﴾ **(القصص)؛ فنحن أيضًا نسأل الله أجل الأشياء وهي خيرات الآخرة، وأقلها وهي خيرات الدنيا فنقول:** ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١)﴾ **(البقرة).** الرازي، أسرار التنزيل ١٣٢

٢) ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾، **وكما في الصحيحين: "إذا قام أحدكم يصلي فإن الله قبل وجهه"[1].**

جبل في لحظة يندك.. وعين حتى اللحظة لم تبك!

إن خشوع صلاتك في استشعار معنى أن (الله) بينك وبين قبلتك. د. عصام العويد

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦) ﴾

١) إذا تكبر العبد عن الحق صرف الله قلبه، وإذا صرف الله قلبه فمن يملك رده؟ ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾. د. عبد الله السكاكر

٢) ما أسفه من ركب المفازة!

فإن رأى طريقًا مستقيمًا أعرض عنه وتركه، وإن رأى معتسفًا مرديًا أخذ فيه وسلكه، وفاعل نحو ذلك في دينه أسفه، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾. الزمخشري، الكشاف ١٥٩/٢

---

[1] أخرجه البخاري ح (٧٥٣)، ومسلم ح (٣٠٠٨).

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) ﴾

١) ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾ الغضب لله من ثمرات إجلال الله ومهابته، والغضب على المسيء بحضرته متضمن للإجلال، وزجر للمسيء عن انتهاك الحرمات، ولا خير في عبد لا يغضب لمولاه.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف ٦٨

٢) تدبر قول هارون لموسى عليه السلام ﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ ﴾ فلم يقل يا أخي أو يا موسى، بل ولا: يا ابن أبي؛ لأن المقام مقام استعطاف وطلب رحمة، فذكر الأم هنا أحرى بتذكيره برحمتها وعطفها.. وقد تحقق له ما أراده، فإذا موسى القوي الشديد يقول فورًا: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٥١) فهل نحسن استخدام الألفاظ في مواضعها؟

أ.د. ناصر العمر

٣) لما رجع موسى عليه السلام، ووجد قومه قد عبدوا العجل؛ غضب وأخذ برأس أخيه هارون ولحيته، وعاتبه عتابًا شديدًا، فكان مما قاله هارون لموسى: ﴿ فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ ﴾، وهو درس عظيم لأتباع الأنبياء في علاج مشاكلهم مهما كانت كبيرة، بعيدًا عن أي أسلوب يجلب شماتة الأعداء والحاسدين.

د. عمر المقبل

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١)﴾

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي ﴾ قال كعب: رب قائم مشكور له، ونائم مغفور له، وذلك أنَّ الرجلين يتحابان في الله، فقام أحدهما يصلي، فرضي الله صلاته ودعاءه، فلم يرد من دعائه شيئًا، فذكر أخاه في دعائه من الليل، فقال: رب! أخي فلان اغفر له؛ فغفر الله له وهو نائم.

حلية الأولياء ٣١/٦

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤) ﴾

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾ عدل سبحانه عن قوله (سكن) إلى قوله ﴿سَكَتَ﴾؛ تنزيلاً للغضب منزلة السلطان الآمر الناهي الذي يقول لصاحبه: افعل ولا تفعل، فهو مستجيب لداعي الغضب الناطق فيه المتكلم على لسانه.

ابن القيم، إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان ٣٤

﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآَيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦)﴾

١) لا قنوط!

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ قال ابن عباس ﷺ: يقول الله ﷻ: أنا أهل أن اتقى، فإن عُصيت فأنا أهل أن اغفر. شرح السنة للبغوي ٣٧٥/١٤

٢) ذُكِرَ عند سماك بن الفضل رحمه الله أيُّ شيء أعظم؟ فذكروا السموات والأرض – وهو ساكت – فقالوا: ما تقول يا أبا الفضل؟ فقال: "ما من شيء أعظم من رجمته! قال الله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾".. اللَّهُمَّ اشملنا برحمتك الواسعة.

الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٥٧١/٣

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آَمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) ﴾

١) ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ رأيت أحد المدخنين عندما أراد الدخول للمسجد وضع علبة الدخان داخل حذائه، فماذا يعني هذا؟

الخبيث ترفضه الفطر السليمة. متدبر

٢) ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ تقول عائشة: كان الحبشة يلعبون بحراب لهم، فكنت أنظر من بين أذني رسول الله وعاتقه، وقال يومئذ: "**لتعلم يهود أن في ديننا فسحة؛ إني أرسلت بحنيفيَّة سمحة**"[(١)].

٣) تدبر القرآن واتباعه هما فرق ما بين أوَّل الأمة وآخرها وإنه لفرق هائل؛ فعدم التدبر أفقدنا العلم، وعدم الاتباع أفقدنا العمل، وإننا لا ننتعش من هذه الكبوة إلا بالرجوع إلى فهم القرآن واتباعه، ولا نفلح حتى نؤمن ونعمل الصالحات ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.

البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ٣٢٧/١

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤)﴾

مراعاة المحتسب لعِلَّةِ ﴿ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ ﴾، دون عِلَّةِ ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾؛ تجعله يراعي جانبَ المضمون دون الوسيلة.. اجعلهما نصب عينيك، وافرح بهداية الناس.

مهند المعتبي

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) ﴾

قال عكرمة: جئت ابن عباس ﷺ يومًا وهو يبكي والمصحف في حجره، فقلت: ما يبكيك؟ قال: هؤلاء الورقات، وإذا سورة الأعراف، فذكر قصة اليهود لما عدوا يوم السبت على الحيتان، قال: قعدت طائفة بأنفسها، واعتزلت طائفة ذات اليمين وأنكرت، واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت.. ثم قرأ ابن عباس: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ ﴾.. قال: فأرى الذين نهوا قد نجوا، ولا أرى الآخرين ذكروا ونحن نرى أشياء ننكرها، ولا نقول فيها.

الدر المنثور ٥٨٩/٣

(١) أحمد ح (٢٤٨٥٥)، ومسند الحميدي (١٢٣/١).

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦٩) ﴾

تأمل أخي وصف من حذرنا الله من التشبه بهم في قوله: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى ﴾؛ أي: عرض الحياة الدنيا ﴿ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ﴾، ثم تأمل ختم الآية بقوله: ﴿ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾، فهل نعقل ما حذرنا الله منه وما أوصانا به؟ د. محمد الربيعة

﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠) ﴾

١) أعظم ما ينبغي أن يتحلَّى به المصلحون – وهو سرُّ تأثيرهم وعظم أجرهم–: إصلاحهم لأنفسهم أولاً ولغيرهم ثانيًا: بالقرآن والصلاة.. تدبر: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾، ﴿ يُمَسِّكُونَ ﴾ قرئت بالتخفيف؛ أي: هم أنفسهم يمسكون، وبالتشديد أي: يمسكون غيرهم. د. محمد الربيعة

٢) التمسك بكتاب الله في جد وقوة، مع إقامة شعائر العبادة، هما طرفا المنهج الرباني لصلاح الحياة، تأمل: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ وخصت الصلاة بالذكر هنا دون سائر العبادات لفضلها وكونها ميزان الإيمان، وإقامتها داعية لإقامة غيرها من العبادات كما قاله المفسرون. عبد اللطيف التويجري

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) ﴾

١) قد كره الإسلام أن يطلب المرء العلم حتى إذا نبغ فيه؛ استكبر به على الناس، واتخذه وسيلة للشغب والمراء ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾. الغزالي، خلق المسلم ٦٦

٢) ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾ مجردِ العلم لا يرفع صاحبه؛ فإنَّ هذا الرجل قد أخبر الله سبحانه أنه آتاه آياته ولم يرفعه بها، فالرفعة بالعلم قدرٌ زائد على مجرد العلم!

ابن القيم، روضة المحبين ٢٨٩

٣) ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ بحسب ما يُخلِدُ العبد إلى الأرض؛ يهبط من السماء. ابن القيم، روضة المحبين ٢٨٩

٤) يقول تعالى عن عالم السوء الذي ترك الهدى بسبب الهوى: ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ قال ابن جريج: "الكلب منقطع الفؤاد لا فؤاد له، إن تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث، فهو مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له إنما فؤاده ينقطع". علق ابن القيم على كلام ابن جريج السابق: قلت: مراده بانقطاع فؤاده أنه ليس له فؤاد يحمله على الصبر وترك اللهث، وهكذا الذي انسلخ من آيات الله لم يبق معه فؤاد يحمله على الصبر عن الدنيا، وترك اللهث عليها... فالكلب من أشد الحيوانات لهثًا، يلهث قائمًا وقاعدًا وماشيًا وواقفًا؛ لشدَّة حرصه. إعلام الموقعين ١/١٩٥

٥) ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ من لم يزجره علمه عن القبيح، صار القبيح عادةً له، ولم يؤثر فيه علمه شيئًا؛ فيصير حاله كحال الكلب اللاهث، فإنه إن طُرِدَ لهثَ، وإن تُرك لهث، وهذا أخسُّ أحوال الكلب، فكذلك من يرتكب القبائح مع جهله ومع علمه، فلا يؤثر علمه شيئًا. ابن رجب، تفسير ابن رجب ١/٨٨

٦) ضرب الله مثلين منفرين، فقال تعالى: ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾، وقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ (الجمعة: ٥)، فالمثل الأول ضربه للعالم الضال المنسلخ عن العلم النافع، دائم اللهاث وراء شهواته، وأما المثل الثاني فضربه الله للذين يحملون التوراة في عقولهم، لكنهم لم يستفيدوا منها ولم ينتفعوا بها في حياتهم، فماذا يفرقون عن الحمال حامل الأسفار؟

د. صلاح الخالدين لطائف قرآنية ١٦٥ – ١٦٧ (بتصرف)

٧) إن القصص القرآني لم يكن في لحظة من اللحظات سبيلاً للتسلية، ولا حديثًا مفترى، ولا منهجًا للتَّفكه، ولا فتونًا للاختلاف، وإنما جاء سردًا لتاريخ أمم مجتمعات وأجيال يعرض وقائع حية، وحقائق موصلة إلى غايات عظمى، ومرام سامية، يتم إدراكها بالتفكر العميق، والتدبر الواعي، والتأمل الناضج، والعظة المعتبرة، قال تعالى: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾. أحمد ولد محمد ذو النورين، هدى للناس ١٢٩، ١٣٠

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩) ﴾

١) ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ المتبادر للذهن أن يقول: لهم قلوب لا تفقه وإنما قال: ﴿لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ ولم يقل: لا تفقه؛ لبيان أنهم هم المؤاخذون بعدم توجيه إرادتهم لفقه الأمور، والتفتيش عن الحقائق.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٣٥٦/٩

٢) كل إنسان يملك قلبًا، ولكنه قد لا يملك عقلاً، وهذا يفسر تصرفات كثير من البشر، وبالأخص عدم الاستجابة للناصحين، تدبر: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ فلا يعقلون؛ لذا فهم لا يرجون ثوابًا ولا يخافون عقابًا! أ.د. ناصر العمر

٣) تأمل هذه القاعدة جيدًا: كثيرًا ما ينفي الله الشيء لانتفاء فائدته وثمرته، وإن كانت صورته موجودة، ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾ فلما لم ينتفعوا بقلوبهم بفقه معاني كلام الله، وأعينهم بتأمل ملكوت الله؛ لم تتحقق الثمرة منها.

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) ﴾

فإن كل اسم له في القلب الخاضع لله، المؤمن به؛ أثر وحال، لا يحصل العبد في هذه الدار ولا في دار القرار أجلَّ وأعظم منها، فنسأله تعالى أن يمن علينا بمعرفته ومحبته والإنابة إليه.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام ١٩

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) ﴾

١) لا تأسَ على ما فاتك: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ قال أبو حازم رحمه الله: "نعمة الله فيما منعني من الدنيا أعظم من نعمته فيما أعطاني منها؛ إني رأيته أعطى أقوامًا فهلكوا". عدة الصابرين ٢٥٤

٢) قال سفيان الثوري: نسبغ عليهم النعم، ونمنعهم الشكر. الشكر لابن أبي الدنيا ٤١

٣) تأمل: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ حيث يغتر الظالمون بإمهال الله لهم، فيتدرجون في طغيانهم، ويستمرئون ذلك؛ حتى يوقنوا أن سياستهم عين العدل، فإذا امنوا العقوبة أخذهم الله ﴿ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾. أ.د. ناصر العمر

﴿ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦)﴾

الجملة الأولى تفيد أن من عاقبه الله بالإضلال فلن ينفعه أحد، والجملة الثانية تفيد أنه إنما أضله لطغيانه وعماه. محمد الغزالي، المحاور الخمسة ٣٧

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) ﴾

إن وضع الزوج لرأسه تارة على صدر زوجته وأخرى في حجرها؛ ليجد في دفئها ما يمتص هموم الحياة كما كان يفعل ﷺ هو جزء من الفهم العميق منهما لقوله تعالى: ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾.

﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦) ﴾

من أصلح ما بينه وبين الله، حفظه الله فيك

- حياته: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾.

- وفي منامه: تأمل حفظ الله لأصحاب الكهف، وكيف أصاب الكلب بركة حفظهم.

- وبعد مماته: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾. فاللَّهُمَّ أصلحنا وأصلح بنا ولنا. د. عمر المقبل

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) ﴾

١) قدم عيينة بن حصن على عمر فقال: إنك لا تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل، فغضب عمر غضبًا حتى كاد أن يهم به، ولكن ابن أخي عيينه قال: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، وإن هذا من الجاهلين. فوقف عندها عمر ولم يتجاوزها؛ لأنه كان وقَّافًا عند كتاب الله، فانظر إلى أدب الصحابة ﷺ عند كتاب الله، لا يتجاوزونه؛ إذا قيل لهم هذا قول الله وقفوا، مهما كان.

ابن عثيمين، تفسيره (٢٧٦/١، ٢٧٧)

٢) الآمر بالمعروف لن يعدم من يكابره على الحقِّ ويجادله، فليعرض عنه، مر سالم بن عبد الله بن عمر – وهو من كبار الفقهاء – على قافلة فيها جرس، فقال: إن هذا يُنهى عنه، فقالوا: نحن أعلم منك إنما يكره الجلجل الكبير، وأما هذا فلا باس به، فبكى سالم، وقال: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾. الدر المنثور ٦٢٩/٣

﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) ﴾

قال تعالى في سورة (الأعراف): ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾؛ بينما قال في (فصلت): ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وفي حكمة التفريق بينهما قال ابن جماعة: لأن آية الأعراف نزلت قبل آية فصلت؛ فحسن التعريف؛ أي: ﴿ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ الذي تقدم ذكره أولاً عند نزوغ الشيطان. الإتقان في علوم القرآن ٣٩٥/٣

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١)﴾

١) حق على العبد أن يقف عند كل هم يخطر له؛ ليعلم أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان، وأن يمعن النظر فيه بعين البصيرة، لا بهوى من الطبع، ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا ﴾ أي: رجعوا إلى نور العلم ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ أي: ينكشف لهم الإشكال. الغزالي، إحياء علوم الدين ٣٠/٣

٢) حين أقع في الذنب وأندم عليه؛ فلا داعي بعدُ لأن أنزع الثقة من نفسي، وأيأس من تفوقي ونبوغي؛ تدبر: ﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ فلا يأس وإن أذنبت؛ فغاية الشيطان أن تيأس فتكسل وتخمل. متدبر

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)﴾

١) قال الليث: يقال: ما الرحمة إلى أحد باسرع منها إلى مستمع القرآن؛ لقول الله جل ذكره: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾، و(لَعَلَّ) من الله ﷻ واجبة. لمحات الأنوار للغافقي ١/١٣٥

٢) من قرئ عليه القرآن، فليقدر نفسه كأنما يسمعه من الله يخاطبه به؛ فإذا حصل له ذلك السماع، ازدحمت معاني المسموع ولطائفه وعجائبه على قلبه.

ابن القيم، مدارج السالكين ١/٤٩٩

٣) فمن استمع للقرآن وأنصت، فإنما يستمطر رحمة الله، فلا تستطل – أيها المؤمن – في هذه الليالي طول الصلاة، بل أرع سمعك لخطاب ربك، فإنما تستكثر من رحمته[1].

د. عبد المحسن المطيري

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥)﴾

١) تأمل كيف قال تعالى في آية الذكر: ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا ﴾ وفي آية الدعاء: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا ﴾ (الأعراف: ٥٥) فذكر التضرع فيهما معًا، وهو التذلل والتمسكن والانكسار، وهو روح الذكر والدعاء.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥/١٩ ، ٢٠

٢) من حافظ على أذكار الصباح والمساء، لم يكن من الغافلين. د. محمد الربيعة

[1] أرسلت في العشر الأواخر من رمضان ١٤٣٠هـ.

سورة الأنفال

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١)﴾

١) لما حضرت الإمام نافعًا المدني – وهو أحد القراء السبعة – الوفاة، قال له أبناءه: أوصنا! قال: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾.

معرفة القراء الكبار ١١١/١

ما أجمل أن تتضمن وصايانا لأهلنا وأولادنا وصايا قرآنية؛ فهي اعلى وأغلى أنواع الوصايا وأعظمها أثرًا.

٢) تأمل كيف قدم ربنا إصلاح ذات البين على طاعته وطاعة رسوله في قوله تعالى: ﴿﴾! فكم هو مؤسف أن يمر العيد على أناس يقرؤون هذه الآية، وهم مصرون على القطيعة؟ أليس العيد فرصة لتحقيق هذا النداء الرباني؟ ونيل هذه الفضيلة التي صح الحديث بأنها خير من درجة الصائم المصلي المتصدق؟[١] د. محمد الربيعة

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢)﴾

١) تدبر عملي: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ قال السدي رحمه الله: "هو الرجل يعم بالمعصية فيذكر الله؛ فينزع عنها"! التبصرة لابن الجوزي ٣٩٨

٢) ليست العبرة كم ختمت القرآن من مرة؟

وإنما الغنيمة والظفر بمقدار أي تغير إيجابي تجده في نفسك من أثر تلاوته وتدبره؟

قف مع نفسك بصدق، واعرضها على هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾.

أ.د. ناصر العمر

[١] أرسلت يوم عيد الفطر ١٤٣٠هـ.

٣) إذا ذاق العبد حلاوة الإيمان ووجد طعمه وحلاوته؛ ظهر ثمرة على لسانه وجوارحه؛ فاستحلى اللسان ذكر الله وما والاه، وأسرعت الجوارح إلى طاعة الله، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

ابن رجب، لطائف المعارف ٢٥٢

٤) ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ وهذا أمرٌ يجدُه المؤمن إذا تُليت عليه الآيات زاد في قلبه الإيمان: بفهم القرآن، ومعرفة معانيه من علم الإيمان ما لم يكن؛ حتى كأنه لم يسمع الآية إلا حينئذٍ ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرهبة من الشرِّ ما لم يكن.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٢٨/٧

والسؤال: كم هي المرات التي نسمع فيها آيات الله، ولا تحصل لنا هذه الثمراتظ

٥) شأن أهل الإيمان مع القرآن: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾؛ لأنهم يلقون السمع، ويحضرون قلوبهم لتدبره، فعند ذلك يزيد إيمانهم؛ لن التدبر من أعمال القلوب؛ ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، أو وجلاً من العقوبات، وازدجارًا عن المعاصي.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣١٥

٦) ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ هل نحن من الذين يسمعون آيات الله فيزدادون إيمانًا، أم أننا – أو أن أكثرنا – يسمع آيات القرآن للطرب وللعجب، فإذا سمعها لم تجاوز أذنيه ولم تصل إلىق لبه وعقله؟

علي الطنطاوي، نور وهداية ٢١٤

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٦) ﴾

١) غزوة بدر تربي في العبد عبودية التسليم والانقياد للأمر الشرعي والكوني وإن وقع على خلاف المراد، ألم يقل الله: ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾؟ ولكنهم لا يدركون أن القدر يسوقهم إلى أعز نصر ستدركه الدعوة الإسلامية في حياة الرسول ﷺ.

محمد الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ١٠٦/١

٢) إذا ظهر الحق واستبان، فلا يصح أن يجادل فيه أهل العقل والإيمان: ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ ﴾.

د. محمد القحطاني

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠)﴾

١) الدعاء الصادق من قلب مخبتٍ سلاح نافذ بإذن الله: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ قال ابن تيمية رحمه الله: "القلوب الصادقة والادعية الصالحة هي العسكر الذي لا يغلب".

مجموع الفتاوى ٢٨/٦٤٤

٢) في غزوة بدر تعانق السلاح المادي مع التكوين الإيماني: فالنبي ﷺ هيأ الجيش، ونظم الجند، واختار المواقع، ورفع المعنويات، ثم توجه إلى ربه في ضراعة وإلحاح، يستنزل النصر، ويناشد المدد؛ فتحقق المراد.

د. صالح بن حميد

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١) ﴾

النوم منة عظيمة من الله على عباده، ومن المعروف علميًا أنه إذا كان مكان النوم أكثر هدوءًا، اصبح أعظم أثرًا؛ فوقفت متدبرًا لقوله تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ (الكهف: ١١) ولم يقل: (قلوبهم) أو (أعينهم)، حيث أثبت لي كثيرون: أن سد الأذنين يعطي نومًا اسرع وأعمق دون تقطع.

أ.د. ناصر العمر

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ﴾

سئل السبكي عن الحكمة في قتال الملائكة في بدر، مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريئة من جناحه؟ فقال: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي ﷺ وأصحابه، وتكون الملائكة مددًاعلى عادة مدد الجيوش؛ رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجراها الله تعالى في عباده.
فتح الباري لابن حجر ٣١٣/٧

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧)﴾

إن القلة الشجاعة في غزوة بدر كشفت أن الكثرة المشركة سراب، ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ فاستدرج الله جبابرة مكة إلى مصارعهم، ما أغنى عنهم عدد ولا عدة، وأما القلة التي استغاثت بالله، واستنزلت نصره فقد فازت فوزًا عظيمًا.

محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي ١٣٠

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١)﴾

من الناس من يسمع الآيات ويقول: هذه الآية نزلت في الكافرين أو المنافقين، لا في أمثالي من المؤمنين، وإن كان مُتَّصِفًا بما تنهى عنه، وتتوعد عليه من صفاتهم وأعمالهم؛ فصاحبُها يصدق عليه بوجهٍ مَّا أنه من الذين ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٥٢٤/٩

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣) ﴾

توكل عليه وحده، وعامله وحده، وآثر رضاه وحده، واجعل حبه ومرضاته هو كعبة قلبك التي لا تزال طائفًا بها، مستلمًا لركانها واقفًا بملتزمها، فيا فوزك ويا سعادتك إن اطلع سبحانه على ذلك من قلبك! ماذا يفيض عليك من ملابس نعمه، وخلع أفضاله: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾.
ابن القيم، طريق الهجرتين ٤٨

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) ﴾

١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ورسوله، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له؛ فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله والرسول ظاهرًا وباطنًا؛ فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان. ابن القيم، الفوائد ٨٨

٢) (٧٩ تسع وسبعون آية) تتحدَّث عن "استماع" الوحي كيف يجب أن يكون؟ جاء فيها السماع على أنواع ثلاثة:

أ- سماع صوت وهو للأذن.

ب- وسماع فهم وهو للذهن.

ج- وسماع استجابة وهو للقلب والجوارح، فالأولان وسيلة والأخير هو المنجي فقط، ولم أرها مجموعة إلا في الأنفال (١٩ - ٢٣)، فلا تحرم طقلبك" سماع القرآن. د. عصام العويد

٣) الله وحده يعصمك من الخطايا:

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ سمع عمر بن الخطاب ﷺ رجلاً يقول: "اللَّهُمَّ إنك تحول بين المرء وقلبه، فحُلْ بيني وبين معاصيك"، فأُعْجِبَ عمر ﷺ ودعا له.

تفسير ابن رجب الحنبلي ٤٨٧/١

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥)﴾

أي: هذه الفتنة لا تصيب الظالم فقط؛ بل تصيب الظالم والساكت عن نهيه عن الظلم.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥٨/١٤

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨) ﴾

أكثر ما يدفع الإنسان لخيانة الله ورسوله والأمانة التي حملها: ماله وولده. متدبر

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)﴾

١) قال مالك لتلميذه الشافعي رحمه الله أول ما لقيه: "إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورًا فلا تطفئه بظلمة المعصية"، وهذا المعنى الذي نبَّه عليه الإمام مالك مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾، يقول ابن القيم رحمه الله: "ومن الفرقان: النور الذي يفرِّق به العبد بين الحقِّ والباطل، وكلما كان قلبُه أقربَ إلى الله كان فرقانُه أتمَّ، وبالله التوفيق". إعلام الموقعين ٢٥٨/٤

٢) ﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ من أعظم أنواع الفرقان الذي يؤتاه المتقي لربه: البصيرة زمن الفتن.

قال الحسن البصري رحمه الله: "إذا أقبلت الفتنة عرفها كل عالم، وإذا أدبرت عرفها الناس كلهم"[١]، وقد وصف أيوب السختياني الحسن البصري بقوله: "كان يبصر من الفتنة إذا أقبلت ما نبصر منها إذا أدبرت"[٢]، قال ابن تيمية رحمه الله: "إن الفتن إنما يعرف الناس ما فيها من الشر إذا أدبرت"[٣]. متدبر

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) ﴾

١) استدل العلماء بهذه الآية على أنه لو دخلت محبة الرسول ومحبة سنته في قلب عبد فإن الله لا يعذب هذا القلب، لا في الدنيا ولا في الآخرة. ابن القيم، إعلام الموقعين ١٧٣/١ (بتصرف)

إذا كان مجرد وجود حب الرسول في القلب مانعًا من تعذيبه، فما بالك بوجود محبة الله سبحانه في ذلك القلب!

---

[١] الحلية (١٦٥/٧).
[٢] المجالسة وجواهر العلم (٨٦/٦).
[٣] منهاج السنة (٤٠٩/٤).

٢) من سره أن يكون أقوى الناس، فليتوكل على الله، وبالاستغفار يغفر له ويدفع عنه عذابه: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥٥/١)

٣) إذا قرنت بين قول ربنا في الحديث القدسي: "**يا عبادي تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم**"[١]، وبين قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ وأنه أتى بالفعل المضارع ﴿ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ الدال على الاستمرار؛ عرفت أننا بحاجة للاستغفار كل وقت وحين، وأن حملات الاستغفار التي يروج لها بعضهم إنما هي مجانفة لهدي الوحيين، وفتحٌ لباب – قد لا يغلق – من أبواب البدع في باب الأذكار.

د. عمر المقبل

٤) صيغة الاسم تفيد الثبات والدوام وصيغة الفعل تفيد التجدد والاستمرار، ومن لطائف هذا التعبير قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) ﴾، فجاء الفعل ﴿ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾؛ لأن بقاء الرسول بينهم مانع مؤقت من العذاب وجاء بعده بالاسم ﴿ مُعَذِّبَهُمْ ﴾؛ لأن الاستغفار مانع ثابت من العذاب في كل زمان.

د. فاضل السامرائي، التعبير القرآني ٢٦

٥) منذ شهر تقريبًا وربُّنا يستعتبنا بهذه الزلازل التي تزداد شيئًا فشيئًا؛ ولم نؤخذ على حين غرَّة؛ لعلنا نتوب ونستغفر: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾، هذا وقت تضرُّع والتجاء؛ فإن الله يقول: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾، ولنحذر من تتمَّتها: ﴿ وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام: ٤٢ – ٤٣)[٢].

د. محمد العواجي

---

[١] أخرجه مسلم ح (٢٥٧٧).

[٢] أرسلت إبان حدوث زلازل وهزات أرضية في بعض مناطق المملكة.

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (٣٨)﴾

١) ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ هذه لطيفة؛ وذلك أن الكفار يقتحمون الكفر والجرائم، والمعاصي والمآثم، فلو كان يوجب مؤاخذتهم لما استدركوا أبدًا توبة ولا نالتهم مغفرة؛ فيسر الله عليهم قبول التوبة عند الإنابة، وبذل المغفرة بالإسلام، وهدم جميع ما تقدم؛ ليكون ذلك أقرب إلى دخولهم في الدين، وأدعى إلى قبولهم كلمة الإسلام.

ابن العربي، أحكام القرآن ١١٦/٤

٢) اشترط الله لتوبة الكافر شرطًا واحدًا ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾، واشترط لتوبة المنافق أربعة شروط ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النساء: ١٤٦) مما يدل على أن النفاق خطره أعظم، والتوبة منه أشق!

د. عبد الرحمن الشهري

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾

وهذا من بديع صنع الله تعالى؛ إذ جعل للشيء الواحد أثرين مختلفين، فكان تخيل المسلمين قلة المشركين مقوِّيًا لقلوبهم، ومزيلًا للرُّعب عنهم، فعظم بذلك بأسهم عند اللقاء، وكان تخيل المشركين قلة المسلمين غارًّا إياهم سينالون التغلب عليهم بأدنى قتال، ففجأهم بأس المسلمين.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٣٨/٦

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)﴾

إن الشقاق يضعف الأمم القوية، ويميت الأمم الضعيفة ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٦٧

﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٥١)﴾

١) كُدْورَة المعاصي والخبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات يمنع صفاء القلب وجلاءه، فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾. الغزالي، إحياء علوم الدين ١٣/٣ (بتصرف)

٢) السنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعة؛ فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية؛ فثمرته حنظل، وإنما يكون الجداد يوم المعاد، فعند الجداد يتبين حلو الثمار من مرها، ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾. ابن القيم، الفوائد ١٦٤

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٣)﴾

دليل على أن الله ﷻ قد يسلب النعم بفعل المعصية عقوبة لفاعليها، فهو سبحانه لا يغير ما بهم حتى يحدثوا أحداثًا يعاقبهم الله عليها، فيغير ما بهم، ويكون الإحداث سببًا للتغيير.

القصَّاب، نكت القرآن ٤٧٣/١

﴿ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦) ﴾

قال الله عن اليهود: ﴿ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ إنما قال: ﴿ يَنْقُضُونَ ﴾ بفعل الاستقبال مع أنهم كانول قد نقضوه قبل نزول الآية؛ لإفادة استمرارهم على ذلك، وأنه لم يكن هفوة رجعوا عنها، وندموا عليها، بل إنهم ينقضونه في كل مرة وإن تكرر، وهو يصدق على عهود طوائف اليهود الذي كانوا حول المدينة في جملتهم. محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٤٣/١٠

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠)﴾

١) أمر الله ﷻ بإعداد القوة للأعداء؛ فإن الله تعالى لو شاء لهزمهم بالكلام، وحفنة من تراب، كما فعل ﷺ، ولكنه أراد أن يبلي بعض الناس ببعض، فأمر بغعداد القوى والىلة في فنون الحرب التي تكون لنا عدة، وعليهم قوة، ووعد على الصبر والتقوى بإمداد الملائكة العليا. ابن العربي، أحكام القرآن ١٥٥/٤

٢) تدبر هذه الآية: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ حيث عطف ﴿ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ والعطف يقتضي المغايرة، ونكّر ﴿قُوَّةٍ﴾؛ ليدل على أنها شاملة لجميع أنواع القوة غير الخيل، وأعظمهاك قوة الإيمان.

وأحداث غزة أثبتت ما أحدثته صواريخ القسام من رعب في العدو، مع تواضعها بالنسبة لما لدى اليهود من سلاح، مما يشعر أثر الإيمان في فاعلية السلاح، مهما كان تواضعه مقارنة بما لدى الخصم[١].

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)﴾

قال ابن عباس ﷺ: إن النعمة تُكفر، والرحم تُقطع، وإن الله تعالى يؤلف بين القلوب، وإذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء ابدًا، ثم تلا هذه الآية: ﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾.

الزهد لابن المبارك ١٢٣

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٥) ﴾

﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ لم أشعر بحقيقةِ معنى هذه الآية كما شعرت بها وأنا في خندقي، أنتظر بشغف ملاقاة وحدات العدوّ، وإني أقسم بالذي رفع السماء بلا عمد، لو علموا كيف تُحلِّق أرواحنا لقتالهم؛ لغاصت أقدامهم ارتعادًا وخوفًا من بأسنا.

أحد المدافعين عن غزة(٢)

---

[١] أرسلت إبان حرب اليهود على غزة مطلع سنة ١٤٣٤هـ.

[٢] في حرب اليهود على غزة مطلع سنة ١٤٣٤هـ.

﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٩) ﴾

١) ثبت في الشريعة العفو عن الخطأ في الاجتهاد، حسبما بسطه العلماء وأهل الاصول، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

الشاطبي، الموافقات ١٦٣/١

فعلى الأب والمربي أن يراعي ذلك في معاملته لمن دون، فلا يعاقبهم أو يستهزئ بهم على اجتهادهم السائغ.

٢) القرآن يعالج الأخطاء ويعاتب المخطئين لا لذات العقاب أو التشفي، كلا! وإنما لأجل ألا يتكرر الخطأ، وليتوب المخطئ؛ ولذا تجد السعة والرحمة بعد التهديد والوعيد.

أ.د. ناصر العمر

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٠) ﴾

١) ﴿ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ فإذا اقبلت على الله تعالى بصدق نية، ورغبة لفهم كتابه باجتماع همّ، متوكلاً عليه أنه هو الذي يفتح لك الفهم، لا على نفسك فيما تطلب، ولا بما لزم قلبك من الذكر؛ لم يخيبك من الفهم والعقل عنه إن شاء الله.

المحاسبي، فهم القرآن ٣٢٤

٢) ما أعظم الصدق مع الله، تأمل: ﴿ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾، ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (الفتح: ١٨)، ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ (محمد: ٢١).

د. محمد الربيعة

سورة التوبة

﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣) ﴾

١) إضافة الأذان إلى الله ورسوله دون المسلمين؛ لأنه تشريعٌ وحُكْمٌ في مصالح الأمة، فلا يكون إلا من الله على لسان رسولهﷺ.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٠٨/١٠

٢) جاءت هذه الصيحة بعد (٢٢ سنة) من بدء الوحي، ختمت صراعًا داميًا طويلاً بين دعوة التوحيد، وبين الجاهلية التي أبت إلا سفك الدم، ومصادرة الحرية ووأد الحق؛ فكان جزاءها أن طبق عليها القانون الأزلي: ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ (الرعد: ١٧).

محمد الغزالي، خطب الشيخ محمد الغزالي ١٦٠/٥

﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣) ﴾

إنما قال: ﴿ بَدَءُوكُمْ ﴾؛ تنبيهًا على أن البادئ أظلم. الرازي، مفاتيح الغيب ٥٣٥/١٥

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤) ﴾

هذه الآية أشد آية نَعَتْ على الناس ما لا يكاد يتخلص منه إلا من تداركه الله سبحانه بلطفه.

الألوسي، روح المعاني ١٩٢/٧

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦)﴾

إنما قال: ﴿ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ولم يقل وعليكم؛ لأن الخطاب للجماعة وفيهم بقية من المنافقين وضعفاء الإيمان.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٢٢١/١٠

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢)﴾

إذا رأيت تكالب الأعداء على أنَّة الإسلام، فتذكر قول ربِّك: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ "فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس أو نور القمر بنفخة، وهذا لا سبيل إليه، فكذلك ما أرسل به الرسول ﷺ لا بد أن يتم ويظهر".

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤٢٥/٢

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣)﴾

وفقًا لتقرير أعده قسم الأديان لمركز (بيو) الأمريكي: فعدد المسلمين في العالم (١.٧٥ مليار)، وتقول صحيفة التلغراف البريطانية إن عدد المسلمين في أوروبا سيصل إلى ٢٠% من سكان أوروبا. علق أحد الغربيين قائلاً: لقد صار من المحقق أن الإسلام ظافر لا محالة على غيره من الأديان التي تتنازع العالم؛ فعدد المسلمين في نمو وتزايد مستمر.

وصدق ربنا: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤)﴾

إن الأموال المستخفية في الخزائن المختبئ فيها حق المسكين والبائس، شر جسيم على صاحبها في الدنيا والآخرة: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ محمد الغزالي، خلق المسلم ١٠٦

﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥) ﴾

كيف يمنع أحد زكاته وهو يقرأ: ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ ولم يقل: تحمى في نار جهنم؛ ليدل ذلك على أنها مع حرارة نار جهنم تستعمل لها الىلات المحمية، فيضاعف حرها ويشتد عذابها. السعدي، المواهب الربانية من الآيات القرآنية ٢١

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦) ﴾

١) قال ابن عباس ﵄ اختص من ذلك أربعة أشهر – وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب – فجعلهن حرمًا وعظم حرمتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم، والعمل الصالح والأجر أعظم. الدر المنثور ٤/١٨٧

٢) قال قتادة – في قوله تعالى عن الأشهر الحرم–: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ إن الظلم في الشهر الحرام أعظم خطيئة ووزرًا من الظلم فيما سواه، وإن كان الظلم على كل حال عظيمًا ولكن الله يعظم من أمره ما شاء. الدر المنثور ٤/١٨٧

٣) دلت الآية أنَّ الواجب تعليق أحكام العبادات وغيرها بالشهور والسنين التي تعرفها العرب، دون شهور العجم والروم، وإن لم تزد على اثني عشر شهرًا؛ لقوله: ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾، وهي خاصة بشهور العرب. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٣٣/٨

٤) عشر ذي الحجة من أعظم أيام الأشهر الحرم.. ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ومن ظلم النفس: تضييعها في غير ما يقرب إلى الله، قال الحسن البصري رحمه الله: "أدركت أقوامًا كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم". ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ٧٤/٣

٥) ليس المسلم الحق بالذي تدخل عليه هذه الأشهر – التي عظم الله شأنها – وهو لا يبالي بما ينتهك فيها من المعاصي، وتعدي حدود الله، فإن الله تعالى قال فيها: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾. د. عمر المقبل

٦) أرأيت إنسانًا يظلم نفسه؟ نعم.. ستراه حين ينتهك حرمة زمان نهاه ربُّه عن أن يظلم فيه نفسه. رجب هو الشهر الفرد من الأشهر الحرم التي قيل لنا فيها: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾، ورجب هذه السنة يوافق إجازة: فكم من حافظ لحرمته بطلب العلم وبرٍّ وعبادةٍ ونفعٍ للخلق، وكم من غافل هاتكٍ حرمته بعصيان حضرًا وسفرًا، ومن كان كذلك؛ فإنه لا يضر الله شيئًا، بل لا يضر ولا يظلم إلا نفسه[1].

٧) لو ظلم المرء نفسه في الأشهر الحرم لكان قد أتى أمرًا عظيمًا: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ فكيف بمن ظلم غيره بفعل ما تأباه الشرائع والأعراف كلها؟ قتل وقتال.. وانتهاك لحرمة الجوار.. وترويع للآمنين.. وهتك لحرمة هذه الأشهر.. وتشويه لسمعة الإسلام.. وساتنزاف لأموال الأمة.. فما أعظم جناية الحوثيين ومن اعانهم فيما اجترحوا[2]!!

[1] أرسلت في سنة وافق رجب بداية الإجازة الصيفية.

[2] أرسلت في تاريخ ١٤٣١/١١/٢١هـ، أثناء بدء هجوم الحوثيين على بعض مناطق الحدود جنوب المملكة.

﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠) ﴾

١) ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾ انظر كيف جعل الله خروج نبيه من مكة، بل إخراجه؛ نصرًا مبينًا، وأنزل عليه سكينة وجنودًا تؤيده، وجعل كلمة الكافرين السفلى، فما يظنه بعض الناس هزيمة – بسبب ما حصل لأنبياء الله واوليائه من القتل والسجن – إنما هو في ميزان الله نصر، بل النصر المبين. فهد العيبان

٢) كل من وافق الرسول ﷺ في أمر خالف فيه غيره، فهو من الذين اتبعوه في ذلك، وله نصيب من قوله: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ (التوبة: ٤٠)؛ فإن المعية الغلهية المتضمنة للنصر هي لِمَا جاء به إلى يوم القيامة، وهذا قد دلَّ عليه القرآن، وقد رأينا من ذلك وجربنا ما يطول وصفه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٧/٢٨)

٣) ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ ألا ترى كيف قال: ﴿ لَا تَحْزَنْ ﴾، ولم يقل: لا تخف؛ لأنَّ حزنه على رسول الله ﷺ شغله عن خوفه على نفسه.

السهيلي، الروض الأنف ٣١٥/٢

٤) قال الشعبي: عاتب الله ﷻ أهل الأرض جميعًا – في هذه الآية – إلا ابا بكر الصديق ﷺ.

البغوي، معالم التنزيل ٤٩/٤

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢) ﴾

﴿ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ﴾ قيلت هذه في نفس الغزوة التي قيل فيها عن قوم: ﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ (التوبة: ٩٢)! المخذول لا تعجزه الأعذار! د. عمر المقبل

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣)﴾

١) قال مورق العجلي: هل سمعتم بمعاتبة أحسن من هذه؟ بدأ بالعفو قبل المعاتبة.

الدر المنثور ٥/٨٥

٢) من لطائف الآيات التي فيها عتاب للنبي ﷺ، أنك لا تجد آية عتاب ونحوها، إلا وجدت تصريحًا بالعفو والمغفرة والرحمة ففي التوبة: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾، وفي الأنفال – بعد آية الأسرى–: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٦٩).

متدبر

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦)﴾

١) صدق التأهب للقاء هو مفتاح جميع الأعمال الصالحة، والأحوال الإيمانية، ومقامات السالكين إلى الله، ومنازل السائرين إليه ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٧٦

٢) مع إقبال رمضان؛ حريٌّ بالعبد أن يتدبر هذه الآية: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾ ومِنْ أعظم العُدَد التي يستقبل بها هذا الشهر: تصفية قلبك من الذنوب – وهذا حق الله – ومن الضغائن التي بينك وبين العباد، وإلا فيخشى أن يصاب العبد بنهاية الآية: ﴿ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ ﴾ ولا يظلم ربك أحدًا. د. عمر المقبل

٣) إذا حبست عن طاعة، فكن على وجل من أن تكون ممن خذلهم الله، وثبطهم عن الطاعة كما ثبط المنافقين عن الخروج للجهاد. د. مساعد الطيار

٤) لا تجزع من الألم، ولا تخف من المعاناة، فربما كانت قوةً لك ومتاعًا إلى حين؛ فإنك إن تعش مشبوب الفؤاد، محروق الجوى، ملذوع النفس؛ أرق واصفى من أن تعيش بارد المشاعر، فاتر الهمة، خامد النفس، وتأمل: ﴿ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾. د. يوسف المهوس

﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧) ﴾

من عادة المنافقين: ﴿ وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ﴾ إنه الركض اللاهث لتفجير جسور التواصل، وتلغيم القلوب.

د. عبد الله بلقاسم

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩) ﴾

ليس كلُّ من ادَّعى اتقاءَ الفتنةِ كان صادقًا، بل منهم المنافق ومنهم الخائف.

د. محمد الخضيري

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١) ﴾

إنما لم يقل: (ما كتب علينا)؛ لأنه أمر يتعلق بالمؤمن، ولا يصيب المؤمن شيء إلا وهو له: إن كان خيرًا فهو له في العاجل، وإن كان شرًا فهو ثواب له في الآجل.

ابن هبيرة، ذيل طبقات الحنابلة ٢٣٧/١

﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٤)﴾

١) قال تعالى عن المنافقين: ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى ﴾ قال ابن عباس ﷺ: إن كان في جماعة صلى وإن انفرد لم يصل، وهو الذي لا يرجو على الصلاة ثوابًا، ولا يخشى في تركها عقابًا.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦٣/٨

لو لم يكن للنفاق نفة إلا أنه يورث الكسل عن العبادة، لكفى به ذمًا، فكيف ببقية نثاره السيئة؟!

٢) في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ تنبيه إلى أنه ينبغي للمؤمن أن يقوم إلى صلاته بنشاط وإقبال ورغبة، وأن تكون نفسه عند الإنفاق منشرحة.

د. عبد الرحمن الشهري

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥) ﴾

إذا رأيت كافرًا زاده الله مالاً وذرية فلا تغتر به، فإنما هي زيادة عذاب في الدارين: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا ﴾ وهو بكفره لا يزداد عند الله إلا مقتًا وخسارًا: ﴿ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (فاطر: ٣٩).

د. عبد المحسن المطيري

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨)﴾

١) المرء الصالح ينبغي ألا يكوترث لفقدان حظه من الدنيا، فإذا أهمل في إسناد منصب، أو بخس في تقدير راتب، لم يملأ الآفاق صياحًا وشغبًا؛ فإن الغضب للدنيا على هذا النحو الشائن، شيمة المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾. محمد الغزالي، خلق المسلم ١٦٦

٢) هذه الآية تكشف عن خلل في منهج النقد بدعوى الإصلاح، حيث تكون المنفعة الذاتية هي الباعث لذلك، ومحور الغضب والرضى، وهذا مسلك المنافقين، فتفقد قلبك قبل أن ينطق لسانك أو يخط بنانك. أ.د. ناصر العمر

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠) ﴾

الله خلق النفوس ويعلم حبَّها للمال؛ فلم يوكل توزيعها لأحدٍ، وإنما تولى الربُّ ﷻ مصارفها، كما تولى قسمة المواريث: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾ الآية (النساء: ١١). صالح المغامسي

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٢) ﴾

﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ﴾ إذا تأملت أكثر الناس، وجدتهم ينظرون في حقهم على الله ولا ينظرون في حق الله عليهم؛ ومن هنا انقطعوا عن الله! ابن القيم، إغاثة اللهفان ١٨٨/١

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦)﴾

١) حب الله ورسوله موجود في قلب كل مؤمن، لا يمكنه دفع ذلك من قلبه إذا كان مؤمنًا، وتظهر علامات حبه لله ولرسوله إذا أخذ أحد يسب الرسول ويطعن عليه، أو يسب الله ويذكره بما لا يليق به؛ فالمؤمن يغضب لذلك أعظم مما يغضب لو سب أبوه وأمه.

ابن تيمية، دقائق التفسير ٢٠٩/٥

٢) قال ابن تيمية رحمه الله: "وهذا نص في أنَّ الاستهزاء بالله وآياته وبرسوله كفر، فالسب المقصود بطريق الأولى". الصارم المسلول ٣١

٣) الاستهزاء ينافي التعظيم، الاستهزاء بالله كفر مخرج من الدين؛ لأنَّ أصلَ الدين مبنيٌّ على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء مناقضٌ لهذا الأصل أشدَّ المناقضة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٤٢

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾

١) المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها قلوبهم واحدة، موالية لله ولرسوله ولعباده المؤمنين، معادية لأعداء الله ورسوله وأعداء عباده المؤمنين، وقلوبهم الصادقة، وأدعيتهم الصالحة؛ هي العسكر الذي لا يغلب والجند الذي لا يخذل، فإنهم هم الطائفة المنصورة إلى يوم القيامة. ابن تيمية، الفتاوى ٦٤٤/٢٨

٢) وفي هذه الآية دليل على أنَّ وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست خاصة بالرجال، بل حتى النساء عليهن أن يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر، في حقول النساء ومجتمعات النساء: في أيام الدراسة، وما اشبه ذلك.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ٤٩٨/٤

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧)﴾

١) كم من شخص يتشوَّف إلى الدرجات العالية التي لا يقدر أن يقوم بحقوقها؛ فيكون وصوله إليها وبالاً في حقذِه – وهذا في أمر الدنيا – كمال قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾. ابن تيمية، الاستقامة ٥٥/٢

٢) كثير من الناس يلجأ إلى النذر عند تأزم أمرٍ مَّا عنده، وقد ثبت في الحديث أنه لا يأتي بخير[1]، ومصداق ذلك في القرآن: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾. د. محمد الخضيري

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) ﴾

هكذا المنافق: شر على المسلمين، فإن رأى أهل الخير لمزهم، وإن رأى المقصرين لمزهم، وهو أخبث عباد الله، فهو في الدرك الأسفل من النار. والمنافقون في زمننا هذا إذا رأوا أهل الخير وأهل الدعوة، وأهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ قالوا: هؤلاء متزمتون، وهؤلاء متشددون، وهؤلاء أصوليون، وهؤلاء رجعيون، وما اشبه ذلكم من الكلام.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ١٣٥/١

[1] الحديث أخرجه مسلم ح (١٦٣٩).

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) ﴾

١) ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ﴾ هكذا قالها المنافقون وهم يسمعون داعي النفير!

والفرَّارون اليوم من الطاعات كُثر!

في الأجواء الحارة التي يعيشها المؤمن؛ ليتذكر معها – وهو يقرأ هروب المنافقين من نصرة الدين – تلك التضحيات العظام للصحابة الكرام رضوان الله عليهم لنصرة الدين، فماذا قدمنا لديننا ونحن ننعم بالرخاء؟

متدبر

٢) ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ الكثير من الناس ينفر في الحر لكن فرق كبير بين نافر في حر الصيف ليبحث عن نزوة، ويقضي شهوة محرمة هنا أو هناك، لو دعي إلى خدمة دينه أو نفع أمته لاعتذر بشدة الحر! ونافر في الحر ليبلغ الخير وينفع الأمة! وسيعلم الفريقان عاقبة نفيرهما يوم قيام الاشهاد.

﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣) ﴾

١) ﴿ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ﴾ ولا خزي أعظم من أن يكون إنسان قد رفضه الشرع ورده؛ كالجمل الأجرب.

ابن عطية، المحرر الوجيز ٣/٧٤

٢) ألا يخشى أصحاب المواقف السلبية بعدم قيامهم بما أوجب الله عليهم من جهاد المنافقين بأن يحل عليهم غضب الله كما حل بمن قبلهم؟! افلا يتدبرون: ﴿ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٤)﴾

استنبط بعض العلماء من قوله تعالى – عن المنافقين –: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾، أن هذه الآية تدل على شرعية صلاة الجنازة؛ فلما نهى عن الصلاة على المنافقين دل على مشروعيتها في حق المؤمنين. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢١/٨ (بتصرف)

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٨٥)﴾

سبحان الله العاصي يتعذَّب بمعاصيه التي يحسده أناس عليها؛ شوقًا لها، وحسدًا لغيره عليها، وسعيًا في تحصيلها، وخوفًا من نظر الناس، ثم إذا نالها تعذَّب خشية الفوت، ثم حسرةً على الفقد، ثم العذاب الأكبر يوم القيامة إن لم يرحمه الله؛ يا للعذاب! لكن الشيطان سوَّل لهم وأملى لهم.

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٠)﴾

﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ إنما قال: ﴿ مِنْهُمْ ﴾؛ لأنه تعالى كان عالمًا بأن بعضهم سيؤمن ويتخلص من هذا العقاب، فذكر لفظة (من) الدالة على التبعيض. الرازي، مفاتيح الغيب ١٢٠/١٦

﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩١) ﴾

١) هذه الآية أصل في سقوط التكليف عن العاجز، فكل من عجز عن شيء سقط عنه، فتارة إلى بدل هو فعل، وتارة إلى بدل هو غرم، ولا فرق بين العجز من جهة القوة أو العجز من جهة المال. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٢٦/٨

٢) ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ هذه الآية أصل في رفع العقاب عن كل محسن.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٢٧/٨

﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (٩٢) ﴾

١) اترى أن الله يهدر هذا اليقين الراسخ؟ وهذه الرغبة العميقة في التضحية؟ إن النية الصادقة سجلت لهم ثواب المجاهدين؛ لأنهم قعدوا راغمين. محمد الغزالي، خلق المسلم ٩٠

٢) الحزن على فوت الطاعة من ثمرة حبها، والاهتمام بها؛ لأن المرء لا يحزن إلا على ما عز عليه.

٣) ﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾! هكذا بكوا لفوات قربة من القربات التي كانوا معذورين فيها لفقرهم! فكم بكينا لفوات قربات لسنا معذورين فيها؟! بل فتش فستجد في الناس من يبكي لفوات شهوة، أو معصية، أو هزيمة ناديه المفضل!! د. عمر المقبل

﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٠٢)﴾

١) سئل أبو عثمان النهدي – وهو تابعي كبير–: أي آية في القرآن ارجى عندك؟ فقال: ما في القرآن آية ارجى عندي – لهذه الأمة – من قوله: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

الدر المنثور ٢٤٣/٨

٢) هل ضاق صدرك من ذنوبك؟ هل قنطك الشيطان من رحمة ربك؟

تدبر هذه الآية: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فمن الذي ما أساء قط؟

إنما يأتي الخوف عندما ينهمك العبد في ذنوبه دون ندم على ما مضى منه، فهذا على خطر عظيم.. فبشرى للنادمين! السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٥٠/١ (بتصرف)

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣)﴾

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ وقفت عند ﴿ خُذْ ﴾، ﴿ تُطَهِّرُهُمْ ﴾، ﴿وَتُزَكِّيهِمْ ﴾، فتعجبت من رحمة الله بعبده ورافته به؛ إذ يجبر – إن لم يأتِ طوعًا – على تطهير نفسه وتزكيتها على يد أشرف خلقه ﷺ: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. أ.د. ناصر العمر

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧)﴾

وفي هذه الآية دليل على أن العمل – وإن كان فاضلاً – تغيره النية، فينقلب منهيًا عنه، كما قلبت نية أصحاب مسجد الضرار عملهم إلى ما ترى. السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٥١

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)﴾

رياء المرائين صير مسجد الضرار مزبلة وخربة: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ (التوبة: ١٠٨)، وإخلاص المخلصين رفع قد الثَّفِث: "**رب أشعث أغبر**"[١]. ابن القيم، بدائع الفوائد ٣٣٦/٤

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) ﴾

١) من اراد علو بنيانه، فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه، وشدة الاعتناء به؛ فإن علو البنيان على قدر توثيق الأساس وإحكامه، فالموفق همته تصحيح الاساس وإحكامه، والجاهل يرفع في البناء عن غير أساس فلا يلبث بنيانه أن يسقط: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾. ابن القيم، الفوائد (١٥٥)

[١] مسلم ح (٢٦٢٢)، والمستدرك ح (٧٩٣٢).

٢) انكشاف مدرب أهل الباطل، وظهورهم على حقيقتهم؛ يتيح لأهل الحق بناء مشاريعهم على أرض صلبة، وأسس متينة، لا على أوهام وجرف هار، تدبر: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾.

أ.د. ناصر العمر

﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠) ﴾

ثمة علاقة وثيقة بين المشاريع التخريبية وبين قلوب أصحابها، تأمل: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾.

د. عمر المقبل

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾

١) العاقل لا يرى لنفسه ثمنًا دون الجنة.

ابن حزم، الأخلاق والسير ٥٤

٢) باع المغبونون منازلهم من الجنة بأبخس الحظ وأنقص الثمن، وباع الموفقون نفوسهم وأموالهم من الله وجعلوها ثمنًا للجنة؛ فربحت تجارتهم، ونالوا الفوز العظيم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١/١٠، ١١

٣) تقديم الأموال على الأنفس في الجهاد وقع في جميع القرآن الكريم إلا في موضع واحد وهو قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾؛ لأنها هي المشتراة في الحقيقة، وهي مورد العقد وهي السلعة التي استلمها ربها وطلب شراءها لنفسه، وجعل ثمن هذا العقد رضاه وجنته، فكانت هي المقصود بعقد الشراء، والأموال تبع لها، فإذا ملكها مشتريها ملك مالها، فإن العبد وما يملكه لسيده ليس له فيه شيء، فالمالك الحق إذا ملك النفس ملك أموالها ومتعلقاتها، فحسن تقديم النفس على المال في هذه الآية حسنًا لا مزيد عليه.

ابن القيم، بدائع الفوائد ١/٧٨

﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢) ﴾

وخصال التائب ذكرت في آخر (براءة)، فقال: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ ﴾ فلا بد للتائب من العبادة والاشتغال بالعمل للآخرة؛ وإلا فالنفس همامة متحركة، إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل، فلا بد للتائب من أن يبدل تلك الأوقات التي مرت له في المعاصي بأوقات الطاعات، وأن يبدل تلك الخطوات بخطوات إلى الخير، ويحفظ لحظاته وخطواته، ولفظاته وخطراته. ابن كثير، البداية والنهاية ١٨٥/٩

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٧)﴾

١) ﴿ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ حتى الابتلاءات الكبرى ليست سوى ساعة، فما أسرع ما تمضي!. د. عبد الله بن بلقاسم

٢) فإن قيل: كيف أعاد ذكر التوبة ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ وقد قال في أول الآية: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﴾؟ قيل: ذكر التوبة في أول الآية قبل ذكر الذنب، وهو محض الفضل من الله تعالى، فلما ذكر الذنب أعاد ذكر التوبة، والمراد منه قبولها.

البغوي، معالم التنزيل ١٠٥/٤

﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨) ﴾

١) ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ (التوبة: ١١٨) قال كعب بن مالك ﷺ: "وليس الذي ذكر الله مما خلفنا تخلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه". علق ابن القيم فقال: فسرها كعب بالصواب، فليس ذلك تخلفهم عن الغزو؛ لأن الله لو أراد ذلك، لقال: وعلى الثلاثة الذين تخلفوا.ابن القيم، زاد المعاد (٥١٨/٣)

٢) تصور يجتمع هذا الحشد من الحديث عن التوبة في سورة واحدة: ﴿فَإِنْ تُبْتُمْ﴾ (التوبة: ٣)،

﴿ فَإِنْ تَابُوا ﴾ (التوبة: ٥)، ﴿ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾ (التوبة: ١٥)، ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ (التوبة: ١٠٢)، ﴿ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ ﴾ (التوبة: ١٠٤)، ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ (التوبة: ١٠٦)، ﴿ التَّائِبُونَ ﴾ (التوبة: ١١٢)، ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ ﴾ (التوبة: ١١٧)، ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾ (التوبة: ١١٨) فما عذر من تأخر عن التوبة؟

متدبر

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)﴾

أمر الله أن نكون مع الصادقين في كل الأوقات، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، فكم يخسر هذه الآية من يتشبَّه بالكافرين فيما يُسمَّى بـ (كذبة إبريل)؟ نتهيك عن كون الكذب محرَّمًا في كلِّ وقت، فما أشده من خذلان.

د. محمد الخضيري

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢) ﴾

١) وفيه دليل على أنه ينبغي أن يكون غرض المتفقه في الدين: أن يستقيم ويقيم، لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد. البيضاوي، أنوار التنزيل ١٨٠/٣

٢) هذه الآية إرشادٌ لطيف لفائدة مهمة، وهي: أنه ينبغي للمسلمين أن يعدُّوا لكلِّ مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفِّر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها؛ لتقوم مصالحهم، ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصدًا واحدًا، وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرَّقت الطرق وتعددت المشارب وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور. السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٥٥

٣) طلب العلم والتفقه في دين الله ضرب من الجهاد، ولذلك سمى الله الخروج لطلب العلم نفيرًا، فقال ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ وهذه الآية واردة بين بيات الجهاد في سورة التوبة، فقبلها: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ (التوبة: ١٢٠)، وبعدها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ (التوبة: ١٢٣). د. عبد المحسن العسكر

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣)﴾

الدنيا والشيطان عدوان خارجان عنك.. والنفس عدو بين جنبيك.. ومن سنة الجهاد: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ ﴾. ابن القيم، الفوائد ٣٧٠

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥) ﴾

السبخات إذا اصابها المطر ازدادت ملوحة وخبثًا؛ وكذا قلوب أهل النفاق لا تزيدها المواعظ إلا نفورًا: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا ﴾. د. عبد الله السكاكر

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦)﴾

١) ويستمر التغريبيون في برامجهم لإفساد البلاد والعباد، فأتساءل متعجبًا: ألا يرون أن مشاريع أسيادهم قد دمرت عددًا من البلاد العربية فتساقط زعماؤها واحدًا تلو الآخر، فمتى يعقلون؟ لكنني أجد الجواب الشافي الكافي: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾. أ.د. ناصر العمر

٢) بيع أمس فندق مشهور في نيويورك اشترته دبي عام ٢٠٠٦ بمبلغ ٢٨٢ مليون دولار، ثم باعته السلطات الأمريكية في مزاد علني بـ (مليوني دولار) فقط! بعد أن تم الحجز عليه بسبب ديون دبي. فهل أيقن المرتابون بأن الربا يمحق؟ أم حقت عليهم هذه الآية: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[1]؟

---

(1) تعليقًا على الخبر الذي نشر في (الجزيرة نت.. وغيرها) في تاريخ ٢٠٠٩/١٢/٠٩م وهذا نصه: "تم بيع فندق دبليو هوتيل (W.Hotel) الواقع في مانهاتن بنيويورك مقابل ٢ مليون دولار في مزاد علني وذلك بعد أن عجزت شركة استثمار، الذراع الاستثماري لدبي العالمية، في تسديد قرض تجسيري بقيمة ١١٧ مليون دولار.. وكانت استثمار قد دفعت ٢٨٢ مليون دولار في أكتوبر ٢٠٠٦ لشراء حصة ٩٠% من الفندق منها ٥٠ مليون دولار نقدًا و٢٣٢ مليون دولار عبر الاقتراض وأكملت شراء الـ ١٠% الباقية مقابل ٤ مليون دولار".

سورة يونس

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣)﴾

﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ قال الحسن رحمه الله: "ما زال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكير، وبالتفكر على التذكر، ويناطقون القلوب؛ حتى نطقت بالحكمة".

مفتاح دار السعادة ٥٢٥/١

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢)﴾

تأمَّل التعبير بقوله: ﴿ مَرَّ ﴾، وما يوحي به من سرعة نسيان العبد لفضل الله عليه.

د. محمد الخضيري

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٤) ﴾

قرأ الفاروق هذه الآية فقال: صدق ربنا! ما جعلنا خلائف الأرض إلا لينظر إلى أعمالنا، فأدوا الله خير أعمالكم بالليل والنهار والسر والعلانية.

تفسير ابن أبي حاتم ١٩٣٤/٦

﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦)﴾

﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ ﴾ الذي يتصدى لقيادة الناس لا بد أن يكون مستعدًا لكشف حساب الماضي!

د. عبد الله بن بلقاسم

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤)﴾

﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ﴾ كلما رأيت في دنيا الناس ابتكارات واختراعات تسعِد الإنسان؛ فهذا ما أعد البشر لبشر، فكيف بما أعد الله الخالق لأهل جنته؟!. الشعراوي، تفسير الشعراوي ٥٢٩٥/١

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٥) ﴾

قال يحيى بن معاذ الرازي: عجبت من رجلٍ يُرائي بعمله الناس وهم خَلْقٌ مثله، ومن رجل بقي له مال ورب العزَّة يستقرضه، ورجل رغب في صحبة مخلوق والله يدعوه إلى محبته، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾؟ شعب الإيمان ٢٦٣/٣

﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٢) ﴾

القرآن صراط الهدى المستقيم الموصل إلى الله، فماذا تلقيت من هداه؟ وماذا قدحت من نوره بين يديك لضبط السير ومعرفة الاتجاه؟ فيا طالب الشفاء للنفس، ويا طالب الغذاء للروح، ويا طالب الصلاح للبلاد والعباد! ذلك هو الحق الذي لا سواه ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾. د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٤٨

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) ﴾

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ الذي نعرفه أن كثيرًا من الأدباء يسطون على آثار غيرهم فيسرقونها أو يسرقون منها ما خف حمله وغلت قيمته وأمنت تهمته؛ حتى إن منهم من ينبش قبور الموتى ويلبس من أكفانهم ويخرج على قومه في زينة من تلك الأثواب المستعارة؛ أما أنَّ أحدًا ينسب لغيره أنفس آثار عقله وأغلى ما تجود به قريحته، فهذا ما لم يلده الدهر بعد. د. محمد دراز، النبأ العظيم ٥١

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩)﴾

١) سئل بعض العلماء – ممن عرف باستخراج أمثلة العرب من القرآن –: هل تجد في كتاب الله من جهل شيئًا عاداه؟ قال نعم في موضعين:

الأول : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾.

الثاني: ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ (الأحقاف: ١١).

السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ٤/٤٨

٢) كم تشدّني دلالة هذه الآية في كشفها عن طبيعة بعض النفوس وتجنيها: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾، وذلك عندما اسمع الاتهام للعلماء بأنهم لم يقوموا بالواجب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومناصحة الولاة والدفاع عن المظلومين، وبخاصة عندما يكون الاتهام بالتعميم دون استثناء. ولو علموا ما يقوم به العلماء لما أطلقوا هذه التهم، ولكنهم جهلوا فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه أو يدركوا سببه. أ.د. ناصر العمر

﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٤١)﴾

﴿ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾، ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ (البقرة: ١١٩).. لو أدرك المتعجّلون والمتنازلون واليائسون دلالة هذه الآيات وأمثالها؛ لما ذهبت أنفسهم حسرات على المعاندين، ولأدركوا أن مُهِمَّتَهم لا تتعدى مُهِمَّة نبيِّهم ﷺ ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ (الشورى: ٤٨)، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ (فاطر: ٨).

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (٤٢) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (٤٣) ﴾

١) التكذيب والإعراض سدَّ عليهم طريقتين عظيمتين من طرق العلم: طريق المسموعات المتعلقة بالخير، وطريق النظر في أحوال الداعي – وهو النبي ﷺ –، فإذا فسدت عقولهم وأسماعهم وأبصارهم؛ فأين الطريق الموصل لهم إلى الحق؟

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٦٥

٢) دلَّ قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ﴾ على أنَّ النظر إلى حالة النبي ﷺ وهديه وأخلاقه وأعماله وما يدعو إلي من أعظم الأدلة على صدقة وصحة ماء جاء به، وأنه يكفي البصير عن غيره من الأدلة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٦٥

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (٤٥)﴾

١) إذا تأملت في مدة الدنيا لم تجدها إلا: (الآن) – الذي هو فصل الزمانين فقط –، وأما ما مضى وما لم يأت فمعدومان كما لم يكن؛ فمن أضل ممن يبيع باقيًا خالدًا بمدة هي أقل من كر الطرف؟!

ابن حزم، الأخلاق والسير ٦١

٢) مقدار الدنيا: هل كنتَ يومًا ما في صالةِ انتظار، فتعرفت على من بجوارك، وتحدثتما ثم افترقتما؟ كذا الدنيا ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾.

مهند المعتبي

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٤٧) ﴾

استعمل لفظ "الأمَّة" في القرآن أربعة استعمالات:

١-الجماعة من الناس، وهو الاستعمال الغالب، كقوله: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ ﴾.

٢-في البرهة من الزمن، ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ (يوسف: ٤٥).

٣-في الرجل المقتدى به، كقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ (النحل: ١٢٠).

٤-في الشريعة والطريقة، كقوله: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾ (الزخرف: ٢٢).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧)﴾

١) قال الحسن بن عبد العزيز: من لم يردعه القرآن والموت ثم تناطخت الجبال بين يديه، لم يرتدع.

تهذيب الكمال ١٩٨/٦

٢) مرض القلب يفضي بصاحبه إلى الشقاء الابدي، ولا شفاء لهذا المرض إلا بالعلم؛ ولهذا سمى الله تعالى كتابه شفاء لأمراض الصدور.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١١١/١

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨) ﴾

١) مداواة القلب بالقرآن: وقف الفضيل بن عياض رحمه الله على رأس سفيان بن عيينه – وهو مريض – فقال له: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ فقال له سفيان رحمه الله: "يا أبا علي، والله لا نفرح أبدًا حتى نأخذَ دواء القرآن، فنضعه على داءِ القلب". حلية الأولياء ٢٧٩/٧

٢) ففضل الله ورحمته: القرآن والإيمان؛ من فرح فقد فرح بأعظم مفروح به، ومن فرح بغيره فقد ظلم نفسه، ووضع الفرح في غير موضعه. ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٤٩/١٦

٣) قال بعض السلف: "ما فرح أحدٌ بغير الله إلا بغفلته عن الله؛ فالغافل يفرح بلهوه وهواه والعاقل يفرح بمولاه". لطائف المعارف ٢٧٤

٤) الفرح له اعتبارات متنوعة، وصور متباينة، ويختلف باختلاف القلوب التي تتعامل معه، وفي القرآن ذكر لصور متباينة للفرح، فقارن – مثلاً – بين: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ وبين: ﴿ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (غافر: ٧٥)؛ لتدرك الفرق بين فرح يوجب رحمة الله ورضوانه، وبين فرح يوجب غضبه وخذلانه. أ.د. ابتسام الجابري

٥) تعيش البيوت هذه الأيام[١] أفراحًا واحتفالات بنجاح أبنائها، بعد عام من الجد والتحصيل، وتعظيم الحفاوة بحسب منزلة الشهادة، ومن حق المجدين أن يشعروا بالتكريم، فما جزاء الإحسان إلا الإحسان! وقفت متأملاً هذا المشهد، وتذكرت أفراح الآخرة، حين يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب، وقارنت بين ما يبذله الإنسان لدنياه وما يناله من جزاء عاجل، وبين ما يبذله لدينه من عطاء لا حدود، فجاء الجواب: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾. أ.د. ناصر العمر

[١] أرسلت بمناسبة انتهاء موسم الاختبارات النهائية.

٦) إذا انتصف شهر رمضان فقد مضت أيام وفرص لا تتكرر إلا مرة واحدة في السنة، فتأمل حالك معها:

فإن كنت ممن جد واجتهد واستثمر كل ساعة مضت؛ فهنيئًا لك بالفرح بما وفقك الله له ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾.

وإن كنت ممن سوف وأسرف بالأماني حتى مضت تلك الفرص؛ فابكِ على نفسك خائفًا من هذا الوصف أن ينطبق عليك: ﴿ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (الكهف: ٢٨).

فاعزم على أن تجتهد وتستدرك ما فات ومضى.

أ.د. ناصر العمر

٧) ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ايام العيد هي أيام فرح بهذا الفضل العزيم! حيث نفرح بهذه الرحمات التي تنزَّلت علينا تترى في ذاك الشهر الكريم، إنه فرح الشكر: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٥)، لا فرح مفارقة العبادة بالتلبس بالمعاصي والبطر؛ فهذا لا ينسجم مع تكبير الله وتعظيمه على هدايته لنا وتوفيقه وتيسيره لإكمال العدة وأداء هذا الركن العظيم. أ.د. ناصر العمر

٨) في العيد تبهرنا المناظر الحسنة، والوجوه المشرقة، والبسمات المبهجة؛ لذا نعيش العيد فرحًا وسرورًا، فلم لا نتفاعل في حياتنا وواقع أمتنا مع الجوانب المضيئة فيها، ونتعامل مع المستجدات بروح الرضا والغبطة والتفاؤل؛ استجابة لقوله سبحانه: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾؟ فكم في واقعنا من إفضاله ورحماته سبحانه ما لا يمكن حصره وإحصاؤه؟ أ.د. ناصر العمر

٩) ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ وفي قراءة: (تجمعون)، فتخيل كل ما في الدنيا من أموال وملك وعقارات، فهي دون فرح المؤمن بهذا القرآن.

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦١) ﴾

منذ مدة أسبوع وخبر تحطم الطائرة الفرنسيَّة فوق الأطلسي يتردد في نشرات الأخبار[1]، تصوَّر جسمًا بحجم الطائرة يختفي فجأة، ويبقى البحث عنه أيامًا، فأين الأقمار الصناعية؟ وأين الرادارات؟ إنهم البشر مهما بلغوا من الإتقان والحذق ويريهم الله ضعفهم وقصورهم، ويريهم – أيضًا – آيةً من آيات عظمته في مثل قوله: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)﴾

من جمع تسعًا أمَّنَه الله يوم القيامة، فلا خوفٌ عليه وهو هو يحزن: أسلم وجهه، وآمن، وأحسن واتَّبع الهدى، وعمل صالحًا، واتَّقى، وأصلح، وأقام الصلاة، وأنفق في سبيل الله سرًّا وعلانيةً بالليل والنهار بلا مَنٍّ ولا أذًى؛ وهذا هو ولي الله. د. محمد الخضيري

﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٥)﴾

١) موضع العبرة من هذه التسلية للنبي ﷺ: أن يقف الداعي موقف العزم والثبات، فلا يقيم لما يقوله الذامون أو المتهكمون وزنًا؛ ونرى ضعيف الإيمان بما يدعو إليه هو الذي يحزن لأقوال المبطلين، حزنًا يثبطه عن الدعوة، أو يصرفه عنها، محتجًا بأن ما يلاقيه من الأذى عذر يبيح له أن يسكت مع الساكتين. محمد الخضر حسين، موسوعة مؤلفاته ٤١١/١

٢) ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ جاءت هذه الآية كالتعليل لما قبلها: ﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ ﴾ وذلك أن سنة الله جرت بأن يجعل العزة في جانب المؤمنين المتقين، فإذا ابتلوا بعدو ينالهم بأذى، فصبروا عليه، وجاهدوا في دفاعه عن أنفسهم بكل ممكن؛ فعاقبتهم الخلاص من الباغي، ثم لا يلبثون أن يدركوا عزتهم، وتكون يدهم فوق يد عدوهم.

محمد الخضر حسين، موسوعة مؤلفاته ٤١٢/١

---

[1] أرسلت بعد أسبوع من اختفاء طائرة فرنسية فوق المحيط الأطلسي في ١ يونيو ٢٠٠٩م.

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ (٧١) ﴾

ليكن إيمانك بمبادئك راسخًا صلبًا لا يهتز في المحن وعند الفتن: ﴿ ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴾، ﴿ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ (يس: ٢٥) وكن هينًا لينًا واسع الصدر في إقناع الآخرين في دينك، ودعوة الناس إليه: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (يس: ٢٠ – ٢١)، ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥).

أ.د. ناصر العمر

﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

في تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أن الداعي ينبغي له أن يتوكل أولاً؛ لتجاب دعوته.

البيضاوي، أنوار التنزيل ٢١٢/٣

﴿ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) ﴾

لما أعلن فرعون إيمانه عند الغرق، قيل له: ﴿ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ فتأمل كيف نص على ذكر الإفساد دون غيره من معاصيه؛ وما ذاك – والله أعلم – إلا لشناعة نشر الفساد في الأرض، وعظيم تأثيره على أديان الناس ودنياهم وأخلاقهم وحقوقهم، فويل للمفسدين!

د. عمر المقبل

﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٤)﴾

فيه تنبيه على أن كل من خالجته شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم.

البيضاوي، أنوار التنزيل ٢١٤/٣

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩)﴾

فـ ﴿ كُلُّهُمْ ﴾ يفيد الإحاطة والعموم، ولا يلزم من قوله: ﴿ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ أن يكونوا كلهم، وذلك على الأكثر منهم، فـ ﴿ كُلُّهُمْ ﴾ رافع لهذا التوهم، وأما قوله: ﴿جَمِيعًا﴾ فليس بتأكيد، ولو كان تأكيدًا لقال: (أجمعون) ولم يكن منصوبًا؛ وإنما هو حال؛ أي: مجتمعون على الهدى، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ (الأنعام: ٣٥).

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٤٥

﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠١)﴾

١) لا أحصي الاسئلة التي تصلني وأقف امامها حائرًا:

ألا ترى (النُّذر) تتوالى علينا والتجاوب أمامها ضعيف لا يتناسب مع مكانتها، سواء من العامة أو الخاصة؟

فأخاف أن يكون الجواب: ﴿ وَمَا تُغْنِي الْآَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ فأقول: اللَّهُمَّ سلم سلم. أ.د. ناصر العمر

٢) آلاف الرحلات الجوية تلغى!

مئات الملايين من الدولارات تذهب، فما السبب؟

إنه غبار البركان فقط لا البركان!

فما الظن لو ثار البركان؟

هذه آثار حرارة الدنيا "**جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم**"[١]!

وهذه بعض قوة مخلوق، فكيف بقوة خالقه؟

ولكن ﴿ وَمَا تُغْنِي الْآَيَاتُ وَالنُّذُرُ ﴾[٢].

﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧)﴾

كثيرون يقرؤون هذه الآية وينحصر فهمهم بأنَّ الخير في الكشف فحسب، مع أنَّ الخير قد يكون بإصابته بالضر لا يكشفه؛ مغفرةً لذنوبه، ورحمةً به: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾، فكلُّ ما يقضيه فهو له خير، كما في الصحيح: "**عجبًا لأمر المؤمن! إن أمره كلَّه خير...** الحديث"[٣].

أ.د. ناصر العمر

---

[١] البخاري ح (٣٢٦٥)، ومسلم ح (٢٨٤٣).

[٢] أرسلت إبان تصاعد غبار بركان آيسلندا في شهر جمادى الأولى ١٤٣١هـ، الموافق لشهر أبريل ٢٠١٠م.

[٣] رواه مسلم ح (٢٩٩٩).

سورة هود

"شيبتني هود وأخواتها"[1].

عهدنا شيوخنا وهم يقرؤون سورة هود؛ لهم وضع آخر، المساجد تمتلئ وهم لا يسمعون الصوت، بدون مكبرات؛ لكن يسمعون البكاء والتأثر، والله المستعان.

د. عبد الكريم الخضير

﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)﴾

١) ومن تدبر القرآن، وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونًا ظاهرة وخفية: من حيث اللفظ ومن جهة المعنى، فأحكمت ألفاظه، وفصلت معانيه، أو بالعكس – على الخلاف –، فكل من لفظه ومعناه فصيح لا يحاذى ولا يدانى، فقد أخبر عن مغيبات ماضية كانت ووقعت طبق ما أخبر، سواء بسواء، وأمر بكل خير، ونهى عن كل شر.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٧٩/١

٢) ﴿ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ ولم يقل: (من رحمن ولا رحيم)؛ للتنصيص على أنَّه لا بد من الحكمة.

الزركشي، البرهان ١٢٤/١

﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣) ﴾

١) ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ كثيرًا ما يقرن الاستغفار بذكر التوبة، فيكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان، والتوبة عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلوب والجوارح.

ابن رجب، تفسيره ١٥٠/١

---

[1] أخرجه عبد الرزاق ح (٥٩٩٧)، والطبراني ح (٥٨٠٤).

٢) ذكر ابن القيم رحمه الله أربع آيات: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾، ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل)، ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل)، ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر) ثم قال عنها: "فهذه اربعة مواضع، ذكر الله تعالى فيها أنه يجزئ المحسن بإحسانه جزاءين: جزاء في الدنيا، وجزاء في الآخرة". الوابل الصيب ٦٧

اللَّهُمَّ اجعلنا ممن يؤتى أجره مرتين.

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦)﴾

١) لا بد لكل مخلوق من الرزق: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾؛ حتى إن ما يتناوله العبد من الحرام، هو داخل في هذا الرزق! فالكفار قد يرزقون بأسباب محرمة ويرزقون رزقًا حسنً، وأهل التقوى يرزقهم الله من حيث لا يحتسبون، ولا يكون رزقهم بأسباب محرمة ولا يكون خبيثًا، والتقى لا يحرم ما يحتاج إليه من الرزق، وإنما يحمى من فضول الدنيا رحمة به؛ فإن توسيع الرزق قد يكون مضرة على صاحبه، وتقديره يكون رحمة لصاحبه. ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٥٢/١٦

٢) إذا خَوَّفك الشيطان من الفقر، فرُدَّه بالرزق المكتوب: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾، وإذا خوفك من الموت والقتل، فرُدَّه بالأجل المكتوب: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾. مصطفى السباعي، هكذا علمتني الحياة ٨٢

٣) إذا كان رزقك على الكريم، فلماذا الضيق والحزن! د. عبد المحسن المطيري

﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١٧)﴾

يقول سعيد بن جبير: كنت لا أسمع بحديث عن النبي ﷺ على وجهه إلا وجدت تصديقه في القرآن، فبلغني حديث: "**لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي إلا دخل النار**"[(١)] فجعلت أقول اين مصداقه في كتاب الله؟ حتى وجدت هذه الآية ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٣٦/٢

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) ﴾

قول الملأ من قوم نوح: ﴿ وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ ليس بمذمة ولا عيب؛ لأن الحق إذا وضح لا يبقى للرأي ولا للفكر مجال، بل لا بد من اتباع الحق – والحالة هذه – لكل ذي زكاء وذكاء، بل لا يفكر ههنا إلا غبي أو عيي.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥٣٩/٢

﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩) ﴾

في البشر ميل عجيب إلى ما يسمى بنظام الطبقات، وإلى تحقير فئات من الناس للونهم أو لفقرهم! وقد طلب قوم نوح منه طرد هؤلاء الأراذل عنه؛ لأنهم يستنكفون الاجتماع معهم، فأجاب: ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة ١٠٥

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٦٣/١٢)، مسلم ح (١٥٣)، سعيد بن منصور ح (١٠٨٣).

﴿ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣٠)﴾

استدل بعضهم بقول نوح عليه السلام لقومه: ﴿ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ بأن ثمرة ذلك: وجوب تعظيم المؤمن، وتحريم الاستخفاف به، وإن كان فقيرًا عادمًا للجاه، متعلقًا بالحِرَف الوضيعة؛ لأنه تعالى حكى كلام نوح وتجهيله للرؤساء لما طلبوا طرد من عدُّوه من الأراذل. القاسمي، محاسن التأويل ١١٦/٩

﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾

هل وقفت متدبرًا لهذه الآيات التي تبين غضب الله على أقوام حتى قضى عليهم بعدم الهداية أبدًا؟ تأمل: ﴿ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ ﴾ ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ (الكافرون: ٣)، ﴿ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ (النساء: ١٦٨)، ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾ (الأنعام: ١٥٨)، والجامع بينها كلها أن هؤلاء قد أتيحت لهم فرص الهداية فأبوا. فكن خائفًا حذرًا من مكر الله، راجيًا لرحمته، وبادر بالعمل قبل فوات الأوان ولا تسوف؛ لعلك تنجو. أ.د. ناصر العمر

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣)﴾

١) قال نوح لابنه: ﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ ولم يقل: (مع الغارقين) أو (مع الهالكين)؛ لأن المصيبة العظمى هي في الكفر وليست في الموت غرقًا، والله أعلم. عبد العزيز الجليل

٢) إن سلوك طريق المؤمنين ومجالستهم، والانحياز إليهم هو سبيل النجاة الحقة؛ لأنهم في كنف الله وعنايته، حتى وإن تقاذفتهم الفتن، وكانت أسبابهم يسيرة، كسفينة من خشب في أمواج كالجبال، كما أن سلوك طريق الكافرين والمنافقين والانحياز إليهم هو سبيل الهلاك، حتى وإن توفرت لهم الأسباب المادية المنيعة كالجبال في علوها وصلابتها.

فهد العيبان

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) ﴾

١) يقول القاضي عياض: حكي أن ابن المقفع أراد أن يعارض القرآن! فحاول ذلك وطلبه، وبدأ فيه، فمر بصبي يقرأ: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ﴾ الآية، فرجع فمحا ما عمل، وقال: أشهد أن هذا لا يعارض، وما هو من كلام البشر، وكان من أفصح أهل وقته.

الشفا ٢٠٨/١

٢) قال القرطبي رحمه الله: "لما تواضع الجودي وخضع؛ عز، ولما ارتفع غيره واستعلى؛ ذل، وهذه سنة الله في خلقه؛ يرفع من تخَشَّع، ويضع من ترَفَّع".

الجامع لأحكام القرآن ٤٢/٩

٣) ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ﴾ أَمَرَ فيها ونهى، وأخبر ونادى، ونعت وسمَّى، وأهلك وأبقى، وأسعد وأشقى، وقصَّ من الأنباء ما لو شُرح ما اندرج فيه من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان، لجفت الأقلام.

السيوطي، الإتقان ١٦٥/٣

﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦)﴾

قال مقاتل: صديق موافق خير من ولد مخالفن ألم تسمع وقل الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾؟

محاضرات الأدباء ٤٣٥/١

﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠)﴾

يجب أن نجعل التوحيد أساس الدعوة إلى الله، وأن تخاطب فيه القلب، وأن نتكلم بلسان الشرع ونستعمل حجج القرآن، تدبر دعوات الرسل: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾.

علي الطنطاوي، فصل في الدعوة والإصلاح ٢٩

﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦)﴾

١) ما سر تخصيص الناصية بالأخذ دون سائر الجسد في قول هود لقومه: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾؟ يجيب ابن جرير: "لأن العرب كانت تستعمل ذلك فيمن وصفته بالذلة والخضوع؛ فتقول: (ما ناصية فلان إلا بيد فلان)، أي: هو له مطيع يصرفه كيف شاء، وكانوا إذا أسروا الأسير فأرادوا إطلاقه والمن عليه، جزوا ناصيته؛ ليعتدوا بذلك عليه فخرًا عند المفاخرة".

جامع البيان ٣٦٣/١٥

٢) ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ تأمل ألفاظ هذه الآية وما جمعته من عموم القدرة وكمال الملك، ومن تمام الحكمة والعدل والإحسان؛ فإنها من كنوز القرآن، ولقد كفت وشفت لمن فُتح عليه بفهمها. ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٧٩/٢

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (٧٥)﴾

قال ابن عباس ﷺ: الحلم من الخِلال التي ترضي الله، وهو يجمع لصاحبه شرف الدنيا والآخرة، ألم تسمعوا الله تعالى وصف خليله بالحلم فقال: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾. الحلم لابن أبي الدنيا ٥١

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨) ﴾

١) من الأيام العصيبة عند الصالحين تلك التي يُعصى فيها الله.

د. سليمان الربعي

٢) أول ما يبدأ الإنسان بالمعصية يقدم عليها – غالبًا – مترددًا خائفًا وجلاً؛ حتى يستمرئها، ثم يهرول إليها هرولة، تدبر: ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾. أ.د. ناصر العمر

٣) من تأمل قوله تعالى – في خطاب لوط لقومه –: ﴿ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ أدرك أن إدمان الفواحش، إضافة إلى أنه يضعف الدين فمن شأنه أن يُذهب مروءة الإنسان، ويقضي على ما بقي فيه من أخلاق ورشد.

د. عمر المقبل

﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) ﴾

١) والحكمة من نهيهم عن الالتفات ليجدّوا في السير؛ فإن الملتفت للوراء لا يخلو من أدنى وقفة، أو لأجل ألا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فترق قلوبهم لهم.

الألوسي، روح المعاني ٣٢٢/٨

وفي ذلك إشارة للمؤمن ألا يلتفت في عمله للوراء إلا على سبيل تقويم الأخطاء؛ لأن كثرة الالتفات تضيع الوقت، وربما أورثت وهنًا.

٢) لا تكثر الالتفات:

قد يشغلك الكارهون للحق بسفهاء من ورائك؛ حتى يكثر التفاتك إليهم فيتأخر وصولك، قال الله لنبيه لوط ﷺ: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ﴾.

د. سعود الشريم

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧)﴾

١) كأنهم لم يروه يعظم شيئًا من الأعمال كالصلاة؛ فخصُّوها بالذكر.

د. عبد الرحمن الشهري

٢) النظام الرأسمالي السائد في عالم اليوم انهارت بعض أعمدته، وبدأت أخرى تهتزُّ، وإذا لم يعرفوا الرأسمالية إلا في صورتها عند (سميث): "دعه يعمل، دعه يمر"؛ فإننا نعلم من القرآن أنها نظرية قديمة من أهل مَدْين إذ قالوا: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾، ونبيُّهم يدعوهم: ﴿ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴾ (هود: ٨٤)، وفي ذا عبرة للمسلمين وثقة بتعاليم ربِّهم.

أ.د. جعفر شيخ إدريس

٣) ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ ما أعظم أثر هاتين الصفتين في تحقق الإمامة لمن اتصف بالحلم في أخلاقه، والرشد في عقله! فهما جماع الصفات الحميدة، وفقدهما سبب لسقوط مريع، وإن اشتهر الرجل بضع سنين! أ.د. ناصر العمر

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)﴾

١) تأمل في خطاب شعيب لقومه، فلهذه الأجوبة الثلاثة – على هذا النسق – شأنك وهو التنبيه على أن العاقل يجب أن يراعي في كل ما يأتيه ويذره أحد حقوق ثلاثة: أهمها وأعلاها: حق الله تعالى، وثانيها: حق النفس، وثالثها: حق الناس.

البيضاوي/ أنوار التنزيل ٢٥٣/١

٢) منهج في التربية:

جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت: تنهى عن الواصلة؟ قال: نعم! قالت: فعله بعض نسائك! فقال: ما حفِظتُ وصية العبد الصالح إذن: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾. تفسير القرآن العظيم ٥٥٦/٢

٣) من الحياء المحمود: أن يخجل الإنسان من أن يؤثر عنه سوء، وأن يحرص على بقاء سمعته نقية من الشوائب، بعيدة عن الإشاعات السيئة ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾. محمد الغزالي، خلق المسلم ١٤٧

٤) ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ أي: ليس لي من المقاصد إلا أن تصلح أحوالكم، وتستقيم منافعكم، وليس لي من المقاصد الخاصة لي وحدي شيء بحسب استطاعتي، ولما كان هذا فيه نوع تزكية للنفس، دفع هذا بقوله: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾. السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٨٧

٥) ليس من شرط الإصلاح إدراك النجاح: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾. د. محمد الحمد

﴿ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (٨٩) ﴾

﴿ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي ﴾ قال السدي رحمه الله: "لا يحملَنَّكم عدواتي على أنْ تتمادوا في الضلال والكفر؛ فيصيبكم من العذاب ما أصابهم"! الدر المنثور ٤/٤٧٠

ويستفاد من كلام السدي: أنَّ العاقل لا يعادي الحق لأنه يبغض أهله؛ فإنه ما ضرَّ إلا نفسَه!

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١)﴾

١) ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ ﴾، ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ (الأنعام: ٢٥) تدبَّر ما ذكره الله عن أعداء الرُّسل من نفي فقههم وتكذيبهم، تجد بعض ذلك فيمن أعرض عن ذكر الله، وعن تدبُّر كتابه، واتبع ما تتلوه الشياطين، وما توحيه إلى أوليائها. ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢١٢/١٦

٢) ﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ﴾ لم يلتفت شعيب عليه السلام لقدحهم في شخصه، ولم يأخذه العجب باعترافهم بقوة رهطه، بل تأثر لعدم إيمانهم، وحزن لجهلهم بأن عزته وقوته هي بالله وحده. أ.د. ناصر العمر

﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) ﴾

قادةٌ لكن من نوعٍ آخر:

قال قتادة رحمه الله: "فرعون يمضي بين يدي قومه، حتى يهجم بهم على النار"!

الدر المنثور ٤/٤٧٢

قادة الضلال يوردون أتباعهم المهالك، فانظر خلفَ مَن تسيرَ

﴿ كَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)﴾

قال أبو عمران الجوني رحمه الله: "لا يغرنَّكم طولُ النسيئة ولا حسن الطلب؛ فإن أخذه أليم شديد"! الدر المنثور ٤/٤٧٤

العاقل لا يغتر بتأخر العقوبة، وإنما يدفعها قبل وصولها بالتوبة!

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآَخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (١٠٣) ﴾

لما ذكر سبحانه في سورة هود عقوبات الأمم المكذبين للرسل، وما حل بهم في الدنيا من الخزي؛ قال بعد ذلك: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآَخِرَةِ ﴾ فأخبر أن عقوباته للمكذبين عبرة لمن خاف عذاب الآخرة، وأما من لا يؤمن ولا يخاف عذابها فلا يكون ذلك عبرة وآية في حقه، فإنه إذا سمع ذلك قال: "لم يزل في الدهر الخير والشر، والنعيم والبؤس، والسعادة والشقاوة"! وربما أحال ذلك على أسباب فلكية، وقوى نفسانية.

ابن القيم، الفوائد ١٣١

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) ﴾

١) قف أمام قوله سبحانه: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾! لتدرك أن من لوازم الاستقامة المشروعة أن تكون وفق ما أُمرت به، وليس كما قد يبدو لك من الاستقامة الحسية، فقد تكون حقيقة الاستقامة أن تميل نحو الحق، كما كان أبونا إبراهيم حنيفًا؛ اي: مائلاً للحق، فتدبر تدرك ضلال ما حسنته بعض العقول القاصرة.

أ.د. ناصر العمر

٢) تدبر! لِمَ نهى عن الطغيان هنا، ولم ينه عن التقصير؟ لأن الاجتهاد في الاستقامة قد يؤدي إلى التشديد على النفس وعلى الآخرين، وقد يصل إلى الغلو، وكل هذا طغيان ومجاوزة للحد.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧)﴾

تأمل في الجملة الأخيرة ﴿ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ ولم يقل: صالحون؛ لأن الصلاح الشخصي المنزوي بعيدًا، لا ياسى لضعف الإيمان، ولا يبالي بهزيمة الخير، فكن صالحًا مصلحًا، وراشدًا مرشدًا.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)﴾

قال قتادة رحمه الله: أهل رحمة الله أهل الجماعة، وإن تفرقت ديارهم وأبدانهم، واهل معصيته أهل فرقة، وإن اجتمعت ديارهم وأبدانهم. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣٦٢/٤

﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠)﴾

١) فائدة قصص الصالحين:

إنَّ في سماع أخبار الأخيار مُقوِّيًا للعزائم ومُعينًا على اتِّباع تلك الآثار.

ابن رجب، تفسير ابن رجب ٥٧٢/١

٢) حين يتعاظم نفوذ أهل الباطلن وتزداد استطالتهم شراسة؛ فإن قلب المؤمن – في مثل هذه الأحوال – لا بد أن يضطرب، وخير ما يثبت قلبه إذا أحس بذلك، أن يتأمل أخبار الأنبياء في القرآن وهم يصارعون قوى الضلال، قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾. إبراهيم السكران

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣)﴾

﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ كل أحد من الخلق يريدك لنفسه.. من أهل وولد وصديق وخادم، وليس معك على الحقيقة إلا الحق سبحانه، فإن خذلك أو أخذك بذنبك لم يَبْقَ لك متعلق، وكان الهلاك، وإن لطف بك وقربك إليه لم يضرك انقطاع كل منقطع عنك، فلا تلتفت إلا إليه، ولا تعول إلا عليه، وإياك أن تعقد خنصرك إلا على الذي نظمها.

ابن مفلح، الآداب الشرعية ١٧٧/١

سورة يوسف

١) يقول ابن الجوزي: قرأت سورة يوسف ﷺ، فتعجبت من مدحه على صبره، وشرح قصته للناس، ورفع قدره؛ فتأملت خبيئة الأمر، فإذا هي مخالفته للهوى المكروه، فقلت: واعجبا لو وافق هواه؛ من كان يكون؟ ولمَّا خالفه لقد صار أمرًا عظيمًا تضرب الأمثال بصبره، ويفتخر على الخلق باجتهاده، وكل ذلك قد كان بصبير ساعة فيا له عزًا وفخرًا، أن تملك نفسك ساعة الصبر عن المحبوب وهو قريب.

صيد الخاطر ٢٩١

٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: قصة إبراهيم في علم الأقوال النافعة عند الحاجة إليها، وقصة يوسف في علم الأفعال النافعة عند الحاجة إليها.

مجموع الفتاوى ٤٩٣/١٤

﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥)﴾

١) يعقوب ﷺ عرف تأويل الرؤيا، ولم يبال بذلك؛ فإن الرجل يود أن يكون ولده خيرًا منه، والأخ لا يود ذلك لأخيه.

ابن العربي، أحكام القرآن ٤٧/٥

٢) هذه الآية أصل في ألا نقص الرؤيا على غير شفيق ولا ناصح، ولا على من لا يحسن التأويل فيها.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٢٦/٩

٣) في النفوس البشرية مقاومة شرسة للمتفوقين، لا تظهر تفوقك إلا عندما تكون مضطرًا.

د. عبد الله بن بلقاسم

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (٧) ﴾

آيات لكل من سأل عنها بلسان الحال أو بلسان المقال؛ فإن السائلين هم الذين ينتفعون بالآيات والعبر، وأما المعرضون فلا ينتفعون بالآيات، ولا بالقصص والبينات.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٩٤

﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩)﴾

حتى هذه التوبة (المعدة سَلَفًا) لم يفوا بها، فلم يتوبوا (بصدق) إلا بعد أن لم يبق لهم أي فرصة لتحقيق أطماعهم. أ.د. ناصر العمر

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١٠)﴾

الظلم ظلمات، ولا بد أن يلقى الظالم جزاءه وإن طالت حبال الأيام، وتأمل كيف أن إخوة يوسف لما امتدت أيديهم بالظلم لأخيهم ﴿ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ ﴾؛ امتدت أكفهم بين يديه بالطلب، يقولون: ﴿ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾. ابن الجوزي، صيد الخاطر ١٢٦

﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢)﴾

١) هل أنت من أهل الخروج إلى البراري والمنتزهات؟

تأمل.. طبيعة البشر تستريح وتسعد بالخروج من المألوف: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ ولكن هذا لا ينسى أن فيها شيئًا من المخاطر يجب أن تتقى: ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾. أ.د. عبد العزيز العويد

٢) لم ينكر والدهم ذلك بل أرسله معهم؛ مما يدل على مشروعية اللعب البريء، وحاجة الأبناء إليه، وهو يرسم منهج الوسطية بين الذين اتخذوا حياتهم لهوًا ولعبًا، واشتروا لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله، وبين الذين تشددوا وغلوا، وحرَّموا زينة الله التي أخرج لعباده؛ فلا يجوز تحريم اللعب بإطلاق أو تحليله دون ضابط. أ.د. ناصر العمر

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧)﴾

المتظاهر بالأمر ينكشف امره لأهل البصيرة ولو استخدم التمثيل، فإنهم جاؤوا أباهم عشاء يبكون، فهذا تمثيل ولكنه لم يدم لهم. محمد المنجد، شريط (١٠٠ فائدة من سورة يوسف)

﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) ﴾

١) من عجائب الجزاء في الدنيا:

– أنه لما امتدت أيدي الظلم من إخوة يوسف: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾؛ امتدت اكفهم بين يديه بالطلبن يقولون: ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ (يوسف: ٨٨).

– ولما بغت عليه المرأة بدعواها: ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ﴾ (يوسف: ٢٥)، أنطقها الحق بقولها: ﴿ رَاوَدْتُهُ ﴾ (يوسف: ١٥)، ومن ترك معصية لله، رأى ثمرة ذلك، وكذا إذا فعل الطاعة. ابن الجوزي، صيد الخاطر ٣٤

٢) صياغة الإخبار عن زهادتهم بيوسف بصيغة ﴿ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ أشد مبالغةً مما لو أخبر بـ (كانوا فيه زاهدين)؛ لأن جعلهم من فريق زاهدين يُنبئ بأنهم جَروا في زهدهم في أمثاله على سَنَن أمثالهم البسطاء الذين لا يقدرون قدر نفائس الأمور.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٤٤/١٢

﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١) ﴾

سبقت قصة المراودة بما يحدد مكانها وأشخاصها، بل وخصائصهم: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾.. اشتمل هذا على تحديد المكان ﴿ مِنْ مِصْرَ ﴾، وأن المشتري من ذوي المكانة: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾، وأن يوسف كان إذ ذاك صبيًّا: ﴿ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾. د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٩)

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢)﴾

١) ذهب يوسف عليه السلام بشطر الحسن، ولكن الله لم يمدحه في القرآن ابدًا بجماله! إنما مدحه بأنه من المحسنين ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾.

د. عبد الله بن بلقاسم

٢) ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾، ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف: ٧٨)، الإحسان وسيلة كبرى، وقاعدة صلبة يُنطلق من خلالها لتحقيق أعظم الأهداف، وأنبل الغايات، فهو أول الطريق وليس نهايته.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) ﴾

١) أول ما يواجهنا في القصة تلك الكلمة التي تختصر الحدث كلَّه: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ ﴾، فهي تصور من أول لحظة الإعجاب الشديد من امرأة العزيز، حتى طلبت فعل المنكر، وانها بذلت قصارى جهدها في التحيل؛ لأنَّ المراودة دالَّةٌ على رفقٍ في الطلب، ومجيء وانطلاقٍ، وصيغة المفاعلة دالة على التكرار. د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٢١ – ٢٢)

٢) ﴿ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا ﴾ ذكر المرأة بهذا دون اسمها (زليخا)، أو الإضافة (امرأة العزيز)؛ ففيه إظهار كمال نزاهته، فإن عدم ميله إليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها، واستعصاءه عليها مع كونه تحت ملكتها ينادي بكونه عليه السلام في أعلى معارج العفة والنزاهة. د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٢٣)

٣) إنما قال: ﴿ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا ﴾ قصدًا إلى زيادة التقرير مع استهجان التصريح باسم المرأة والمحافظة على الستر عليها.

الشوكاني، فتح القدير ٣/٢٠

٤) ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ في تعدية الفعل (راود) بحرف الجر (عن) سرٌّ، فإنه لما كانت المراودة تدل على الحركة، وكان حرف (عن) يدل على المجاوزة؛ فكأنها أرادت بكلِّ حيلها وأنوثتها تجريده من نفسه هو؛ ليكون لها وحدها.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٢٤)

٥) وفي أول الأمر: ﴿ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ ﴾ ولما شاع الأمر في المدينة، لم تبالِ أن تعلنَ عن فسادها: ﴿ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ (يوسف: ٣٢)؛ وهكذا تبدأ المنكرات خُفيةً، فإن أُشهِرت ارتُكِبت علانية. أ.د. ناصر العمر

٦) ﴿ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ ﴾ هذه أول خطوة قامت بها امرأة العزيز في سبيل رغبتها، وهي خطوة ذات شقين: فعلى: ﴿ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ ﴾، وقولي: ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾، وتشير كلمة ﴿ وَغَلَّقَتِ ﴾ إلى إحكام الغلق، وإلى كثرة الأبواب؛ تهيئةً لفعل مرادها.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٢٥ – ٢٦)

٧) ﴿ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ يلفت النظر هذا الإيجاز الشديد في ذكر هاتين الخطوتين (التغليق، والقول)؛ ففيه إشارة إلى ضرورة الاختصار في كلِّ ما يتعلق بهذه القضيَّة، وعدم التطويل في سرد التفاصيل المحركة للغرائز.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٢٥)

٨) ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ في إظهار قول يوسف عناية بإبراز ما تفوَّه به في تلك اللحظة مقابل ما تفوَّهت به؛ ليتَّضح الفرق بين لغة الشهوة والخيانة، ولغة العفة والوفاء، وفي سبق التعوذ إلى لسانه دليل على عظم صلته بربِّه وقربه منه، وإلا فإنَّه لا يُوفَّق لمثل هذا كلُّ أَحَدٍ.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٣١ – ٣٢)

٩) نازعتني نفسي لأمر مكروه شرعًا، فلجأت إلى الله في دفع ذلك عن قلبي، واقبلت على القرآن، فبدأت بسورة يوسف؛ حتى بلغت: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ فانتبهت لها، وكأني خوطبت بها، فأفقت وقلت: يا نفس! هذا حرٌّ بيع ظلمًا، فراعى حق من أحسن إليه قائلاً: ﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ فكيف بك، وأنت عبدٌ لله، قد نالك منه الإحسان العظيم!

ابن الجوزي، صيد الخاطر ٢١٥/١

١٠) ﴿ إِنَّهُ رَبِّي ﴾ فَذَكَرَ عنوانَ الربوبية هنا دون السيادة؛ لما فيه من الاعتراف بالمعروف والفضل، وهذا دليل على أن من المروءة ورفيعِ الأخلاق أن يحفظ الإنسانُ حقَّ من أحسن إليه، فضلًا عن أن يخونه، والسياق دالٌّ على أن المراد هو مَنْ ربَّاه وقال: أكرمي مثواه، لا خالقه؛ لأنه المتبادر إلى مفهوم المرأة المتلقية للخطاب.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٣٢)

١١) تأمل الفرق بين تربية الروح وبين تربية الجسد، في قصة نبي الله يوسف مع امرأة العزيز!.

د. محمد المصري

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) ﴾

١) ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ صُدِّر الأولُ بما يقرِّر وجودَه من التوكيد القسمي ﴿ وَلَقَدْ ﴾، وعُقِّب الثاني بما يعفو أثرَه من قوله ﷻ: ﴿ لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ الدال على قبح الزنا، وبما أن برهان ربه قد وجد، فالهمُّ لم يوجد.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٣٤)

٢) ﴿ لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ الله تعالى يعين أولياءه في اللحظات العصيبة بأمور تثبتهم، فهو كاد، لكن برهان من الله أراه إياه جعله ينصرف، ومهما كان المراد بهذا البرهان، فالإنسان لولا معونة الله وتوفيق الله وتسديده، لا يثبت على الحق.

محمد المنجد، شريط : يوسف (١)

٣) ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ رغم كل محاولات امرأة العزيز وإغراءاتها كانت الاستجابة لها – وحاشا يوسف عليه السلام – سوءًا وفحشاء! لا عذر للجريمة.

د. عبد الله بن بلقاسم

٤) ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ شهد الله في هذه الآية على طهارة يوسف أربع مرات:

١- ﴿ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ ﴾ واللام للتأكيد، وان السوء صرف عنه، وهذا أبلغ من أن يصرف هو عن السوء.

٢- ﴿ وَالْفَحْشَاءَ ﴾: فصرف عنه السوء والفحشاء.

٣- ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ فأضافه إليه.

٤- ﴿ الْمُخْلَصِينَ ﴾، وقرئت بفتح اللام وكسرها. د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٣٩)

٥) هل ذقت حلاوة الإخلاص؟ يقول ابن تيمية رحمه الله: المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديَّته ما يمنعه من محبة غيره؛ إذ ليس عند القلب السليم أحلى ولا ألذ، ولا أطيب ولا أسر ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله؛ وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله، فيصير القلب منيبًا إلى الله، خائفًا منه، راغبًا راهبًا، كما قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾. العبودية ١٣٩

٦) من أعظم أسباب العشق: إعراضُ القلب عن الله، والإنسان لا يترك محبوبًا إلا بمحبوب آخر يكون أحب إليه منه، أو خوفًا من مكروه؛ والقلب إذا ذاق طعم عبادة الله، والإخلاص له لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك، ولا ألذ، ولا أمتع، ولا أطيب، فتدبر: ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٠/١٨٧

٧) ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ محبة الصور المحرمة وعشقها من موجبات الشرك، وكلما كان العبد أقرب إلى الشرك وأبعد من الإخلاص، كانت محبته بعشق الصور أشد، وكلما كان أكثر إخلاصًا وأشد توحيدًا، كان أبعد من عشق الصور؛ ولهذا أصاب امرأة العزيز ما أصابها من العشق لشركها ونجا منه يوسف الصديق عليه السلام بإخلاصه. ابن القيم، إغاثة اللهفان (٢/١٤١)

٨) لا يبتلى بالعشق غالبًا إلا من غفل قلبه عن الله وعن ذكره وعن أمره ونهيه، قال تعالى في حق يوسف: ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ يدل ذلك على أن الإخلاص سبب لدفع السوء والفحشاء، فالقلب إذا امتلأ من ذلك استحلاه على كل شيء وتغذى به واستغنى به عما سواه.

ابن مفلح، الآداب الشرعية ٣/٢٤٣

٩) إذا انفتح لك باب معصية وتيسرت أسبابها؛ فلا تفرح؛ فقد يكون علامة على هوانك عند ربك: ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾.

فهد العيبان

١٠) أحد الشباب كان يعاني من تعلقه ببعض الفواحش، وكان يجد شدة في تركها! حتى أذن الله بذهاب حبها من قلبه بسبب تدبره لقوله تعالى – عن يوسف عليه السلام-: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ فرجع لنفسه، وقال: لو كنت مخلصًا لأنجاني رب كما أنجى يوسف، ولم يمض وقت طويل حتى صار هذا الشاب أحد الدعاة إلى الله.

١١) تدبر الثناء على يوسف: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ وموسى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ (مريم: ٥١) بكسر اللام وفتحها في الآيتين، في قراءتين سبعيتين ومعنيين بديعين، حيث أخلصا في عملهما فأخلصهما الله واصطفاهما. أ.د. ناصر العمر

﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥)﴾

١) ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾ فيه مشروعية الفرار من الفتن مهما بلغ الإنسان من العلم، والدين، والعقل. د. محمد الحمد، هداية آيات ٧

٢) ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾ ولم يقل: واستبقا (إلى) الباب:

١- لأن الاستباق ليس مقصودًا لذاته، بل هو وسيلة، والمقصود هو الباب، ولو قيل: استبقا إلى الباب؛ لكان الباب منتهى السباق؛ لأنه بتجاوز الباب يتغير المكان والموقف كله؛ لذا كانت حريصةً على منعه من ذلك.

٢- وليشير إلى سرعة الوصول، حتى لكأنهما في لحظة قد وصلا الباب.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٤١)

٣) ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ ولم يقل: سيدهما؛ لوجهين:

١- أنَّ "يوسف لم يدخل في رقٍّ قط"، وإنما اشتُرِيَ ظلمًا.

٢- "لأن المسلم لا يُملك، وهو السيد"، ولا تكون السيادة للكافر على المسلم.

البقاعي، نظم الدرر ٤/٣٢

٤) ﴿ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ ﴾ ذكر قدَّ القميص، وتحديد مكان القدِّ، فيه إشارة إلى أن يوسف هو الأسبق إلى الباب، وهذا يعني أنه هو الهارب وهي المطارِدة. وذكر مادة (القدِّ) دون (الشق)؛ لأن القدَّ لا يكون إلا طولاً، وهذا أكثر مطابقة للواقع.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٤٢)

٥) ﴿ ما جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ ولم تقل: ما جزاء يوسف، فكأنها لا تريد أن يصيب معشوقها مكروهٌ مقصود يؤذيه هو بعينه؛ لذا أَخْفَت اسمَه عند لحظة المواجهة، كما أن في ذلك تخفيفًا من رد يوسف عليها، إذ لو أشارت إليه أو نسبت الأمر بصراحة إليه؛ لربما حدث امرٌ آخر.

د. عويض العواجي، جماليات النظم القرآني (٤٧)

٦) في قولها: ﴿ بِأَهْلِكَ ﴾ بدلاً من قولها: (بي) فائدة، وهي: إضافة نفسها إلى العزيز؛ لتثير عاطفته نحوها، ولتغريه بهذا الذي اعتدى على العزيز في أهله، وفي اختيار (الأهل) دون (الزوجة) ما يوحي بالاستقرار والراحة، كا هذا لتحفز زوجها على نصرته لها، وترويض خصمها، فهي تقيس هنا مجموعة مشاعر مختلفة، بين استغراب، وسؤال، ورهبة، وعشق، كل ذلك استطاعت استيعابه بخطاب شامل يدل على قدرة فائقة في ذلك.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٤٨)

٧) ﴿ إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ سبق السجن بت (أن والفعل)، بينما جاء "العذاب" صريحًا موصوفًا، ولم يقل: (أن يعذب)؛ لأن لفظ السجن يطلق على البيت الذي يوضع فيه المسجون، ويطلق على مصدر سجن، فحتى لا يتبادر إلى الذهن الموضع فقط، ذُكِر الفعل مسبوقًا بـ (أن) ليتحقق معنى الفعل؛ لأنه الذي فيه النكاية.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٤٩)

٨) والمراد أن يسجن يومًا أو أقل على سبيل التخفيف، فأما الحبس الدائم فإنه لا يعبر عنه بهذه العبارة، بل يقال: يجب أن يجعل من السجونين، ألا ترى أن فرعون هكذا قال حين تهدد موسى ﷺ في قوله: ﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٩)؟

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٥٠)

﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦)﴾

١) ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي ﴾ والمتوقع أن يقول: هذه راودتني؛ ولعل السرَّ هو للإعلام بانصرافه عنها، وعدم اهتمامه بها؛ لخيانتها، واتهامها لبريء، وهو موافق لما جَبَل الله عليه الأنبياء من حسن الأدب ولطف القول، فهي لما كنَّت عن نفسها فقالت: ﴿بِأَهْلِكَ﴾، ولم تقل: (بي)، كنى ﷺ عنها بضمير الغيبة، فقال: ﴿ هِيَ رَاوَدَتْنِي ﴾، ولم يخاطبها بـ: (انت راودتني)، ولا أشار إليها بـ: (هذه راودتني)؛ تأدُّبًا في اللفظ.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٥١)

٢) ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ ﴾ تلحظ العناية بشأن الشهادة، حيث ذكرت في لفظين متجاورين، فـ (شهد) يمثل القيام بالفعل – وهو الشهادة – و(شاهد) يبيِّن أنَّ الذي قام بالفعل من أبرز صفاته: الشهادة ولولا هذا المعنى لقيل: وشهد بعض اهلها، وتقييد الشاهد بكونه (من أهلها) فيه دلالة على قوة شهادته إذا شهد عليها؛ لأنَّ في مثل هذه الحالة أن يشهد لها لا عليها، بسبب الحميَّة. د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٥٢)

٣) إنما قال ﴿ مِنْ أَهْلِهَا ﴾؛ ليكون أولى بالقبول في حق المرأة؛ لأن الظاهر من حال من يكون من أقرباء المرأة ومن أهلها أن لا يقصدها بالسوء والإضرار.

الرازي، مفاتيح الغيب ٤٤٦/١٨

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٠)﴾

١) ﴿ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ ﴾ أضَفْنَها إلى زوجها، إرادة لغشاعة الخبر؛ فإن النفس إلى سماع أخبار أولي الأخطار والمكانة أميل. البقاعي، نظم الدرر ٧٠/١٠

٢) تأمل قوله تعالى عن النسوة: ﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ ولم يقلن: (فتى العزيز راود سيدته)، وفي هذا طمأنة لأصحاب المبادئ الذين يتعرضون لتشويه السمعة، وإلصاق التهم عن طريق الإشاعات والافتراء، إذ سرعان ما تتضح مواقفهم، وتظهر براءتهم ساطعة كالشمس: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ (يوسف : ٥١).

أ.د. ناصر العمر

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) ﴾

١) ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ لا تجرب نفسك في المآزق الصعبة، فقد تتقطع حبال صبرك! د. عبد الله بن بلقاسم

٢) انظر إلى قوله تعالى في سورة يوسف عن النسوة: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾، وقول الملك ليوسف: ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾، فيه أن النساء يروقهن حسن المظهر، وأما الرجال فيروقهم جمال المنطق والمخبر، وتلك من الطبيعة التي خلقها الله تعالى في النفوس. د. محمد الحمد

﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢)﴾

١) كثيرًا ما يقرن الله تعالى بين الجمال الظاهر والجمال الباطن، ومنه قول امراة العيز عن يوسف ﷺ لما أرته النسوة اللائمات لها في حبه: ﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾، فأرتْهُنَّ جمالَه الظاهر، ثم قالت: ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾، فأخبرت عن جماله الباطن بعفَّته. ابن القيم، إغاثة اللهفان ٥٨/١

٢) عندما تتصف المرأة بخصال تشينها خلقًا ودينًا، فإنها تجتهد في توريط بنات جنسها بذلك، مستغلة مكانتها وطيبة كثير من النساء؛ فتوردهن – بمكرها – المهالك؛ قف وتأمل قصة امرأة العزيز مع نسوة المدينة، فبعد استنكار الباطل؛ أصبحن للشر أعوانًا!

أ.د. ناصر العمر

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) ﴾

١) من احتمل الهوان والأذى في طاعة الله على الكرامة والعز في معصية الله – كما فعل يوسف ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين – كانت العاقبة له في الدنيا والآخرة، وكان ما حصل له من الأذى قد انقلب نعيمًا وسرورًا، كما أن ما يحصل لأرباب الذنوب من التنعيم بالذنوب ينقلب حزنًا وثبورًا. ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٣٢/١٥

٢) ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ وذلك لأنَّ الميل إليهنَّ جهْلٌ؛ لأنه يكون قد آثر لذّة قليلةً منغَّصةً على لذاتٍ متتابعات وشهوات متنوعات في جنات النعيم، ومن نثر هذا على هذا، فَمَن اجهلُ منه؟!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٩٧ (بتصرف)

٣) كيف تبرّئ نفسك وهناك من هو خير منك، يوسف عليه السلام يقول عن النساء: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾. علي الطنطاوي، نور وهداية ١٢٤ – ١٢٥

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) ﴾

﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ لجأ أهل السجن إلى يوسف لتعبير رؤياهمن وهم لا يعرفون أنه من أهل العلم، ولا يعلمون أنه معبر للرؤى من قبل، فهم من الكفار والملك كافر والبلدة كافر؛ لأن أهل الصلاح يظهر صلاحهم على وجوههم، والناس يحبونهم وينجذبون إليهم، فإن أهل السجن قالوا بعدها: ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ حالتك وسيرتك وهيئتك وافعالك تدل على أنك من المحسنين والصالحين. محمد المنجد، شريط سورة يوسف (١)

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) ﴾

قال يوسف للسجينين: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ ولم يشتم دينهما أمامهما؛ لأن المقام ليس مقام رد ولا استفزاز ولا حساب، بل مقام بلاغ، والحق إذا تبين فليس بالضرورة أن يجهر بشتم الباطل الذي يدين به الشخص المقابل.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) ﴾

١) ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ إنما قال ذلك تمهيدًا للدعوة، وإظهارًا أنه من بيت النبوة؛ لتقوى رغبتهما في الاستماع إليه، والوثوق به.

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ٥٩٦/٢

٢) لا فرق بين عبادة القبر ومن فيه، وعبادة الصنم، وتأمل قول الله تعالى عن نبيِّه يوسف بن يعقوب حيث قال: ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ فقوله: ﴿ مِنْ شَيْءٍ ﴾ نكرة في سياق النفي تعمُّ كلَّ شركٍ.

عبد الرحمن بن حسن، فتح المجيد ٢٣٤

٣) علق قتادة رحمه الله على قول يوسف عليه السلام: ﴿ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ فقال: إن المؤمن ليشكر ما به من نعمة الله، ويشكر ما في الناس من نعم الله.

الدر المنثور ٢٥٥/٨

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) ﴾

١) ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ تأمل دلالة أداة الحصر، وتعقيب ذلك بأن الحكم عبادة، ووصفه بالدين القيم؛ لتدرك أي منكر عظيم، وجريمة كبرى يرتكبها من لم يحكم بما أنزل الله. أ.د. ناصر العمر

٢) لو ان شخصًا نظر إلى ماضيه؛ فوجده مثقلاً بالآلام – كما وقع ليوسف عليه السلام–؛ لضاقت به بالأرض، إلا أن يوسف الصديق بقي متألق اليقين وراء جدران السجن، يذكِّر بالله من جهلوه، ويبصِّر بفضله من جحدوه، وذلك شأن أولي الفضل من الناس، لا يفقدون صفاء دينهم إن فقدوا صفاء دنياهم، ولا يهونون أمام أنفسهم لنكبة حلت بهم.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٢٣

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣)﴾

تأمل في كلام هذا الملك العاقل، حيث اعتبر أن الرؤيا لها أهلها المختصون، وأكد ذلك بالجملة الشرطية ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ فما بال كثير من الناس يعرضون رؤاهم على كل غاد ورائح؟

أ.د. ناصر العمر

﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (٤٤) ﴾

استدل بعض العلماء من قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ﴾ على ضعف ما ورد من أن "**الرؤيا على أول ما تعبر**"[(١)]؛ لأن القوم قالوا: ﴿ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ﴾ ولم تقع كذلك، فإن يوسف فسرها على سني الجدب والخصب، فكان كما عبر. وفي الآية دليل أيضًا على ضعف أن "الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر، فإذا عبرت وقعت"[(٢)].

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٠١/٩

﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) ﴾

في سورة يوسف خوطِب الملك بصيغة الجمع: ﴿ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾، وفي يونس ﴿ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ ﴾ (يونس: ٨٣)، جمع والمراد فرعون، وفي القصص: ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ (القصص: ٩)، تخاطب زوجها فرعون؛ بدلالة: ﴿ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ ﴾، فهذه الآيات تدل على جواز مخاطبة الملوك بالجمع؛ تحقيقًا لمصلحةٍ أو دفعًا لمفسدة.

أ.د. ناصر العمر

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧)﴾

هذه الآية أصل في القول بالمصالح الشرعية التي هي حفظ الأديان والنفوس والعقول والأنساب والأموال؛ فكل ما تضمن تحصيل شيء من هذه الأمور فهو مصلحة، وكل ما يفوت شيئًا منها فهو مفسدة، ودفعه مصلحة.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٠٣/٩

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠) ﴾

إنما قال: ﴿ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ ﴾ وسكت عن امرأة العزيز؛ رعاية لذمام الملك العزيز، أو خوفًا من كيدها وعظيم شرها.

الشوكاني، فتح القدير ٤١/٣

---

(١) ابن ماجه ح (٣٩١٥).

(٢) أبو داود ح (٥٠٢٠)، وابن ماجه ح (٣٩١٤)، وأحمد ح (١٦١٨٢).

﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٣)﴾

١) فهم سياق الآيات وتدبرها مما يعين على فهم المعنى – إذا اختلف فيه المفسرون – مثال ذلك: جزم شيخ الإسلام ابن تيمية بأن امرأة العزيز هي التي قالت: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾؛ لأن السياق متصل بكلامها، وأتبع بقوله: يدل القرآن على ذلك دلالة بينة، لا يرتاب فيها من تدبر القرآن.

دقائق التفسير ٢٧٣/٢

٢) من أعظم الأشياء ضررًا على العبد بطالته وفراغه، فإن النفس لا تقعد فارغة بل إن لم يشغلها بما ينفعها شغلته بما يضره، ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٧٥

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) ﴾

١) من أهم أسباب الأحداث الجارية في الدول العربية: سوء توزيع الثروات (وليس شحها)، وهذا ناشئ من عدم توافر أهلية المسئولين عن ذلك، وإلا فيوسف عليه السلام استطاع أن يجتاز بمصر أحلك الأزمات الاقتصادية بأمان؛ لتوافر شروط الكفاءة فيه. تدبر: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

أ.د. ناصر العمر

٢) قال القاضي أبو يعلى: وفي قصة يوسف دلالة على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه.

شرح منظومة الآداب ٦٤

﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) ﴾

فيها عدَّة فوائد، منها: إطلاق الكل وإرادة البعض، فيوسف لم يتمكَّن له في جميع الأرض، بل مُكِّن له في أرض مصر ونواحيها، ومنها أنَّ الطاعة تثمر الرزق في الدنيا، ويعطى المؤمن الاجر عليها، ولا ينقص ذلك من ثوابه في الآخرة.

القصاب، نكت القرآن ٦١٩/١

﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠)﴾

في قول يوسف لإخوته: ﴿ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ مشروعية المقاطعة الاقتصادية؛ لتحصيل غرض مشروع، طالما أن المصلحة الشرعية اقتضتها، فيوسف بين لإخوته أنه ليس بينهم أي تعاون اقتصادي ما لم ينفذوا مطلبه.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢) ﴾

تأمل: عندما جاء إخوة يوسف، وطلب منهم أن يأتوا باخيهم؛ أمر فتيانه بأن يضعوا بضاعتهم في رحالهم، ولكن عندما أراد أن يأخذ اخاه؛ وضع الصواع بنفسه ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ﴾ (يوسف: ٧٠)؛ وذلك لأنه في الاولى كان مجرد علامة على جديته في طلب أخيهم، فلا يحتاج إلى حيلة أو كتمان.. بينما كان أخذ أخيه بحيلة مشروعة لا تتم إلا بالتلطف والكتمان؛ حتى يتحقق الهدف المنشود.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) ﴾

توجيه الآباء لبنائهم كما فعل يعقوب مع بنيه من أعظم وسائل الحفظ لهم، وذلك بالأخذ بالاسباب الشرعية: كالأوراد، وتحاشي ما قد يكون سببًا في شقائهم: ﴿ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾، وإن خير ما يسمعه الأبناء من آبائهم ما سمعه أبناء يعقوب من أبيهم: ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٢).

أ.د. ناصر العمر

﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧) ﴾

يوسف عليه السلام آذاه إخوانه، وألقوه في بئر حتى سيق مملوكًا بثمن بخس، وسجن سنين، ثم بعد ذلك يصبح عزيز مصر، قال إخوته: ﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾، يقصدون يوسف،

فماذا فعل؟ انظروا إلى ضبط النفس: ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا ﴾ حتى إنه لم يُرِد جرح مشاعرهم بهذه الكلمة؛ فقالها سرًّا في نفسه.

أ.د. ناصر العمر

﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ (٧٩) ﴾

١) إن القرآن ليصور لنا أخذ البريء بالمذنب؛ لا على أنه مضاد للشريعة فحسب! بل هو كذلك غير متوافق مع الفكرة الأساسية للعدالة الإنسانية.

د. محمد دراز، دستور الأخلاق في القرآن الكريم ١٥١

٢) تأمل دقة يوسف عليه السلام لما قال: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا ﴾ فلم يقل: (من سرق)! لأنه يعلم أن أخاه لم يسرق، فكان دقيقًا في عبارته، فلم يتهم أخاه، كما لم يثر الشكوك حول دعوى السرقة، فما احوجنا إلى الدقة في كلماتنا، مع تحقق الوصول إلى مرادنا.

أ.د. ناصر العمر

﴿ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١)﴾

﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ﴾ الكلام في الاشياء شهادة، فالشيء الذي لا تعرف حقيقته لا تخض فيه.

د. محمد المختار الشنقيطي

تأمَّل في حال كثير من المجالس أو المنابر الإعلامية لتدرك كم هم المخالفون لهذا الهدي القرآني سواء في المسائل الشرعية أو غيرها.

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣) ﴾

١) إذا استحكمت الأزمات وتعقدت حبالها، وترادفت الضوائق وطال ليلها، فالصبر وحده هو الذي يشع للمسلم النور العاصم من التخبط، ولك الأسوة في نبي الله يعقوب، لما توالت عليه المحن قال: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾.

الغزالي، خلق المسلم ١١٦

٢) ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ هذا دأب المؤمن في علاقته مع ربه، فهو يحسن الظن به دومًا، فكيف بمثل هذا اليوم العظيم؟ قال ابن المباركك جئت إلى سفيان عشية عرفة وهو جاث على ركبتيه، وعيناه تهملان، فبكيت! فالتفت إلى وقال: ما شأنك؟ فقلت: من أسوا هذا الجمع حالاً؟ قال: الذي يظن أن الله ﷻ لا يغفر لهم[1]!

حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ٩٢

٣) يَبِينُ إيمان المؤمن عند الابتلاء، فهو يبالغ في الدعاء ولا يرى أثرًا للإجابة، ولا يتغير أمله ورجاءه ولو قويت أسباب اليأس؛ لعلمه أن ربه اعلم بمصالحه منه؛ أما سمعت قصة يعقوب عليه السلام؟ بقى ثمانين سنة في البلاء ورجاءه لا يتغير، فلما ضُمَّ بيامين بعد فقد يوسف لم يتغير أمله وقال: ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ فإياك أن تستطيل زمان البلاء، وتضجر من كثرة الدعاء، فإنك مبتلى بالبلاء، متعبد بالصبر والدعاء، ولا تيأس من روح الله وإن طال البلاء. ابن الجوزي، صيد الخاطر ٥٥٢

﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤)﴾

قال ابن الجوزي في قوله تعالى: ﴿ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ ﴾ هذا لفظ الشكوى، فاين الصبر الذي مدح به يعقوب؟

أحدهما: أنه شكا إلى الله لا منه، والثاني: أنه أراد به الدعاء، فالمعنى يا رب ارحم اسفي على يوسف.

قال ابن الأنباري: الحزن ونفور النفس من المكروه والبلاء لا عيب فيه، ولا ماثم إذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثم، ولم يشتك من ربه، فلما كان قوله: ﴿يَا أَسَفَى﴾ شكوى إلى ربه، كان غير ملوم. الآداب الشرعية لابن مفلح ٢٧٨/٢ – ٢٧٩

﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧)﴾

١) معالجة الأمور العظيمة وحل المشكلات العويصة يحتاج إلى رفق وأناة وبعد نظر: ﴿اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا ﴾ و﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ١٩) بخلاف ما درج عليه كثير من الناس. أ.د. ناصر العمر

[1] أرسلت عشية يوم عرفة.

٢) تأمل وصية يعقوب لأبنائه: ﴿ فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ ووصية الفتية لمن أرسلوه لجلب الرزق: ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ١٩) فيعقوب قد ذهب بصره، وأهم وسيلة للبحث عن الاشياء الدقيقة والتحقق منها التحسس، فعبر بها. والفتية شأنهم مبني على الحذر خوفًا من علم قومهمن فعبروا بالتلطف. فلكل شيء ما يناسبه.

أ.د. ناصر العمر

٣) رغم كثرة المصائب وشدة النكبات والمتغيرات التي تعاقبت على نبي الله يعقوب عليه السلام؛ إلا أن الذي لم يتغير أبدًا هو حسن ظنه بربه تعالى. صالح المغامسي

٤) ﴿ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ﴾ إن سُم التشاؤم الذي يحاول المنافقون دسه على المؤمنين له ترياق ودواء جدير بان يذهبه، ألا وهو بث اليقين بمعية الله، والتوكل عليه، ولنثق بأن الذي يخرج اللبن من بين الفرث والدمن قادر على إخراج النصر من رحم البأساء والضراء. أ.د. ناصر العمر

٥) التفاؤل الإيجابي الذي ترجى ثمرته: ذلك العمل الجاد الحكيم غير المستعجل، المبني على الثقة بالله مع فعل السبب دون الاعتماد عليه، تدبر هذه الوصية المحكمة التي ترسم منهجًا للمتفائلين: ﴿ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

أ.د. ناصر العمر

٦) ﴿وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾، ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ (الحجر: ٥٦) اليأس القنوط استصغار لسعة رحمة الله ومغفرته، وذلك ذنب عظيم، وتضييق لفضاء جوده. العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والاحوال ١١٩

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) ﴾

١) من تأمل ذل إخوة يوسف لمَّا قالواك ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾، عرف شؤم الزلل!

ابن الجوزي، صيد الخاطر ٩٠

٢) لو قام المذنبون في هذه الأسحار على أقدام الانكسار ورفعوا قصص الاعتذار مضمونها: ﴿ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾؛ لبرز لهم التوقيع عليها: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (يوسف: ٩٢). ابن رجب، لطائف المعارف ٢٢٨

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) ﴾

من أعجب ما يفعله الحاسدون: أن يكونوا سببًا في تتويج من أرادوا القضاء عليه.

أ.د. ناصر العمر

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)﴾

١) ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾، ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ (النور: ٢٢) في الإحسان إلى المسيء شرف الاتصاف بصفات الخالق؛ إذ يجعلون له الصاحبة والولد، وهو يعافيهم ويرزقهم! وفيه فطام للمسيء عن إساءته، وتعريف له بقبح ظلمه.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٢١٠

٢) يزداد التعجب ويشتد الاستغراب من أناس يقرؤون سورة يوسف، ويرون ما عمله إخوته معه عندما فرقوا بينه وبين أبيه، وما ترتب على ذلك من مآسي وفواجع: إلقاء في البئر، وبيعه مملوكًا، وتعريضه للفتن وسجنه، واتهامه بالسرقة.. بعد ذلك كله يأتي منه ذلك الموقف الرائع: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ يرون ذلك فلا يعفون ولا يصفحون؟ فهلا عفوت أخي كما عفى بلا مَنٍّ ولا أذى؟ ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (النور: ٢٢).

﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) ﴾

لأنَّ كلَّ داءٍ يُداوى بضده، فهذا القميص – لما كان فيه أثر ريح يوسف عليه السلام، الذي اودع قلب أبيه من الحزن والشوق ما الله به عليم – أراد أن يشمَّه؛ فترجع إليه روحه، وتتراجع إليه نفسه، ويرجع إليه بصره. السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٠٥

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (٩٤) ﴾

صدق أبوهم حين قال: ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾، وأخطؤوا حين قالوا: ﴿ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾؛ نحتاج إلى مراجعة ألفاظنا مع آبائنا، ونراعي شيبتهم فقد يقولون حقًا لا ندركه. د. محمد المنجد

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) ﴾

١) ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ما أعظم وفاء يوسف مع أبويه عليه السلام فحين مكنه الله، ورفعهما على سرير ملكه، وأظهر لهما التقدير والاحترام!

إنها رسالة لكل من آتاه الله مكانةً وعلمًا وغنى، أن يرد الجميل لوالديه، وأن يرفعهما حسًا ومعنى. د. محمد الربيعة

٢) تأمل قول يوسف عليه السلام: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾ فلم يذكر خروجه من الجب، مع أن النعمة فيه أعظم، لوجهين: أحدهما: لئلا يستحيي إخوته، والكريم يغضي عن اللوم، ولاسيما في وقت الصفاء. والثاني: لأن السجن كان باختياره، فكان الخروج منه أعظم، بخلاف الجب. الزركشي، البرهان ٦٦/٣

٣) قول يوسف عليه السلام: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ فيه الحفاظ على مشاعر الآخرين وعدم جرحها، فإنه ما قال: بعدما ظلمني إخوتي، وبعدما القوني في الجب؛ بل اضاف ذلك إلى الشيطان، وهذا من مكارم الأخلاق وتلك أخلاق الأنبياء عليهم السلام.

محمد المنجد، شريط ١٠٠ فائدة من سورة يوسف

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) ﴾

إياك أن تغتر بما يغتر به الجاهلون، فإنهم يقولون: لو كان هؤلاء على حق لم يكونوا أقل الناس عددًا والناس على خلافهم! فاعلم أن هؤلاء هم الناس، ومن خالفهم فمُشَبَّهون بالناس وليسوا بناس، فما الناس إلا أهل الحق وإن كانوا أقلهم عددًا: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾. ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١٤٧/١

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آَيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) ﴾

تأمل حالك مع ما يمر بك من تلك الآيات الكونية، والتي تعددت هذه الأيام، فبمقدار تأثرك واتعاظك يكون إيمانك، وإلا فاحذر أن يكون فيك شبه من ألئك المعرضين.

أ.د. ناصر العمر

﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠)﴾

١) تأمل! ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ﴾ وقوله: ﴿ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ﴾ (البقرة: ٢١٤)، فأيُّ دلالة على شدَّة الكرب وعظم الخطب ابلغ من هذا؟ وأنه بلغ مبلغًا كبيرًا ظهر أثره على خيرة الخلق وهم الرُّسل، فجاء بعد ذلك النصر: ﴿ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾، ﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾.

أ.د. ابتسام الجابري

٢) هذه الآية تجعل الداعية يترقب الخروج من الضيق إلى السعة، مبشرة بعيشة راضية، ومستقبل واعد، رغم المحن القاسية والظروف المحيطة؛ فالحوادث المؤلمة مكسبة لحظوظ جليلة من نصر مرتقب، وثواب مدخر، وتطهير من ذنب، وتنبيه من غفلة، وكل ذلك خير، فـ "**عجبًا لأمر المؤمن إن امره كله خير**"[١]؛ فلماذا اليأس والقنوط؟

أ.د. ناصر العمر

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)﴾

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ إن القول بان قصص القرآن هي مجرد تاريخ كلام باطل ينزه القرآن عنه! بل قصصه شذور من التاريخ، تعلم الناس كيف ينتفعون بالتاريخ!

محمد رشيد رضا، مجلة المنار ١٨١/٧

[١] مسلم ح (٢٩٩٩)، وأحمد ح (٢٣٩٣١).

سورة الرعد

ثلاث سور تجلت فيها عظمة وقوة الخالق سبحانه تفتح الأبصار إلى دلائل ذلك في الكون القريب منا، من تدبرها حقًا شعر ببرد اليقين في قلبه، وأدخل عظمة الله في كل شعرة من جسده: (الرعد، فاطر، الملك).

د. عصام العويد

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢)﴾

﴿ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ كثرة الأدلة وبيانها ووضوحها من أسباب حصول اليقين في جميع الأمور الإلهية، خصوصًا في العقائد الكبار: كالبعث والنشور والإخراج من القبور.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤١٢

﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)﴾

عبرة للمتأمل..

انظر إلى قطع الأرض المتجاورات، وكيف ينزل عليها ماء واحد، فتنبت الأزواج المختلفة، المتباينة في اللون والشكل والرائحة والطعم والمنفعة، واللقاح واحد والأم واحدة، كما قال تعالى: ﴿ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٢٠٠/١

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٦) ﴾

كان مطرف بن عبد الله إذا تُليت عليه هذه الآية: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ﴾ قال فلو يعلم الناس قدر مغفرة الله ورحمته وتجاوز الله؛ لقرَّت أعينهم، ولو يعلم الناس قدر عذاب الله، ونكال الله، وباس الله؛ ما رقي لهم دمع، ولا انتفعوا بطعام ولا شراب.

الزهد لابن حنبل ٢٤٤

﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (١١)﴾

١) ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ من حفِظَ اللهَ، حفظَهُ حتى من الحيوانات المؤذية بالطبع، ومن ضيعَ الله، ضيعه الله بين خلقه؛ حتى يدخل عليه الضرر ممن كان يرجو أن ينفعه، ويصير أخص أهله به وارفقهم به يؤذيه.

ابن رجب، تفسير ابن رجب ٥٧٩/١

٢) متى رأيت تكديرًا في حال، فاذكر نعمةً ما شُكِرَتء أو زلةً فُعِلَتْ؛ فإن الله يقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾.

ابن الجوزي، صيد الخاطر ٦

٣) مجتمعات تعيش في الشقاء وأخرى تتقلب في النعيم، فالأولى تبحث عن الخلاص وهو بين يديها: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾، والأخرى تخاف تغير الحال، والأمان أمام ناظريها: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (الأنفال: ٥٣).

أ.د. ناصر العمر

٤) رمضان موسم عظيم لتغيير النفوس إلى الاحسن؛ ليغير الله ما بنا من واقع مؤلم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾، ومن المحزن أن من ابنائنا من يتغير إلى الاسوأن فنهارهم نوم تضيع معه صواتهم، وليلهم سهر تضيع معه أوقاتهم أو بمتابعة قنوات الإفساد ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (الأنفال: ٥٣)، فاحذر أن تكون سببًا لتغيير نعم الله التي أنعمها عليك وعلى مجتمعك.

أ.د. ناصر العمر

﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧) ﴾

١) ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ قال ابن عباس ﷺ: هذا مثل ضربه الله، احتملت القلوب من الوحي على قدر يقينها وشكها، فأما الشك فما ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله. الدر المنثور ٤/٦٣٢

٢) الله الذي أنزل الحق قد حفظه كما حفظ ما ينفع الناس، وما لا تقوم الحياة إلا به، تأمل: ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾. محمد الراوي، حديث القرآن عن القرآن ١٧٥

٣) ﴿ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ هذا هو الضابط القرآني للعلم الصحيح: النفع للناس، وكل علم لا ينفع الناس، فهو هدر للحياة. د. عبد الله بن بلقاسم

﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١)﴾

هل تحب أن يهون عليك الحساب يوم القيامة؟

يقول جعفر بن محمد: صلة الرحم تهون على المرء الحساب يوم القيامة، ثم تلا: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾.

المجالسة وجواهر العلم ٥/١٨٤

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣)﴾

وفي التقييد بالصلاح قطع للأطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الأنساب.

أبو السعود، إرشاد العقل السليم ٥/١٨

﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١) ﴾

تتابع العقوبات والآيات على الكافرين في ديارهم أو حولها؛ جزاء بما كسبوا وإنذارًا وتخويفًا لغيرهم من الناس: فأوبئة، وأعاصير، وزلازل، وخسائر مالية، وصدق ربنا: ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ﴾، ولكن: ﴿ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس: ١٠١). د. محمد الخضيري

﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٢) ﴾

ترك أهل الباطل فترة، ليس نسيانًا لهم أو غفلةً عنهم، والإملاء للظالمين ليس تكريمًا لهم – كما يظنون – أو إهانة لغيرهم – كما يتوهمون – وإنما هو الاستدراج إلى العذاب من حيث لا يشعرون. د. محمد الراوي، حديث القرآن ١٤١

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣)﴾

زار قسيس معرضًا أقامته وزارة الشؤون الإسلامية في جنوب أفريقيا، فشرحوا له تعاليم القرآن باختصار، وأهدوا له نسخة من ترجمة معاني القرآن، فعاد لهم بعد قراءته فقال: "هذا ليس مجرد كتاب، إنه منهج حياة!". د. محمد السحيم

تأمل كيف قال هذا في مدة قصيرة، فما اشبه قوله بقول مؤمني الجن! وما أعظم البون بينه وبين زنادقة عرب يقرؤون القرآن وليس الترجمة، ومع هذا يرون التمسك به تخلفًا! ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨) ﴾

١) استدل على تفضيل النكاح على التخلي لنوافل العبادة بأن الله تعالى اختار النكاح لرسله، فقال: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ واقتطع من زمن كليمه موسى عشر سنين في رعاية الغنم مهرًا لزواجه، واختار لنبيه ﷺ أفضل الاشياء فزوجه تسعًا فأكثر، ولا هدي فوق هديه. ابن القيم، بدائع الفوائد (٢٣٧/٤)

٢) في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ إشارة إلى أن الله تعالى إذا شرف شخصًا بولايته، لم تضره مباشرة أحكام البشرية من الأهل والولد، ولم يكن بسط الدنيا له قدحًا في ولايته. الألوسي، روح المعاني ٣٠٧/٩

٣) الزواج من سنن المرسلين، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾، فحري بمن وفقه الله لهذه السنة أن يستشعر الاقتداء بهم، فذلك مما يضاعف الأجر، ويعظم المثوبة.

﴿ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠) ﴾

﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ فما بال بعضنا يريد أن يجمع بين الوظيفتين؟!

د. عبد الله السكاكر

سورة إبراهيم

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤) ﴾

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ تعلَّم اللغة التي يُدعى بها إلى الإسلام فرض كفاية، كما أن الدعوة إلى الإسلام فرض كفاية، وهل يمكن الآن أن أجلس بين عشرة من غير العرب وأتكلم بارقى الفصاحة والبيان باللغة العربية ماذا يفهمون؟ لا شيء.

ابن عثيمين، لقاء الباب المفتوح (١٤٢)

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥)﴾

١) ﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾ تتناول أيام نعمه وأيام نقمه ليشكروا ويعتبروا؛ ولهذا قال بعدها" ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ فإن ذكر النعم يدعو إلى الشكر؛ وذكر النقم يقتضي الصبر على فعل المأمور وإن كرهته النفس، والصبر عن المحظور وإن أحبته النفس؛ لئلا يصيبه ما أصاب غيره من النقمة.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٩٤/١٦

٢) ﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾ قال جمع من السلف: بنعم الله! هذا من أجمل ما يتذكره الإنسان حينما تتجدد له نعمة من النعم، أو يتقدم به الزمن، أو يعيش مرحلة جديدة من عمره، بدلاً من الانهماك في تهنئة عابرة، أو جرد أحداث العالم، في غفلة عن النعم التي عاشها الإنسان نفسه، والنقم التي دفعت عنه، فكم ذنب ستره الله! وكم بلية دفعها الله!

متدبر

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)﴾

عليك بالمطالب العالية والمراتب السامية التي لا تنال إلا بطاعة الله؛ فإن الله سبحانه قضى أن لا يُنال ما عنده إلا بطاعته، ومن كان لله كما يريد، كان الله له فوق ما يريد: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٤٨

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) ﴾

هدي الأنبياء أن المواهب الربانية توجب لأصحابها الشكر لا الفخر.

د. عبد الله السكاكر

﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢)﴾

﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ هذا شعار المؤمنين حين يشتد بهم أذى الكفار والمنافقين، يندثرون بالصبر والتوكل، وهم ينتظرون سنة الله في الآية التي بعدها: ﴿ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ (إبراهيم).

فهد العييان

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٨) ﴾

من لطائف هذا التمثيل أن اختير له التشبيه بهيئة الرماد المجتمع؛ لأن الرماد أثر لأفضل أعمال الذين كفروا، وأشيعها بينهم، وهو قرى الضيف، حتى صارت كثرة الرماد كناية في لسانهم عن الكرم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٤١/١٢

﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ (٢١) ﴾

قوله ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ ﴾ مع كونه سبحانه عالمًا بهم لا تخفى عليه خافية من أحوالهم، سواء برزوا أو لم يبرزوا؟ الحكمة في ذلك: لأنهم كانوا يستترون عن العيون عند فعلهم للمعاصي، ويظنون أن ذلك يخفى على الله تعالى، فالكلام خارج على ما يعتقدونه هم.

الشوكاني، فتح القدير ١٢٣/٣

﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) ﴾

في ضرب الأمثال تقريب للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة، ويتبين المعنى الذي أراده الله غاية البيان ويتضح غاية الوضوح، وهذا من رحمته وحسن تعليمه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٢٥

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦) ﴾

صليتُ الفجر هذا اليوم، فقرأ الإمام من سورة إبراهيم، فوقفت متدبرًا قوله سبحانه: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ ثم كانت الأعجب: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ فكأنها أنزلت الليلة، فما أعظم هذا القرآن.

أ.د. ناصر العمر

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) ﴾

تحت قوله: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ كنز عظيم، من وُفِّق لمظنته وأحسن استخراجه، واقتناءه، وأنفق منه؛ فقد غنم، ومن حُرِمه فقد حُرِم؛ وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين، فإن لم يثبته؛ زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما، وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧٤).

ابن القيم، إعلام الموقعين ١٣٦/١

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) ﴾

عقلاء الغرب يعترفون بأهمية النظام المصرفي الإسلامي، وبعض ابناء المسلمين ممن يدير دفة الاقتصاد يرى النظام الرأسمالي الربوي كالدم لجسم الإنسان، فأذهبوا أموالهم وأموال المسلمين، فتدبر: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾؟!

أ.د. ناصر العمر

﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (٣١) ﴾

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾، فلينظر رجل من يخالل؟ وعلام يصاحب؟ فإن كان لله فليداومن وإن كان لغير الله فليعلم أن كل خلة ستصير على أهلها عداوة يوم القيامة إلا خلة المتقين: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف).

الدر المنثور ٤٣/٥

﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)﴾

١) ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ قال طلق بن حبيب ﷺ: إنَّ حقَّ الله أثقلُ من أن يقوم به العباد، وإنَّ نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أَصْبِحُوا توَّابين، وأَمْسُوا توَّابين.

جامع البيان ٦٨٦/١٣

٢) كان الحسن البصري يردد في ليلة قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾، فقيل له في ذلك؟! فقال: إن فيها لمعتبرًا، ما نرفع طرفًا ولا نرده إلا وقع على نعمة، وما لا نعلمه من نعم الله أكثر!.

قيام الليل للمروزي ١٤٨/١

٣) ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ من أراد مطالعة اصول النعيم، فليسرِّحْ فكره في رياض القرآن، وليتأمَّل ما عدَّد فيه من نِعَمه وتعرَّف بها إلى عباده من أول القرآن إلى آخره.
ابن القيم، عدة الصابرين ٢٨٦

٤) أصبحت معافى في بدنك..

آمنًا في بيتك..

مؤمنًا بربك.

لا تجثو عند صنم..

ولا تغدو إلى بيعة..

ولا تروح إلى كنيسة..

لا منَّة لأحد من الخلق عليك في رزقك..

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ د. عمر المقبل

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آَمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) ﴾

تأمَّل قول الله ﷻ مخبرًا عن دعاء إبراهيم: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ هذا إبراهيم خليل الله، الذي حقَّق التوحيد، وحطَّم الاصنام بيده، خاف على نفسه عبادة الأصنام، وخاف على بنيه، قال إبراهيم التيمي في تفسيرها: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟ وبهذا تعلم أن قولهم: (التوحيد فهمناه) من أكبر مكايد الشيطان.

صالح آل الشيخ، شرح كشف الشبهات ٢٤ (بتصرف يسير)

﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٦) ﴾

في دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ بيان لكمال شفقته ورحمته بالناس، حيث إنه لم يدع على من عصاه، بل توسل إلى الله باسميه الغفور الرحيم أن يغفر لهم ويرحمهم، ودل ذلك كذلك على أنه متجرد لربه لا ينتصر لنفسه، ولا يقدم مصلحتها الشخصية على مصلحة الدعوة، فهو يعتقد ان الدعوة هي دعوة الله الحق، ليست مجالاً لأغراض أو مصالح ذاتية: جلبًا أو دفعًا. د. خالد الغامدي

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) ﴾

١) قال السدي في قوله تعالى: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ قال: خذ بقلوب الناس إليهم، فإنه حيث يهوي القلب يذهب الجسد؛ فلذلك ليس من مؤمن إلا وقلبه معلق بحب الكعبة. الدر المنثور ٥٦٠/٨

٢) إذا رأيت جموع الوافدين من أقطار الدنيا إلى بيت الله الحرام، وكم بذلوا من أموال! وكم هي السنين التي انتظرها بعضهم ليصل إليه؟ والشوق يقطع قلبه، أدركت شيئًا من أسرار قوله تعالى ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ وأدركت – أيضًا – بعضًا من معاني إضافة هذا البيت إلى نفسه المقدسة في قوله: ﴿ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾.

د. عمر المقبل

٣) تدبر قول إبراهيم عليه السلام: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ فلم يقل: فاجعل بعض الناس يأتي إليهم؛ لأن مجرد المجيء قد لا يتحقق معه المراد والغاية، بل ربما حدث الضد. لكن إذا هوت الأفئدة، أتت الابدان تبعًا، وتحقق الحب والتآلف والأنس الذي هم بأمسّ الحاجة إليه، وقد أجاب الله دعاءه، فتحقق مراده. أ.د. ناصر العمر

٤) من عظيم دلائل دعوة الخليل لأهل الحرم: ﴿ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ أن الناس لو علموا أنهم سيواجهون الصعوبات في طلب الرزق عند الحرم؛ لما اشتاقت نفوسهم إلى هذا المكان، وإن جاؤوا فربما قلّت رغبتهم في البقاء فيه بسبب قلة موارده.

أ.د. محمد العواجي

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٨)﴾

إنك تتعامل مع من لا يجهل، ويحفظ عليك من لا يغفل، فدو دينك فقد دخله سقمن وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد ﴿ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾.

الغزالي، إحياء علوم الدين ١٤٣/٢

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢)﴾

١) نظر العقل في هذه الدنيا، فرأى بأن فيها من يعيش ظالمًا ويموت ظالمًا، وأن فيها من يعيش مظلومًا ويموت مظلومًا، والرب العادل لا يقرّ الظلم، ولا يدع صاحبه بغير عقاب، ولا يترك من يقع عليه من غير إنصاف، فأيقن العقل أنه لا بد من حياة أخرى يُنصف فيها المظلوم ويُعاقب الظالم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾. الطنطاوي، نور وهداية ١٩٦ – ١٩٧

٢) كم مرة قرأنا وسمعنا: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ فهل توقفنا عندها؛ لننظر هل ظلمنا أحدًا؟!

أزواجنا، أبناءنا من تحت ولايتنا وكفالتنا؟

أو أننا نتصور أنها خاصة بالرؤساء والقادة؟!

فلنتدبرها؛ حتى لا ندخل في هذا التهديد، وسوء العاقبة والمصير! أ.د. ناصر العمر

٣) ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ هذا إذًا مصيرهم، وبئس المصير، هذه عدالة الله العظيم؛ فلتهدأ النفوس، ولتسكن القلوب، ولتتجاوز ضيق اللحظة الحاضرة إلى أفق المستقبل الفسيح. د. سلمان العودة

﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (٤٤)﴾

﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ قبل سنوات قليلة كتب فوكوياما – من اشهر مفكري أمريكا ٠ كتابه (نهاية التاريخ)، محتفلاً باندحار الشيوعية أمام الحضارة الغربية فالعالم – بوهمه – أغلق باب التاريخ ولم يعد له سوى قوى الغرب، وعلى رأسها أمريكا بقيمها الليبرالية، فأسخن الله عينه عاجلاً بانهيار إلهه الذي ظل عليه عاكفًا، فها هي الليبرالية تتفكك أخلاقيًا بكوبا وابو غريب، وبالتجسس حتى على الشعب الأمريكي نفسه، واقتصاديًا بالكارثة المالية التي خرقوا لها حرية السوق، وتأميم الشركات.

﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (٤٥) ﴾

﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾، ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (المؤمنون: ٩٤) المسلمة – كالمسلم – تجتنب الجلوس في الأمكنة التي تظهر فيها المعصية من غناء واختلاط وتبرُّج، سواء كان ملهى أو مجتمع عيد أو غيره؛ لأنها تحب أن تعتاض عن ذلك بمنتزه ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ (القمر: ٥٤ – ٥٥).

مشاركة من إحدى الأخوات

﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾

تأمل سر اختيار القطران دون غيره، وذلك – والله أعلم – لأن له اربع خصائص: حار على الجلد، وسريع الاشتعال في النار، ومنتن الريح، واسود اللون، تطلى به أجسامهم حتى تكون كالسرابيل! ثم تذكر – أجارك الله من عذابه – أن التفاوت بين قطران الدنيا وقطران الآخرة، كالتفاوت بين نار الدنيا ونار الآخرة!الزمخشري، الكشاف ٢٩٤/٣ (بتصرف)

﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢) ﴾

سئل أبو الحسن الرماني: كل كتاب له ترجمة – أي: عنوان يلخص مضمونه – فما ترجمة كتاب الله؟ فقال: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ ﴾.

الإتقان في علوم القرآن ١٨٤/١

سورة الحجر

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣)﴾

قال بعض أهل العلم: ﴿ ذَرْهُمْ ﴾ تهديد، وقوله: ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ تهديد آخر؛ فمتى يهنأ العيش بين تهديدَيْن؟

البغوي، معالم التنزيل ٣٦٨/٤

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾

١) الله ﷻ وفَّر دواعي للذبِّ عن الشريعة، والمناضلة عنها، أما القرآن الكريم فقد قيَّض الله له حفظةً، بحيث لو زيد فيه حرفٌ واحد لأخرجه آلاف من الأطفال الأصاغر فضلاً عن القرَّاء الأكابر.

الشاطبي، الموافقات ٥٩/٢

٢) تأمل كيف يحمي الله كتابه، وينصر دينه! فقد اثار إعلان القس الأمريكي بإحراق المصحف استنكار العالم، ثم تراجع عن ذلك تحت هذا الضغط الهائل، وهنا سيتساءل ملايين البشر:

ما هو هذا المصحف؟ وماذا يتضمن؟

ولم تراجع عن إحراقه؟ ولنتدبر: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. وانظر: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢١) ﴾

تدبر قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ فهو "متضمن لكنز من الكنوز، وهو أن كل شيء لا يطلب إلا ممن عنده خزائنه، ومفاتيح تلك الخزائن بيده، وأنَّ طلبه من غيره، طلبٌ ممن ليس عنده، ولا يقدر عليه!".

ابن القيم، الفوائد ٢٠٢

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠)﴾

إن قيل: لِم قال: ﴿ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾، وقد حصل المقصود بقوله: فسجد الملائكة؟ ذكر المبرد: أن قوله: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ ﴾ كان من المحتمل أنه سجد بعضهم، فذكر ﴿كُلُّهُمْ﴾؛ ليزول هذا الإشكال، ثم كان يحتمل أنهم سجدوا في اوقات مختلفة، فزال ذلك الإشكال بقوله: ﴿ أَجْمَعُونَ ﴾. البغوي، معالم التنزيل ٣٨٠/٤

﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢)﴾

في الآية: أن تخلف الإنسان عن العمل الصالح وحده أكبر وأعظم.

محمد بن عبد الوهاب، تفسيره ١٨٩

﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) ﴾

تأمل قول الله تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾، وقارن بينه وبين قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (البلد: ٤)، تجد أن مما رغب الله تعالى به في الدار الآخرة: أن بيَّن أنَّ الحياة الدنيا مليئة بالتعب، وبيَّن مقابل ذلك: أن الجنة لا تعب فيها. محمد المنجد

﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣)﴾

إذا زرت أحدًا، فرأيت منه وجلاً، فآنسه بخبر مفرح؛ ليطمئن قلبه لك قبل أن تحدثه بموضوعك، تأمل قوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾

د. محمد الربيعة

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥)﴾

﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ لا تجعل المعارك الجانبيَّة تستهلك عمرك، وركِّز على أهدافك العظمى؛ لتنجح. د. عبد الرحمن الشهري

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) ﴾

وصفهم بالسكرة التي هي فساد العقل، والعَمَه الذي هو فساد البصيرة؛ فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل، وعمه البصيرة، وسكر القلب.

ابن القيم، الجواب الكافي ١٧٩

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥) ﴾

﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ وهو الصفح الذي لا أذية فيه، وقد ظهر لي أحسن من هذا المعنى: وهو أن الصفح الجميل هو الصفح الحسن الذي سَلِم من الحقد والأذية، ويكون في محلِّه فلا يصفح حين اقتضى المقام العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع معهم إلا العقوبة، وهذا هو المعنى.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٣٤

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) ﴾

١) قال سفيان بن عيينه رحمه الله: من أعطي القرآن، فمد عينيه إلى شيء من الدنيا، فقد صغَّر القرآن؛ ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ وقوله: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٣١)﴾ (طه) يعني: القرآن. الدر المنثور ٦٥٢/٨

٢) ماذا لو خوطب أحد الناس بأنه يؤثر الحقير على العظيم؟ تأمل هذه الآية لتدرك كم هم المتصفون بذلك حين عكسوا المنة الربانية التي امتن بها ربنا على رسوله ﷺ – وهي منة على أمته–: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾

المحرر الوجيز لابن عطية (٥٧/١) (بتصرف)

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥)﴾

١) ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ بك وبما جئت به، وهذا وعد من الله لرسوله، ألا يضره المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة، وقد فعل تعالى؛ فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به، إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٣٥

٢) إذا صدع المسلم بأمر ربه على الوجه المشروع، فلن يضره المستهزئون؛ فلقد تكفل الله بكفايته إياهم.

تأمل قول ربك: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾. د. محمد الربيعة

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)﴾

١) ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ لا تصدق أن هناك نفسًا لا تؤلمها الكلمات. د. عبد الله بلقاسم

٢) قد يضيق صدرك إذا سمعت ما يؤلمك، وقد تحزن لذلك، وقد تهتم كثيرًا، فتحتاج لمن يرأف على قلبك، ويذهب ما أهمك، تدبرت أواخر سورة الحجر: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ فوجدت العلاج الشافي الكافي، فيا عظمة هذا القرآن وجميل لذته!. متدبر

٣) النبي ﷺ يسوءه تكذيب قومه مع علمهم بصدقه ووضوح ادلته، فأرشده الله إلى ما يطرد الهم، فأمره بخصوص، ثم عموم، ثم أعم: إذ ارشده إلى تسبيح الله، ثم إلى أمر أعم من الذكر المجرد وهو الصلاة، ثم إلى الإقبال على العبادة بمفهومها الشامل. فيا لها من هداية عظيمة لو تدبرناها، وأخذنا بها. د. محمد الحمد، خواطره ٢٢٥

٤) كلما ازداد قرب العبد من الله وعلا مقامه؛ قوي عزمه وتجرد صدقه، فالصادق لا نهاية لطلبه ولا فتور لقصده، بل قصد÷ أتم، وطلبه أكمل، ونيته أحزم؛ قال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٢٤

٥) تأملتُ قوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ فقلت: الحمد لله الذي لم يمنع عنا فضله بالعبودية والتقرب له وتكثير الأجور بانقضاء مواسم الخير، بل جعل مقام العبودية له قائمًا حتى بعد الممات: الصدقة الجارية، العلم الذي ينتفع به، والولد الصالح الذي يدعو به!

أ.د. عبد العزيز العويد

٦) ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ فلا يليق بالمسلم وقد ذاق طعم الطاعة في شهر الصيام أن يحل محل تلك الحلاوة مرارة المعصية، ولا يسوغ له إذا أرغم عدوه في شهر الصيام أن يدخل عليه السرور في شهر شوال وما بعده من الشهور.

د. عبد المحسن العباد

سورة النحل

سورة النحل افتتحت بالنهي عن الاستعجال، واختتمت بالأمر بالصبر، وسورة الإسراء افتتحت بالتسبيح، وختمت بالتحميد. السيوطي، مراصد المطالع ٥٣

﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢)﴾

من تدبر القرآن تبين له أن أعظم نعم الرب على العبد تعليمه القرآن والتوحيد، تأمل: ﴿ الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ (الرحمن) فبدأ بها قبل نعمة الخلق، وفي (النحل) – التي هي سورة النعم–: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ فهذه الآية أول نعمة عددها الله على عباده؛ لذا قال ابن عيينه رحمه الله: "ما أنعم الله على العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله"[1].

د. محمد القحطاني

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥)﴾

١) البرد يقتل العشرات في شرق أوروبا، والحرارة (٣٥ تحت الصفر)..[2].

المؤمن إذا عاش البرد، أو سمع أخباره، تذكر قوله تعالى – في أول (النحل) –: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ فهذه نعمته بالدفء، وأما نعمته بالوقاية من الحر فذكرها في أواخر "النحل": ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ (النحل: ٨١)؛ إذ لما كانت الوقاية من البرد من أصول النعم ذكرت في أول السورة، ولما كانت الوقاية من الحر من مكملات النعم ذكرت بعد ذلك.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٣٥

---

(١) الشكر لابن أبي الدنيا (٦٩).

(٢) نشر الخبر في عدد من المواقع الإخبارية في الثلاثاء ١٠/٢/١٤٣١هـ – الموافق ٢٦/١/٢٠١٠م.

٢) كل ما جاء في القرآن: ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ فهو في الدنيا، أي: ومنها تبيعون، ومنها تدخرون، ومنها تهدون، وذلك في: (النحل)، (المؤمنون)، (غافر)، أما قوله: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ الزخرف: ٧٣ فهذا في جنة الآخرة، والجنة ليس فيها بيع ولا ادخار ولا إهداء، وإنما يأكلون منها فحسب، وذلك في سورة الزخرف.

صالح التركي

﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٧)﴾

قال تعالى في هذه الدار: ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فهذا شأن الانتقال في الدنيا من بلد إلى بلد، فكيف الانتقال من الدنيا إلى دار القرار؟! ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١/١٠

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨)﴾

ما من اختراعٍ يخطر ببالك من المخترعات الحديثة – كالمركبات ووسائل الاتصال وغيرها – إلا وقد أشار إليه القرآن، تأمَّل قوله تعالى: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾، وبفهم هذه العمومات يدرك المتدبِّر سعة معاني كلام الله تعالى، وكيف تدخل آلاف الأشياء والمعاني في جملة قصيرة. السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٨٨ (بتصرف)

﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) ﴾

١) تأمَّل خلق الأرض حين خُلقت ساكنة؛ ليتمكَّن الخلق من السعي عليها، والجلوس لراحتهم ونومهم، والقيام بأعمالهم، ولو كانت رجراجة لم يستطيعوا على ظهرها قرارًا، ولا ثبت لهم عليها بناء، ولا أمكنهم عليها صناعة، ولا تجارة، ولا حراثة، واعتبر ذلك بما يصيبهم من الزلازل، كيف تصيرهم إلى ترك منازلهم والهرب عنها، وقد نبَّه الله على ذلك بقوله: ﴿﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٢١٧

٢) كلما ازداد حجم الجبل ارتفاعًا ورسوخًا، كان أقوى في ثبات الأرض، وعدم اضطرابها بأهلها، تدبر هاتين الآيتين: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾، ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ (المرسلات: ٢٧).

فكذلك أثر العالم في تثبيت الأمة أزمنة الفتن، حسب رسوخه وعلو اهتماماته.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾

تأمل سر تعليق الاهتداء بالنجمح لن النجوم المرادة ثابتة لا تتغير، ولا تتكسف، وضوءها مستقر لا يختلف لذاتها، وإنما لعوامل أخرى، ومعرفتها أيسر من معرفة منازل القمر، وعلى قد إتقانها تكون الدلالة على الطريق والوصول إلى الهدف، فكذلك أدلة المنهج فهي ثابتة مطردة بينة ميسرة، وعلى قدر معرفتها والالتزام بها تكون السلامة والوصول إلى الغاية، وإلا كان الاضطراب والضلال والهلاك.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨) ﴾

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ إذا جلست على مائدة طعامك، فحاول أن تحسب أنت وأهلك عدد أنواع المطاعم والمشارب التي عليها، كلُّ هذه النعم اجتمعت لك في لحظةٍ واحدةٍ، وفوقها نعمة العافية والأمن، وفوقها جميعًا نعمة الإيمان، فاللَّهُمَّ أعنا على ذكرك وشكرك.

متدبر

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (٢٣) ﴾

تربية القلب بالقرآن:

مر الحسن بن علي ﷺ على مساكين يأكلون فدعوه؛ فأجابهم وأكل معهم، وتلا: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ ثم دعاهم إلى منزله فأطعمهم وأكرمهم.

ابن رجب، شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ٣٧/١

﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥)﴾

بعض الآباء يدع قنوات السوء بأيدي اهله وبنيه، كأن الأمر لا يعنيه، وهو يعلم أنها تنوء بالسوء، وربما خادع نفسه بانَّه يثق بهم، لقد لعن رسول الله ﷺ في الرِّبا: الأكل والمؤكل والكاتب، وفي الرشوة: الراشي والمرتشي والرائش، وبئس في تلك القنوات جالبها والناظر إليها.

متدبر

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٣٥)﴾

الحق قوي بذاته؛ فإذا بلّغه الداعية الحكيم بما يليق به من بيان؛ كان منتصرًا بمجرد الكلمة، وذلك كان هو أساس دعوة جميع الأنبياء والرسل ﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾، فلا يستهينن أحدٌ بقوة الكلمة وخطورتها في الخير والشر، فأما كلمة الحق والهدى في الدعوة إلى الله فهي الغالبة بإذن الله. د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٢٩٦

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٥١)﴾

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ليس للتكرار والتأكيد المحض، وليس الموضع موضع تأكيد، بل لما كان النهي واقعًا على التعدد والاثنينية دون الواحد أتى بلفظ الاثنين... فكأنه قال: لا تعدد الآلهة ولا تتخذ عددًا تعبد، إنما هو إله واحد فلا تضم إليه غيره وتجعلهما اثنين، فلا تكرار إذن. ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٥٠

﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٥)﴾

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ أي: سماع تدبر وإنصاف ونظر؛ لأنَّ سماع القلوب هو النافع، لا سماع الأذان، فمن سمع آيات القرآن بقلبه، وتدبرها وتفكر فيها، انتفع ومن لم يسمع بقلبه، كأنه أصم لم يسمع، فلن ينتفع بالآيات.

الخطيب الشربيني، السراج المنير ٢٤١/٢

﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ﴾

تأمَّل كما طاعة النحل لربِّها، فلا يرى للنحل بيت غير هذه الثلاثة البتَّة؛ فالإنسان أولى بالطاعة لربه. ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٢٤٨

﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٧١) ﴾

إن رزقك لا يستطيع أحد أن يصرفه عنك، ورزق غيرك لا يقدر أحد أن يوصله إليك، ما كان لك، فسوف يأتيك على ضعفك، وما كان لغيرك، لن تناله بقوتك، رُفِعت الأقلام وجفت الصحف. علي الطنطاوي، نور وهداية ١٢٩

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩)﴾

نقل القاسمي عن الغزالي: تأمل كيف أن الله تعالى خلق الطير خلقًا يقتضي خفة طيرانه، فلم يخلق فيه ما يثقله، وجعل جلد ساقيه غليظًا متقنًا جدًا؛ ليستغني به عن الريش في الحر والبرد، فلو كسيت ساقاه بريش، لتضرر ببلله وتلويثه، وخلقه يبيض ولا يلد؛ لئلا يثقل عن الطيران، افلا ترى كيف دبر كل شيء من خلقه بما يليق به من الحكمة؟

محاسن التأويل ١٠/١٤١ – ١٤٢

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (٨٠) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١) ﴾

١) تدبر: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ لذا تجدنا نبذل الغالي والنفيس لتتحقق الراحة والهدوء في بيوتنا ونبادر لإصلاح ما فسد، دون ضجر أو ملل؛ لتحقيق هذه السكينة.

فهل نبذل مثل ذلك مع الزوجة، التي جعلها الله (سكنًا)؛ لنحقق هذه الغاية العظمى؟!

أو أننا نُحمِّلها مسئولية تحقيق ذلك وحدها؛ فينقلب البيت والزوجة إلى عذاب وشقاء، بدل المودة والرحمة والسكن.

٢) قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾، وقال في الآية بعدها: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾.. جمع الله في آيات النحل بين المساكن والملابس؛ لأنَّ المساكن من جنس الملابس، كلاهما جعل في الأصل للوقاية، ودفع الضرر، كما جعل الأكل والشرب لجلب المنفعة، فاللباس يتقي الإنسان به الحر والبرد، ويتقي به سلاح العدو، وكذلك المساكن يتقي بها الحر والبرد، ويتقي بها العدو.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥١/٢٢

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (٨٨) ﴾

المجرم الذي يقترف كثيرًا من الفواحش لا يمكن بداهة ان يُعامل بنفس الطريقة التي يعامل بها من لم يرتكب سوى واحدة ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾. محمد دراز، دستور الأخلاق في القرآن ١٥٣

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)﴾

١) ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ قال مسروق: ما نسأل أصحاب محمد عن شيء إلا علمه في القرآن، إلا أن علمنا يقصر عنه. العلم لزهير بن حرب ح (٥٠)

٢) قف متـــــدبرًا: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ثم تأمل ما جرى من أحداث في ضــوء هــــــذه الآيات وغيـــــرها، تجـــد مصـــــداق ذلك، وكأنـــــها أنـــــزلت اليـــــوم! ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ

جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (٢٠٧)﴾ (الشعراء: ٢٠٥ – ٢٠٧) ثم تخلى عنهم القريب والبعيد ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ (الدخان).

فما أتعس من لم يزن الأحداث بميزان القرآن!

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ (المرسلات: ٥٠)! أ.د. ناصر العمر

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)﴾

١) قرأ الحسن هذه الآية ثم قال: إن الله ﷻ جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئًا إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئًا إلا جمعه.

٢) أجمعُ آية في القرآن للحثِّ على المصالح كلها، والزجر عن المفاسد بأسرها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ فلا يبقى من دقيق العدل وجليله إلا اندرج في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾. العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام ٣١٥/٢

٣) ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ الإحسان فوق العدل، وذلك أن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له، فالإحسان زائد عليه، فتحري العدل واجب، وتحري الإحسان ندب وتطوع؛ ولذلك عظَّم الله ثواب أهل الإحسان. الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز ٦٧١/١

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢)﴾

١) الغدر ينزع الثقة ويثير الفوضى، ويمزق الأواصر، ويرد الأقوياء ضعافًا واهنين: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾. محمد الغزالي، خلق المسلم ٥٥

٢) يا من حج البيت العتيق، جئت من كلِّ فج عميق، ولبّيت من كل طرفٍ سحيق! ها أنت وقد كَمُلَ حجك، ها أنت تتهيأ للرجوع إلى ديارك، احذر كل الحذر من العودة إلى التلوثِ بالمحرمات، ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ فإياك إيالك أن تهدم ما بنيت، وتُبدد ما جمعت، وتنقض ما أحكمت.

سلمان المالكي، مقال: وما ذا بعد الحج (موقع صيد الفوائد)

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥) مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦)﴾

١) كان لحفصة بنت سيرين ابنٌ عظيم البر بها، فمات، فقالت حفصة: لقد رزق الله عليه من الصبر ما شاء أن يرزق، غير أني كنت أجد غصة لا تذهب، قالت: فبينا أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل، إذ أتيت على هذه الآية: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥) مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قالت: فأعدتها، فأذهب الله ما كنت أجد.

صفة الصفوة ٢٤٢/٢

٢) نظرت إلى هذا الخَلْق، فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه، ثم نظرت إلى قول الله ﷻ: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله؛ ليبقى عنده محفوظًا. أبو حامد الغزالي، الإحياء ١٢٦/١

٣) إن من استعد للقاء الله؛ انقطع قلبه عن الدنيا وما فيها ومطالبها، وخمدت من نفسه نيران الشهوات، وأخبت قلبه إلى الله، وعكفت همته على الله وعلى محبته وإيثار مرضاته: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾. ابن القيم، طريق الهجرتين ١٧٦

٤) سمعت الشيخ ابن عثيمين وهو يعلق على قوله تعالى: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ يقول: كثير من الناس لا ينصرف ذهنه عند قراءة هذه الآية إلا للمال أو الطعام ونحوه، والحق أنها تشمل السمع والبصر وسائر ما عند العباد من أمور حسيَّة ومعنويَّة. د. عمر المقبل

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)﴾

١) إلى من يتقطع قلبه على فوات شيء من نعيم الدنيا! سل ربك من واسع فضله، فإن ضاق عليك رزقك، فسل ربك القناعة، فذلك – والله – نعيم معجل.. يقول الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ قال: نرزقه قناعة! الزهد لابن حنبل ٢٧٨

٢) ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ قال بعض السلف: "الحياة الطيبة: هي الرضا والقناعة".

علَّق ابن رجب: أهل الرِّضا تارةً يلاحظون حكمة المبتلي وخيرته لعبده في البلاء وأنه غير مهتم في قضائه، وتارةً يلاحظون ثواب الرضا بالقضاء؛ فينسيهم ألم المقضي به، وتارةً يلاحظون المبتلي وجلاله وكماله؛ حتى ربما تلذذوا بما أصابهم لصدوره عن حبيبهم.

تفسير ابن رجب ٤٧٧/٢

٣) إنَّ الحياة بلا سعادة الإيمان قدرٌ مشترك بين البشر وبين النمل على ضعفه، والحمار على ذلِّه وخسفه، والجمل على إذلاله وتسخيره؛ فإذا كانوا اليوم يسمون أحياء فمن هذا النوع. محمد البشير الإبراهيمي، آثاره ٣٥٢/٢

٤) نشرت بعض الصحف هذا اليوم خبر حاج ياباني وزوجته عند خروجهما من الحرم، وبعد أدائهما أول صلاة جمعة في حياتهما انفجرا باكيين، وقالا: ولدنا من جديد، وكل ما مضى من حياتنا من لحظات سعيدة لا تعادل ولو جزءًا بسيطًا مما عشناه في المشاعر المقدسة، وصدق الله ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[1].

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨)﴾

١) ومن لطائف الاستعاذة أنها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث، وتطييب له، وتهيؤ لتلاوة كلام الله، وهي استعانة بالله، واعتراف له بالقدرة، وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطني، الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١١٤/١

[1] نشرته جريدة الجزيرة السعودية في عددها الصادر يوم السبت ١٤٣٠/١٠/١١هـ.

٢) وفائدة الاستعاذة: ليكون الشيطان بعيدًا عن قلب المرء وهو يتلو كتاب الله، حتى يحصل له بذلك تدبر القرآن وتفهم معانيه، والانتفاع به؛ لأنك إذا قرأته وقلبك حاضر حصل لك من معرفة المعاني والانتفاعِ بالقرآن ما لم يحصل لك إذا قرأته وأنت غافل، وجرِّب تجد. العثيمين، الشرح الممتع ٥٣/٣

﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩)﴾

إذا كثر نفوذ الشيطان على ثغرات قلبك، فتفقد إيمانك وصدق توكلك، فإن الله يقول: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. د. عمر المقبل

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣) ﴾

محاولة إسقاط هيبة النص القرآني في نفوس الناس، قديمة قدم الرسالة، تأمل قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾. د. عمر المقبل

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١١١)﴾

أتى هشام بن عبد الملك برجل بلغه عنه أمر، فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم بحجَّته، فقال له هشام: وتتكلم – أيضًا –؟ فقال الرجل: يا أمير المؤمنين! قال الله ﷻ: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾، أفيجادلون الله تعالى ولا نتكلم بين يديك كلامًا؟ قال هشام: بلى، ويحك تكلم. إحياء علوم الدين ١٨٤/٣

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢)﴾

١) من ظن أن أرضًا معينة تدفع عن أهلها البلاء مطلقًا لخصوصها أو لكونها فيها قبور الأنبياء والصالحين، فهو غالط، فأفضل البقاع مكة، وقد عذب الله أهلها عذابًا عظيمًا، فقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٤٤٢/٢٧)

٢) تأمل حكمة تقديم الأمن على الطمأنينة في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ﴾؛ فالطمأنينة لا تحصل بدون الأمن، كما أن الخوف يسبّب الانزعاج والقلق، وفي قوله: ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ سر لطيف؛ لأن إضافة اللباس إلى الجوع والخوف تشعر وكأن ذلك ملازم للإنسان ملازمة اللباس للابسه. ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٤٧/١٣ (بتصرف)

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦)﴾

حين تغير آية مجرى حياة: عن ابي نضرة قال: قرأت هذه الآية، فلم أزل أخاف الفتيا إلى يومي هذا. تفسير ابن أبي حاتم ٢٣٠٦/٧

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) ﴾

"الحنف" ميل عن الضلال إلى الاستقامة، كقوله تعالى عن الخليل ﷺ: ﴿ قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾، أما "الجنف" فهو ميل عن الاستقامة إلى الضلال، كقوله تعالى في شأن الوصية: ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا﴾ (البقرة: ١٨٢).

الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن ٢٦٩/١

﴿ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١)﴾

قال تعالى عن إبراهيم: ﴿ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ﴾، وقال: ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: ٢٠)، فجمع النعمة في آية النحل جمع قلة (أنعم)؛ لأن نعم الله لا تحصى، وإنما يستطيع الإنسان معرفة بعضها وشكرها وهو ما كان من إبراهيم ﷺ، فذكر جمع القلة في هذا المقام، أما آية لقمان فجمعها جمع كثرة (نعمة)؛ لأنها في مقام تعداد نعمه وفضله على الناس جميعًا.

د. فاضل السامرائي، التعبير القرآني ٤٠ – ٤١

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)﴾

١) ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ فعلى الداعية أن يُشعِر نفسه بأنه يدعو إلى الله، لا إلى فرض السيطرة، أو إتمام الكلمة، أو غبراد الغيرة؛ لأن هذا خطأ، بل ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ فأي وسيلة يحصل بما المقصود، ولو كان فيها غضاضة عليك فاعملها.

ابن عثيمين، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة (شريط)

٢) ﴿ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ الحكمة في تقييد الموعظة بالحسنة، بينما الحكمة لم يقيدها بذلك؛ لأن الموعظة لما كان المقصود منها – غالبًا – ردع نفس الموعوظ عن أعماله السيئة، أو عن توقع ذلك منه، كانت مظنة لصدور غلظة من الواعظ، ولحصول انكسار في نفس الموعوظ، ارشد الله رسوله أن يتوخى الحسن في موعظته بإلانة القول وترغيب الموعوظ في الخير، كما قال تعالى للأخوين: ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه: ٤٣ – ٤٤).

٣) قد دلت الآية على أنه لا ينبغي أن يسند الأمر بالمعروف إسنادًا مطلقًا، إلا لمن جمع بين العلم والحكمة والصبر على أذى الناس؛ لأن الأمر بالمعروف مستلزم لأذاهم؛ لأنهم مجبولون بالطبع على معاداة من يتعرض لهم في أهوائهم الفاسدة، وأغراضهم الباطلة.

الشنقيطي، أضواء البيان ٤٦٤/١

﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧)﴾

﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ استعانةً به، ورضًا بأقداره، وانتظارًا للفرج منه، وطلبًا للأجر من لدنه: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر: ١٠).

أ.د. ناصر العمر

سورة الإسراء

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)﴾

١) من الحكم في التعبير بالتسبيح في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ مع أن مقتضى الحال – حسب ما يظهر لعقولنا الضعيفة – أن يعبر بالحمد والثناء أنه ﷺ أخبرهم صبيحة الإسراء بما حصل، ولو كان كذبًا لما تركه الله، فإن الله ينزه أن يترك شخصًا يكذب عليه مثل هذا الكذب من غير أن ينتقم منه، والله أعلم.

ابن عثيمين، المنتقى من فرائد الفوائد ١٦٦

٢) من أساليب القرآن أنه قد يأتي بالشيء وهو معلوم بالبديهة اللغوية أو الحسابية أو العادية أو العقلية، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فذكر الليل، ومن المعلوم أن الإسراء لا يكون إلا ليلاً؛ لزيادة استحضار صورة الإسراء في ذهن السامع، حتى يكون كأنه قد حضر تلك المعجزة، وهذا أشد في التأثير.

أحمد بن المنير، الانتصاف حاشية الكشاف ٧٥٠/٢

٣) وجه الاقتصار على وصف المسجد الأقصى في هذه الآية بذكر بركته، وعدم ذكرها في حق المسجد الحرام: أن شهرة المسجد الحرام بالبركة وبكونه مقام إبراهيم معلومة للعرب، وأما المسجد الأقصى فقد تناسى الناس ذلك كله، فالعرب لا علم لهم به، والنصارى عفَّوا أثره من كراهيتهم لليهود، واليهود قد ابتعدوا عنه وأيسوا من عوده إليهم؛ فاحتيج إلى الإعلام ببركته. ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٩/١٥

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩)﴾

١) مجيء قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ بعد قوله: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الآية، لبيان أن ما يهدي إليه القرآن، أقوم مما يهدي إليه الكتاب الذي قبله، وإن كان ذلك يهدي إلى الصراط المستقيم، لكن القرآن يهدي للتي هي أقوم. ابن تيمية، جامع المسائل لابن تيمية ١٦٢/٥

٢) قال ابن تيمية رحمه الله في ردّه على الفلاسفة: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ فأقوم الطرق إلى أشرف المطالب ما بعث الله به رسوله ﷺ، وأما طريق هؤلاء فهي – مع ضلالهم في البعض، واعوجاج طريقهم، وطولها في البعض الأخرى – إنما يوصلهم إلى أمر لا ينجي من عذاب الله، فضلاً عن أن يوجب لهم السعادة، فضلاً عن حصول الكمال للأنفس البشرية بطريقتهم. الرد على المنطقيين ١٦٢

٣) سُئل ابن باز: ما كتب العقيدة التي تنصحون بها؟ فأجاب: أعظم كتب العقيدة وانفعها: كتاب الله القرآن، فيه الهدى والنور، فنوصي الجميع رجالاً ونساءً، كبارًا وصغارًا أن يعتنوا به، فهو كتاب العقيدة والهدى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾.

مجموع فتاوى ابن باز ٧٣/٢٨

ثم أشار إلى بعض كتب أهل السنة، فانظر إلى هذه اللفتة التي تخرج من قلب متدبِّر.

٤) حدثني الشيخ عبد العزيز السلمان رحمه الله عن نفسه أنه قال: قرات قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ فتاملتها، فعزمت أن أقرأ القرآن قراءة أدرك بها بعض هداية القرآن للتي هي أقومن فبدأته من أوله، وكنت أكتب ما فتح الله عليّ به من هداية الآيات؛ فكانت النتيجة كتابًا في مجلدين: "الأنوار الساطعات لآيات جامعات".

أ.د. عبد العزيز العويد

٥) أعظم تغيير حصل في الحياة البشرية هو: ما أجراه الله على أيدي أنبيائه، وأعظم خطاب جرى به التغيير هو: القرآن المنزل على خير رسله، الذي من أبرز مفرداته وأكثرها ذكرًا فيه هو: التذكير بالله، واسمائه وصفاته، والآخرة، والموت، والتزهيد في الدنيا، والتحذير من التعلق بها.

فهل خطابنا الإصلاحي الذي ننشد به التغيير اليوم يستمد روحه من هذا القرآن العظيم الذي وصفه ربنا بقوله: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾؟. فهد العيبان

٦) فرق بين قراءة أهل القرآن وقراءة غيرهم للأحداث:

– فهم يربطونها بالسنن يقودهم الوحي موقنين بأن ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾، وغيرهم يغرق في تحليلا – قد يصيب بعضها – لكنك لا تجد فيها نصًا واحدًا.

– لا يفصلون الأحداث عن سنن الله في الأمم، وغيرهم يحصرها بالأسباب المادية.

– يطرحون العلاج في ضوء الوحي وفهم السلف، وغيرهم قد ينطلق من واقع يضغط، أو ليرضي طائفة ما. د. محمد الربيعة

﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١١) ﴾

قال احسن في قوله: ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١١)﴾: ذلك دعاء الإنسان بالشر على ولده وعلى امرأته، يغضب أحدهم فيدعو عليه، فيسب نفسه ويسب زوجته وماله وولده؛ فإن أعطاه الله ذلك شق عليه!! فيمنعه الله ذلك، ثم يدعو بالخير فيعطيه. الدر المنثور ٢٦٦/٩

﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)﴾

١) بعد الموت الحساب الدقيق عن كل عمل عملناه، أحصاه الله ونسوه، في كتاب لا يدع صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها، يفاجأ به العبد يوم القيامة، ويوضع تحت عينيه فيقال له: ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ الطنطاوي، نور وهداية ١٣

٢) حياتك بعد موتك كتاب سيقرأه الآخرون فأحسن كتابته، ولا تظنن أن جودة الغلاف تنفع إذا كانت معلومات كتابك رديئة أو سيئة؛ فغدًا يقال: ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾. د. عمر المقبل

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩)﴾

١) تأمل قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ ولم يقل: عجلنا له ما يريد؛ بل قال: ﴿ مَا نَشَاءُ ﴾ لا ما يشاء هو ﴿ لِمَنْ نُرِيدُ ﴾؛ فمن الناس: من يعطي ما يريد من الدنيا، ومنهم من يعطى شيئًا منه، ومنهم: من لا يعطى شيئًا أبدًا، أما الآخرة فلا بد أن يجني ثمرتها إذا أراد بعمله وجه الله: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ١٨/١

٢) تدبر هذه الصفات التي وصف الله بها الصادقين في طلب الآخرة: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ ﴾ فلا بد من إرادة، لكنها لا تكفي وحدها بل لا بد من السعي: ﴿ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا ﴾ والإرادة والسعي لا يكفيان وحدهما بل لا بد من الإيمان: ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ فاللَّهُمَّ امنن علينا بذلك. د. عبد الرحمن العقل

﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١) ﴾

البون الشاسع بين الطلاب في الدرجات والمعدلات ما هو إلا معيار من معايير التفاضل في أمر الدنيا، وقد جاء التوجيه القرآني بالحثِّ – عند الانشغال بالتفاضل الدنيوي – على تذكر التفاضل الأخروي، الذي هو أكبر وأعظم، والمؤمن الموفق له في كلذِ شيء عبرة: ﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾.

أ.د. ابتسام الجابري

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) ﴾

١) ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ في تعليق الحكم – وهو الأمر بالإحسان – بلفظ (الوالدين) المشتق من الولادة؛ إيذان بعليتها في الحكم، فيستحقان الإحسان بالوالدية، سواء أكانا مؤمنين أم كافرين، بارين أو فاجرين، محسنين إليه أو مسيئين.		ابن باديس، تفسيره ٦٧

٢) ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ ﴾ لاحظ التقييد بالظرف ﴿ عِنْدَكَ ﴾! إنه يشعر بمسؤوليتك تجاه أبويك ولو كانا في منزل مستقل، بل ولو كانا في بلد وأنت في بلد غيره.

د. عبد المحسن العسكر

٣) يحتاج الوالدان في كبرهما إلى مارعاة خاصة، أعظم مما يحتاجان إليه في شبابهما وقوتهما؛ ذلك أنهما ينتظران من أبنائهم رد الجميل وحسن الوفاء، ويصبح حسهما مرهفًا، فتسعدهما الكلمة الطيبة، ويحزنان لما خالف ذلك، مهما كانت يسيرة في نظر المتكلم.

تدبر: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ ﴾ الآية.		أ.د. ناصر العمر

٤) قال ابن عقيل: من أَحْسَنِ ظني بربي، أن وصى بي ولدي إذا كبرت فقال: ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾.		الآداب الشرعية ٢/٣٨٤

فما أحوجنا – أهل القرآن – أن نحسن الظن بربنا مهما طال الزمن واشتدت المحن، قال تعالى – في الحديث القدسي–: "**أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء**"[1].

---

[1] أحمد ح (١٦٠١٦)، والحاكم ح (٧٦٠٣).

﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (٢٨) ﴾

﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا ﴾ هذا تأديب عجيب، أي: لا تعرض عنهم إعراض مستهين عن ظهر الغنى والقدرة فتحرمهم، وإنما يجوز أن تعرض عنهم عند عجز يعرض، وعائق يعوق، وأنت عند ذلك ترجو من الله فتح باب الخير لتتوصل به إلى مواساة السائل، فإن قعد بك الحال ﴿ فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴾.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٨/١٠

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤) ﴾

أيما امرئ يعطي كلمة لإنسان بعمل مشروع – حتى لو كان لقاء – ؛ يصبح بموجب كلمته مسئولاً مسئولية صارمة، وذلك هو قول الحق سبحانه: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾.

د. محمد دراز، دستور الأخلاق في القرآن الكريم ١٤٢

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥) ﴾

ما فائدة قوله: ﴿ إِذَا كِلْتُمْ ﴾، وظاهر في أنه لا يكون ذلك إلا إذا كال؟

ج: لتخصيص الأمر بالغيفاء إذا كال المسلم لغيره؛ لنه قد يبخسه حقه، بخلاف إذا اكتال لنفسه من غيره، فإنه حينئذ مأمور بالتسامح والترك، ويتضح هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (المطففين: ٣).

د. صالح العايد، نظرات لغوية (٢١٧)

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦)﴾

١) ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ الجوارح كالسواقي توصل إلى القلب الصافي والكدر، فمن كفها عن الشر، جلت معدة القلب بما فيها من الأخلاط، فأذابتها وكفى بذلك حمية، فإذا جاء الدواء، صادف محلاً قابلاً، ومن أطلقها في الذنوب، أوصلت إلى القلب وسخ الخطايا وظلم المعاصي.

ابن الجوزي، التبصرة ٢٠٨/٢

٢) ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ لما كانت هذه الأعضاء الثلاثة هي اشرف الأعضاء وملوكها والمتصرفة فيها والحاكمة عليها؛ خصها ﷻ بالذكر في السؤال عنها، فسعادة الإنسان بصحة هذه الأعضاء الثلاثة وشقاوته بفسادها.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١٠٧/١

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)﴾

إن نفاق السماء وفجاج الأرض تسبح بحمد ربها؛ فلماذا نشذ نحن ولا نصطبغ بما اصطبغ به الكون كله؟ إن العصيان اختراق لقاعدة عامة، أو هو نغمة فاجرة، بين أنغام طاهرة، ترنو إلى البارئ الأعلى في استكانة وتفان وإعظام. محمد الغزالي، المحاور الخمسة ٢٨

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦) ﴾

١) في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥)﴾ بعض أهل التفسير يقولون: سائرصا. والصواب حمله على ظاهره، وأن يكون الحجاب مستورًا عن العيون فلا يرى، وذلك ابلغ.

ابن هبيرة، ذيل طبقات الحنابلة ٢٣٧/١

٢) ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦)﴾ فتدبر ما ذكره الله عن أعداء الرسل من نفي فقههم وتكذيبهم تجد بعض ذلك فيمن اعرض عن ذكر الله، وعن تدبر كتابه واتبع ما تتلوه الشياطين وما توحيه إلى أوليائها. ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢١٢/١٦

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (٥٣) ﴾

١) إن الشيطان متربص بالبشر، يريد أن يوقع بينهم العداوة والبغضاء، وأن يجعل من النزاع التافه؛ عراكًا داميًا، ولن يسد الطريق أمامه كالقول الجميل ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾. الغزالي، خلق المسلم ٧٠

٢) ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ ولم يقل: يقولوا الحسن ففيها إرشاد إلى انتقاء أحسن الكلمات في التخاطب بينهم؛ فإن الشيطان ربما نزغ في الكلمة الحسنة إذا كان يمكن التخاطب باحسن منها. د. صالح البهلال

٣) ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ذلك أنَّ مِن مواطنِ حضور الشيطان وتأثيره: مواطنَ الخلاف والشجار، فيجد فرصته عند ذلك، والعاصم من تأثيره – بإذن الله–: أن تقول القول الأحسن والأرفق؛ وبهذا تحقق عبوديتك لله، فيقيك شره تحقيقًا لوعده: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الإسراء: ٦٥). أ.د. ناصر العمر

٤) أربعة يدخلون الإسلام بسبب معاملة كفيلهم الحسنة (خبر صحفي).

من تأمل القرآن المكي وجده مليئًا بالتأكيد على حسن الخلق، واثره في كسب اتباع جدد للإسلام، وفي سورة الإسراء – وهي مكية –: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾، وسيرته ﷺ كانت ترجمة عملية لهذه الآية، فما أحوجنا وأحوج من نعاملهم – من كبير وصغير وخادم – إلى هذا الهدي القرآني. متدبر

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩) ﴾

١) ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ قال قتادة رحمه الله: إن الله يخوّف الناس بما شاء من آياته؛ لعلهم يعتبون أو يذكرون أو يرجعون، ذكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود فقال: يا أيها الناس، إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه.

الدر المنثور ٣٠٨/٥

٢) هل أنت كما أنت؟! أما هو ﷺ فقد جر رداءه فزعًا حين رأى آية الشمس؛ إنه القلب المدرك لحقيقة هذه الآيات ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾، فهل تضطرب قلوبكم يا أهل القرآن عند حدوث هذه الآيات، ورؤية بية الشمس؟ د. عصام العويد

٣) الزلازل والبراكين أحداث كونية يحذر الله بها عباده، وهذا لا يتعارض مع اي تفسير علمي صحيح، كما هو في الخسوف والكسوف.

وقصر تفسير حدوثها على الجانب العلمي المجرد صرف لها عن حقيقة أسبابها وثمرة وقوعها، تدبر: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾، ﴿ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأحقاف).

ولكن: ﴿ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس: ١٠١)!

أ.د. ناصر العمر

٤) الزلازل آية ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ بعض الصحف نشرت اليوم خبرًا عن بعض الهزات الأرضية التي أصابت منطقة المدينة النبوية، ودعت المواطنين لأخذ أسباب الحذر، وللاسف ففوق هذا الخبر مباشرة خبر آخر يتضمن صور نساء متبرجات، هل من الدِّين – بل العقل – أن يخوفنا الله تعالى فلا نخاف؟!

٥) يحزنك أن بعض المتحدثين في الإعلام يسعى لتهوين أمر الزلازل بربطه بعوامل جيولوجية واسباب مادية، في تهميش غريب للسبب الشرعي الذي دلَّ عليه فول مرسل هذه الآيات: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾، فأين هؤلاء من هذا الحصر: ﴿ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾؟ إنها آية لم يشهد بلدنا مثلها، حيث بلغت الهزة ٥.٧ درجات، وأوقفت الدراسة في عدد من المدارس، ومؤشرات عن ثوران بركان جبل أبي نار، فمتى نعتبر؟[١]

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠)﴾

آيات الله الكونية للتخويف، ولإشعار الإنسان بقدرة الله وقوته، الموفق يتذكر والمحروم يتكبر ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾. عبد العزيز الطريفي

[١] أرسلت هذه الرسالة إبان الهزات الارضية التي أصابت منطقة المدينة النبوية.

﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤)﴾

تنبه يا مؤمن! وتأمل قول ربك لعدونا إبليس: ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾، ويدخل في هذا كل داع إلى المعصية ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾، ويدخل فيه كل راكب وماش في معصية الله، فهو من خيل الشيطان ورجله.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٦١

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥)﴾

إذا رأينا للشيطان علينا غلبة وسلطانًا، فلنتحقق من عبوديتنا لله تعالى؛ فإن الله يقول: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾. أنس العمر

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠)﴾

كم احتفى القرآن بقصة آدم عليه السلام، وبتكريم الإنسان وجعله منطلقًا للحضارة الراقية ثم تنقلب الموازين لدى ما يسمى بالعالم المتحضر؛ ليضم الإنسان إلى جملة الموارد التي يجمعون بها المال ويشيعون بها الشهوات، مثله مثل باقي الموارد المادية والمالية التي تحتاجها المؤسسات، وهذا ما جعل الدنيا تعلو والآخرة تخبو! متدبر

﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢) ﴾

من كان مستوحشًا مع الله بمعصيته إياه في هذه الحياة، فوحشته معه في البرزخ ويوم المعاد أعظم وأشد: ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مجموع خطبه ٢٧٤

﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)﴾

١) الآية دالة على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن مرتكبه وارتفاع منزلته، وعلى أدنى مداهنة للغواة مضادة لله، وخروج عن ولايته؛ فعلى من تلاها أن يتدبرها وأن يستشعر الخشية وعظيم التصلب في الدين. البقاعي، نظم الدرر ٤٨٩/١١

٢) ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ قف متدبرًا لـ ﴿ قَلِيلًا﴾ وانظر الواقع؛ ثم تأمل العاقبة المذهلة ﴿ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾.

أ.د. ناصر العمر

﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨)﴾

١) ذكر الله في كتابه أوقات الصلوات، تارة ثلاثة كما في قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾، وأما الخمس فقد ذكرها أربعة: في قوله: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) ﴾ (الروم: ١٧ – ١٨)، وقوله: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ (طه: ١٣٠)، وقوله: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (٤٠)﴾ (ق: ٣٩ – ٤٠)، والسنة فسرت ذلك وبينته وأحكمته.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٨٤/٢٢

٢) ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ فواحسرتاه عليك أيها الطين الخامل في نتونة العلق! كيف تبالغ في قتل حياتك وخنق انفاسك عن شهود طلائع الفجر؟! كيف تنفي نفسك عن رياض الحياة الريَّانة؟! فعلى أي جنب تنام بعد ذلك أيها الغنسان؟!

د. فريد الأنصاري، قناديل الصلاة ١٠٤

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩)﴾

في هذا تنبيه للمؤمنين على حسن عاقبة القائمين لربهم في جنح الليل، وما يكون لهم من مقامات عند ربهم على حسب منازلهم، فكما كان المؤمنون ملحقين بنبيهم في مشروعية هذه العبادة، كذلك هم ملحقون به في حسن الجزاء عليها.

ابن باديس، تفسيره ١٤١/١

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠) ﴾

وذاك هو المدخل والمخرج الذي يكون صاحبه فيه ضامنًا على الله، وهو دخول وخروج بالله ولله، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد؛ فإنه لا يزال داخلًا في أمر وخارجًا من أمر، فمتى كان دخوله لله وبالله وخروجه كذلك، كان قد ادخل مدخل صدق وأخرج مخرج صدق.

ابن القيم، حادي الارواح ١٠١/١

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢) ﴾

١) قال الحسن رحمه الله: لا ينتفع بالموعظة من تمر على أذنيه صفحًا، كما أنَّ المطر إذا وقع في ارضٍ سبخة لم تنبت. جامع بيان العلم ٥٦٥/١

٢) نتيجة القراءة: قال بعض السلف: ما جالس أحدٌ القرآن، فقام عنه سالمًا، بل إمَّا أن يربح وإمَّا أن يخسر، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾. تفسير ابن رجب ٦٣٩/١

٣) مرٌ وعلاجُه: كل معصية يأتي بها الجسد هي من فساد في القلب ومرض به، وإنَّ الله تعالى قد جعل دواء أمراض القلب تلاوة القرآن؛ فقال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾، فمقصود الشرع من المذنبين أن يتلوه ويتدبروه ويستشفوا به بالفاظه ومعانيه. ابن باديس، تفسيره ٣٦

٤) ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ ابتليت بعشق محرم، تشتت معه قلبي، وأهملت بسببه طلب العلم، فسألت أحد المشايخ، فأوصاني بثلاث وصايا، لم أنفذ منها إلا واحدة، وهي وصيته لي بأن أقرأ القرآن بتدبر، وطلب شفاء القلب من داء العشق، ففعلت هذا، فوالله الذي لا إله غيره إني كرهت العشق وبدأت أهتم بالعلم، وتحسنت نفسيتي.

متدبر

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (٨٤) ﴾

في الصحيح: "**كلٌّ مُيَسَّر لما خُلق له**"[١]، فاكتشف مواهبك وقدراتك، ونمِّها واستعملها في سبيل دينك وأمتك وأسرتك، ولا تتكلَّف ما لم تعط، فتكون كالمنْبَتِّ: لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى، وتدبَّر: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾، ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ (البقرة: ١٤٨). أ.د. ناصر العمر

﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦) ﴾

عن مجاهد أن رجلًا سأله عن رجل قرأ البقرة وآل عمران، ورجل قرأ البقرة فقط، قيامهما واحد، وركوعهما واحد، وسجودهما واحد؟ فقال مجاهد: الذي قرأ البقرة فقط أفضل، ثم تلا: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾. فتح الباري لابن حجر ٨٩/٩

﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩)﴾

١) من أوتي من العلم ما لا يبكيه فقد أوتي من العلم ما لا ينفعه.

الآجري، أخلاق العلماء ٣٤٧/٥

٢) قال سفيان الثوري: من أبكاه علمه فهو العالم؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ (مريم: ٥٨). تنبيه المغترين للشعراني ٩٦

٣) ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ هكذا مُدحوا بالبكاء والخشوع عند سماع القرآن، فكيف نكون كذلك؟ إن فهم وتدبر ما نقرأه أو نسمعه من كلام ربنا من أعظم يحقق ذلك، فجرب أن تحدد وقتًا تقرأ فيه معاني ما ستسمعه في التراويح من تفسير مختصر كـ "المصباح المنير" أو "السعدي"، جرب فستجد للصلاة طعمًا آخر.

[١] البخاري ح (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٩).

سورة الكهف

في كل سبعة أيام تأوي إليها؛ لتأمن من غوائل الفتن.. سورة افتتحت بالوسيلة العظمى للنجاة من كل فتنة: "القرآن"، واختتمت بالحسنة العظمى التي لا يبقى معها أثر لأي فتنة: "التوحيد"، وبينهما أربع فتن كبار: فتنة الدين، ونجاتها في ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) ﴾ والمال: ونجاتها في ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩)﴾ والعلم: ونجاتها بالصبر، والسلطة: ونجاتها بالعدل.. هي "كهفك" من الفتن فأو إليها ينشر لك ربك من رحمته.

د. عصام العويد

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢)﴾

فقوله ﴿ قَيِّمًا ﴾ أي: مستقيمًا لا ميل فيه، ولا زيغ؛ وعليه: فهو تأكيد لقوله: ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ لأنه قد يكون الشيء مستقيمًا في الظاهر، وهو لا يخلو من اعوجاج في حقيقة الأمر؛ ولذا جمع تعالى بين نفي العوج، وإثبات الاستقامة. الشنقيطي، أضواء البيان ٥/٤

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) ﴾

لقد اغتر بزخرف الدنيا وزينتها الذين نظروا إلى ظاهرها دون باطنها، فصحبوا الدنيا صحبة البهائم، وتمتعوا بها تمتع السوائم، همهم تناول الشهوات، من أي وجه حصلت، فهؤلاء إذا حضر أحدهم الموت، قلق لخراب ذاته، وفوات لذَّاته، لا لما قدمت يداه من التفريط والسيئات.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٧٠

﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) ﴾

تأمل في قول فتية أهل الكهف: ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ طلبوا من الله أن يجعل لهم من ذلك العمل رشدًا، مع كونه عملاً صالحًا، فما أكثر ما يقصر الإنسان فيه، أو يرجع على عقبيه، أو يورثه العجب والكبر! محمد بن عبد الوهاب، تفسيره ٢٤٢

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ﴾

ذكر الجارحة التي هي الآذان – التي منها يكون السمع – لأنه لا يستحكم نوم إلا مع تعطل السمع، وفي الحديث: "**ذلك الرجل بال الشيطان في أذنه**"[(١)] أي: استثقل نومه جدًا حتى لا يقوم بالليل.

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) ﴾

تأمَّلت ثبات الفتية، وتساءلت عن السبب، فإذا هو الاعتصام بالله، وأخذُ الاسباب المنجية في أمثال قوله تعالى: ﴿ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾، ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ (الكهف: ١٦)، فاحفظ الله يحفظ.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا (١٦) ﴾

من ثمرة الإيمان أن اصبح الكهف الضيق الذي لا يعد للسكنى منشورًا بالرحمة والتهيئة والارتفاق؛ فاعلم أن الأمر كله لله، وأن الأمور بحقائقها، لا بما يراه أهل الدنيا منها.

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨)﴾

١) تأمل قوله: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ﴾ ففيه دليل على أن فعل النائم لا ينسب إليه، فلو طلّق، أو قال: في ذمتي لفلان كذا، لم يثبت؛ لأنه لا قصد له. وفي تقليبهم وعدم استقرارهم على جنب واحد فائدة بدنية: وهي توازن الدم في الجسد. ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف ٣٥

---

(١) البخاري ح (٣٢٧٠)، ومسلم ح (٧٧٤)، والنسائي ح (١٦٠٨)، وأحمد ح (٤٠٥٩).

٢) ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء – حتى أخبر الله تعالى بذلك في كتابه–؛ فما ظنك بالمؤمنين الموحدين، المخالطين المحبين للأولياء والصالحين؟ بل في هذا تسلية وأنس للمقصرين، المحبين للنبي –وآله خير آل.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٣٢/١٣

٣) انظر الفرق! كيف نسب الله –في سورة الكهف– الكلب إلى الفتية؛ لأنهم صالحون، بينما في سورة الفيل نسب أبرهة وجيشه إلى الفيل؛ لحقارتهم عند الله.

متدبر

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) ﴾

١) في قصة أصحاب الكهف تكرر رد العلم إلى الله: ﴿ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا ﴾ (الكهف: ١٩)، ﴿ رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ﴾ (الكهف: ٢١)، ﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ﴾ (الكهف: ٢٢)، ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾ (الكهف: ٢٦)؛ لأن العبرة هو العلم بثباتهم وتبرؤهم مما عليه قومهم، وأما غيره فالجهل به لا يضر. د. محمد الخضيري

٢) ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾ هذه الآية تدل على صحة الوكالة، وهي أقوى آية في إثباتها. ابن العربي، أحكام القرآن ٢٩٦/٥

٣) الاحتراز عن الأمور الضارة، وكتمان السر الذي تضر إذاعته ضررًا عامًّا أو خاصًّا، كلُّ ذلك من كمال العقل، تأمل قوله ﷻ: ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٦٥

٤) فسر بعض الائمة قوله تعالى – في قصة أصحاب الكهف –: ﴿ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا ﴾ أي: أيها أحل، من أجل أنهم كانوا فارقوا قومهم وهم أهل أوثان، فلم يستجيزوا أكل ذبيحتهم[1]. د. محمد الربيعة

٥) ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾، ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ﴾ (يوسف: ١٠٠)، ﴿ فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ (يوسف: ٨٧)، عند التمعن في هذه الآيات: يتضح أن تحقيق الأمور العظيمة يحتاج إلى حكمة وتلطف ورفق وأناة مهما كانت قوة ومنزلة صاحبها. أ.د. ناصر العمر

﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١) ﴾

﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾ اعلم أنَّ أكثر أهل القبور من الأنبياء والصالحين يكرهون ما يفعل عند قبورهم كل الكراهة؛ فتجد أكثر هؤلاء العاكفين على القبور معرضين عن سنة ذلك المقبور وطريقته، مشتغلين بقبره عما أمر به ودعا إليه. ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ٢٦٩/٢

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) ﴾

١) ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ ولم يقل: رجمًا بالغيب، بل سكت، فهذا يدل على أن عددهم سبعة، وثامنهم كلبهم؛ لأن الله عندما أبطل القولين الأولين، وسكت عن الثالث؛ صار الثالث صوابًا. ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف ٤٢

---

[1] تفسير الطبري (٦٣٩/١٧).

٢) قال القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ روي أنه ﷺ سأل نصارى نجران عنهم فنهي عن السؤال، وفي هذا دليل على منع المسلمين من مراجعة أهل الكتاب في شيء من العلم[1]. الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٨٤

٣) ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ فيها إشارة إلى أن الإنسان لا ينبغي أن يستفتي من ليس أهلًا للإفتاء، حتى وإن زعم أن عنده علمًا فلا تستفته إذا لم يكن أهلًا.

ابن عثيمين تفسير الكهف ٤٤

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨)﴾

١) عشرة المؤمنين والإبقاء على مودتهم والإغضاء عن هفواتهم، خصال تعتمد على الصبر الجميل ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٢٣

٢) ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ هل تدبرنا لمن وجه هذا الخطاب؟ وكيف أن الذين طولب بصحبتهم أقل منه منزلة! بل وحذره من تركهم طلبًا لزينة الدنيا! إنه لدرس بليغ في بيان ضرورة مصاحبة الصالحين، والصبر على ذلك، وأن الدعوة إنما تقوم على يد من قويت صلتهم بربهم، ولو كان حظهم من الدنيا قليلًا! د. عمر المقبل

٣) فتش في صداقاتك

الفاسق المصر على الفسق لا فائدة في صحبته؛ لأن من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته، ولا يوثق بصداقته، بل يتغير بتغير الأغراض، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾.

الغزالي، إحياء علوم الدين ٢/١٧١

٤) الغفلة مضادة للعلم، منافية له، وقد ذم سبحانه أهلها، ونهى عن الكون منهم، وعن طاعتهم والقبول منهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٥)، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١/١١٢

[1] ويعني رحمه الله بالعلم: العلم الشرعي.

٥) ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ لم يقل لا تطع من أسكتنا لسانه، بل قال: ﴿ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾، وما أكثر ذكرنا باللسان مع غفلة الجنان، وهذا لا شك أنه ينقص الثواب، وينقص الآثار المترتبة على الذكر مثل: صلاح القلب، والاتجاه إلى الله، والإنابة إليه، وغير ذلك. ابن عثيمين، تفسير سورة الحديد ٤٠٢ – ٤٠٣

٦) تدبر قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ إن الجملة الأخيرة تدل على أن الأمر الفرط، أو الوضع السائب، أو المجتمع المحلول، يجيء ثمرة غفلة القلب، واتباع الهوى، سواء أكان ذلك في أحوال النفس أم في أخلاق الجماعة! محمد الغزالي، سر تأخر الغرب والمسلمين ١٢٢/١

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) ﴾

كان الذي يتوقعه الإنسان أن يقول تعالى: (إنا لا نضيع أجرهم)، لكنه تعالى قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾؛ لبيان العلة في ثواب هؤلاء، وهو أنهم أحسنوا العمل، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ ولا يخفى ما في الآية الكريمة من الحث على إحسان العمل. ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف ٦٤ – ٦٥

﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢)﴾

في سورة الكهف ضرب الله مثلاً برجلين جعل لأحدهما جنتين، فتكبَّر، فكان عاقبته كبره الخسار، ومن اللطائف: أنَّ هذه القصة جاءت بعد أمر الله تعالى لنبيِّه أن يصبر نفسه مع ضعفاء المؤمنين، خلافًا لكبراء قريش، الذين تكبَّروا عن الجلوس معهم، فكان عاقبتهم الخسار، كما كان عاقبة صاحب الجنتين. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٠٣/٣

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥)﴾

١) قوله تعالى عن صاحب الجنتين: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ أفرد الجنة مع أنهما جنتان؛ لأن قوله هذا لم يقله إلا حين دخل إحداهما، إذ لا يمكن دخوله فيهما معًا في وقت واحد.. وللزمخشري جواب آخر لكن استنكره الشنقيطي.الشنقيطي، أضواء البيان ٢٧٤/٣

٢) جميع أصحاب قصص سورة الكهف خرجوا وغيّروا مكانهم فنجحوا، إلا صاحب الجنتين، أسره ماله وانكفأ على نفسه: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ ﴾؛ فكان الخاسر الوحيد.

د. عويض العطوي

﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) ﴾

من أعظم ما يذكر به المتكبر والجاحد للنعم: تنبيهه على أصل خلقته، التي يستوي فيها الأغنياء والفقراء، والملوك والسوقة، وهذا ما سلكه الرجل المؤمن – وهو يحاور صاحبه المتكبر – : ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾.

د. عمر المقبل

﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) ﴾

قال ابن هبيرة عند هذه الآية: لم يقل (ما شاء الله كان) أو (لا يكون)، بل أطلق اللفظ؛ ليعم الماضي والمستقبل والراهن.

ذيل طبقات الحنابلة ٢٢٢/٣

﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) ﴾

هناك من يقبل الحوار ظاهرًا، لكنه يمارس عقلية العناد والاستكبار واقعًا، فلا ينفع معه في نهاية المطاف إلا غخضاعه لمنطق الحق والقوة، كما في قصة مالك الجنتين، إذ حاوره صاحبه حوارًا إيمانيًا منطقيًا، فكابر وعاند، فوجه له سهام (الدعاء) التي أحاطت بثمره، فعض أصابع الحسرة والندم: ﴿ وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (٤٥) ﴾

إنما شبه تعالى الدنيا بالماء؛ لأن الماء لا يستقر في موضع، كذلك الدنيا لا تبقى على حال واحدة، ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة كذلك الدنيا، ولأن الماء لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفنى، ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل، كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنتها وآفتها، ولأن الماء إذا كان بقدّرٍ كان نافعًا منبتًا، وإذا جاوز المقدار كان ضارًا مهلكًا، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٨٩/١٣

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦) ﴾

١) قال علي بن أبي طالب ﷺ: المال والبنون حرث الدنيا، والأعمال الصالحة حرث الآخرة، وقد يجمعها الله لأقوام. معالم التنزيل ١٧٤/٥

٢) إنما كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا؛ لأن في المال جمالاً ونفعًا، وفي البنين قوة ودفعًا، فصارا زينة الحياة الدنيا؛ لكن مع قرينة الصفة للمال والبنين؛ لأن المعنى: المال والبنون زينة هذه الحياة المحتقرة فلا تتبعوها نفوسكم. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٩١/١٣

٣) تقديم المال على البنين في الذكر؛ لأنه أسبق لأذذهان الناس؛ ولأنه يرغب فيه الصغير والكبير، والشاب والشيخ، ومن له من الأولاد ما قد كفاه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٩١/١٣

٤) ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾، ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ (مريم: ٧٦) الباقيات الصالحات هنَّ الكلمات المأثور فضلها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، فمن لم يقدر له بلوغ رحاب البيت العتيق، لعرض أو لمرض، فلا تفته عشر ذي الحجة المباركة، فيعمل فيها أعمالاً هي أفضل من الجهاد في سبيل الله في غيرها. د. سعود الشريم

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) ﴾

١) قال عون بن عبد الله: ضج – والله – القوم من الصغار قبل الكبار.

التمهيد ٨٤/٢

فتأمل – وفقك الله – هذه اللفتة من هذه الإمام في التحذير من صغار الذنوب التي يحتقرها كثير من الناس، مع أنها قد تجتمع على المرء فتهلكه.

٢) قال قتادة رحمه الله: اشتكى القوم كما تسمعون الإحصاء، ولم يشتك أحدٌ ظلمًا، فإن الله لا يظلم احدًا، فإياكم والمحقرات من الذنوب، فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه.

الدر المنثور ٥٦٤/٩

٣) من عشرين عامًا كلما قرأت هذه الآية أشعر أنني أنا المخاطب بها، وأحاول استعراض ما فعلت في الأسبوع وأعلم ان السيئات كتبت ورفعت إلى يوم الحساب ولن ينجيني سوى كثرة الاستغفار والتوبة.	متدبر

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠) ﴾

١) ويشبه أن يكون تحت هذا الخطاب نوع من العتاب لطيف عجيب! وهو أني عاديت إبليس إذ لم يسجد لأبيكم آدم مع ملائكتي، فكانت معاداته لأجلكم، ثم كان عاقبة هذه المعاداة أن عقدتم بينكم وبينه عقد المصالحة؟	ابن القيم، الجواب الكافي (٥٦)

٢) معنى هذا الخطاب: إني عاديت إبليس وطردته من سمائي، وباعدته من قربي، إذ لم يسجد لأبيكم آدم، ثم أنتم يا بنيه توالونه وذريته من دوني وهم أعداء لكم، فليتأمل اللبيب مواقع هذا الخطاب وشدة لصوقه بالقلوب والتباسه الأرواح، وأكثر القرآن جاء على هذا النمط من خطابه لعباده بالتودد والتحنن واللطف والنصيحة البالغة.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٢١

٣) ﴿ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ أي: بدل ولاية الله ﷻ بولاية إبليس وذريته، وذلك هو التعوض من الجن بالباطل، وهذا هو نفس الظلم؛ لأنَّه وضع الشيء في غير موضعه.

ابن عطية، المحرر الوجيز ٥٤٩/٣

﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (٥٨) ﴾

من الحكمة في ذكر قصة موسى والخضر بعد قوله: ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ "ليعلِّمَ نبيه ﷺ أنَّ ترْكَ الله تعالى تعجيلَ العذابِ لهؤلاء المشركين؛ بغير نظرٍ منه لهم، وإن كان ذلك – فيما يحسب مَنْ لا علمَ له بما اللهُ مدبِّرٌ فيهم – نظرًا منه لهم، فالمعنى: أنَّ مآلهم إلى هلاك وبوار بالسيف في الدنيا، واستحقاقهم في الآخرة الخزي الدائم من الله".

ابن جرير، جامع البيان ٣٦٨/١٥

﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (٥٩) ﴾

قد يستغرب البعض بل قد ييأس، وهو يرى بعض الكفرة يبغون ويظلمون، ومع ذلك لم يأخذهم الله بعذاب، ولكن من فقه سنن الله، وآثارها في الأمم السابقة لا يستغرب ولا ييأس؛ لأنه يدرك أن هؤلاء الكفرة يعيشون سنة الإملاء والاستدراج التي تقودهم إلى مزيد من الظلم والطغيان، وبالتالي إلى نهايتهم وهلاكهم؛ لكن في الجل الذي حدده الله، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴾.

عبد العزيز الجليل

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) ﴾

١) بوَّب البخاريُّ في كتاب العلم: "باب الخروج – أي: الرحلة والسفر – في طلب العلم"، وأورد قصة موسى عليه السلام لما رحل إلى الخضر؛ ليطلب العلم منه، وكان الخضر بمكان يلتقي فيها بحران: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (الكهف: ٦٠) أي: زمانًا طويلاً بحثًا عنه.

صحيح البخاري ٤٤٤٧/٧٨

٢) إنَّ فيما عاناه موسى من الذَّأب والسفر والصبر على العلم، مع محل موسى من الله وموضعه من كرامته وشرف نبوَّته دلالة على ارتفاع قدر العلم، وعلو منزلة اهله، وحسن التواضع لمن يُلتمس منه. الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث ١٠٦

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) ﴾

في قصة موسى والخضر جاء وصف رجوع الحوت إلى البحر سياق إخبار الله ﴿﴾، وفي وصف الفتى: ﴿ عَجَبًا ﴾، لعلَّ ذلك؛ لن الوصف الأول هو وصف الله سبحانه للأمر، وخروج السمكة حية بعد أن كانت ميتة، ودخولها في البحر: امر هين ويسير على الخالق، أما بالنسبة لمخلوق كغلام موسى؛ فإنَّه أمر في غاية العجب؛ لذلك قال: ﴿ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾. د. عويض العطوي

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) ﴾

١) في قوله تعالى: ﴿ آتِنَا غَدَاءَنَا ﴾ دليل على اتخاذ الزاد في الأسفار، وهو رد على الجهلة الأغمار، الذين يقتحمون الصحاري والقفار، زعمًا منهم أن ذلك هو التوكل على الله الواحد القهار، هذا موسى نبي الله وكليمه من أهل الأرض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه، وتوكله على رب العباد. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٢١/١٣

٢) ﴿ آتِنَا غَدَاءَنَا ﴾ تدبَّر قصة موسى مع فتاه وخادمه؛ تجد كرم الخلق، ولطافة المعاملة، وحسن الصحبة: يخبره بتفاصيل مسيره، ويشركه في طعامه، ويعذره في خطئه، بل يدخل السرور على نفسه إذهابًا لروعه: ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ (الكهف: ٦٤)، وتأمَّل واقع كثير من الناس مع خدمهم، بل مع ابنائهم وطلابهم تدرك أين هم من أخلاق النبوة.

أ.د. ناصر العمر

٣) في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ دليل على جواز الإخبار بما يجده الإنسان من الألم والأمراض، وأن ذلك لا يقدح في الرضا، ولا في التسليم للقضاء لكن إذا لم يصدر ذلك عن ضجر ولا سخط. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٤/١١

٤) تأمل هذا الأدب الرفيع والخلق السامي بين موسى وفتاه عليهما السلام: فموسى يعامله كرفيق لا خادم: ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾، وفتاه يُحمِّل نفسه المسؤولية وحده: ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ ﴾ مع أن الحقيقة أنهما ﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ جميعًا.. إنها أخلاق الأنبياء! أ.د. ناصر العمر

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) ﴾

عندما اختار الله معلمًا لنبيه موسى عليه السلام مدح هذا العمعلم بقوله: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾، فقدم الرحمة على العلم؛ ليدل على أن من أخص صفات المعلم: الرحمة، وأن هذا أدعى لقبول تعليمه، والانتفاع به.

د. عبد الرحمن الشهري

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) ﴾

١) قال قتادة رحمه الله: لو كان أحد يكتفي من العلم بشيء؛ لاكتفى موسى عليه السلام، ولكنه قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾. جامع بيان العلم وفضله ٤١٩/١

٢) ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ فيها دليل على أنَّ المتعلم تبعٌ للعالم، ولو تفاوتت المراتب. ابن العربي، أحكام القرآن ١٢٤٥/٣

٣) ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ بدأه بعد السلام بالاستئذان على متابعته، وأنه لا يتبعه إلا بإذنه، وقوله: ﴿ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ ﴾ يبين أنه لم يأتِ ليمتحن ولا ليتعنَّت، إنما جاء متعلمًا مستزيدًا. ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١٥٠/١

٤) في قول موسى للخضر: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ التأدب مع المعلم، وخطابه بألطف خطاب، وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر، الذي لا يظهر للمعلم افتقاره إلى علمه، بل يدعي أنه يتعاون هو وإياه، بل ربما ظن أنه يعلم معلمه، وهو جاهل جدًا، فالذل للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم. السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٨٢

٥) قول موسى للخضر: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ نموذج لطالب العلم الجاد والأدب مع العلماء، فموسى ﷺ نبي مرسل، ولم تكن تلك المنزلة لتمنعه أن يتعلم ممن أقل منه، بل قطع الفيافي والقفار، ولم يتعاظم على العلمن وذهب في سبيله واجتهد حتى وصل. د. عويض العطوي

أبن هذا الأدب من بعض الطلبة والسائلين الذين يظهرون ترفعًا واستغناءً عمن يسالونه بسبب تقارب السن، أو القرابة، أو لغير ذلك من الأسباب؟

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧)﴾

حكم عليه بعادة الخلق في عدم الصبر عما يخرج من الاعتياد، وهو أصل في الحكم بالعادة.

ابن العربي، أحكام القرآن ٣/٢٤٠

﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨)﴾

من أخطاء بعض الشباب – بل بعض طلاب العلم – اقتصارهم على ما في بطون الكتب، وإهمال خبرات من سبقهم علمًا وتجربة، ومن تدبر القرآن رأى عنايته بهذا الأمر، تدبر: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ و﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ (الفرقان: ٥٩) وتحقق ما توقعه الخضر؛ ولذا استفاد موسى من ذلك، فقال للنبي في حديث فرض الصلاة: "**إن أمتك لا تطيق ذلك؛ فقد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم**"[١].

أ.د. ناصر العمر

﴿ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) ﴾

١) عندما أمر الله رسوله – في سورة الكهف – ألا يقول لشيء إني فاعل ذلك غدًا إلا بعد أن يقول: إن شاء الله؛ بيَّن له القدوة في فعل أخيه موسى حين قال: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾. د. محمد الخضيري

٢) من أعظم ما يحتاجه طالب العلم مع شيخه: الصبر في طلبه، والأدب مع شيخه، وقد جمعها الله في قول موسى ﷺ للخضر: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾. د. محمد الربيعة

[١] مسلم ح (١٦٢)، وأحمد ح (١٢٥٠٥).

﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) ﴾

١) بادر موسى بالإنكار التهابًا وحميةً للحق فقال: ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ ولم يقل: (لتغرقنا) فنسي نفسه، واشتغل بغيره في الحالة التي كل احد فيها يقول: "نفسي مفسي" لا يلوي على مال ولا ولد، وتلك حالة الغرق، فسبحان من جبل أنبياءه وأصفياءه على نصح الخلق، والشفقة عليهم والرأفة بهم. القاسمي، محاسن التأويل ١١/٧٠ (بتصرف)

٢) ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ هنا ملمح لطيف: فموسى عليه السلام قال: لتغرق أهلها، ولم يقل (تغرقنا) فلم يذكر نفسه ولا صاحبه، رغم أنهما كانا على ظهر السفينة؛ لأن هذه أخلاق الأنبياء: يهتمون بأوضاع الناس اكثر من اهتمامهم بأنفسهم، عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين. د. عويض العطوي

٣) قوله تعالى: ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ فيه دلالة على أنَّ قلوب المؤمنين مجبولة على إنكار المنكر، وغير مالكة للصبر على احتماله؛ لأنَّ موسى عليه السلام وعد الخضر أن يصبر على ما يراه منه، فلما رأى ما رأى أنكره عليه. القصاب، نكت القرآن ٢/٢١٥

٤) قال موسى للخضر لما خرق السفينة: ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ وقال له لما قتل الغلام: ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ فما الفرق بينهما؟ الإمر أهون من النكرة، وقد لا يكون منكرًا كالنكر، وإنما يتعجب منه ومن الغرض منه، والنكر هنا أشد؛ لأنه فعل منكر قد وقع وهو قتل الغلام بخلاف خرق السفينة فإنها لم تغرق بذلك.

الإسكافي، درة التنزيل ١٥٧ – ١٥٨

﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤) ﴾

١) ﴿ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ استدل بهذه الآية طائفةٌ من العلماء على أنَّ الغلام كان بالغًا، واستدل آخرون بنفس الآية على أنه لم يكن بالغًا فالذين قالوا: إنه لم يبلغ استدلوا بوصف النفس بأنها: ﴿ زَكِيَّةً ﴾؛ أي: لم تذنب، واحتج من قال: إنه بالغ، بقوله: ﴿ بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾؛ فهذا يقتضي أنَّه لو كان عن قتل نفس لم يكن به بأس، وهذا يدلُّ على أنه بالغ، وإلا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس، ولا بغير نفس.

ابن عطية، المحرر الوجيز ٣/٥٦١

٢) حين أنكر موسى على الخضر خرق السفينة قال له الخضر: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) ﴾، وحين عاد موسى إلى الاعتراض على الخضر وأنكر قتله للغلام – بعد أن أكد للخضر أنه لن يعود للاعتراض عليه – قال له الخضر: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) ﴾ فزاد لفظة (لك)؛ ليفيد التأكيد في بيان عدم صبر موسى على علمه، وهكذا عادة العرب: تزيد في التأكيد كلما زاد الإنكار.

الغرناطي، ملاك التأويل ٧٨٩

﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦) ﴾

قف متأملًا هذا الموقف الكريم الحكيم من الكليم ﷺ: ﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ ثم يلتمس العذر للخضر ﷺ في عدم رغبته في استمرار الصحبة: ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ (الكهف: ٧٦). فهل نفعل ذلك مع من نحتاج إليهم حتى لا نخرجهم في الاعتذار منا بطلب الفراق إذا لم يجد اللقاء؟ أ.د. ناصر العمر

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)﴾

١) قال مطرف بن عبد الله في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾: إنا لنعلم أنهما قد فرحا به يوم ولد، وحزنا عليه يوم قتل، ولو عاش لكان فيه هلاكهما، فليرض رجل بما قسم الله له؛ فإن قضاء الله للمؤمن خير من قضائه لنفسه، وقضاء الله لك فيما تكره خير من قضائه لك فيما تحب.

الدر المنثور ٣٩٥/٦

٢) يستفاد من قوله تعالى: ﴿ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ تهوين المصائب بفقد الأولاد وإن كانوا قطعًا من الأكباد، ومن سلَّم للقضاء أسفرت عن اليد البيضاء.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٥٤/١٣

٣) في سورة الكهف قال الخضر في خرق السفينة: ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾، وفي قتل الغلام: ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا ﴾، وفي بناء الجدار: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا ﴾.. فلماذا غيَّر في نسبة الأفعال في كلٍّ واحدة؟ لما كان المقصود عيب السفينة قال: ﴿ فَأَرَدْتُ ﴾؛ فأضاف إرادة العيب لنفسه لا إلى الله تأدُّبًا معه، ولأنَّ نفس العيب مفسدة، ولما قتل الغلام قال: ﴿ فَأَرَدْنَا ﴾ بلفظ الجمع؛ تنبيهًا على أنَّ القتل كان منه بأمر الله، وله حكمة مستقبليَّة، ولأنَّه مصلحةٌ مشوبةٌ بمفسدة، ولما ذكر السعي في مصلحة اليتيمين قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ ﴾، فنسب النعمة لله؛ لأنها منه ولأنها مصلحة خالصة.

الخازن، لباب التأويل ٢٢٨/٤ (بتصرف)

٤) من أجمل صفات المؤمنين: استعمال الأدب مع الله تعالى حتى في ألفاظهم؛ فإن الخضر أضاف عيب السفينة إلى نفسه بقوله: ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾، وأما الخير فأضافه إلى الله، بقوله: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ الكهف: ٨٢، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (الشعراء): فنسب المرض إليه والشفاء إلى الله وقالت الجن: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ (الجن)، مع أن الكل بقضاء الله وقدره.

السعدي، خلاصة تفسير القرآن ٤٥١

٥) قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾، فيه فوائد منها: أن العبد الصالح يحفظه الله في نفسه وذريته وما يتعلق به، ومنها أن خدمة الصالحيم وعمل مصالحهم أفضل من غيرهم؛ لأنه علل أفعاله بالجدار بقوله: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾. السعدي، خلاصة تفسير القرآن ٤٥١

٦) من فوائد قصة موسى مع الخضر: أن من ليس له صبر على صحبة العالم والعلم، فإنه يفوته بحسب عدم صبره كثير من العلم، ومن استعمل الصبر ولازمه، أدرك به كل أمر سعى فيه. السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٨٢

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) ﴾

١) ﴿ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ هذا جواب لقريش عندما سألوا عن ذي القرنين، فأجابهم: أنه سيقتصر على ما تمس الحاجة إليه، مما يكون به التذكر والعبرة، دون الخوض في تفاصيل لا داعي لها، أو فائدتها قليلة، فهل يعي ذلك كثير من الدعاة والخطباء حيث تجد الحشو الممل والاستطرادات الخارجة عن الموضوع؟ أ.د. ناصر العمر

٢) الاقتصار في الكلام على ما تدعو الحاجة إليه منهج قرآني، تأمل ما ذكره الله في أول قصة ذي القرنين: ﴿ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ وهو سنة لنبينا ﷺ، حيث أعطي جوامع الكلم، فهل نتأسى بهذا المنهج المتين؟

أ.د. ناصر العمر

﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ﴾

لما ذكر المشرك بدا بتعذيبه، ثم ثنى بتعذيب الله، ولما ذكر المؤمن بدأ بثواب الله أولًا، ثم بمعاملته باليسر ثانيًا؛ لأن مقصود المؤمن الوصول إلى الجنة، بخلاف الكافر فعذاب الدنيا سابق على عذاب الآخرة.

ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف ٢٩

﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) ﴾

في قوله تعالى: ﴿ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾، دليل على اتخاذ السجون، وحبس أهل الفساد فيها، ومنعهم من التصرف لما يريدونه، ولا يتركون على ما هم عليه، بل يحبسون حتى يعلم انكفاف شرهم، ثم يطلقون كما فعل عمر رضي الله عنه.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٨٤/١٣

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥)﴾

﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ تأمل عفة نفسه، واستغنائه عما بين أيديهم، مع أنهم الذين عرضوا عليه الأموال بطيبة نفس، ومصلحة العمل لهم، ثم مع ما هو فيه من خير فقد طلب الإعانة البدنية، مما يبين مكانة العمل الجماعي وأثره في نجاح المشاريع الكبيرة مهما كانت إمكانات الفرد الذاتية.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) ﴾

١) قال تعالى في عرض النار على الكفار: ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾، وقال تعالى في عرض الكفار على النار: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴾ الآية (الأحقاف: ٢٠)، فهي تقرب إليهم وهم – أيضًا – يقربون إليها، وذلك من زيادة العذاب عياذًا بالله. الشنقيطي، أضواء البيان ٣٤٧/٣

٢) ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ وجاءت كلمة ﴿ عَرْضًا ﴾ نكرة، والمعنى: عرضًا عظيمًا تتساقط منه القلوب، ومن الحكم في ذكر ذلك: أن يصلح الإنسان ما بينه وبين الله، وأن يخاف من ذلك اليوم، ويستعد له، وأن يصور نفسه وكأنه تحت قدميه.

ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف ١٤٠

٣) ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ وهذا يتضمن معنيين: أحدهما: أن أعينهم في غطاء عما تضمنه الذكر من آيات الله، وأدلة توحيده، وعجائب قدرته، والثاني: أن أعين قلوبهم في غطاء عن فهم القرآن وتدبره، والاهتداء به، وهذا الغطاء للقلب أولًا، ثم يسري منه إلى العين. ابن القيم، شفاء العليل ٩٣

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾

١) الحكمة تقتضي النظر في متدرجات أمور الدعوة لأخذ الناس بها، فالعقيدة أولًا، فهي إن لم تصح؛ فلن يجدي العمل. د. صالح بن حميد

٢) كم من راكع وساجد، وناسك وعابد، يظن أنه مقبل على الله وهو هارب منه، وسائر إليه وهو راحل عنه! وذلك: لسوء قصده، وخبث طويته، وفساد سريرته، فمنهم من يشعر بذلك لكنه يتغاضى عنه، ومنهم من يخفى عنه ذلك لعظم جهالته، وفرط غباوته ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾. العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٣٥٩

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨)﴾

١) فإن قيل: قد عُلم أن الجنة كثيرة الخير، فما وجه مدحها بأنهم لا يبغون عنها حولًا؟ فالجواب: أن الإنسان قد يجد في الدار الأنيقة معنى لا يوافقه، فيجب أن ينتقل إلى دار أخرى، وقد يمل، والجنة على خلاف ذلك.

ابن الجوزي، زاد المسير ٢٥٦/٤

٢) اعتبر حال أهل الدنيا في قوله تعالى عن أهل الجنة: ﴿ لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ فتجد الإنسان يتمنى (شقة).. فإذا ملكها تمنى (بيتًا).. فإذا ملكها تمنى (قصرًا)، وهكذا.. أما أهل الجنة؛ فقد اكتملت لهم السكنى في الجنة، فلا يؤيدون ان يتحوَّلوا عما هم فيه

د. مساعد الطيار

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾

الحكمة في الإتيان بـ (مثلكم) – والله أعلم – لتأكيد تشابه البشرية، وأنني لا أتميز عليكم بشيء إلا بالوحي: ﴿ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ٢٣/٢

سورة مريم

﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣)﴾

إخفاء الدعاء والإسرار بالمسألة: مناجاة للرب، وإيمان بأن الله سميع، وذل واستكانة، وسنة من سنن المرسلين. د. عبد الله السكاكر

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) ﴾

قال ابن عيينه في قول زكريا عليه السلام: ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ أي: سعدت بدعائك وإن لم تعطني. الدر المنثور ٥/٤٨٠

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١) ﴾

فتح أبواب أُخرى:

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ﴾ حُبِس زكريا عن الكلام، فدعا بالإشارة.

الداعية لا يتوقف.. إن أُغلقَ في وجههِ بابٌن فَتَحَ بابًا آخر! محمد الغرير

﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢)﴾

١) ﴿ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ لقد زلزل المؤمنون بالقرآن الأرض يوم زلزلت معانيه نفوسهم، وفتحوا به الدنيا يوم فتحت حقائقه عقولهم، وسيطروا به على العالم يوم سيطرت مبادئه على أخلاقهم ورغباتهم، وبهذا يعيد التاريخ سيرته الأولى.

مصطفى السباعي، هكذا علمتني الحياة ٢٦٧

٢) ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ قال معمر بن راشد: بلغني أن الصبيان قالوا ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب، قال: ما للعب خلقت!

الدر المنثور ١٠/٢٢

اللعب ليس محرمًا على الإطلاق؛ لكنَّ من نعم الله على العبد أن يدرك علة خلقه مبكِّرًا.

﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) ﴾

﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾ حجابًا يحجبها عن عبّاد بيت المقدس، فما بال بعض بناتنا لا تتخذ حجابًا حتى عن الفساق؟! د. عبد المحسن المطيري

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (٢٣) ﴾

﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ﴾ قالتها امرأةٌ صالحة في لحظةِ ألم؛ لا تعاتب على الكلمات في الأوقات الصعبة. د. عبد الله بلقاسم

﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) ﴾

١) ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ أمر الله مريم – المرأة الضعيفة النفساء – بهزِّ جذع النخلة التي تثقل الرجال، والله قادر أن يكرمها برزق – كما في سورة آل عمران –؛ ليعلم الناس أهمية بذل السبب:

ولو شاء أن تجنيه من غير هزَّة *** جنته ولكن كل شيء له سبب

الشنقيطي، أضواء البيان ٣٩٩/٣ (بتصرف)

٢) كم مرة قرأت قصة مريم؟

تأمل في هذين الوجهين من أوجه كرامتها:

- أمرت بهز الجذع وليس أعلاه، والجذع عادة لا يتحرك ولو هزه الرجل القوي.
- أن الرطب إذا تساقط من علو – عادة – فإنه يفسد ويتفضخ؛ لكنه في شأنها بقى رطبًا جنيًا كأنه مخروف باليد. ابن عثيمين، شرح العقيدة السفارينية ٥٤١، ٦٤٨

٣) ﴿تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ الرطب الجني: الغض قريب التناول، قال أحد السلف: ما مِن شيء خيرٌ للنفساء من الرطب. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢٢٥/٥

ومثلها: الصائم المنهك، فإنه يفطر على رطب، فهو اصلح شيء له، ودلت السنة عليه، قبل أن يعرفه الطب الحديث.

٤) يحتفل النصارى بميلاد المسيح في الشتاء، وفي القرآن إشارة إلى خطأهم في هذا التوقيت، تأمل قوله تعالى: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ أليس الرُّطب مما ينضج في الصيف؟ فكيف يحتفلون بميلاد المسيح في الشتاء؟!

د. عويض العطوي

﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) ﴾

١) تأمل خطورة الاستعجال ورمي البريء – المشهود له بحسن السيرة والسريرة – بتهمة عظيمة، بمجرد قرينة لا تثبت أمام الدليل والبرهان القاطع.

أ.د. ناصر العمر

٢) ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ تدبر كيف جمع أطراف القرابة المباشرة في هذه الآية؛ لعظيم أثرهم على المرأة صلاحًا أو فسادًا، مما يقتضي أهمية التحري عن البيت الصالح؛ لأثره المباشر: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف: ٨٢).

أ.د. ناصر العمر

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) ﴾

تأمل في سر قول عيسى عليه السلام – أو ما تكلم –: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ قال وهب: أقر عيسى على نفسه بالعبودية لله عز وجل أول ما تكلم؛ لئلا يتخذ إلهًا.

معالم التنزيل للبغوي ٥/٢٣٠

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) ﴾

١) ابحث عن صفات الإنسان المبارك في حياتك: قال الله تعالى إخبارًا عن المسيح ابن مريم: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾ أي: معلمًا للخير، داعيًا إلى الله، مذكرًا به، مرغبًا في طاعته، فهذا من بركة العبد، ومن خلا من هذا، فقد خلا من البركة، ومحقت بركة لقائه والاجتماع به، بل تمحق بركة من لقيه واجتمع به.

ابن القيم، رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه ٥

٢) تأمل في سير الأنبياء والمصلحين، إذ تجد البركة في حياتهم، مع قلة إمكاناتهم المادية وصعوبة الحياة في أزمانهم، فاقتد بهم، متدبرًا قول عيسى عليه السلام - إذ وصف نفسه - مثنيًا على ربه: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩) ﴾

١) يوم حسرتهم وندمهم على ما فرطوا في جنب الله، وحسرتهم يوم أورثت مساكنهم من الجنة أهل الإيمان بالله والطاعة له، وحسرتهم يوم أدخلوا النار، وأيقن الفريقان بالخلود الدائم، والحياة التي لا موت بعدها، فيا لها من حسرة وندامة.

الطبري، جامع البيان ٢٠٠/١٨

٢) عندما يفقد أحدنا عزيزًا عليه: شخص، مال،... إلخ؛ فإنه غالبًا يصاب بحالة من الحزن والهم؛ فكيف بمن يخسر الدنيا والآخرة: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾؟! متدبر

﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) ﴾

فإنه لم يخل هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه، حيث لم يصرح فيه بأن العذاب لاحق له، ولكنه قال: ﴿ إِنِّي أَخَافُ ﴾ فذكر الخوف والمس، وذكر العذاب، ونَكَّره، ولم يصفه بأنه يقصد التهويل، بل قصد استعطافه؛ ولهذا ذكر الرحمن ولم يذكر المنتقم ولا الجبار.

الزركشي، البرهان ٣٨١/٣

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (٥٣) ﴾

فتأمل في قوله تعالى: ﴿ مِنْ رَحْمَتِنَا ﴾ الأخوة رحمة من رحمات الله، ومن رحمة الله قول النبي ﷺ: "**وددت لو أني لقيت إخواني**"[1]، فهل ترانا نستحق أخوته ﷺ، ثم نشتاق لرؤيته كما اشتاق لرؤيتنا بأبي هو وأمي؟ متدبر

[1] أحمد ح (١٢٥٧٩).

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥)﴾

١) قال الحسن البصري رحمه الله: من كان له واعظ من نفسه، كان له من الله حافظ، فرحم الله من وعظ نفسه وأهله، فقال: يا أهلي صلاتكم صلاتكم، زكاتكم زكاتكم، مساكينكم مساكينكم، لعل الله أن يرحمكم يوم القيامة؛ فإن الله ﷻ أثنى على عبد كان هذا عمله، فقال: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾.

النفقة على العيال لابن أبي الدنيا ٥٠٦

٢) قال تعالى عن نبيه إسماعيل: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾ ومن هنا فالمجلس القرآني حقيقة هو الذي استطاع جلساءه أن ينقلوا التجربة الإيمانية إلى داخل أسرهم؛ بتكوين مجالس أسرية للقرآن، يكون جلساؤها: الأطفال والملائكة، فأنعم به من مجلس مبارك إذن، وأنعم به من بيت طاهر، أفاض الله عليه بالنور والجمال.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٨٩

٣) ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾ لا تفوض هذه المهمة لأحد، وقد مدح الله بها الأنبياء.

د. عبد الله بلقاسم

٤) ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ وسرد الصفات الفاضلة على هذا الترتيب؛ يدلك على ما لصدق الوعد من مكانة.

محمد الغزالي، خلق المسلم ٣٥

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨) ﴾

قرأ عمر بن الخطاب سورة مريم فسجد عند هذه الآية، ثم قال: هذا السجود، فأين البكاء؟

جامع البيان للطبري ١٨/٢١٤

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)﴾

اتبعوها: أرادوها وصارت هي همهم، وانقادوا لها وصاروا مطيعين لها؛ فلذلك قال: ﴿وَاتَّبَعُوا ﴾ ولم يقل: تناولوا وأكلوا) ونحو ذلكح لهذا المعنى.

السعدي، المواهب الربانية من الآيات القرآنية ٦٠

فهل يعي هذا من قلبوا أفراح الأعياد إلى انكباب على الشهوات؟!

﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥)﴾

ذكر ابن تيمية رحمه الله أن هذه الآية جمعت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، فحاول ان تستخرجها، زادك الله فهمًا لكتابهز

مجموع الفتاوى ٣٦٦/٢٧

﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢)﴾

ما علق العبد رجاءه وتوكله بغير الله إلا خاب من تلك الجهة، ولا استنصر بغير الله إلا خذل.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٩/١

﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤) ﴾

١) كان الحسن البصري يعظ فيقول: المبادرة، المبادرة! فإنما هي الأنفاس، لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله تعالى! رحم الله امرأ نظر إلى نفسه، وبكر على عدد ذنوبه، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ يعني: الأنفاس، آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك!.

العاقبة في ذكر الموت للأشبيلي ٨٢

٢) يستشكل بعض الناس إمهال الله تعالى الزنادقة والملحدين وعدم معاجلتهم بالعقوبة، وجواب ذلك: أن له ﷻ حِكَمًا عظيمة في ذلك، منها زيادة آثامهم؛ لتزداد عقوبتهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (آل عمران: ١٧٨).

د. إبراهيم الحميضي

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) ﴾

١) وإنما قيل: ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ ﴾ وهو خطاب للحاضر بعد قوله: ﴿ وَقَالُوا ﴾ وهو خطاب للغائب؛ لفائدة حسنة وهي زيادة التسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى والتعرض لسخطهِ، وتنبيهٌ لهم على عِظَم ما قالوه كأنه يخاطب قومًا حاضرين بين يديه مُنكِرًا عليهم ومُوبخًا لهم. ابن الأثير، المثل السائر ٢/٥

٢) ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ فيه إشارة إلى أن قول الباطل قد يتسبب بمصائب الأرض. د. محمد السعيدي

٣) ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ فإذا كانت الجبالُ تنهدُّ غيرةً على التوحيد والإيمان، فكيف بقلب المؤمن الذي يخاف الله ويرجو رحمته، فإنه أولى وأحرى. د. محمد المختار الشنقيطي

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦) ﴾

١) قال ابن عباس ﷺ: "أي: محبة الناس في الدنيا". الدر المنثور ١٣٢/١٠

القلوب النقية تحب العبد المؤمن لإيمانه، ولو لم يكن منه إحسان، فكيف سيكون الحبُّ لو اقترن به إحسانٌ إلى الخلق؟!

٢) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ كم من مؤمن بالله ﷻ ترى عيون الخلق تعظمه والسنتهم تمدحه، ولا يعرفون لِمَ؟ ولا يقدرون على وصفه!

ابن الجوزي، صيد الخاطر ٣٠١

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (٩٨) ﴾

لا ينقضي العجب من اليائسين من إصلاح أوضاع الأمة؛ بسبب ما يرونه من طغيان ومكر كبار، فاستسلموا للذل والهوان، مع أنهم لو تساءلوا: أين بعض عتاة الظالمين، الذين كانوا يسومون المستضعفين من شعوبهم سوء العذاب؟ ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾.

أ.د. ناصر العمر

سورة طه

سورة طه تضمنت عددًا من المقاصد أجلاها ذكر اصول السعادة، حيث ذكر في مفتتحها: ﴿ طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) ﴾، ثم ذكرت تفاصيل السعادة في تضاعيفها كتوحيد الله، والدعوة إلى سبيله، والإكثار من ذكره، ثم أجملت في آخرها ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾.

د. محمد الحمد، خواطر ٢٢٨

﴿ طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) ﴾

١) قال قتادة رحمه الله: لا والله، ما جعله الله شقيًا، ولكن جعله الله رحمة ونورًا ودليلاً إلى الجنة. الدر المنثور ٥٥٢/٥

فتأمل الآية وتعليق هذا الإمام عليها، ثم لك أن تتعجب أن يتقلب مسلم في الشقاء وكتاب الله بين يديه!

٢) كنت أمر بوضع صحي ونفسي واجتماعي سيئ، فسمعت أحد العلماء يفسر قوله تعالى: ﴿ طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) ﴾؛ فلما فرغ من برنامجه، فتحت المصحف، وبدأت أقرأ باحثة عن السعادة، فأقسم بالله أنني ما أغلقت المصحف إلا وقد أحسست بها، فعرفت أننا فرطنا في هذا الكنز العظيم – الذي بين أيدينا – كثيرًا. متدبرة

﴿ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا (٤)﴾

قال الله في القرآن: ﴿ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا ﴾ هذا تعظيم لشأن القرآن، وإنما عظم القرآن ترغيبًا في تدبره والتأمل في معانيه وحقائقهن وذلك معتاد في الشاهد؛ فإنه تعظم الرسالة بتعظيم حال المرسِل؛ ليكون المرسَل إليه أقرب إلى الامتثال.

الرازي، مفاتيح الغيب ٨/٢٢

﴿ وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧) ﴾

﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ قال ابن عباس ﷺ: السر: ما أسرَّه ابن آدم في نفسه، وأخفى: ما خفي عن ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه، فإنه يعلم ذلك كله.

تفسير ابن أبي حاتم ٢٤١٦/٧

فتأمل يا ابن بدم سعة علم الله بك وبخواطرك!

﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣)﴾

لك الفخر إن كنت تعقل!

هذا الرب العظيم، قدر برحمته ان يكلمك أنت أيها الإنسان، فكلمك بالقرآن.. أوَ تدري ما تسمع؟ رب الكون يكلمك! ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾!

أي وجدان وأي قلب يتدبر هذه الحقيقة العظمى، فلا يخر ساجدًا لله الواحد القهار رغبًا ورهبًا اللَّهُمَّ إلا إذا كان صخرًا أو حجرًا، كيف، وهذا الصخر والحجر من أخشع الخلق لله؟ ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (الحشر: ٢١).

د. فريد الأنصاري، بلاغ الرسالة القرآنية ٤٦ – ٤٧ (باختصار)

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣)﴾

١) الداعية محتاج إلى انشراح الصدر؛ ليتمكن من إيصال دعوته بأيسر كلفة؛ ولأجل أن يراه الناس على أكمل ما يكون من السرور، فتسري تلك الروح منه إلى المدعوين، فتتحقق بذلك السعادة، التي هي من أعظم مقاصد الدعوة، وأما إذا ضاق صدره، وقل صبره، فلن يقوم بعمل كبير، ولن يصدر عنه خير كثير.

د. محمد الحمد

٢) طموحٌ في الدعاء: ﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ كن طَموحًا في دعائك، مِثْلُ موسى ﷺ لم يطلب تيسير أمر دعوة فرعون فقط، بل طلب تيسير أمر حياته كلها.

د. عبد الله بلقاسم

٣) جوّدْ عبارتك: ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ فصاحة لسان الداعية إلى الدين والواعظ المنذر تعين على تدبر ما يقول وفِقهه.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٣٥٣/٩

٤) الاستعانة إذا كانت بأولي القربى من أهل النسب، أو التربية، أو الصحبة القديمة كانت أكمل؛ لما يقع في ذلك من مجانسة خلقهم لخلقه، فتتم المشاكلة في الاستعانة، قال تعالى: ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾.

ابن خلدون، مقدمته ٣١٩

٥) في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ إلى قوله: ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴾ أدب من آداب الدعاء، وهو نبل الغاية، وشرف المقصد، وقريب منه قوله ﷺ: "**اللَّهُمَّ اشف عبدك فلانًا، ينكأ لك عدوًا، أو يمشي لك إلى صلاة**"[١].

﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩) ﴾

الماء خَلْقٌ من خَلق الله، أمره بإنجاء موسى: ﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ﴾ وأمره بإغراق عدوه فرعون: ﴿ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾، (الأعراف: ١٣٦) كل ذلك مع ما كان فيه موسى من أسباب الضعف، وما كان فيه فرعون من أسباب القوة، فسبحان من هذا تدبيره!

د. عويض العطوي

﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤)﴾

١) قرأ رجل عند يحيى بن معاذ هذه الآية: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا ﴾، فبكى يحيى، وقال: غلهي هذا رفقك بمن يقول أنا الإله! فكيف رفقك بمن يقول أنت الغله؟!، هذا رفقك بمن قال: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ (النازعات)، فكيف بمن قال: (سبحان ربي الأعلى)؟.

معالم التنزيل ٢٧٤/١

٢) ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا ﴾ كان اللين في الأسلوب والطريقة، ولم يكن في المضمون والعقيدة.

صالح المغامسي

---

[١] الطبراني ح (١٠٧).

٣) إذا أمرنا الناس بالدعوة، فيلزمنا أن نعلمهم أصولها وأساليبها؛ لئلا يسيئوا إليها، ولنا في ربنا قدوة، لما أمر موسى بالدعوة قال له: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾، ثم وضح القول اللين بقوله: ﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩)﴾ (النازعات). د. محمد الخضيري

﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٦) ﴾

النجاة والنصر بين ﴿ لَا ﴾ و﴿ كَلَّا ﴾: لما خاف موسى من أعدائه المخالفين، قال له ربه: ﴿ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا ﴾، ولما قال بعض أصحابه: ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾: قال: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾. فلا نجاة ولا نصر إلا بقول: ﴿ لَا﴾ للأعداء، ويقول: ﴿كَلَّا ﴾ لمن ضعف إيمانهم، أو أصابتهم حمى التخذيل، فالمخذلون – أحيانًا – قد يؤثرون أكثر من الأعداء! فتأمل هذا، ثم اقرنه بحديث: "**لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم**"[1]؛ تعرف الطريق. د. محمد القحطاني

﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) ﴾

هذه النملة إذا خزنت الحب في بيوتها كسرته بنصفين، علمًا منها بأنه ينبت إذا كان صحيحًا، وأنه إذا انكسر لا ينبت، فإذا خزنت الكفرة كسرتها بأربعة أرباع، علمًا منها بأنها تنبت إذا كسرت بنصفين، فتدبر ﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٢١٧/٢

﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢)﴾

قف متأملاً لهذه الآية: ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ حيث أزال تطرق الوهم بان كتابتها خوفًا من خطأ أو نسيان، كلا.. وإنما هو الضبط والإحكام، كما في: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ (الذاريات: ٧).

فإذا كان كذلك وهو سبحانه لا يضل ولا ينسى؛ فكيف يهمل الإنسان تقييد الحقوق وقد جبل على الخطأ والنسيان؟!

أ.د. ناصر العمر

---

[1] الترمذي ح (٢٢٢٩).

﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (٦١)﴾

﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴾ ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ الأعراف: ١٥٢، هذا وعدٌ إلهي وسنَّةٌ مطَّردةٌ في خيبة وعقوبة كل مُفترٍ، وهو بشرى وتسلية لكل مظلوم مفترًى عليه بأنَّ الله ناصرُه ولو بعد حين؛ فلا يستعجل ولا ييأسن فإنَّه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

أ.د. ناصر العمر

﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (٦٤) ﴾

عرف السحرة أهمية جمع كلمتهم، فتنادوا لذلك؛ فالمصلحون أولى أن يجتمعوا.

د. عبد المحسن المطيري

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦) ﴾

والحكمة في هذا – والله أعلم –؛ ليرى الناس صنيعهم ويتأملوه، فإذا فرغوا من بهرجهم، جاءهم الحق الواضح الجلي بعد تَطَلُّبٍ له، وانتظار منهم لمجيئه، فيكون أوقع في النفوسن وكذا كان.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣/٤٥٦

﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١)﴾

﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ إنما قال هذا تشترًا وتدليسًا على رعاع دولته وجهلتهم، كما قال تعالى: ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ﴾ (الزخرف: ٥٤).

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣/٤٥٨

﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) ﴾

١) قد يتسلط شيطان البشر على كل شيء فيك وكل شيء حولك إلا شيئًا واحدًا، إنه قلبك إذا اتصل بربك؛ فتأمل قصة آسية امرأة فرعون، وتأمل قول السحرة حين آمنوا: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

د. محمد المصري

٢) كان سحرة فرعون آية في اليقين الصحيح والإخلاص العالي عندما رفضوا الإغراء، وحقروا الإرهاب، وداسوا حب المال والجاه، وقالوا للملك الجبار: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢)﴾، وشتان بين هؤلاء الذين يستهينون بالدنيا في سبيل الله، وبين الذين يسخرون الدين نفسه في التقرب من كبير أو الاستحواذ على حقير.

محمد الغزالي، خلق المسلم ٩١

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (٨٢) ﴾

ومن أعجب ما ظاهِره الرجاء وهو شديد التخويف، قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾؛ فإنه علَّق المغفرة على اربعة شروط يصعب تصحيحها.

المقدسي، مختصر منهاج القاصدين ٦٨/٤

﴿ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (٨٤) ﴾

١) قال ابن القيم رحمه الله: وظاهر الآية أن الحامل لموسى على العجلة هو طلب رضى ربِّه، وأنَّ رضاه في المبادرة إلى أوامره والعجلة إليها؛ ولهذا احتجَّ السلف بهذه الآية على أن الصلاة في أول الوقت أفضل، سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يذكر ذلك، فقال: إن رضى الرب في العجلة إلى أوامره.

مدارج السالكين ٥٩/٣

٢) سباق من نوع آخر:

السابق إلى ربه حري بأن يرضى الله عنه، تأمل: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ فإذا قرنت هذه الآية مع قوله ﷺ - كما في الصحيح-: "**سبق المفردون**" ثم فسرهم بأنهم: "**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**"[(١)]؛ تحصَّل لك: أن اسبق الناس إلى الله هم الذاكرون الله كثيرًا، ومن كان كذلك، رضي الله عنه.

د. محمد القحطاني

[(١)] مسلم ح (٢٦٧٦)، وابن حبان ح (٨٥٨).

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) ﴾

لما قيل لموسى: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ ﴾ توجه إلى:

- قومه أولاً: ﴿ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ﴾؟!
- ثم نائبه في غيابه: ﴿ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴾؟
- ثم صاحب الفتنة: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾؟ وإنما بدأ بهم في اللوم؛ لأن البالغ العاقل مسؤول عن نفسه، فليس يعذره قوةُ الإغراء، ولا تيسرُ أسباب الشر، فالتَّبعة عليه أولًا.

والله أعلم. د. عبد المحسن المطيري

﴿ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤) ﴾

إذا ضممت قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾ إلى قوله سبحانه – لما ذكر جملة من الأنبياء ومنهم هارون–: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ (الأنعام: ٩٠)؛ تبيَّن لزوم إعفاء اللحية وعدم حلقها؛ لأنَّ هارون من الأنبياء الذين أُمر نبيُّنا ﷺ بالاقتداء بهم، وأَمْرُه ﷺ بذلك أَمْرٌ لنا. الشنقيطي، أضواء البيان ٩٢/٤

﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) ﴾

﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ هذه الآية أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وألا يخالطوا. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٤١/١١

﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤) ﴾

١) في قوله تعالى: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ أدب لطالب العلم، وأنه ينبغي له أن يتأنى في تدبره وتأمله للعلم، ولا يستعجل بالحكم على الأشياء، ولا يعجب بنفسه، ويسأل ربه العلم النافع والتسهيل. السعدي، فتح الرحيم الملك العلام ١٦٦

٢) في قوله تعالى: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ دلالات مهمة منها:

١- أن تَعَلُّم كتاب الله إقراء وحفظًا وفهمًا، لا عجلة فيه، بل هي الأناة والتؤدة.

٢- أن درجات العلم تبدأ بكتاب الله حفظًا وفهمًا، ثم يتزود الإنسان من العلم ما شاء؛ ولذلك أتبع في الآية تلقي القرآن بطلب التزود من العلم. د. محمد الربيعة

٣) ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ قال مجاهد: "لا تعجل بقراءة ما أنزل إليك لأصحابك، ولا تمله عليهم حتى تتبين لك معانيه"[١].

فهذا يل على عدم مشروعية التعجل بالقراءة والحفظ من غير تدبر وفهم للمعاني، ويؤكده أيضًا ختم الآية بقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ د. محمد الربيعة

٤) ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾، ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الفتح: ١٠)، ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف: ٧٦)، بمثل هذا الأدب الإلهي أبعد الإسلام الغرور عن المسلمن فما تراه – إن كان مسلمًا – يحتقر ذا فضل، ويزدري ذا نعمة، ومن تأمل كيف دخل النبي ﷺ مكة بعدما جرى من قومه ما جرى معه؛ لم يشمخ بأنفه، ولم يتطاول بانتصاره، بل دخلها متواضعًا، معترفًا بفضل ربه ومنته. السباعي، أخلاقنا الاجتماعية ١٢ – ١٣

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥)﴾

تأمل أول نقص دخل على أبي البشر وسرى إلى أولاده كيف كان من عدم العلم وعدم العزم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ١٨٣

﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) ﴾

﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ أسند الشَّقاءَ إلى آدم دون حواء؛ لوجهين:

أ- أنَّ في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله، كما أن في سعادته سعادتهم؛ لأنه القيِّم عليهم.

ب- من الشقاء التعب في طلب القوت، وذلك على الرجل دون المراة؛ لأن الرجل هو الساعي على زوجته. الخازن، لباب التأويل ٢١٤/٣

وفي هذه لفتة لمن يدعو إلى خروج المرأة من منزلها إلى ميادين العمل بإطلاق، وكأن ذلك هو الأصل!

[١] التحرير والتنوير ١٩٨/١٦.

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (١١٩) ﴾

من عجائب هاتين الآيتين – رغم قصرهما – أنهما جمعتا أساسيات الاقتصاد، وما يعد بنية تحتية لحياة الإنسان في سطر واحد فقط: الطعام، واللباس، والشراب، والسكن!

د. سعد العتيبي

﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢)﴾

﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ معترضة بين جملة ﴿ وَعَصَى آدَمُ ﴾ (طه: ١٢١)، وجملة ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ (طه: ١٢٣)؛ لأن الاجتباء والتوبة عليه كانا بعد أن عوقب آدم وزوجه بالخروج من الجنة كما في سورة البقرة، وهو المناسب لترتب الإخراج من الجنة على المعصية دون أن يترتب على التوبة، وفائدة هذا الاعتراض التعجيل ببيان مآل آدم إلى صلاح. ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٦/١٩٧

﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) ﴾

١) من اتبع هداه المنزل، فإنه لا يضل كما ضلَّ الضالون ولا يَشقَى كما شَقِيَ المغضوبُ عليهم، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (طه: ١٢٣). ابن تيمية، جامع المسائل (٨٦/٣)

٢) قال ابن عباس ﷺ: أجار الله تابع القرآن من أن يضل في الدنيا أو يشقى في الآخرة، ثم قرأ: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ قال: لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة. تفسير ابن أبي حاتم ٣٠٤/٩

٣) تأملت قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾، فوجدته على الحقيقة؛ أن كل من اتبع القرآن والسنة وعمل بما فيهما؛ فقد سلم من الضلال بلا شك، وارتفع في حقه شقاء الآخرة بلا شك؛ إذا مات على ذلك، وكذلك شقاء الدنيا فلا يشقى أصلاً، ويبين هذا قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (الطلاق). ابن الجوزي، صيد الخاطر ١٧٩

٤) ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ فإن المعرض عن القرآن: إما أن يعرض عنه كبرًا، فجزاؤه أن يقصمه الله، أو طلبًا للهدى من غيره، فجزاؤه أن يضله الله، وشاهده حديث علي ﷺ: "**من تركه من جبار، قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره، أضله الله**"[1]. ابن القيم، إغاثة اللهفان ١/٣٦٠

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤)﴾

١) القرآن من أظهر أسباب السعادة، وتركه من أعظم أسباب الشقاء: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾. د. محمد السعيدي

٢) ومِن الناس مَن تعلَّم القرآن لكنه أهمل تلاوته، وهذا هجران للقرآن وحرمان للنفس مِن أجرٍ عظيم، وسبب لنسيانه، وقد يدخل في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾، فإنَّ الإعراض عن تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان خسارة كبيرة، وسبب لتسلط الشيطان على العبد، وسبب لقسوة القلب. د. صالح الفوزان، إتحاف أهل الإيمان بدروس شهر رمضان ٤٨

٣) المرأة الإسفنجيَّة: امرأة قلقة مضطربة، أرهقها الجري بعيدة عن الخشوع في الصلاة والتذلل لله، محرومة من السعادة الحقَّة، ترى وَهْمَ السعادة في دنيا زائفة، أعرضت عن ذكر الله، وأضاعت أوامرَه، فهي كئيبة حزينة، تضحك والحزن يقطع كبدها، تفرح وغيوم البؤس تحوم حول عينها، تبحث عن ابتسامةٍ زائفةٍ وكلمةٍ تُلقى على قارعة الطريق، إنها تبحث عن السعادة والحياة الطيبة، لكنها ضلَّتِ الطريق: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾. د. عبد الملك القاسم، المرأة الاسفنجية ٧٥

٤) نشرت الصحف تقريرًا حديثًا يفيد عن وجود حالة انتحار كل ٤٠ ثانية! وأهل القرآن لا يحتارون في تفسير مثل هذه الظاهرة، فقد أيقنوا بقول ربهم: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾، وتدبروا قولَ مَن أسبابُ السعادة كلُّها بيده: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ (الأنعام: ١٢٥).

﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧) ﴾

لا يغتر الشاب الذي يركب هواه باللذة العاجلة، ولا يأسف الشاب التقي الذي فاتته هذه اللذات؛ فإنه لا خير في لذة ساعة وراءها عذاب الدنيا بالمرض والهرم وعذاب الآخرة في جهنم ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية ٥٠

[1] الترمذي ح (٢٩٠٦)، وابن أبي شيبة ح (٣٠٠٠٧).

﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (١٣٠)﴾

من أعلى مقامات العارفين وأحلاها: الرضا! والطريق إليه بأمرين: صبر جميل، وذكر كثير طويل: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾. د. محمد القحطاني

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٣١)﴾

١) كان عمر بن الخطاب ﷺ يوقظ أهل داره لصلاة الليل ويصلي هو ويتمثل بهذه الآية.

المحرر الوجيز ٤/٧١

٢) ومَن نظر إلى الخيل والبهائم والأشجار على وجه استحسان الدنيا والرئاسة والمال، فهو مذموم لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾، وأمَّا إن كان على وجه لا ينقص الدين، وإنما فيه راحة النفس فقط، كالنظر إلى الأزهار، فهذا من الباطل الذي قد يستعان به على الحق.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢١/٢٤٩

٣) مجالس ومجالس..

قال ابن رجب: مجالسة المساكين توجب رضى من يجالسهم برزق الله تعالى، وتعظم عنده نعمة الله عليه بنظره في الدنيا إلى من دونه، ومجالسة الأغنياء توجب السخط بالرزق، ومد العين إلى زينتهم وما هم فيه، وقد نهى الله ﷻ نبيه عن ذلك، فقال: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ﴾. اختيار الأولى ١٨

٤) في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ دليل على أنه ينبغي للموفق أن لا ينظر إلى زينة الدنيا نظرة المعجب المفتون، وأن يقنع برزقه ربه، وأن يتعوض مما منع منه من الدنيا بزاد التقوى الذي هو عبادة الله واللهج بذكره.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام ١٦٧

٥) علاج قرآني للحسد:

أعظم ما ينمي الحسد ويغذيه: امتداد العين إلى ما متع الله به عباده من متلع المال والبنين وغير ذلك، وقد نهى الله نبيه ﷺ عن مد العين إلى ما عند الغير؛ ففيها إرشاد إلى علاج الحسد.

محمد البشير الغبراهيمي، آثاره ٣٥٤/١

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (١٣٢) ﴾

١) من مفاتيح الرزق (تدبر عملي):

كان بعض السلف إذا أصاب أهله خصاصة، قال: قوموا فصلوا؛ بهذا أمركم الله، ويتلو هذه الآية. التسهيل لعلوم التنزيل ١٨٦/٢

٢) الاشتغال بالدعوة الواجبة من أسباب جلب الرزق وليس مشغلاً عنه، تأمل: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾.

د. عبد الله الغفيلي

٣) إذا شعرت بالملل من جراء كثرة أمرك أهل بيتك بالصلاة وإيقاظهم لها – خصوصًا صلاة الفجر–؛ فتذكر قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾؛ ففي ذلك أعظم دافع للصبر والاحتساب، وطرد الملل، وتذكر عاجل الأجر، ومآل الصبر بعد ذلك في الآية ﴿ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾. د. محمد الحمد

﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (١٣٤)﴾

الإعراض عن الوحي ذل في الدنيا، وخزي في الآخرة: ﴿ فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴾. د. عبد الله الغفيلي

سورة الأنبياء

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١) ﴾

نزل بعامر بن ربيعة رجل من العرب، فأكرم مثواه، وكلَّم فيه الرسول ﷺ، فجاءه الرجل فقال: إني استقطعت من الرسول ﷺ واديًا في العرب، وقد أردت أن اقطع لك منه قطعة، تكون لك ولعقبك من بعدك، فقال عامر: لا حاجة لي في قطيعتك، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢١١/٣

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٣)﴾

يتحدَّد نزول الوحي ومع ذلك لا ينتفعون به ولا يتدبرونه؛ فهل تأملت السبب؟ ﴿ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ ومن تشبه بهم – من المسلمين –، ناله ما نالهم بحسب غفلته وإعراضه.

وفي الآية إشارة إلى أن سبب الانتفاع بالقرآنك السكينة عند سماعه، وحضور القلب وإقباله.

د. عمر المقبل

﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (٥) ﴾

﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ هذه الجملة القصيرة تمثل لك مقدار ما أصابهم من الحيرة، وتُريك صورة شاهد الزور إذا شعر بحرج موقفه: كيف يتقلَّب ذات اليمين وذات الشمالن وكيف تتفرَّق به السُّبل في تصحيح ما يحاوله من محال: ﴿ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء: ٤٨).

د. محمد دراز، النبأ العظيم ٨٥ – ٨٦

﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠)﴾

تأمل كيف قال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ولم يقل : (يسبحون في الليل)؛ لأن تسبيحهم مستمر في كل آن ولحظة، ولو كان التسبيح في بعض الآنات، لقال: (في الليل والنهار)؛ لأنهم يُلهمون التسبيح كما تُلهم النَّفَس.

ابن عثيمين، شرح عقيدة أهل السنة، شريط (٣)

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) ﴾

كما أنَّ السماوات والارض لو كان فيهما آلهةٌ غيرُه سبحانه لفسدتا، كما قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾؛ فكذلك القلب إذا كان فيه معبود غير الله تعالى؛ فسد فسادًا لا يرجى صلاحه، إلا بان يخرج ذلك المعبود منه، ويكون الله تعالى وحده إلهه ومعبوده الذي يحبه ويرجوه ويخافه، ويتوكَّل عليه وينيب إليه.

ابن القيم، إغاثة اللهفان ٣٠/١

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) ﴾

من كان كثير الذنوب، وأراد أن يحطها الله عنه بغير تعب؛ فليغتنم ملازمة مكان مصلاه بعد الصلاة؛ ليستكثر من دعاء الملائكة واستغفارهم له، فهو مرجو إجابتهم؛ لقوله: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾.

ابن بطال، شرحه للبخاري ٩٥/٢

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥)﴾

﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ قال الحسن البصري رحمه الله: كانوا يتساوون في وقت النعم، فإذا نزل البلاء تباينوا!

صيد الخاطر ٢٤٩

﴿ وَإِذَا رَآَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آَلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٦) خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آَيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧)﴾

﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آَيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ الحكمة من ذكر عجلة الإنسان ههنا أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول ﷺ، وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلت، فقال تعالى: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾؛ لأنه تعالى يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، يؤجل ثم يعجل، وينظر ثم لا يؤخر؛ ولهذا قال: ﴿ سَأُرِيكُمْ آَيَاتِي ﴾ أي: نقمتي واقتداري على من عصاني ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣٤٣/٥

﴿ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٤٦) ﴾

﴿ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَاوَيْلَنَا﴾ تأمَّل هذا التهديد والوعيد بأسلوب بديع: (المَسُّ) هو الغصابة الخفيفة، و(النفحة): القليل من الشيء، و(من) دالة على التبعيض، و(العذاب) أخف من النكال، و(ربك) هذا يدل على الشفقة. إن من سيكون هذا واقعه عند أول نفحة تمسُّه من بعض عذاب ربٍّ رحيم، كيف سيصبر على أنكال لدى الجبار؟! إنَّه لحري أن يبادر بالنجاة منه.

د. صالح العايد، نظرات لغوية ٢٣٣

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧)﴾

١) ادعى رجل على ابن أحد الخلفاء فقضى الخليفة على ابنه، فأخذ المدعي يمدحه بأبيات شعر، فشكره الخليفة ثم قال: أما أنا فما جلست هذا المجلس، حتى قرأت في المصحف: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ قال الراوي: فما رأيت باكيًا أكثر من ذلك اليوم.

تاريخ بغداد ٣٤٩/٣

٢) ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ من هذا قطعًا تعلم أنَّ شأن المعاملة مع الله ومع خلقه عظيم عظمًا لا يعرف قدره إلا الرجل العاقل؛ فإن عليها يترتَّب غضب الله وعقابه، أو رضاه والنعيم المقيم، وشيء هذا قدره لا يتوقف ولا يتردَّد في بذل العناية به رجل بصير. عبد العزيز السلمان، مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار ٢/٦٠

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥)﴾

هكذا قال قوم إبراهيم – لما دعاهم إلى التوحيد – فهم يدركون أن الدين الحق لا يجتمع مع اللعب والباطل؛ فكيف يريد بعض المنهزمين أن تعيش الأمة بدين ملفق يجمع أنواعً من اللعب والباطل مع شيء من الحق؟ ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ (يونس: ٣٢)؟

د. عمر المقبل

﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠)﴾

في قصة إبراهيم ﷺ في سورة الأنبياء قال: ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠)﴾، وفي الصافات: ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾ (الصافات: ٩٨)، وهي قصة واحدة فما الحكمة فيه؟ والجواب: في سورة الأنبياء أخبر الله تعالى عن إبراهيم ﷺ أنه كاد أصنامهم ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾ (الأنبياء: ٥٧)، وأخبر أنهم أرادوا أن يكيدوه كذلك ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا ﴾ فتقابل الكيدان، فلما عاد عليهم كيدهم عبر بالخسارة. وفي الصافات قال قبلها: ﴿ فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ (الصافات: ٩٧) فلما رموا نبي الله من فوق البناء إلى اسفل، عاقبهم الله من جنس عملهم فجعلهم هم الأسفلين، واصبح أمر نبي الله عاليًا. الإسكافي، درة التنزيل ٢٠٩

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (٨٠) ﴾

هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب، وهو قول أهل العقول والألباب، لا قول الجهلة الأغبياء، القائلين بأن ذلك إنما شرع للضعفاء! فالسبب سنة الله في خلقه؛ فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١١/٣٢١

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣)﴾

١) إن قيل: كيف سمَّى الله أيوب صابرًا، وقد أظهر الشكوى بقوله: ﴿ مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾، وقوله: ﴿ مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ (ص: ٤١)؟ قلت: ليس هذا شكاية، وإنما هو دعاء بدليل قوله في الآية الأخرى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ﴾ (الأنبياء: ٨٤).

الخازن، لباب التأويل ٢٣٩/٣

٢) لم يتعلق أيوب بشيء من عمله أو صبره، لكن تعلق بإيمانه العميق أن ربه أرحم الراحمين.

د. عبد الله بن بلقاسم

﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)﴾

١) تأمل قوله تعالى: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨)﴾ (القلم)، تجد أنه اضاف كلمة (ذا) إلى (النون)، وكلمة (صاحب) إلى (الحوت) والمقصود واحد وهو يونس عليه السلام، وسر ذلك – والله أعلم – أن النون اسم للحوت العظيم، وكلمة (ذا) تطلق مع ما يدل على العظمة.

د. عويض العطوي

٢) ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ فالتهليل والتسبيح يجليان الغموم، وينجيان من الكرب والمصائب؛ فحقيق على من آمن بكتاب الله أن يجعلها ملجأ في شدائه، ومطية في رخائه، ثقة بما وعد الله المؤمنين من إلحاقهم بذي النون في ذلك حيث يقول: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

القصاب، نكت القرآن ٣١١/٢

٣) إظهار الافتقار، والإقرار بالذنب من أسباب إجابة الدعاء، تأمل كيف جمعها يونس عليه السلام في ذلك الدعاء العظيم: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾؛ ولهذا كان سيد الاستغفار من أفضل الأدعية لتضمنه هذا المعنى.

د. محمد الحمد

٤) ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ﴾ الغم كالموج من أدركه أغرقه، والتوحيد طوق النجاة منه.

د. سليمان الربعي

﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) ﴾

١) كرم الرب يتجاوز طمع الأنبياء فيه – مع عظيم علمهم به – فهذا زكريا لهج بالدعاء ونادى: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا ﴾، فاستجيب له وجاءته البشرى فلم يملك أن قال: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾ (آل عمران: ٤٠)،.. فلله ما أعظم إحسان ربنا! وما أوسع كرمه! فاللَّهُمَّ بلغنا – برحمتك – فوق ما نرجو فيك ونؤمل.

إبراهيم الأزرق

٢) يقول أحد الإخوة:

عندما حرمت من الذرية ست سنوات، وطرقت أبواب المستشفيات ولم أجد فائدة، تذكرت قول زكريا: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾، فأصبحت أرددها دائمًا، مع الدعاء، والاستغفار، والرقية؛ حتى رزقني الله بطفلين، ولله الحمد.

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)﴾

١) امتن الله سبحانه على زكريا حيث قال: ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ (الأنبياء: ٩٠) قال بعض العلماء: ينبغي للرجل أن يجتهد إلى الله في إصلاح زوجته.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٢٤/٢٥)

إنها منهج في تذكيرنا بالابتهال إلى الله عند ذكر الصلاح والصالحين.

٢) قال أبو بكر الصديق ﷺ: هذا كتاب الله، لا تفنى عجائبه، ولا يطفأ نوره، استضيئوا منه اليوم ليوم الظلمة، واستنصحوا كتابه وتبيانه، فإن الله قد أثنى على قوم فقال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾.

الدر المنثور ١٢٠/٨

٣) كان أبو بكر الصديق ﷺ يقول في خطبه: أما بعد: فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وان تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة؛ فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾.

جامع العلوم والحكم ١٦١/١

٤) ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ ولم يقل: يسارعون إلى الخيرات؛ لأنهم الآن منهمكون في أعمال خيرة، فهمُّهم المسارعة فيها، والازدياد منها، بخلاف من يسارع إلى شيء، فكأنه لم يكن فيه اصلاً، فهو يسرع إليه ليكون فيه.

الشعراوي، تفسير الشعراوي ٣٥٤٠/١

٥) من تأمل حكاية الله لحال انبيائه ﷺ في سورة الأنبياء، وكيف نجى غبراهيم من النار، ولوطًا من القرية التي تعمل الخبائث، ونوحًا من الكرب العظيم؟ وكيف علَّم داود وفهَّم سليمان، وكشف الضر عن أيوب ونجَّى ذا النون من الغم، ووهب الولد لزكريا ﷺ؟ ثم عقَّب ذلك بقوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ عرف المؤهلات المطلوبة لإجابة الدعاء وتحصيل ولاية الله.

د. أحمد القاضي

٦) ما أروع صورة البيت الذي يتبارى فيه الزوجان في المسارعة للخيرات.. زوجة تعين زوجها، وزوج يعين زوجته، يترسمون خطى ذلك البيت النبوي الذي جعله الله نبراسًا لكل زوجين؛ فأين المقتدون بزكريا ﷺ وزوجته: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾.

متدبر

٧) ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ قال الحسن البصري رحمه الله: دام خوفهم من ربهم فلم يفارق خوفه قلوبهم، إن نزلت بهم رغبة، خافوا أن يكون ذلك استدراجًا من الله لهم، وإن نزلت بهم رهبة، خافوا أن يكون الله ﷻ قد أمر بأخذهم لبعض ما سلف منهم.

الدر المنثور ٦٧٠/٥

٨) من تأمل هذه الآيات: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾، ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ (السجدة: ١٦)، ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ (الإسراء: ٥٧) وغيرها؛ أدرك أن المنهج الحق للمؤمن الموفق في عباداته، بل في حياته أن يكون بين الخوف والرجاء، فلا يطغى أحدهما على الآخر، وهذا هو هدي الأنبياء وسلف الأمة

د. عبد الرحمن العقل

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢)﴾

المسلمون إذا نسوا أنهم أمة واحدة، وفرقتهم العصبيات الجاهلية، وفرقتهم الحزبيات؛ فإن شمس عرفات تذكِّرهم بوحدتهم، وتعبدهم إليها، وكل عمل من أعمال الحج مذكر بالوحدة الإسلامية ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾.

الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي ٣/٢١٣ – ٢١٤

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) ﴾

والحكمة في دخول الأصنام النار – وهي جماد لا تعقل، وليس عليها ذنب – بيان كذب من اتخذها آلهة، وليزداد عذابهم؛ فلهذا قال: ﴿ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آَلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٣١

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) ﴾

إذا تأملت قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾، وأضفت له قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ (الحديد: ١٠)؛ تبين لك أن الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعًا؛ لأنه وعد أهل الحسنى بالإبعاد عن النار، واخبر أن الصحابة سواء من أسلم قبل الفتح أو بعده موعود بالحسنى.

ابن حزم، المحلى ١/٤٤

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) ﴾

١) البقاء للاصلح وليس للأقوى.

عمر حسنة، حضارة النبوة ٥

٢) ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ سنة كونية مطردة، فكيف ييأس ويقنط من يتلو هذه الآية، مهما حدث من النكسات الطارئة؟: ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ (محمد: ٤)، ولولا الهزائم لما استبشرنا بالنصر.

أ.د. ناصر العمر

﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (١١٠)﴾

قال ابن هبيرة في قوله تعالىك اختص الله تعالى بعلم الجهر من القول من جهة أنه إذا اشتدت الأصوات وتداخلت فإنها حالة لا يسمع فيها الإنسان، ولا يميز الكلام، أما الله ﷻ فإنه يسمع كلام كل شخص بعينه، ولا يشغله سمع كلام عن سمع آخر.

ذيل طبقات الحنابلة ٢٨٣/١

﴿ قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١١٢) ﴾

قال ابن هبيرة في قوله تعالى: ﴿ احْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾ المراد منه: كن أنت – أيها القائل – على الحق؛ ليمكنك أن تقول: احكم بالحق؛ لأن المبطل لا يمكنه أن يقول: احكم بالحق!

ذيل طبقات الحنابلة ٢٣٨/١

سورة الحج

١) سورة الحج تبدأ بمشهد أخروي، وهكذا هو الحج، فهو صورة مصغرة في كثير من أحداثه ومراحله لمشهد البعث والنشور.

٢) سورة الحج من أعاجيب سور القرآن، فيها: أول الحج: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾، وآخره: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا ﴾ (الحج: ٢٧ – ٢٨)، فيها: الساعة والتوحيد، والصلاة والإخبات، والمواعظ والآداب، فيها: المكي والمدني، والليلي والنهاري، والسفري والحضري، والحربي والسلمي، والشتائي والصيفي، هي سورة عجب، وأعجب منها حاجٌّ ولم يتدبر سورة الحج.

د. عصام العويد

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)﴾

١) عندما يقرا المسلم قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ يتعجب كيف تذهل الأم عن رضيعها!

ويحاول أن يتصور كيف يكون الناس كالمجانين، فيعجز عن تصور ذلك مع إيمانه به، فياتي زلزال اليابان ليريه مشهدًا عظيمًا، ودمارًا هائلاً في طرفة عين؛ فيدرك أن هذا ليس إلا صورة مصغرة عن حقيقة ما سيكون عند زلزلة الساعة؛ فيزداد الذين آمنوا إيمانًا، ويرتاب الذين في قلوبهم مرض والكافرون.

أ.د. ناصر العمر

٢) ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾ من المعلوم أنَّ المرأة التي ترضع الطفل تُسمَّى مرضعًا، فلِم قال تعالى هنا: مرضعة، ولم يقل مرضع؟ فالجواب – عن الزمخشري –: المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي. والمرضع: التي شأنها أن ترضع، وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقيل: مرضعة؛ ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها، نزعته عن فيه؛ لما يلحقها من الدهشة.

الشنقيطي، أضواء البيان ٤/٢٥٦

٣) مشهد يذكر بمشهد:

شجرة لن تحاسب! وبعوضة لن تسأل! ونملة لن توزن! وهرة لن تعرض على جنة ولا نار! فلأي شيء تساقط حملها: ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾. د. عصام العويد

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٤)﴾

سئل بعض العلماء هل تجد في القرآن شاهدًا على المثل السائر: "من أعان ظالمًا سلط عليه"؟ فقال نعم، هو قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾. الإتقان في علوم القرآن ٤٩/٤

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾

﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ تذكرت هذه الآية، وأنا أنظر إلى المسلمين، كيف تغير دولاب حياتهم من حين دخل رمضان، لقد انصهروا من جديد، فما أسهل صياغة الحياة عبر نظام الإسلام إذا صدقت النوايا، وخلي بين الناس وبين الخير. محمد المقدم

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١)﴾

يا هذا! اعبد الله لما أراده منك لا لمرادك منه؛ فمن عبده لمراد نفسه منه؛ فهو ممن يعبد الله على حرف ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾، ومتى قويت المعرفة والمحبة، لم يرد صاحبها إلا ما يريده مولاه.

ابن رجب، كلمة الإخلاص ٣٩

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨)﴾

١) نظرت في هذه الآية: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾ فرأيت الجمادات كلها قد وصفت بالسجود، واستثنى من العقلاء، فقلت: هذه قدرة عظيمة، يوهب عقل الشخص، ثم يسلب فائدته! وإلا فكيف يحسن من عاقل ألا يعرف بوجوده، وجود من أوجده؟ غير أنه سبحانه وهب لأقوام من العقل ما يثبت عليهم الحجة، وأعمى قلوبهم كما شاء عن المحجة.

ابن الجوزي، صيد الخاطر ٣١٨/١

٢) هنا أشجار.. وهناك نجوم.. هذه شمس، وهذا قمر.. وتلك جبال.ز هنا وهناك دوابٌّ كبار وصغار، فإذا اجتمعت لك – كلها أو بعضها – وأنت في البرية، او تسير في طريق، فتذكر أنها كلها تسجد لله، تأمل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ ﴾. د. عمر المقبل

٣) كلُّ الجمادات والنباتات والحيوانات تسجد لله.. بكثرتها.. بعظمتها.. إلا بعضًا من مخلوق ضعيف شذَّ عن منظومة التسبيح في الكون. متدبر

٤) من لم يعرف الطريق إلى ربه ولم يتعرفها، فهذا هو اللئيم الذي قال الله فيه: ﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾. ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٧٧

٥) قال تعالى في آية سجود المخلوقات له: ﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾ فإنهم لما هان عليهم السجود له، واستخفوا به ولم يفعلوه؛ أهانهم الله فلم يكن لهم من مكرم بعد أن أهانهم الله، ومن ذا يكرم من أهانه الله؟ أو يهن من أكرمه الله؟

ابن القيم، الجواب الكافي ٧٠

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٥)﴾

١) وصف الله المسجد الحرام بقوله: ﴿ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ ﴾؛ للإيماء إلى علة مؤاخذة المشركين بصدهم عنه؛ لأجل أنهم خالفوا ما أراد الله منه فإنه جعله للناس كلهم يستوي في أحقية التعبد به العاكف فيه أي: المستقر في المسجد والبادي أي: البعيد عنه إذا دخله. ابن عاشور: التحرير والتنوير ١٧/١٧١

٢) السيئة قد تعظم فيعظم جزاؤها بسبب حرمة المكان: كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾، أو حرمة الزمان: كقوله تعالى في الأشهر الحرام: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ (التوبة: ٣٦)، أو بسبب عظم الإنسان المخالف: كقوله تعالى في نبينا ﷺ: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ (الإسراء: ٧٤ – ٧٥).

الشنقيطي، أضواء البيان ٦/١٤٨

٣) ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ في هذه الآية تسلية وطمأنة لمن أشرف على أمن الحج، وتأمين للحجيج بأن الله سيعينهم ويوفقهم إذا صدقوا مع الله، وأخذوا بالأسباب المشروعة في ذلك، وحسبهم هذا التأييد الذي يوحي بخيبة المفسدين عاجلاً أو آجلاً. متدبر

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦)﴾

١) ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ كان النهي عن الشرك أول شيء أُمِر به إبراهيم ؑ بعد إعلام الله له بمكان البيت، والمأمور بذلك أبو الأنبياء وداعية التوحيد ومكسر الأصنام إبراهيم ؑ؛ مما يدل على عظم خطورة الشرك!

٢) ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ خدمة البيت الحرام وخدمة عُمَّاره من أعظم الطاعات، والتطهير هنا يعم الحسي والمعنوي، فالعمل في ذلك من أشرف الأعمال؛ فتنبه أيها المؤمن أن تقوم بما يضاد ذلك.

٣) علقت القلوب على محبة الكعبة البيت الحرام؛ حتى استطاب المحبون في الوصول إليها هجر الأوطان والأحباب، ولذَّ لهم فيها السفر الذي هو قطعة من العذاب، فركبوا الأخطار وجابو المفاوز والقفار، واحتملوا في الوصول غاية المشاق، ولو أمكنهم لسعوا إليها ولو على الأحداق:

نعم أسعى إليك على جفوني *** وإن بعدت لمسراك الطريق

وسرُّ هذه المحبة هي إضافة الرب سبحانه له إلى نفسه بقوله: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ ﴾.

ابن القيم، روضة المحبين ٢٦٩

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) ﴾

١) أبلغ الله تعالى صوت إبراهيم حينما نادى بالحج، وحفظ هذا الأذانَ، فجعله قرآنًا يردد في الصلوات، ويتلى في المحاريب ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾. إنها إشارة قوية إلى أن على العبد أن يفعل الأسباب التي يستطيعها، ثم يترك ما وراء ذلك للقادر الكبير المتعال. د. سلمان العودة، مستفادة من (رسائل إلى الحجيج)

٢) ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ رأى بعض الصالحين الحجاج في وقت خروجهم، فوقف يبكي ويقول: واضعفاه! ثم تنفس وقال: هذه حسرة من انقطع عن الوصول إلى البيت، فكيف تكون حسرة من انقطع عن الوصول إلى رب البيت؟ يحق لمن رأى الواصلين وهو منقطع أن يقلق، ولمن شاهد السائرين إلى ديار الأحبة وهو قاعد أن يحزن. لطائف المعارف لابن رجب ٢٣٧

٣) ﴿ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ في تقديم ذكر الرجال على الركبان فائدة جليلة، وهي أن الله – تعالى – شرط في الحج الاستطاعة ولا بد من السفر إليه لغالب الناس فذكر نوعي الحجاج؛ لقطع توهم من يظن أنه لا يجب إلا على راكب، فقدَّم الرجال اهتمامًا بهذا المعنى وتأكيدًا، أو أن هذا التقديم جبرًا لهم؛ لأن نفوس الركبان تزدريهم.

ابن القيم، بدائع الفوائد ٧٣/١

٤) ﴿ وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ يحتفي الناس بضيوفهم في المراكب الفاخرة، وربُّنا يثني على الوفد برواحلهم المنهكة الضامرة.

د. عبد الله بلقاسم

٥) ﴿ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ إنها إحدى صور عظمة الحج؛ فلا تجد مشهدًا يجمع الناس من كل جنسية وبلد، كما يكون في الحج، إنه مشهد يطلعك على عظمة هذا الدين، وعمقه في الأرض بما لا يشهده دين آخر. د. محمد الربيعة

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ﴾

١) طلب العلم والحج:

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ قال العباس الدوري: ربما كنا عند أحمد بن حنبل أيام الحج، فيجيئه أقوام من الحجاج فيقبل عليهم ويحدثهم، فربما قلنا له في ذلك! – أي: نتعجب من عقد مجلس الحديث في أيام الحج – فيقول: هؤلاء قوم غرباء، وبعد أيام يخرجون.

الآداب الشرعية ١٠٧/٢

٢) ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ من منافع الحج العظيمة التي تشملها البتة: أن يتعلَّم الحجاج ما به منفعتهم في الآخرة، أما منفعة الدنيا، فالناس أساتذة ذلك، لكن منفعة الآخرة الناس اليوم بأشدِّ الحاجة إليه، وإذا كان زمن الحج قصيرًا، فالواجب أن يُكثَّف الجهد في الحج لتعليم الجاهل وتبصير الغافل، فأوصي كل من يذهب إلى الحج وله فضل علم أن يبلغه؛ لأن النبيَّ نادى بعرفة فقال: "**اللَّهُمَّ هل بلغت، اللَّهُمَّ فاشهد**"[١]. صالح آل الشيخ

٣) لما ذكر الله منافع الحج بقوله: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ أطلقها ولم يقيدها؛ فشملت منافع الدين والدنيا كلها، ولو تنبه المسلمون لذلك، لبالغوا في استثمار الحج؛ لما يعود عليهم بالنفع الدنيوي والأخروي. د. محمد الخضيري

٤) حج (مالكولم إكس) – وهو أحد الدعاة السود الأمريكان الذين كانوا يتعصبون للجنس الأسود – فلما رجع من رحلة الحج، غير أفكاره العنصرية، وكان السبب: ما رآه من تساوي المسلمين في الحج – الأسود والأبيضن الغني والفقير، والأوروبي والافريقي، والعربي والأعجمي – وصدق الله: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾.

تراجم شهداء الدعوة في العصر الحديث ٨٩/١

---

[١] أبو داود ح (٣٣٣٤).

٥) تدبَّر: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾، وقف متأملًا لقوله: ﴿ لَهُمْ ﴾؛ لتدرك أن كلَّ عمل من أعمال الحج يعود عليك بنفع عظيم، خلافًا لما يتصوره الكثيرون من أن الحَّ مجردِ أعمال تعبديَّة لا يدركون أثرها، وهذا يفسر التسابق للبحث عن الترخص والتخلص من كثير من واجباته وأركانه، ولو أدركوا نفعه المباشر لهم، لما فعلوا. أ.د. ناصر العمر

٦) ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ﴾ لما كان الجهاد أفضل الأعمال، ولا قدرة لكثير من الناس عليه، كان الذكر الكثير الدائم يساويه، ويفضل عليه، وكان العمل في عشر ذي الحجة يفضل عليه، إلا من خرج بنفسه وماله، ولم يرجع منهما بشيء.

ابن رجب، لطائف المعارف ٢٤٩

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ﴾

هل وقفت متأملًا وأنت تقوم بتطهير جسدك، وتحلق شعرك، ثم تطيب بدنك؟ بأن تلتفت التفاتة جادة لقلبك فتطهره مما لحقه وران عليه؛ لتحقق الهدف الأسمى للحج، فتعود كما ولدتك أمك؟ أ.د. ناصر العمر

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) ﴾

بعد أن ذكر الله المناسك – في سورة الحج – قال: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾، ففيه إشارة إلى أن الحج ليس أقوالًا وأعمالًا جوفاء، وأن الخير الكثير إنما هو لمن تنسك معظمًا لحرمات الله، متقيًا معصيته؛ ولعل في افتتاح السورة بالأمر بالتقوى، واختتامها بالجهاد في الله حق المجاهدة تأكيدًا على ذلك. د. عبد الله الغفيلي

﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١)﴾

١) التوحيد علو والشرك سقوط: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان، تخطَّفته الشياطين من كل جانب، ومزقوه وأذهبوا عليه دينه ودنياه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٣٨

٢) ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ انظر إلى هذا الزلزال النفسي، والشعور بالدمار والخراب في الحياة، الذي يملأ صدور الكفار، واليأس القاتل الذي يجثم على أحلامهم؛ لما يعيشونه من فقر شديد بالعلم بالله، بينما يملأ هذا حياة المسلم سعة ورحمة؛ بسبب ما يتيحه له من آفاق ارحبن للنظر في الحياة والكون والمصير.

د. فريد الأنصاري، جمالية الدين ٦٦

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) ﴾

١) تعظيم السلف لليلة القدر:

كان تميم الداري ﷺ يتأول قوله تعالىك ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ فقد اشترى حلة بألف درهم، يلبسها في الليلة التي تُرجى فيها ليلة القدر.

سير أعلام النبلاء ٤٤٧/٢

قارن هذا مع حال بعض الناس يأتي بثياب نومه للمسجد مع قدرته!

٢) ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ أضاف التقوى إلى القلوب؛ لأن حقيقة التقوى في القلب؛ ولهذا قال ﷺ - كما في الصحيح - "**التقوى ها هنا**" ثلاثًا[1]، وأشار إلى صدره.

القرطبي، أحكام القرآن ٥٦/١٢

٣) تبدأ الاشهر الحرم بدخول شهر ذي القعدة، وأعظم تدبر عملي مع هذا الزمن الفاضل: أن يُرى العبد مُعَظِّمًا لها بفعل الخيرات وترك المحرمات؛ فإنَّ الله يقول: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

د. عمر المقبل

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٥)﴾

١) من أعظم البراهين على منزلة أي عبادة من العبادات أن تراها مشروعةً في جميع الشرائع، وهكذا كان النحر: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾؛ فهل يقدر المسلم هذه الشعيرة قدرها؟!

د. عمر المقبل

[1] مسلم ح (٢٥٦٤)، والترمذي ح (١٩٢٧)، وأحمد ح (٧٧٢٧).

٢) لمَّا بيَّن الله تعالى أن نحر بهيمة الأنعام من الشعائر المتفق عليها بين الأمم، ختم الآية بقوله: ﴿ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ﴾ وهي إشارة واضحة إلى أنَّ أعظم رابط يجمع الأمم هو توحيد الله تعالى، وما يتفرع عنه من أخلاق وأعمال، دون ما سواه من الروابط الأرضية. د. عمر المقبل

٣) ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ لما بين ابن عطية أنَّ الإخبات معناه التواضع والخشوع؛ قال: وهذا مثال شريف من خلق المؤمن الهين اللين.

المحرر الوجيز ٤/١٥٠

٤) الحج يربي على التواضع، والانكسار لله، وعدم التكبر على عباده، تأمل قوله تعالى – في سياق آيات الحج –: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ أي: المتواضعين.

فهنيئًا لحاجٍّ لم يزده الحج إلا تواضعًا وإخباتًا لله. أ.د. محمد العواجي

٥) ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ من أفضل حالات العبد في مثل هذه المواسم: انكسار القلب بين يدي اللهن والإخبات له سبحانه، ومن أكثر ما يعين على العيش بهذه العبودية: تذكُّرُ ذنوبٍ سترها الله على العبد ولم يؤاخذه بها، وتذكّرُ جود الرب وكرمه، الذي يبعث على شدة الرجاء والتضرع.

٦) قال تعالى في سياق آيات الحج: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ ذكر للمخبتين أربع علامات: وجل قلوبهم عند ذكره (والوجل خوف مقرون بهيبة ومحبة) وصبرهم على اقداره، وإتيانهم بالصلاة قائمة الأركان ظاهرًا وباطنًا، وإحسانهم إلى عباده بالإنفاق مما آتاهم. ابن القيم، شفاء العليل ١/١٠٦

فما أجمل أن ترى الحاج وقد جمّل ظاهره وباطنه بهذه العلامات.

﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) ﴾

١) حج سعيد بن المسيب، وحج معه ابن حرملة، فاشترى سعيد كبشًا فضحى به، واشترى ابن حرملة بدنة بستة دنانير فنحرها، فقال له سعيد: أما كان لك فينا أسوة، فقال: إني سمعت الله يقول: ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ فأحببت أن آخذ الخير من حيث دلني الله عليه، فأعجب ذلك ابن المسيب منه، وجعل يحدث بها عنه. الدر المنثور ٦/٥١

٢) من شعائر الله التي قل العمل بها: سوق الهدي إلى الحرم، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣) ﴾ (الحج)، وقال: ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦)﴾، قال الرازي: "وما أخلق العاقل بالحرص على شيء شهد الله – تعالى – بأن فيه خيرًا، وبأن فيه منافع"[1].

د. محمد القحطاني

﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧) ﴾

١) قال بعض السلف: ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ إن اتقيت الله في هذه البدن، وعملت فيها لله، وطلبت ما قال الله؛ تعظيمًا لشعائر الله، ولحرمات الله، وجعلته طيبًا، فذلك الذي يتقبل الله، فأما اللحوم والدماء، فمن أين تنال الله.

جامع البيان لابن جرير ٦٤١/١٨

٢) قال تعالى: ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ فالعبادات إن لم يقترن بها الإخلاص وتقوى الله، كانت كالقشور الذي لا لب فيه، والجسد الذي لا روح فيه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٨٣

٣) ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ فتأمل في دلالة كلمة ﴿ مِنْكُمْ ﴾ فدفع الأموال منا، والجهد البدني في الذبح منا، فبقي تحقيق الأهم، وهي التقوى، فهي التي سنثاب عليها إن حققناها، وسنخسر إن غابت عن أعمالنا.

د. عمر المقبل

٤) ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ هذه قاعدة عظيمة في أعمال ومناسك الحج كلها؛ فإذا رأيت الناس يتسابقون ويتزاحمون لتأدية الأعمال الظاهرة، فاسبقهم بتحقيق التقوى وتعظيم شعائر الله: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾.

أ.د. ناصر العمر

[1] مفاتيح الغيب ٢٢٦/٢٣

٥) ورد في بيات الحج من العناية بأمر القلوب ما لم يرد في أي ركن من أركان الإسلام؛ لما في أعمال الحج من مظاهر قد تصرف عن مقاصده العظيمة إلى ضدها، تأمل: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾، فتعاهد قلبك حين أداء نسكك.

أ.د. ناصر العمر

٦) المتأمل لآيات الحج يلحظ تكرر ورود التكبير، وذكر الله، والتركيز فيها على التقوى وعمل القلب؛ لأن أغلب مناسك الحج ارتبطت بمظاهر وجمادات محسوسة؛ فلئلا يتعلق القلب بشيء منها، أو يعتقد فيها ضرًا أو نفعًا، وينصرف عن المقصد الأعظم من الحج وهو تحقيق الإيمان والتقوى، تدبر: ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾.

أ.د. ناصر العمر

٧) الكسوف وتدبر عملي:

يقول أحد الإخوة: ركب معي في سيارتي بعد صلاة الكسوف – هذا اليوم – رجل عامي كبير في السن، وبكى كالطفل، فظننت أنه يبكي لوفاة حبيبه! سألته: عسى ما شر؟ فكان رده كالصاعقة عليّ! قال: أكثر الناس لا تصلي الكسوف! وبيوتنا فيها دشوش سيئة، وأولادنا لا يصلون، ونسرف في الولائم، فكيف لا نخاف؟ ونزل من السيارة وهو يكفكف دموعه!

وصدق الله: ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾

متدبر

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) ﴾

١) ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ لا يبعد أن يكون المعنى: أنَّ الكفار يستعملون كلَّ ما في إمكانهم لإضرار المؤمنين، فيدفع الله كيدهم عن المؤمنين، فكان دفعه سبحانه لقوة عظيمة أهلها في طغيان شديد، يحلولون إلحاق الضرر بالمؤمنين؛ وبهذا الاعتبار كان التعبير بالمفاعلة، في قوله: ﴿ يُدَافِعُ ﴾، وإن كان ﷻ قادرًا على إهلاكهم، ودفع شرهم عن عباده المؤمنين.

الشنقيطي، أضواء البيان ٢٦٢/٥

٢) ربط الله سبحانه دفاعه عنك بصفة الإيمان؛ فكلما زاد إيمانك زاد دفاعه عنك، وكلما ضعف إيمانك؛ ضعف دفاعه عنك، وهذا بناء على القاعدة التفسيرية: أن الحكم المعلق على وصف، يزيد بزيادته وينقص بنقصانه.

د. خالد السبت

﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١) ﴾

الحكم بغير ما أنزل الله من أعظم أسباب تغيير الدول، كما جرى مثل هذا مرة بعد مرة في زماننا وغير زماننا، ومن أراد الله سعادته جعله يعتبر بما أصاب غيره، فيسلك مسلك من أيده الله ونصره، ويجتنب مسلك من خذله الله وأهانه؛ فإن الله يقول في كتابه: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣٨٨/٣٥

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) ﴾

١) من الاتعاظ بالزمن دراسة التاريخ العام، وتتبع آيات الله في الىفاق، وتدبر أحوال الأمم.

محمد الغزالي، خلق المسلم ٢١٠

٢) ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ قال قتادة رحمه الله: البصر الظاهر: بلغة ومتعة، وبصر القلب: هو البصر النافع. معالم التنزيل ٣٩١/٥

٣) ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ فأخبر ﷻ أن الحواس تبع للعقل، وأن ذا العقل الذي يغلب هواه عليه لا ينتفع بما أدركت حواسه.

ابن حزم، رسائله ٣١٥/٤

٤) ليس كل مبصر يرى!

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ أي: فعمى القلب هو العمى الحقيقي، لا عمى البصر، فأعمى القلب أولى أن يكون أعمى من أعمى العين؛ فنبه بقوله: ﴿ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ على أن العمى هو عمى الباطن في العضو الذي محله الصدر، لا العمى الظاهر في العضو الذي محله الوجه.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٤٢

﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٢)﴾

وأما وقيعة الفساق في أهل الفضل والدين، فعل شَبَهٍ ممن قال الله فيهم: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾. واستخفاف هؤلاء بالدين يحملهم على إشاعة أشياء عن العلماء والدعاة منهم، ورجال الحسبة فيهم، بقصد الشناعة عليهم.

د. بكر أبو زيد، تصنيف الناس ١٥ – ١٦

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣)﴾

كل من ترجوه من الناس، وتطمع في جاهه أو نصرته أو سلطانه وماله، فهو ضعيف مثلك، لا يملك لك شيئًا..! ﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾. د. خالد المصلح

﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤) ﴾

تسونامي اليابان:

﴿ ومَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾! سيارات تتدحرج كحبات المسبحة وهي تتناثر، وطرق القطارات والسيارات كأنما هي خيط تلك المسبحة، والقتلى والجرحى بالالاف بعد مرور (٢٤ ساعة) فقط من وقوع الطوفان، وصار الناس كأنهم على بوابة القيامة فتراهم: ﴿سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ﴾، مشهد يحرك في القلب معنى من معاني عظمة الجبار، وضعف الإنسان، فاللَّهُمَّ جنب بلاد المسلمين آثاره، ولين قلوبنا لنعتبر. متدبر

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧)﴾

١) سورة الحج.. فيها من التوحيد والحِكَم والمواعظ على اختصارها ما هو بيِّن لمن تدبره، وفيها ذكر الواجبات والمستحبات كلها: توحيدًا وصلاة وزكاة وصيامًا، قد تضمن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، فهذه الآية والتي بعدها لم تترك خيرًا إلا جمعته، ولا شرًّا إلا نفته.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٦٦/١٥

٢) إذا عبر عن شيء بأحد أجزائه، فهذا دليل على أنه ركن فيه؛ ومن هنا أخذت ركنية الركوع والسجود في الصلاة من قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج: ٧٧). د. محمد الخضيري

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨) ﴾

١) ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ قال الحسن البصري رحمه الله: إن الرجل ليجاهد في الله حق جهاده وما ضَرَبَ بسيف. الدر المنثور ٧٨/٦

٢) ختم الله سورة الحج بقوله: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾، وفي ذلك – والله أعلم – إشارة إلى استمرار الجهاد والمجاهدة بعد هذه الفريضة العظيمة، والايام المتميزة بفضلها، وتنوع الأعمال الصالحة فيها، وأن ذلك ليس خاصًا بها، بل العبد محتاج لها في الصلاة، والزكاة، والاعتصام بالله، مبينًا أن الانضباط بالشريعة – مع حاجته إلى المجاهدة – ليس فيه أي حرج أو عسر، بل هو سمة هذا الدين، ومنهج أبينا إبراهيم، وبه يتحقق الاجتباء والاصطفاء، فهل يتنبه لذلك من يركن للراحة والدعة والتفريط بعد الحج؟!

أ.د. ناصر العمر

٣) المتأمِّل في بيات الحج يلحظ سمة التيسير في تشريعاته وأحكامه كلِّها، لكنه تيسير منضبط لا عن هوى وتشهي، والتيسير لا يعني عدم المشقة والتعب، فقد ختم الله أحكام الحج في سورة الحج بقوله: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾، وسمَّاه النبي ﷺ جهادًا، وأبان أن الأجر فيه على قدر النصب والتعب. أ.د. ناصر العمر

سورة المؤمنون

اقرأ أول سورة "المؤمنون" بتدبر، تجد أن من أهم صفات المؤمنين المفلحين: إتقان العمل، والمداومة عليه، وهذان الأمران هما سر النجاح وأساس الفلاح، فالخشوع في الصلاة يشير إلى ضرورة الإتقان، والمحافظة على جميع الصلوات لا تكون إلا بالمداومة والاستمرار.

د. محمد القحطاني

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) ﴾

١) سورة المؤمنون أولها ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وآخرها: ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ المؤمنون: ١١٧ فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة!

الزمخشري، الكشاف ٣٧٣/٤

٢) ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ أفلحوا هكذا بإطلاق؛ في كل شيء، في كل آن.. لم يقيد الفلاح بـ (أين) ولا (متى)، هم المفلحون دومًا لو التزموا الإيمان.

د. خالد المزيني

فتأمل – يا عبد الله – في الصفات التي جعلت أولئك المؤمنين يفلحون، وتأمل أواخر هذه السورة؛ لتدرك لمَ لا يفلح الكافرون؟!

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣)﴾

١) من أعظم موانع الخشوع: كثرة اللغو والحديث الذي لا منفعة فيه؛ ولذلك ذكر من صفات المؤمنين إعراضهم عن اللغو بعدما ذكر خشوعهم فقال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣)﴾.

د. محمد الخضيري

٢) لقد كانت هذه الآية – التي وصف الله فيها عباده المفلحين–: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ من أعظم ما منعني من الاسترسال في إرسال الرسائل التي لا فائدة منها، فضلاً عن المحرمة، رغم أن عرض الرسائل المجانية مازال ساريًا[١]. متدبر

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾

١) خلق سبحانه الحناجر مختلفة الأشكال: في الضيق والسعة والخشونة والملامسة والصلابة واللين والطول والقصر؛ فاختلفت بذلك الأصوات أعظم اختلاف، ولا يكاد يشتبه صوتان إلا نادرًا ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾. ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١٩١/١

٢) ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ جاء لفظ (تبارك) في القرآن عدَّة مرات، وكلها مسندة إلى الله ﷻ، ولم تأت مسندةً لمخلوق أبدًا؛ لأنَّ المخلوق لا يوجدها، ولكن قد يكون سببًا في حدوثها، وبهذا يتبيَّن خطأ القول الشائع كـ: تبارك المنزل، وتباركت السيارة ونحوهما، مع حسن قصد قائلها.

أ.د. ناصر العمر

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (٢٥)﴾

أيها المُصْلِح:

هذه سيرة أعداء المُصلحين مع كلِّ رسول: ينتقصونه: ﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ ﴾، ويطعنون في نواياه: ﴿ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾! وفي عقله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ﴾، ويترصَّدون له: ﴿ فَتَرَبَّصُوا بِهِ ﴾. د. خالد المزيني

---

[١] أرسلت حين عرضت إحدى شركات الاتصالات عرضًا مجانيًا في إرسال الرسائل لمدة شهر كامل.

﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (٣٤)﴾

من ضعيف حُجج المأ وغريبها قولهم لأقوامهم – تكذيبًا للرُّسل-: ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ ﴾؛ فيقال لهم: فإن اتَّبعوكم في تحذيركم هذا؛ هل سيخرجون عن أن يتبعوا بشرًا مثلهم؟! د. مساعد الطيار

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٤٥) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (٤٨) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٤٩) ﴾

تجربة سعدية مع التدبر:

مر عليّ منذ زمان طويل كلام لبعض العلماء لا يحضرني الآن اسمه، وهو أنه بعد بعث موسى ونزول التوراة، رفع الله العذاب عن الأمم، أي: عذاب الاستئصال، وشرع للمكذبين المعاندين الجهاد، ولم أدر من أين أخذه، فلما تدبرت هذه الآيات، مع الآيات التي في سورة القصص، تبين لي وجهه أما هذه الآيات؛ فلأن الله ذكر الأمم المهلكة المتتابعة على الهلاك، ثم أخبر أنه أرسل موسى بعدهم، وأنزل عليه التوراة فيها الهداية للناس، ولا يَرد على هذا إهلاك فرعون، فإنه قبل نزول التوراة، وأما الآيات التي في سورة القصص، فهي صريحة جدًا، فإنه لما ذكر هلاك فرعون قال: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (القصص) فهذا صريح أنه آتاه الكتاب بعد هلاك الأمم الباغية. تيسير الكريم الرحمن ٥٥٢

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١)﴾

١) أوصى سفيان الثوري رجلًا فقال: إياك أن تزداد بحلمه عنك جرأة على المعصية؛ فإن الله لم يرض لأنبيائه المعصية والحرام والظلم، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾، ثم قال للمؤمنين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ (البقرة: ٢٦٧)، ثم أجملها، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (البقرة).

حلية الأولياء ٧/٢٤

٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ أمر الرسل بالأكل من الطيبات فيه رد على الغلاة الذين يمتنعون منها، وفيه رد على الجفاة الذين لا يقتصرون عليها.

محمد بن عبد الوهاب، تفسير آيات من القرآن ٤٠٢

٣) ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ الأمر بإصلاح العمل مع الأكل من الطيبات فيه رد على ثلاث طوائف:

١- من يأكلون الطيبات بلا شكر، والشكر هو العمل المرضي.

٢- من يعمل بغير إخلاص، وهم المراؤون.

٣- من يعمل مخلصًا، لكن على غير السنة.

محمد بن عبد الوهاب، تفسير آيات من القرآن ٤٠١

٤) تأمل كيف قرن الله بين أكل الطيبات وعمل الصالحات في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾؛ فأكل الحلال الطيب مما يعين العبد على فعل الصالحات، كما ان أكل الحرام أو الوقوع في المشتبهات مما يقل العبد عن فعل الصالحات. فهد العيبان

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠)﴾

١) قال تعالى: ﴿ وَجِلَةٌ ﴾ أي: خائفة، يقول الحسن البصري رحمه الله: يعملون ما يعملون من أعمال البر، وهم يخافون ألا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم، إن المؤمن جمع إحسانًا وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمنًا. جامع البيان ٤٥/١٩

٢) كان سهل بن عبد الله التستري يقول: إنما خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة، وعند كل حركة، وهم الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾.

إحياء علوم الدين ١٧٢/٤

٣) إن الله إذا أراد بعبد خيرًا، سلب رؤية أعماله الحسنة من قلبه، والإخبار بها من لسانه، وشَغَله برؤية ذنبه، فلا يزال نصب عينيه؛ حتى يدخل الجنة ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ١٧٢

٤) يقول ابن رجب: وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر: "**اللَّهُمَّ إنك عفو تحب العفو، فاعف عني**"[١] بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليالي العشر؛ لأن العارفين يجتهدون في الأعمال، ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحًا ولا حالًا ولا مقالًا، فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنب المقصر، كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾

لطائف المعارف ٢٢٨

٥) من تدبر القرآن علم أن الصالحين لا يخافون من شيء أعظم من خوفهم من أمرين:

- الخوف من أعمالهم الصالحة أن لا تقبل: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾.

- الخوف من زيغ القلب بعد هدايته: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ (آل عمران: ٨).

صالح المغامسي، محاضرة: كيف نتدبر القرآن؟

٦) القرآن يعلمنا – وخاصة في رمضان – أن لا نغتر بصيامنا ولا بكثرة قيامنا؛ بل يزداد خوفنا بازدياد طاعتنا؛ لأننا نحيا بقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾.

متدبر

﴿ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١)﴾

الآية على أن المبادرة إلى الأعمال الصالحة: من صلاة في أول الوقت – وغير ذلك من العبادات – هو الأفضل، ومدح الباري أدل دليل على صفة الفضل في الممدوح على غيره.

ابن العربي، أحكام القرآن ٥/٤٦٧

﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (٦٣)﴾

أرض القلب إذا بذر فيها خواطر الإيمان، والخشية والمحبة والإنابة، والتصديق بالوعد، ورجاء الثواب وسُقيت مرة بعد مرة، وتعاهدها صاحبها بحفظها ومراعاتها، والقيام عليها؛ اثمرت له كل فعل جميل، وملأت قلبه من الخيرات، واستعملت جوارحه في الطاعات؛ فاحذر أن تكون ممن قال الله فيهم: ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٧٥

[١] الترمذي ح (٣٥١٣)، وابن ماجه ح (٣٨٥٠)، وأحمد ح (٢٥٣٨٤).

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) ﴾

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ جاءت في سياق الخطاب مع الكافرين؛ لتقرر أن التدبر للكافر هو مفتاح الهداية، فكيف بالمسلم؟! د. عبد الله الغفيلي

﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٦٩) ﴾

استجابة الناس للداعية الغريب عليهم ضعيفة غالبًا، ويسهل قبول الطعن فيه من خصومه، وإنكار ما يدعو إليه، بخلاف ما إذا كان معروفًا بشخصه وبأخلاقه؛ فالأولى بمن ذهب لبلد لا يعرف فيه أن يكون هناك من وجهاء البلد من يعرِّف به ويزكيه.

أ.د. ناصر العمر

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠)﴾

تجنب الحكم بالتعميم ما استطعت، وتأمل: ﴿ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ فقد يكون بعضهم يؤمن بقلبه، لكنه ساكت خوفًا على نفسه. د. محمد الربيعة

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦)﴾

١) ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ هذا نموذج لصنف من الناس الذين تصيبهم المصائب والنكبات والعذاب، ولكن قلوبهم قاسية لا تتأثر، نسأل الله العافية.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٢٤/١) (بتصرف)

٢) قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾، وقال: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أمرٌ طبيعي أن نبتلى، والمطلوب شرعًا أن يسمع ربنا – الغني عنا – تضرعنا حين نبتلى؛ لأن الله عاب على هؤلاء عدم تضرعهم فقط.

متدبر

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦)﴾

١) فقه الآية: اسلك مسلك الكرام، ولا تلحظ جانب المكافأة؛ ادفع بغير عوض، ولا تسلك مسلك المبايعة، ويدخل فيه: سلِّم على من لم يسلِّم عليك، والأمثلة تكثر.

ابن العربي، أحكام القرآن ٤٧٣/٥

٢) والتخلق بهذه الآية هو أن المؤمن الكامل ينبغي له أن يفوض أمر المعتدين عليه إلى الله فهو يتولى الانتصار لمن توكَّل عليه، وأنه إن قابل السيئة بالحسنة كان انتصار الله أشفى لصدره وارسخ في نصره، وماذا تبلغ قدرة المخلوق تجاه قدرة الخالق؟ وهو الذي هزم الأحزاب بلا جيوش ولا فيالق. ابن عاشور، التحرير والتنوير ٩٧/١٨

﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) ﴾

١) هل تشعر بنعمة بلوغ رمضان؟

فقط تذكر كلمة ذلك المحتضر الذي قال: ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ وتذكر صرخة أهل النار: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ (فاطر: ٣٧).. فيا بشراك يا من بلغت مواسم الخيرات، ووفقت لعمل الصالحات. د. عمر المقبل

٢) تقليب النظر في ملف الزمن:

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ طلب الرجوع ليعمل صالحًا، لا ليجمع الدنيان ويقضي الشهوات، فرحم الله امرءًا عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب. تفسير السمعاني ٤٩٠/٣

٣) ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ قال الإمام السمعاني: يعني: سؤال الرجعة، وقد قال أهل العلم من السلف: لا يسأل الرجعة عبدٌ له عند الله ذرة من خير؛ لأنه إذا كان له خير عند الله فهو يحب القدوم عليه. تفسير السمعاني ٤٩٠/٣

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) ﴾

قال رجل لزهير بن نعيم: ممن أنت يا أبا عبد الرحمن؟ قال: ممن أنعم الله عليه بالإسلام؛ قال: إنما اريد النسب، قال: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾.

حلية الأولياء ١٠/١٤٩

﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) ﴾

١) شهدت عددًا من الكتّاب الشباب لا زالت خصومتهم مع المتدينين تتمادى بهم؛ حتى نورَّطوا بمقالات محادَّة للوحي، كل ذلك بدافع النكاية بالمتدينين وإغاظتهم فقط، وكنت أظنُّها صرعة جديدة حتى قرأت قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾.

إبراهيم السكران

٢) ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ وهذا الذي أوجب لهم نسيان الذكر: استغالهم بالاستهزاء بالمؤمنين، كما أن نسيانهم للذكر يحثهم على الاستهزاء، فكل من الأمرين يمد الآخرن فهل فوق هذه الجراءة جراءة؟!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٦٠

سورة النور

﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١) ﴾

١) تأمل بداية سورة النور ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ﴾ ففيه توطئة لما سيأتي في مضامين السورة من الحدود والأحكام والآداب، فينبغي على الناس أن ينقادوا لها انقيادًا كاملاً؛ لأنها ليست أفكارًا بشرية ولا تخضع للاجتهادات، بحيث يدلي كل إنسان بوجهة نظره فيما يتعلق بالاختلاط ولباس المرأة وخروج المرأة؛ فليس لأحد أن يعترض على حدود الله بحجة أنها قضايا شخصية!

د. خالد السبت

٢) قال تعالى في أول سورة النور: ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ فهذه السورة فيها حجج وتوحيد، وفيها دلائل الأحكام، والكل آيات بينات: حجج العقول ترشد إلى مسائل التوحيد، ودلائل الأحكام ترشد إلى وجه الحق، وترفع غمة الجهل، وهذا هو شرف السورة؛ فيكون شرفًا للنبي ﷺ في الولاية، شرفًا لنا في الهداية.

ابن العربي، أحكام القرآن ٤٧٨/٥

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) ﴾

١) ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ﴾ من المعلوم أن ألم العلاج النافع، أيسر وأخف من ألم المرض الباقي.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٩٠/١٥

٢) ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ نهى عن التهاون في إقامة العقوبات عمومًا، والفواحش خصوصًا؛ لأنَّ مبناها على المحبة والشهوة، فيزين الشيطان انعطاف القلوب على أهلها، حتى يدخل كثير من الناس في الدياثة وقلة الغيرة، وربما ظن أنَّ هذا رحمة ولين جانب، وإنما ذلك مهانة وضعف إيمان، وإعانة على الإثم والعدوان، وترك للتناهي عن الفحشاء والمنكر.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٨٧/١٥

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)﴾

قوله تعالى بعد ذكره أحكام القذف: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)﴾ قد يقال: إن المتوقع أن يقال: ﴿ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾؛ لأن الرحمة مناسبة للتوبة، لكن ختمت باسم الله (الحكيم) إشارة إلى فائدة مشروعية اللعان وحكمته، وهي الستر عن هذه الفاحشة العظيمة. السيوطي، الإتقان ٢/٢٧٥

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) ﴾

١) ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ هذه الجملة جاءت في أول آية من الآيات التي نزلت في قصة الغفك الذي يجدد طرحه أهل إفك آخرون – هذه الأيام – ممن كذبوا القرآن الذي برأها.

وصدق الله: ﴿ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ فكم كان لهذا الحدث من أثر في يقظة الأمة وتبصيرها بحقيقة القوم، وغيرها من الحكم. د. محمد الربيعة

٢) إلى من يتسابق في نشر المقاطع المحرمة في الجوال أو النت:

تأمل قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ففي الآية دليل على أن من سن شرًا أعظم إثمًا ممن وافقه عليه؛ لأن المتولي للكبر كان السابق إلى الإفك، وسائرهم صدَّق قوله، فاستوجب ضِعف العذاب.

القصاب، نكت القرآن ٢/٤٣٤

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥)﴾

١) قال عبد الله بن مسعود ﷺ: ما على وجه الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان. الفوائد لابن القيم ٢١٧

٢) من الناس من يتلقف الكلام دون تمحيص، ويلقيه بلا تفكر في صدقه وكذبه، ودون أن يعرضه على قلبه وعقله، ويحسب الأمر هينًا وفي مثلهم نزل قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

د. محمد الخضيري

٣) ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ مع أن القول لا يكون بغير الأفواه، إلا أنه ذكر تمهيدًا لقوله: ﴿ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ وفي هذا من الأدب: أن المرء لا يقول بلسانه إلا ما يعلمه ويتحققه وإلا فهو أحد رجلين: ناقص الرأي، يقول الشيء قبل التبين، فيوشك أن يكذب، أو رجل مموه مراء يقول ما يعتقد خلافه. ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٨/١٤٣

٤) يقول أحد الإعلاميين (من دولة خليجية) ممن أوتي قدرة على الكتابة وخصوصًا الوصف، والكتابة في عالم الغزل، والتشبيب بالنساء: كانت تاتيني رسائل ثناء وإشادة كثيرة من المتابعين، وذات يوم جاءته رسالة قصيرة من جوال لا يعرفه، غَيَّرتْ مسار حياته الإعلامية وكتاباته، هي: ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾.

من مقابلة مع الكاتب نفسه في قناة المجد الفضائية

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) ﴾

١) لشيوع أخبار الفواحش بين المؤمنين مفسدة عظيمة؛ فإن مما يبعد الناس عن المفاسد تهيبهم لها، فإذا تناقل الناس أخبار الفواحش؛ خف وقعها على الأسماع، واقدمت عليها النفوس؛ ولهذا قال: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾. ابن عاشور، التحرير والتنوير ٨/١٨٥

٢) العاقل هو الذي يتحسس معايب نفسه، وينظر معايب نفسه ليصلحها، لا أن ينظر معايب الغير ليشيعها – والعياذ بالله–؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ ﴾.

ابن عثيمين، تفسير سورة الحجرات ٥١

٣) ومحبة إشاعة الفاحشة تنتظم جميع الوسائل القبيحة إلى هذه الفاحشة: سواء كانت بالقول، أم بالفعل، أم بالإقرار، أو ترويج أسبابها، وهكذا، وهذا الوعيد الشديد ينطبق على دعاة تحرير المرأة في بلاد الإسلام من الحجابن والتخلص من الأوامر الشرعية الضابطة لها في عفَّتها وحشمتها وحيائها. د. بكر أبوزيد، حراسة الفضيلة ٥٢

٤) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ﴾ يدخل في ذلك دعوات ساقطة لإخراج المرأة من خدرها، وقد ينطلي على بعض ممن في قلبه إيمان؛ فيرى مع كثرة الدعوات الآثمة أن لا بأس بمزاولة المرأة أعمالًا يراها الرائي لأول وهلة لا ضير فيها، وهي عند العارفين ذرائع للفاحشة، وإشاعة لها. عبد العزيز آل الشيخ

٥) في هذه الآية وعيد رباني لا يتخلف للذين يتبنون مشاريع الفساد والإفساد في الأرض بالعذاب الأليم في الدنيا قبل الآخرة، سواء كان حسيًا أو نفسيًا؛ علمنا به أم لم نعلم؛ ولذلك ختمها بقوله: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، وفي ذلك شفاء لصدور المؤمنين، وإذهاب لغيظ قلوبهم. أ.د. ناصر العمر

٦) إذا زَكَّى إمام من الأئمة أحدًا، فهذه منقبة، وإذا كان المزكي هو الرسول ﷺ، فلا سبيل إلى الجرح، فكيف إذا كان المزكي والشاهد بالفضل هو الله ﷻ؟ هذا ما وقع لجميع أمهات المؤمنين، وخصوصًا عائشة ﵂ التي أنزل الله في براءتها (١٦ آية) من سورة النور. د. عمر المقبل

٧) إذا كان الوعيد الذي نزل في شأن من قذفوا عائشة ﵂ بهذه الشدة والتهديد، والآيات لم تنزل إلا بعد حدوث الإفك؛ فكيف سيكون الحال فيمن قذفها بعد نزول الآيات الصريحة في براءتها؟! متدبر

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) ﴾

١) قال شوقي: نظرة فابتسامة فسلام *** فكلام فموعد فلقاء

ويكثر هذا في أماكن العمل المختلطة حسًّا أو معنى: كالمستشفيات وبعض المنتديات، ومواقع الشبكات، ومن أعظم ما يقطع هذه الخطى الشيطانيَّة تذكّر: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن: ٤٦).

٢) كثير من المسلمين – ولله الحمد – يسألون الله من فضله، لكن كثيرًا منهم لا يخطر بباله إلا الفضل الدنيوي: كالرزق والصحة ونحوها، ويغيب عنهم أن اعظم الفضل الإلهي إنما هو تزكية النفوس؛ ولذا قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ﴾. إبراهيم السكران

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢)﴾

١) اتحب أن يعفو الله عنك، ويغفر لك؟ إنه عمل سهل؛ لكنه عند الله عظيم! وهذا يتحقق لك بأن تعفو وتصفح عن كل مسلم أخطأ في حقك، أو أساء إليك، أو ظلمك؛ فإن استثقلت نفسك هذا، فذكرها قول ربها: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

د. محمد العواجي

٢) نزلت في أبي بكر لما حلف ألا ينفق على مسطح بعد قذف عائشة، ولم يشر الله إلى خطيئة مسطح، حيث تم إقامة الحد عليه فطهَّره.

فهل نتعامل مع أصحاب الذنوب بمثل ذلك إذا تابوا أو طهروا؛ فلا نذكرهم بسوءٍ ابدًا؟!

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣)﴾

١) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ الغفلة عن القبائح مانعة من فعلها؛ إذ لا يتاتى فعلها إلا بالعزم عليها، ولا عزم عليها مع عدم الشعور بها، وتحصل هذه الغفلة بإيجاد الأسباب الشاغلة.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٩٦

٢) لماذا توصف المؤمنات المحصنات بـ ﴿ الْغَافِلَاتِ ﴾؟ إنه وصف لطيف محمود يُجَسِّد المجتمع البريء، والبيت الطاهر الذي تشب فتياته: زهرات ناصعات، لا يعرفن الإثم، إنهن غافلات عن ملوثات الطباع السافلة. وإذا كان الأمر كذلك، فتأملوا كيف تتعاون الأقلام الساقطة، والأفلام الهابطة؛ لتمزِّق حجاب الغفلة هذا، ثم تتسابق وتتنافس في شرح المعاصي، وفضح الاسرار وهتك الأستارن وفتح عيون الصغار قبل الكبار؟! ألا ساء ما يزرون!!

د. صالح بن حميد

﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥) ﴾

ولو فَلَيْتَ القرأة كله، وفتّشت عما أوعد به العصاة، لم تر الله قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة ﵂، ولا أَنزَلَ من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد، والعتاب البليغ، والزجر العنيف، واستفظاع ما أقدم عليه، ما أَنزَلَ فيه؛ على طرق مختلفة، كل واحد منها كاف في بابه.

١-حيث جعل القَذَفة ملعونين في الدارين جميعًا.
٢-توعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة.
٣-أن ألسنتهم وأيديهم وارجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا.
٤-أنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب حتى يعلموا ﴿ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾.

فأوجز في ذلك واشبع وفصل وأجملن وأكد وكرر، وما ذاك إلا لأمر.

الزمخشرين الكشاف ٢٢٣/٣

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) ﴾

قال بعض المهاجرين: لقد طلبت عمري كلَّه هذه الآية، فما أدركتها: أن استأذن على بعض إخواني، فيقول لي: "ارجع"، فأرجع وأنا مغتبط؛ لقوله: ﴿ هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ﴾.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤١/٦

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠)﴾

ليحذر العاقل إطلاق البصر؛ فإن العين ترى غير المقدور عليه على غير ما هو عليه.

ابن مفلح، الفروع ١٨١/٨

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آَبَائِهِنَّ أَوْ آَبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) ﴾

١) ومن ذا الذي يجمع الفتيان والفتيات في غرفة وينتظر من الجنسين أن يصرفوا أبصارهم عن النظر، ولا يتبعوا النظرة باخواتها؟ وهل يستطيع أحد أن يقول: إن عليهم أن يحتفظوا بأدب غض ابصارهم من حيث الالتقاء بين جدران الجامعة إلى أن ينفضوا من حولها؟ الخضر حسين، محاضرات إسلامية ١٩٠/٢٠٠

٢) وليس في حماية الفتاة من الاختلاط بغير محارمها تضييق لدائرة الحياة في وجهها، وإنما هو احتفاظ بكرامتها، وتوفير لهناءها إذ بصيانتها عن الاختلاط تعيش بقلب طاهر ونفس مطمئنة، وبهذه الصيانة تزيد الصلة بينها وبين زوجها واولي الفضل من أقاربها متانة وصفاء. الخضر حسين، محاضرات إسلامية ١٩٠ – ٢٠٠

٣) سد الذرائع: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ يؤخذ من الآية قاعدة سد الذرائع، فإذا كان المباح يفضي إلى محرم أو يُخاف من وقوعه، فإنه يمنع منه، فالضرب بالرجل في الأرض الاصل أنه مباح، ولكن لما كان وسيلةً لعلم الزينة، مُنع منه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٦٦

٤) ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ أيهما أعظم فتنة أن يسمع الرجل خلخالًا بقدم امرأة لا يدري ما هي؟ وما جمالها؟ ولا يدري أشوهاء هي أم حسناء؟! أو أن ينظر إلى وجه سافر جميل، ممتلئ شبابًا ونضارة، وحسنًا وجمالًا وتجميلًا بما يجلب الفتنة، ويدعو إلى النظر إليها؟ ابن عثيمين رسالة الحجاب ٥

٥) تدبر هذه الآية مليًّا: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ فالقدم هنا مغطاة، ونهى عن أي حركة تظهر ما تحت ستر القدم، وهو الخلخال؛ أفيكون كشف أجمل ما في المرأة – وهو وجهها – مباحًا؟! أ.د. ناصر العمر

٦) قف متأملًا لهذه الآية: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ وفي آخرها: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ فشريعة حددت حركة العين، وبينت حكم صوت الخلخال في القدم؛ أينقصها بيان حكم الله في سائر شئون الحياة؟ فلا نامت أعين المنهزمين!

أ.د. ناصر العمر

٧) في قوله تعالى – في خواتيم آية غض البصر –: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ فوائد جليلة، منها: أن أمره لجميع المؤمنين بالتوبة في هذا السياق؛ تنبيه على أنه لا يخلو من بعض هذه الذنوب التي هي: ترك غَضِّ البصر، وحَفْظِ الفرج، وترك إبداء الزينة، وما يتبع ذلك، فمستقل ومستكثر.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٤٠٣/١٥

٨) أتدري من المخاطب بهذه الآية؟ ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ لقد خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم، ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة لعل المشعرة بالترجي؛ إيذانًا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون جعلنا الله منهم.

ابن القيم، مدارج السالكين ١٧٨/١

٩) تأمَّل هذا السر العظيم من اسرار التنزيل وإعجاز القرآن الكريم: ذلك أن الله – تعالى – لما ذكر في فاتحة سورة النور شناعة جريمة الزنى، وتحريمها تحريمًا غائبًا، ذكر سبحانه من فاتحتها إلى تمام الآية ٣٣: أربع عشرة وسيلة وقائية: تحجب هذه الفاحشة، وتقاوم وقوعها في مجتمع الطهر والعفاف جماعة المسلمين، وهذه الوسائل الواقية: فعلية، وقولية، وإرادية.

د. بكر أبوزيد، حراسة الفضيلة ١٥٨

فحاول ان تستخرجها زادك الله فهمًا في كتابه.

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥)﴾

١) ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فعندما يجتمع الجلساء متحلقين بمجالس القرآن، ويشرعون في الاشتغال بكتاب الله، فإنما هم في الحقيقة يصلون ارواحهم بحبل الله النوراني، ويربطون مصابيح قلوبهم بمصدر النور الأكبر، فإذا بهم يستنيرون بصورة تلقائية، وبقوة لا نظير لها؛ وذلك بما اقتبسوا من نور الله العظيم.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٥٧

٢) ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فهلا سألت نفسك – إذا احسست بظلمة في صدرك أو قلبك – ما الذي يحول بينك وبين هذا النور العظيم الذي ملأ الكون كله؟!

﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ (النور) أ.د. ناصر العمر

٣) تدبر سورة النور له أثر عظيم في علاج التعلق بالصور والرسوم؛ لما في السورة من التزكية والنور: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ والتعلق ظلمة في القلب، فإذا حل النور، انجلى الظلام وزكى الفؤاد. أ.د. ناصر العمر

٤) في حديث ابن مسعود ﷺ: "**وأن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري**"[1] قال ابن تيمية رحمه الله: إذا نزل الربيع بأرض أحياها، أما النور فإنه ينتشر ضوءه، عن محله؛ فلما كان الصدر حاويًا للقلب، جعل الربيع في القلب والنور في الصدر لانتشاره كما فسرته المشكاة، في قوله: ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ وهو القلب. مجموع الفتاوى ٣١٢/١٨

٥) في قوله تعالى: ﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ شبه الله – تعالى – الزجاجة بالكواكب، ولم يشبهها بالشمس والقمر؛ لأن الشمس والقمر يلحقهما الخسوف، والكواكب لا يلحقها الخسوف. البغوي، معالم التنزيل ٣٠٠/٣

٦) ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ تأمل! كم حُرم هذا النور أناس كثيرون هم أذكى منك! وأكثر اطلاعًا منك! واقوى منك! واغنى منك! فاثبت على هذا النور، حتى تأتي – بفضل الله – يوم القيامة مع مَنْ ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ (التحريم: ٨).

د. عمر المقبل

﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧)﴾

إغلاق المحلات وقت الصلاة؛ تعظيمًا لهذه الشعيرة وحفزًا للجماعة أمرٌ معروف في زمان السلف، بل استنبطه ابن عمر من القرآن، فقد كان مرة في السوق، فأقيمت الصلاة، فاغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد؛ فقال: فيهم نزلت: ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾. تفسير عبد الرازق الصنعاني ٦١/٣

---

[1] ابن أبي شيبة ح (٣٢٩)، أحمد ح (٣٧١٢)، الحاكم ح (١٨٧٧).

﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (٤٠)﴾

١) المتأمل لما يسمع من تحليلات وتوقعات حول أحداث الامة يلحظ اضطرابًا وغبشًا في الرؤية، والسر في ذلك: عدم الانطلاق من منهج القرآن في تقويم الأحداث، فأصبحوا كمن يسير في ظلمات متراكمة، تدبر آية النور: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ إلى آخر الآية: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾. أ.د. ناصر العمر

٢) القرآن لا يفتح كنوز أسراره إلا لماذون، ولا إذن لمن تعلق بقلبه شيء من كبرياء الهوى، واستعلاء الفهوم، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾، فاخضع لربك واخنع قبل طرق الباب. د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٥٥

﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (٤٤) ﴾

يقف المؤمن خاضعًا، والقلب مستكينًا وهو يتفكر في قدرة ربه القوي العظيم في تقليب الجوِّ: برودة ودفئًا، وصحوًا وغيمًا، وصفاءً وقترةً، كلُّ ذلك في فترات قصيرة يغشاه ذلك وهو يتدبَّر قول ربِّه: ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

د. محمد الربيعة

﴿ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) ﴾

الذين يبحثون عن النصوص الشرعية لمقررات سابقة بمنوا بها قبل أن ينطلقوا من دليل معتبر، فالغالب عليهم عدم الانتفاع بنور الوحي وهداياته؛ لفقد شرط الإخلاص والتجرد لاتباع الوحي وإن خالف أهواءهم. تدبر هذه الآية: ﴿ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ عبد اللطيف الدويجري

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤) ﴾

قال أبو عثمان الهروي: من أمَّر السنة على نفسه قولًا وفعلًا، نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه، نطق بالبدعة، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾.

مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢١٠/١١

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) ﴾

١) وليُّ الصغير مطالبٌ بتعليم أولاده ومن تحت يده العلم والدداب الشرعية؛ لأن الله وجه الخطاب إليهم بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ﴾. السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٧٤ (بتصرف يسير)

٢) حدد الله أوقاتًا للصغار لا يدخلون فيها على الوالدين ﴿ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ ﴾ وهم الوالدان! رمز العفة والطهر؛ حفظًا للابصار، فكيف بمن تركهم أمام الفضائيات التي تكشف فيها العورات، ويعرض فيها ما يغري بالفواحش؟! متدبر

﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٦٠) ﴾

﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ ظهر بذلك فضل التحجُّب والتستر ولو من العجائز، وأنه خيرٌ لهنَّ من وضع الثياب؛ فوجب أن يكون خيرًا للشباب من باب أولى، وابعد لهنَّ عن أسباب الفتنة. ابن باز، التبرج وخطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله ١٠

﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) ﴾

١- فهم ثاقب..

سئل الإمام مالك عن رجل أحرم قبل الميقات؟ فقال: أخاف عليه من الفتنة، قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾، فقال السائل: وأي فتنة في ذلك؟ وإنما هي زيادة امتثال في طاعة الله تعالى! قال: واي فتنة أعظم من أن تظن أنك خصصت بفعل لم يفعله رسول الله ﷺ؟

مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥٣٧/٢٠

سورة الفرقان

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢) ﴾

كيف تتمكن عظمة القرآن من قلبك؟

قال الشيخ فريد الأنصاري: في صدر تدبراته لسورة الفرقان:

"وإنما يتعرف المؤمن على عظمة القرآن عندما يتعرف على عظمة المتكلم به: الله رب العالمين؛ إذ قيمة الكلام إنما هي بقيمة من تكلم به، فإذا ابصرت هذا السر، انكشفت لك كنوز القرآن؛ ولذلك قال بعدُ مباشرة على سبيل التعريف بمُنزل القرآن: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ فكأن المتلقي عندما سمع فاتحة السورة: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾ ولم يُفْصح عن اسم الجلالة: الله، تساءل: مَنْ هذا ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾؟ فجاء البيان بأوصاف الربوبية المطلقة، بما تتضمنه من معاني الفردانية والتنزه عن الولد والشريك، وشمولية الخلق والتقدير لكل شيء، الخلق وحده لكل شيء! فما من شيء في هذا الوجود، من مُلك السماوات والأرض، إلا وهو صادر عن شؤون ربوبيته، خاضع لعظمة سلطانه، تحت قهره وتدبيره، وحكمة تسخيره وتقديره. ومن هنا صدر عنه ﷻ هذا القرآن، على موازين حكمته ورحمته، ذلك هو هذا ﴿ الَّذِي ﴾ نزَّل الفرقان!

فأبصرْ أيَّ فرقانية عظيمة تحمل كلماتُه للعالمين! وأيَّ عبد كريم هذا الذي بُعِثّ به نذيرًا للناس أجمعين!

إلى أن قال: فإذا رغبت في تلقي القرآن حقيقةً؛ لتتخلق بفرقانيته فما عليك إذن إلا الدخول في ميثاق التنزيل، والشروع في تلقي برنامج القرآن بيةً آيةً؛ حتى يصير لك ذلك منهاج حياة، وتكون – بإذن الله – من الشاكرين لنعمة الفرقان، محققًا لرسالة: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ الآية.

مجالس القرآن ١٥٩ – ١٦١

﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٨) ﴾

في القرآن تنبيه المؤمن إلى أن غالب طرق الحصار الإعلامي قديمًا وحديثًا – بالإضافة إلى أسلوب الاتهام والسباب – على أسلوب التعجيز ﴿ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٧٢

﴿ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٩)﴾

﴿ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي: عن طريق الهدى، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ ذلك لأنَّ كلَّ من خرج عن الحق فإنه ضالٌّ حيثما توجه؛ لأن الحق واحد ومنهج متحد، يصدق بعضه بعضًا. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٩٥/٦

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا (١٠)﴾

كنت واقفًا عند إشارةٍ مروريَّة بجوار برج من أشهر الأبراج الشاهقة في منطقة الخليج، فحدثتني نفسي: لو أنَّ هذا البرج بما فيه لك، ماذا أنت صانع؟! فما هي إلا ثوان معدودة، وقبل أن ينبعث الضوء الأخضر عرضت لي آية في كتاب الله، هي والله أحبُّ إلى قلبي من ملء الأرض ذهبًا وأبراجًا: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا﴾.

متدبر

﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (١٥) ﴾

﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ المتدبر يخرج من هذا السؤال بحقيقة كبرى، وهي أن التقوى أعظم زاد وجب على المسلم أن يتزود به للآخرة، وأن العاقل هو من شمر عن ساعد الجد للعمل من أجل هذه الحقيقة، وترك ما دون ذلك من القيل والقال، وكثرة السؤال عما لا ينفع ولا يغني من ضروب المحال.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٧٩

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (٢٠) ﴾

هذا يدل على فضل هداية الخلق بالعلم، ويبين شرف العالم على الزاهد المنقطع؛ فإن النبي ﷺ كالطبيب، والطبيب يكون عند المرضى، فلو انقطع عنهم هلكوا.

ابن هبيرة، ذيل طبقات الحنابلة ٢٣٩/١

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (٢٣) ﴾

١) اسأل نفسك: أي عمل تستطيع أن تدَّعي فيه الإخلاص لله وحده؟ لا سمعة ولا رياء مهما خفي! ألا تخشى أن يقال لك أنت أيضًا: كذبت! وتكون المأساة! فالله الله في عملك، والله الله في دينك قبل فوات الأوان! د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٩٢

٢) في يوم القيامة هباءان: للجبال: ﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴾ (الواقعة: ٦)، ولأعمال الكفار والمرائين: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ (الفرقان: ٢٣)! يا للحسرة حينما تتفرق أعمال كنت تظنها حسنات، فإذا هي لا شيء! د. عمر المقبل

﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا (٢٤)﴾

١) كان بعض الصالحين إذا رجع من الجمعة في حر الظهيرة يذكر انصراف الناس من موقف الحساب إلى الجنة أو النار؛ فإن الساعة تقوم في يوم الجمعة، ولا ينتصف ذلك النهار حتى يقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النارن قاله ابن مسعود، وتلا قوله تعالى: ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾. لطائف المعارف ١٤٧

٢) استنبط بعض العلماء من قوله تعالى: ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ أن حساب أهل الجنة يسير، وأنه ينتهي في نصف نهار، ووجه ذلك أن قوله: ﴿مَقِيلًا ﴾ أي: مكان قيلولة، وهي الاستراحة في نصف النهار.

الشنقيطي، اضواء البيان ٢٧٨/٥

﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (٢٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٢٦)﴾

أذهلني يومًا قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (٢٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ فقلت: يا لطيف! علمت أن قلوب أولياءك الذين تتراءى لهم تلك الأهوال لا تتمالك؛ فلطفت بهم فأضفت "الملك" إلى أعم اسم في الرحمة فقلت: ﴿لِلرَّحْمَنِ ﴾! ولو كان بدله اسمًا آخر كالعزيز والجبار؛ لتفطرت القلوب.

الزركشي، البرهان ٤٧٠/١ (بتصرف)

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨)﴾

١) الله يكفي من اتقاه مؤنة الناس بلا ريب، وأما كون الناس كلهم يرضون عنه، فقد لا يحصل ذلك لكن يرضون عنه إذا سلموا من الأغراض، وإذا تبين لهم العاقبة، ومن أرضى الناس بسخط الله، لم يغنوا عنه من الله شيئًا كالظالم الذي يعض على يده، يقول: ﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (الفرقان: ٢٧ – ٢٨).

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥٢/١)

٢) هذه كلمات الندم، هذه آهات الألم، هذه رسالات النذير الإلهي الرهيبين وبيات الفرصة الأخيرة، تمتد إليك من الرحمن بوصف حقيقة الندم الابدي عند فوات الأوان، لكنها تأتيك الآن قبل فوات الأوان، جامعة مقامات الجلال والجمال، فماذا تراك أنت فاعل بنفسك اليوم يا صاح؟!

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٩٣

﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩) ﴾

هذا الشيطان كلما أغوى احدًا؛ حتى إذا أيقن بهلاكه، أدبر عنه وخذله وأخلف له كل وعوده الكاذبة، وتلك هي السنة الثابتة في كيد إبليس، كما قررها القرآن الكريم: ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ فعجبًا لمن يقامر بمصيره الأخروي! وبمستقبله الوجودي! فيجعله رهين غواية الشيطان وغروره.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٩٥

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠) ﴾

١) ماذا لو قُدِّرَ لك أن تسمع هذا التوجع من رسول الله ﷺ: ﴿ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾؟

قال ابن كثير رحمه الله: "وتركُ تدبُّرِه وتفهُّمِه من هجرانه". تفسير القرآن العظيم ١٠٨/٦

٢) ينبغي لكل مسلم – يخاف العَرْضَ على ربه – أن يتأمل هذه الآية الكريمة، ويمعن النظر فيها مرارًا وتكرارًا؛ ليرى لنفسه المخرج من هذه الورطة العظمى، والطامة الكبرى، التي عمت جُلَّ بلاد المسلمين من هذه المعمورة، وهي هجر القرآن الكريم!

الشنقيطي، أضواء البيان ٢٦٢/٧

٣) هناك طوائف كبيرة وأعداد عظيمة ممن ينتسب إلى الإسلام حُرمت من القيام بحق القرآن العظيم وما جاء عن الرسول ﷺ، وأخشى أن ينطبق على كثير منهم قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾. ابن باز، مجموع فتاواه ١٣٣/٢

٤) ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ فالبعد عن القرآن مُؤَدٍّ بالضرورة إلى قسوة القلب، تمامًا كما تقسو الأرض العطشى بانحباس الغيث عنها، فلا يلبث إلا قليلًا؛ حتى تتطلع نفسه إلى الشهوات المحظورات، وتلك بداية الانحراف والعياذ بالله. د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٩٦

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١) ﴾

١) تأمَّل ما في هذه الآية من سُنة المدافعة..؛ نعم: ادع الناس، لكن لا تتصور أنَّ الدنيا ستستقيم بدعوتك فوالله لو أقام صالح في رأس جبل لقيض الله له من يعاديه في رأس الجبل. د. عائض القرني

٢) كم في هذه الآية من تسلية وتثبيت للمؤمنين؛ فعدو الأرض يقابله نصير السماء ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.

د. عبد المحسن المطيري

٣) ﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ أعداء الأنبياء يسلكون في إبطال دعوة الأنبياء مَسْلكين: مسلك الإضلال والدعاية الباطلة في كل زمان ومكان، ثم: مسلك السلاح، ولهذا قال: ﴿ هَادِيًا ﴾ في مقابل المسلك الأول الذي هو الإضلالن وقال: ﴿ وَنَصِيرًا ﴾ في مقابل المسلك الثاني وهو المجابهة المسلحة.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ١/ ٥٠

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢) ﴾

إذا كنت تجد شتاتًا في قلبك وهمك؛ فعليك بالقرآن ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾. د. محمد الربيعة

﴿ إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آَلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢) ﴾

﴿ إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آَلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾، ﴿ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آَلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ (ص: ٦) انظر كيف يتصبر أهل الباطل على باطلهم! فما بال بعض أهل الحق لا يصبرون؟ د. عبد المحسن المطيري

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)﴾

قف مع هذه الآية متدبرًا متأملًا؛ لتدرك الخلل في مقاييس كثير من البشر، وأن الميزان القرآني هو المعتبر في تقدير عقل الإنسان قوةً وضعفًا، فبمقدار الالتزام بالشرع وسماع الحق، يكون تمام العقل أو نقصه. أ.د. ناصر العمر

﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢) ﴾

١) هذه الآية في سورة الفرقان، وهي مكيَّة، ولم يشرع الجهاد بالسيف وقتها، فدلَّ أنَّ طلب العلم من سبيل الله؛ لأنَّ به قوام الإسلام كما أنَّ قوامه بالجهاد، فقوام الدين بالعلم والجهاد.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١/ ٧٠

٢) إلى الباحثين عن ميادين الجهاد، إليكم ميدانًا لا تتوقف فيه هذه العبادة ما دام في الأرض حقٌّ وباطلٌ، إنه جهاد أهل الباطل بالقرآن: ﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ يقول العلامة السعدي رحمه الله: هذا فرضُ عين على كلِّ مسلمٍ أن يقوم بما يقدر عليه ويعلمه، وعلى أهل العلم من ذلك ما ليس على غيرهم. السعدي، فتح الرحيم الملك العلام ١٣٠

٣) الجهاد لا يقتصر على الجهاد بالنفس أو المال، بل إن الجهاد باللسان من أعظم أنواع الجهاد، قال سبحانه: ﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ أي: جاهد المشركين بالقرآن، ويتأكد في هذا الوقت مع المنافقين الذين عاشوا في البلاد فسادًا، وقد سمى الله فضحهم باللسان جهادًا في (التوبة) و(التحريم): ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ (التوبة: ٧٣)(التحريم: ٩). أ.د. ناصر العمر

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا (٥٣)﴾

يقول العلامة الشنقيطي: ومن المواضع التي وقع فيها هذا: نهر السنغال بالمحيط الأطلسي بجنب مدينة سان لويس، وقد زرتها عام ١٣٦٦هـ، واغتسلت مرة في نهر السنغال، ومرة في المحيط، ولم آت محل اختلاطهما، لكن أخبرني بعض المرافقين الثقاة أنه جاء إليه، وأنه جالس يغرف بإحدى يديه عذبًا وفراتًا، وبالأخرى ملحًا أُجاجًا، والجميع في مجرى واحد، لا يختلط أحدهما بالآخر، فسبحانه ﷻ ما أعظمه، وما أكمل قدرته!.

أضواء البيان ٦/٦٥

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا (٥٥) ﴾

﴿ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾ هذا من ألطف – أي: أدق – خطاب القرآن واشرف معانيه، فالمؤمن دائمًا مع الله على نفسه وهواه وشيطانه وعدو ربه، وهذا معنى كونه من حزب الله وجنده وأوليائه، والكافر مع شيطانه ونفسه وهواه على ربه، وعبارات السلف على هذا تدور.

ابن القيم، الفوائد ٨٠

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا (٦٠) تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٦١) ﴾

في أواخر الفرقان: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ ﴾ الآية، ثم قال بعدها: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴾ الآيات، ومناسبة هذا: أنه لما تجاهل المشركون الرحمن، واستكبروا عن السجود له، عرَّفهم القرآن بالرحمن: بخلقه، وتدبيره وإنعامه، ثم عرّفهم بعباده الذين عرَفوه بذلك، فآمنوا به، وخضعوا له، بما اشتملت عليه هذه الآيات من صفاتهم، وفي ذلك تشريف كبير لهم، وتبكيت لأولئك المتجاهلين المتكبرين.

ابن باديس، تفسير ابن باديس ١٩٣/١

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢) ﴾

١) تدبر عملي: أطال عمر ﷺ صلاة الضحى فقيل له: صنعت اليوم شيئًا لم تكن تصنعه! فقال: إنه بقي علي من وردي شيء، وأحببت أن أتمه – أو قال أقضيه –، وتلا هذه الآية: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾

الدر المنثور ٢٧٠/٦

٢) ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ قال البخاري: ﴿ خِلْفَةً ﴾ من فاته مِنَ الليل عملٌ، أدركه بالنهار، أو فاته بالنهار أدركه بالليل. وشاهد هذا حديث عمر ﷺ: "**مَن نام عن حزبه – أي: قيام الليل–، أو عن شيءٍ منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل**"[1].

صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن – سورة الفرقان ١٠٩/٦

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣)﴾

١) قال الحسن البصري رحمه الله: نعت الله المؤمنين في القرآن بأحسن نعت، فقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، حلماء لا يجهلون، وإذا جهل عليهم حلموا، ثم ذكر ليلهم خير ليل، فقال: ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ (الفرقان: ٦٤) تجري دموعهم على خدودهم؛ خوفًا من ربهم، لأمر ما سهروا ليلهم، لأمر ما خشعوا نهارهم.

قيام الليل للمروزي ٤٢/١

٢) كان الحسن البصري إذا قرأ: ﴿ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ قال: هذا وصف نهارهم، وإذا قرأ ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ قال: هذا وصف ليلهم.

معالم التنزيل ٩٣/٦ (بتصرف)

---

[1] مسلم ح (٧٤٧).

٣) لما كانت العثرة عثرتين: عثرة الرجل وعثرة اللسان، جاءت إحداهما قرينة الأخرى في قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾. ابن القيم، الجواب الكافي ١٦٢

٤) قال تعالى – في وصف عباده المؤمنين –: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ كان التعليق بـ (إذا)؛ لأن مخاطبة الجاهلين لهم بالسوء أمر محقق، ومتى سلم أهل العلم والدين من الجاهلين؟! ابن باديس، تفسير ابن باديس ٨٥/٢

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥)﴾

قال الحسن البصري رحمه الله: كلُّ شيء يصيب ابن آدم لم يدم عليه فليس بغرام، إنما الغرام اللازم له مادامت السموات والأرض فيالها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة.

الدر المنثور ٢٧٤/٦

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧)﴾

١) أكثر من ٩٠٠ بنك أمريكي معرض لخسارة ٢٠٠ مليار دولار، إنها ضريبة الحيدة عن منهج الله في المال.. ولقد أبدع العلامة الشنقيطي في "تفسيره" لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾، حيث ذكر الأصول الأربعة للاقتصادن واستدل لكلِّ أصلٍ من القرآن[١]، فراجعها وفقك الله.

٢) نشرت بعض وسائل الإعلام أخبارًا مفادها: تسجيل أكثر من ١٥٨ ألف حالة إفلاس شخصي في مارس ٢٠١٠م، أي بمعدل ٦٩٠٠ حالة يوميًا في أمريكا[٢].

إن التزام المنهج القرآني خير عاصم من هذه المآلات المخيفة: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾، مع تجنب ما يمحق البركة: ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ (البقرة: ٢٧٦).

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾

١) من عمق علم السلف بكتاب الله تنصيصهم على أنَّ حضور أعياد الكفار من جملة الزور الذي مدح الله عباد الرحمن بعدم شهوده، كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾؛ لأن الزُّور هو كلُّ باطل من قول أو فعل، فهل يدرك الذين يشهدون أعياد الكفار – من أبناء المسلمين – أنَّ ذلك إثمٌ ونقصٌ في عبوديَّتهم؟ الدر المنثور ٢٨٢/٦ (بتصرف)

[١] ينظر : أضواء البيان ٧٦/٦ – ٧٩.

[٢] نشرته جريدة الاقتصادية السعودية في عددها الصادر يوم الاثنين ١٤٣٠/١٠/٩هـ، الموافق ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٩ العدد ٥٨٣١.

٢) مجالس اللغو والباطل أيام العيد: مدح الله عباد الرحمن فقال: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ قال العلامة الذعدي رحمه الله: أي: "فيجتنبون جميع المجالس المشتملة على الأقوال المحرمة أو الأفعال المحرمة.. وإذا كانوا لا يشهدون الزور، فمن باب أولى وأحرى ان لا يقولوه ويفعلوه". تيسير الكريم الرحمن ٥٨٧

٣) ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ فهذه الثلة المؤمنة ليس بمعنى أنها لا تقترف شهادة الزور عند استشهادها فحسب؛ فهذا من بدهياتهم، بل إنها لا تحضر مواطنه أصلًا، ولا تشهد نواديه وتجمعاته، فالشهادة هنا بمعنى الحضور والشهود والمعاينة والمخالطة. د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٢٦٥

٤) ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ كثيرون يحملون معنى هذه الآية على الشهادة بالزور فقط، وهذا فهم قاصر؛ فالمعنى أعم من ذلك وأعظمن فكل منكر زور، فمن علم به ولم ينكره لا عذر، فقد افتقد صفة عظيمة من صفات "عباد الرحمن"، وكفى بذلك خسرانًا مبينًا. أ.د. ناصر العمر

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) ﴾

قال ابن العربي: قال علماؤنا: يعني: الذين إذا قرؤوا القرآن؛ قرؤوه بقلوبهم قراءة فهم وتثبت، ولم ينثروه نثر الدقل؛ فإن المرور عليه بغير فهم ولا تثبت صمم وعمى عن معاينة وعيده ووعده. ابن العربي، أحكام القرآن ١٧٦/٦

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)﴾

١) تأمل وجه إشارة القرآن إلى طلب علو الهمة في دعاء عباد الرحمن – أواخر سورة الفرقان – ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾، ثم تأمل كيف مدح الناطق بهذا الدعاء! فكيف بمن بذل الجهد في طلبه؟ ثم إن مدح الداعي بذلك دليل على جواز وقوعه، جعلنا الله تعالى أئمة للمتقين. د. محمد العواجي

٢) لا ترض أن تعيش على هامش الحياة؛ بل عش في مركزها قدوة للمتلقين ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾. د. نوال العيد

٣) تدبر علاقة قوله سبحانه: ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ بما قبلها؛ يتضح لك ما يلي:

١- أن صلاح الزوج (يشمل الزوجين) والذرية من أهم ما يعين على تحقيق الإمامة، إذ يحس بالسكن والطمأنينة؛ مما يعينه على الوصول إليها والقيام بحقوقها.

٢- أن من صفات من يكون للمتقين إمامًا: أن يُعنى بزوجه وذريته؛ فهم أحق الناس بإمامته. أ.د. ناصر العمر

٤) ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ الفرقان: ٧٤، إذا كان المتقون هم أكرم الخلق عند الله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات: ١٣)، فيا تُرى أي منزلة عالية سيحظى بها إمامهم؟! أ.د. ناصر العمر

﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) ﴾

١) كل هذا الفوز العظيم، وكل ذلك النجاح الكبير، عبر تلك الأشواط الشاقة، وعبر تلك المسافات الطويلة، إنما كان لهؤلاء السادة الكبار ﴿ بِمَا صَبَرُوا ﴾ نعم، بما صبروا!!

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٢٧٢

٢) يلفت نظرك التركيز على الأخلاق في صفات عباد الرحمن، فقد افتتحت بـ: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾، ثم ثنَّت بكرمهم واعتدالهم: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾، ثم ثلَّثت بمفارقتهم لأراذل الأخلاق: ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾، ثم بسلامتهم من شهود مجامع السوء: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ فجمعوا أصول الأخلاق؛ فاستحقوا ﴿ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾. د. عبد الله الغفيلي

﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧) ﴾

لما خُتمت سورة الفرقان بذكر جملة من أوصاف عباد الرحمن؛ كان من مقدمة وخاتمة وصفهم: "الدعاء": ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ﴾ (الفرقان: ٦٥)، ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان: ٧٤)، ثم ختم السورة ببيان حال من ترك الدعاء، وأن الرب لا يكترث به ولا يبالي بأي وادٍ هلك: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾. متدبر

سورة الشعراء

﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (١٤)﴾

خاف موسى أن يقتلوه به؛ فدلَّ على ان الخوف قد يصحب الأنبياء والفضلاء والأولياء مع معرفتهم بالله، وأن لا فاعل إلا هو، إذ قد يسلِّط من شاء على من شاء، ولكن هذا خوف طبيعي يدفع بالتوكل والعزم. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٩٢/١٣

﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) ﴾

من هنا أعلن فرعونُ هزيمته وضعفه، فبعد أن كان شعارُه: ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ﴾ (غافر: ٢٩)، صار يستشير ويسأل قومه؛ ليستميلهم ضد موسى، ولأنَّه رأى تأثُّرَهم بما رأوا من موسى، فخاف أن ينقلبوا عليه. د. محمد الخضيري

﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥)﴾

من علَّق أمره بعزة مخلوق، أذلَّه الله، تأمل قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ ﴾ – إلى قوله – ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾. د. محمد الربيعة

﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (٥١) ﴾

الأولية تزيد الخير والشر، قال تعالى في الخير: ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقال في الشرِّ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ (البقرة: ٤١)، واستيعاب هذا المبدأ القرآني يثمر للإنسان معرفةَ فضل الرُّوَّاد في الخير، وخبث الرُّوَّاد في الشر.

إبراهيم السكران

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٥٢)﴾

في سورة الشعراء آية (٥٢) قال تعالى في قصة أصحاب موسى: ﴿ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ﴾ فسماهم بالاسم الشريف: عبادي، فلما ضعف توكلهم ولم يستشعروا كفاية الله لهم، سلبهم هذا الوصف الشريف، فقال عنهم: ﴿ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) ﴾.

د. محمد القحطاني

﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢)﴾

١) إنها كلمات الواثق بنصر ربه، قال: ﴿ مَعِيَ ﴾ ولم يذكر قومه معه، بينما قال نبينا ﷺ: "**إن الله معنا**"[١] بضمير الجمع، ولم يكن معه إلا أبو بكر ﷺ، أليس ذلك يوحي بأن ابا بكر يعدل أمة؟ د. عويض العطوي

٢) في مثل هذا اليوم العظيم[٢] – عاشوراء – قال موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ فما أحوجنا إلى مثل هذا الإيمان الراسخ الذي ينبئ عن ثقة بالله وتفاؤل بالمستقبل، وإن هذه الآية لقوةُ ردع وزجر لمن يجعل ثقته بالأحوال المحيطة، والاسباب الظاهرة أقوى من حسن ظنه بالله، فهل يدرك ذلك ضعاف الإيمان؟ والمنهزمون الذين تزلزل إيمانهم أمام استكبار وطغيان القوى الظالمة؟ إن رب موسى وصحبه، هو ربنا لو كانوا يعقلون ﴿ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾. أ.د. ناصر العمر

٣) ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ قالها موسى عليه السلام والبحر أمامه والعدو خلفه، في لحظات عصيبة، وموقف رهيب، لكنه قالها بعد أخذه بكل أسباب النجاة، وقد اهتز في تلك اللحظة من اهتز، وارتاب من ارتاب، فإذا هو يعلن بكل قوة ويقين: ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾، فتتحقق الآية الكبرى التي لازالت تدوي أبد الدهر، فلا نامت أعين اليائسين. أ.د. ناصر العمر

---

[١] البخاري ح (٣٦٥٢)، ومسلم ح (٢٠٠٩)، وأحمد ح (٣).

[٢] أرسلت هذه الرسالة بمناسبة يوم عاشوراء.

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣)﴾

من حكم الله البالغة ارتباط عاشوراء بابتلاءين: أحدهما قبل هذه الأمة، والآخر في صدر هذه الأمة، أما موسى فنجّاه الله بحسن الظن بربه، وقوة يقينه، والعمل الجاد: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾، وأما الحسين فقضى الله في أمره ما قضى، فمن ظنّ أن نجاة الأمة بالأحزان واللطم على مصيبته؛ فقد أخطأ طريق الأنبياء! فما ثمة إلا اليقين، والفأل، مع العمل الدؤوب.

د. عمر المقبل

﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) ﴾

مخاطبة العقل:

مهما كان سقوط حجة خصمك؛ فأنت محتاج لخطاب عقله ببعض الاسئلة، ألم تر كيف قال الخليل عليه السلام لقومه: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾؟

د. عمر المقبل

﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤)﴾

من حيل خصوم الحق

إذا كان ماضي ىبائهم باطلًا، قالوا للناصح: ﴿ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، وإن كان ماضي ىبائهم حقًا، قالوا: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ (يوسف: ٩٥)!

د. سعود الشريم

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) ﴾

تأدب العارفون فأضافوا النعم إليه والشر إلى محله كما قال إمام الحنفاء: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٢٣/١٤

﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)﴾

تأمل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾، فإذا كان الخليل طامعًا في غفران خطيئته، غير جازم بها على ربه، فمن بعده من المؤمنين أحرى أن يكونوا أشد خوفًا من خطاياهم.

القصاب، نكت القرآن ٥٢٩/٣

﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآَخِرِينَ (٨٤) ﴾

١) قال الإمام مالك رحمه الله: لا بأس أن يحب الرجل أن يثنى عليه صالحًا، ويُرى في عمل الصالحين، إذا قصد به وجه الله ولم يراه به وهو الثناء الصالح، وقد قال ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾ (طه: ٣٩). أحكام القرآن لابن العربي ١٧٩/٦

٢) قال تعالى عن إبراهيم: ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآَخِرِينَ ﴾ وقال أيضًا عنه وعن بنيه: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ (مريم: ٥٠) وقال لنبيه ﷺ: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (الشرح: ٤) فأتباع الرسل لهم نصيب من ذلك بحسب ميراثهم من طاعتهم ومتابعتهم، وكل من خالفهمن فإنه بعيد من ذلك بحسب مخالفتهم ومعصيتهم. ابن القيم، الجواب الكافي ٨٠

٣) الذكر الجميل قائم قائم مقام الحياة الشريفة، بل الذكر أفضل من الحياة؛ لأن أثر الحياة لا يحصل إلا في مسكن ذلك الحي، أما أثر الذكر الجميل فإنه يحصل في كل مكان وفي كل زمان. ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب ٢٦٩/١٧

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾

١) أجمع السائرون إلى الله أن القلوب لا تعطى مناها حتى تصل إلى مولاها، ولا تصل إلى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾. ابن القيم، الجواب الكافي ٧٦

٢) ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ ولا يكون القلب سليمًا إذا كان حقودًا حسودًا، معجبًا متكبرًا، وقد شرط النبي ﷺ في المؤمن أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه والله الموفق برحمته. ابن العربي، أحكام القرآن ١٨١/٦

﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) ﴾

وإنما جمع الشافع؛ لكثرة الشافعين، ووحَّد الصديق؛ لقلَّته؛ أي: في العادة.

الزمخشري، الكشاف ٢٢/٥

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) ﴾

من كذب برسول واحد، فهو مكذب بجميع الرسل؛ ولذا قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾، مع أنهم لم يأتهم إلا رسول واحد، ولكن كانوا مكذبين بجنس الرسل، ولم يكن تكذيبهم بالواحد بخصوصه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٣٨/٩

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨)﴾

كل بناء شامخ لا يكون لغاية شريفة محمودة؛ فهو عبث ولهو باطل.

ابن باديس، تفسير ابن باديس ٣٩٤

﴿ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤)﴾

نزل القرآن على أعظم عضو في الجسم (القلب)؛ ليستنهض بقية الجوارح للتدبر والعمل، فمن لم يحضر قلبه عند التلاوة أو السماع؛ فلن ينتفع بالقرآن حقًّا: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ (ق: ٣٧).

﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (٢٠٧) ﴾

١) كان عمر بن عبد العزيز إذا أصبح أمسك بلحيته ثم قرأ: ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (٢٠٧)﴾ ثم يبكي ويقول:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم
تسر بما يفنى وتفرح بالمنى كما سر باللذات في النوم حالم
وتسعى إلى ما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤١/١٣

٢) ستنسى كل لحظة قاسية:

﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (٢٠٧) ﴾ من ظفر بمأموله من ثواب الله، فكأنه لم يصبه في دهره ما كان يحاذره ويخشاه.

ابن القيم، روضة المحبين ١١

﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩)﴾

فكرت كيف هو قيامي في الصلاة؟ الله يراني فكيف اقبل عليه في صلاتي؟ فخجلت عند ذلك! ورأيت أن أكثرنا لا يؤدي صلاته كما لو أنه يستشعر أن الله يراه، فهي مجرد حركات رياضية، لا روح فيها.

متدبر

﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴾

١) الشعراء يسعون إلى استثارة وجدانك، وتحريك اوتار الشعور حقيقة من نفسك، فلا يبالون بما صوَّرُوه لك أن يكون غيًّا أو رشدًا، وأن يكون حقيقة أو تخيُّلًا، فتراهم جادِّين وهم هازلون، يستبكون وإن كانوا لا يبكون، ويطربون وإن كانوا لا يطربون، ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾. محمد دراز، النبأ العظيم ١٤٤

٢) عند سير منهج القرآن في الحكم على فئات معينة؛ تجد الاستثناء بعد التعميم، تدبر: ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ ثم: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، وقال عن المنافقين: ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء: ١٤٢)، وعن أهل الكتاب: ﴿ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٦٦)، وهذا منهج قرآني مطرد، فما بال بعض الناس يعممون ولا يستثنون؟ ألا تخافون ﴿ أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (الحجرات: ٦)؟. أ.د. ناصر العمر

٣) ما أدق وصف الله للشعراء، تأمل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ ﴾ لغوايتهم ﴿ فِي كُلِّ وَادٍ ﴾ من أودية الشعر، ﴿ يَهِيمُونَ ﴾ فتارة في مدح، وتارة في قدح، وتارة في صدق، وتارة في كذب، وتارة يتغزَّلون، وأخرى يسخرون، ومرَّة يمرحون، وآونة يحزنون، فلا يستقر لهم قرار، ولا يثبتون على حال من الأحوالي ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٩٩

٤) قال عبد الله بن رباح: كان صفوان بن محرز المازني إذا قرأ هذه الآية: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ بكى حتى أقول: اندق قصيص زوره – وقصيص الزور: هو ما ارتفع من الصدر إلى الكتفين أو ملتقى أطراف عظام الصدر–.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٢/٢١٤

٥) ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء أهيب منه وأهول، ولا أنكى لقلوب المتأملين، ولا اصدع لأكباد المتدبرين، وذلك قوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ ﴾ وما فيه من الوعيد البليغ، وقوله: ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ وإطلاقه، وقوله: ﴿ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ وإبهامه، وكان السلف الصالح يتواعظون بها. الزمخشري، الكشاف ٣/٣٥٠

سورة النمل

﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (١٠)﴾

١) ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ و﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ التوبة: ٢٥ التولية والإدبار بمعنيين مختلفين: فالتولية أن يولي الشيء ظهره، والإدبار أن يهرب منه، فما كل مولٍّ مدبر، وكل مدبر مولٍّ.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٥٨

٢) ﴿ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ إشارة إلى استقراره في الهرب وعدم رجوعه، يقال: عقّب فلان، إذا رجع، وكل راجع معقب، وأهل التفسير يقولون: لم يقف ولم يلتفت؛ وعلى كل حال فليس هنا تكرار أصلاً، بل لكل لفظ فائدة. ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٥٨ – ٣٥٩

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥)﴾

إذا تأملت قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، بدا فضل العلم على كثير من نعم الحياة، قال السبكي: "فإن الله آتى داوود وسليمان من نعم الدنيا والآخرة ما لا ينحصر، ولم يذكر من ذلك – في صدر الآية – إلا العلم؛ ليبين أنه الأصل في النعم كلها"[1].

فيا من أنعم الله عليه بسلوك سبيل العلم، لا زلت تَفْضُلُ بعلمك أقوامًا، فاشكر الله على ذلك، وقل كما قالا: الحمد لله الذي فضلنيز.. إبراهيم الأزرق

﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨)﴾

١) نملة هنا نكرة لم يقل (النملة)، فهي نملة نكرة حملت همَّ أمة فأنقذتها، اليس الخطر الذي يُهدد أُمتَّنا أعظم من الخطر الذي هدد نمل سليمان؟ كم مِنَّا من يحس بإحساس النملة ويسعى منقذًا لأمَّتِه؟ أ.د. ناصر العمر

[1] فتاوى السبكي ٧٣/١.

٢) ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ جمع في هذه اللفظة أحد عشر جنسًا من الكلام، (نادت وكنت ونبهت وسمت وأمرت وقصت وحذرت وخصت وعمت وأشارت وعذرت)، فالنداء (يا) والكناية (أي) والتنبيه (ها) ﴿ يَا أَيُّهَا ﴾، والتسمية ﴿ النَّمْلُ ﴾ والأمر ﴿ ادْخُلُوا ﴾ والقصص ﴿ مَسَاكِنَكُمْ ﴾ والتحذير ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ﴾ والتخصيص ﴿ سُلَيْمَانُ ﴾ والتعميم ﴿ وَجُنُودُهُ ﴾ والإشارة ﴿ وَهُمْ ﴾ والعذر ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فأدت خمس حقوق: حق الله، وحق رسوله، وحقها، وحق رعيتها، وحق جنود سليمان!

السيوطي، الإتقان ٣/١٨٤

٣) من بلاغة القرآن: ما فيه من أسلوب الاحتراس إذا خشي أن يفهم من الآية خلاف المقصود، ولذلك أمثلة منها: ما حكاه الله عن النملة: ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾، فقوله: ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ احتراس يبين أن من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده أنهم لا يحطمون نملة فما فوقها إلا بألا يشعروا.

الزركشي، البرهان ٣/٦٥

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠)﴾

١) فيه دليل على تَفقُّد الإمام أحوالَ رعيَّته، والمحافظة عليهم، فانظر إلى الهدهد مع صغره كيف لم يَخْفَ حاله على سليمان، فكيف بما هو أعظم؟ ويرحم الله عمر؛ فإنه كان على سيرته، قال: لو ان سخلةً على شاطئ الفرات اخذها الذئبن ليسألن عنها عمر.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٣/١٧

٢) فيه استحباب نفقُّد الملك أحوالَ رعيَّته، وأخذ منه بعضهم تفقُّد الإخوان، فأنشد:

تفقُّد الإخوانِ مُستحسن ... فمن بداه فنعمَّا بدا
سنَّ سُليمان لنا سنةً ... وكان فيما سنَّه مقتدى
تفقَّد الطير على ملكه ... فقال: ما لي لا أر الهدهدا

٣) نبي الله سليمان يتفقد الطير من رعيته، وبعض الآباء يسهر أبناءه خارج المنزل ولا يتفقد حالهم ولا يبالي!

محمد الغرير

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) ﴾

١) لم ينج الهدهد من وعيد سليمان عليه السلام، ولا تجرأ – مع ضعفه – على مخاطبة سليمان – مع قوته وسلطانه – بمثل هذا الخطاب: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ (النمل: ٢٢)؛ لولا سلطان العلم.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/١٧٣)

٢) قد يكون عند أدنى الناس علم ما لا يعلمه إمام زمانه، وقد علم الهدهد أمر ما علمه نبي مرسل، فاقرأ – إن شئت – قوله تعالى: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾.

ابن القيم، مدارج السالكين ٥٢/٢، مفتاح دار السعادة ١٧٣/١

والسؤال: هل يدعونا كلام هذا الإمام إلى الاستعانة بالله، والاجتهاد في استخراج المعاني التدبرية من كتاب الله تعالى؟ فقد يُفتح على رجل ما لا يفتح على من هو فوقه، مع الانضباط في ذلك بالضوابط الشرعية، والرجوع إلى أهل العلم والاستفادة منهم في تنمية هذه الملكة.

٣) انظر إلى الهدهد يقول لنبيٍّ: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾. هذا هو الهدهد المخلوق الأقل من سليمان عليه السلام يقول له: عرفت ما لم تعرفه، وكأن هذا القول جاء ليعلِّمَنا حُسن الأدب مع من هو دوننان فهو يهب لمن دوننا ما لم يعلمه لنا، الم يعلمنا الغراب كيف نواري سواة الاميت؟ ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ (المائدة: ٣١).

الشعراوي: تفسير ١٣٥٣

٤) عجيب أمر بعض الدعاة وطلاب العلم، إذ يأنفون من نصح الآخرين، ويرون ذلك انتقاصًا من مقامهم! والخير لهم ولأتباعهم لو تأملوا قصة سليمان – الذي اوتي النبوة والملك – إذا قال له الهدهد: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ فتواضع سليمان عليه السلام وقبل الحق؛ فكان سبب إسلام مملكة كاملة.

أ.د. ناصر العمر

﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) ﴾

١) قال الهدهد لسليمان ﵇ متحدثًا عن ملكة سبأ: ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ ولم يقل: (..ملكة تملكهم) مع أنها ملكة حقًا!! ولكن كأن الهدهد قد استقبح من رجال أن يُملِّكوا أمرهم امرأة؛ فجاء باللفظ الذي يُقبِّح ذلك، ويضع المرأة من الحياة موضعها الذي تقتضيه فطرة الخلق. علي جاسم محمد، مقال: (خواطر قرآنية)

٢) مع قول الهدهد هن بلقيس: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ قال الهدهد: ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾. كيف لم ينبهر الهدهد بحضارة كافرة، ولم تأثر به حضارتهم، مع أنها أوتيت من كل شيء، وإنما كان همه: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ﴾؛ فهل يعي هذا المعنى المفتونون بحضارة الغرب؟

د. عبد المحسن المطيري

٣) عجيب أمر الهدهد: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ ﴾ حيوان غير مكلف يغار أن يُعصى الله وأن يُشرك به، ويكون سببًا لإسلام أمة كاملة! فماذا عنك يا ابن الإسلام، ماذا فعلت لدينك؟! د. عبد المحسن المطيري

﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) ﴾

١) أي نهاية تنتظر مملكة سبأ لو أخذت (ملكتهم) بالرأي (الخداج) المفعم بالغرور لهؤلاء الملأ: ﴿ نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ دون النظر لمنزلة وقوة صاحب الكتاب، واي حماقة سيرتكبها هؤلاء في حق بلدهم بمثل هذه الآراء المتهورة؟ وهذه نتيجة متوقعة عندما يوسد الأمر لغير اهله كهؤلاء!! أ.د. ناصر العمر

٢) وقفت متعجبًا من منطق مستشاري ملكة سبأ إذ قالوا: ﴿ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ بعد أن طلبت رأيهم بعقل وتجرد، فجوابهم يكرس منهج الاستبداد، بدل أن يرسخ منهج الشورى في مثل هذه الأحداث التي تحدد مصير البلاد. أ.د. ناصر العمر

﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) ﴾

حسن الظن بكل من أهدى لك هدية قد يزري ويردي؛ فانظر في القرائن والأحوال قبل أن تردها أو تقبلها[1]. أ.د. ناصر العمر

﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦)﴾

١) لو كانت مواقف بعض العلماء مع الهدايا التي تقدم لهم كموقف سليمان ﷺ: لقويت هيبتهم وتحقق علي أيديهم صلاح البلاد والعباد، كما صلحت مملكة سبأ، تدبر: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾. أ.د. ناصر العمر

٢) الموظف المؤمن بالغيب هو الذي يرى زملاءه يمدون أيديهم إلى المال الحرام، فيكونون به من اولي السعة والغنى، وهو يقنع بمرتبه القليل ويصبر على الضيق؛ أملًا بالغنى والسعة في الآخرة ولسان حاله: ﴿ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ ﴾.

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح ٦٧ – ٦٨

﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) ﴾

١) يتأتى بالعلم ما يتأتى بالقوة ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ فكان أسرع من العفريت. ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٧١/١٩

---

[1] استشكل بعض الفضلاء ما ذكره الشيخ ناصر العمر في رسالته، ومع وضوح مراده إلا أننا – لزيادة الإيضاح – ننقل نصين عن إمامي هدى، يتضح بهما مراده لمن أشكل عليه:

الأول: ما قاله ابن عبد البر: في الاستذكار (٥٣١/١): "وكان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويأكلها ولا يأكل الصدقة، والهدية من أفعال المسلمين الكرماء والصالحين والفضلاء ويستحبها العلماء ما لم يسلك بها سبيل الرشوة لدفع حق أو تحقيق باطل أو أخذ على حق يجب القيام به".

الثاني: قول العلامة ابن عثيمين:– كما في فتاوى نور على الدرب (٢٧٣/١)–: "قبول الهدية سنة، ما لم يخش الإنسان أن يكون من المهدي مِنَّةٌ عليه في المستقبل، بحيث يقطع عُنُقَهُ كلما حصلت مناسبة، فيقول: أنا فعلت بك وفعلت بك، وأهديتك وصنعت إليك معروفًا، وما أشبه هذان ففي مثل هذه الحال لا ينبغي أن يقبل الهدية لما في ذلك من إذلال نفسه أو التعرض لذلك".

٢) تأمل قوله تعالى – لما جيء بعرش بلقيس لسليمان عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا رَآَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾، فمع تلك السرعة العظيمة التي حمل بها العرش، إلا أن الله قال: ﴿ مُسْتَقِرًّا ﴾ وكأنه قد أتي به منذ زمن، والمُشَاهَد أن الإنسان إذا أحضر الشيء الكبير بسرعة، فلا بد أن تظهر آثار السرعة عليه وعلى الشيء المحضر، وهذا ما لم يظهر على عرش بلقيس، فتبارك الله القوي العظيم. ابن عثيمين(١)

﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) ﴾

مشاركة من إحدى الأخوات:

قال تعالى – في شأن بلقيس قبل أن تعلن إسلامها – ﴿ وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ﴾ ففيه دلالة على أن ثوبها كان طويلاً ساترًا لساقيها، وهي من؟! امرأة كافرة! في حين أن بعض المسلمات – وللأسف الشديد – يتنافسن في خلع جلباب الحشمة والحياء فيما يرتدينه من ملابس، لا حياء ولا خوف من الله! أليس من المدمي أن تكون امرأة كافرة أكثر حشمة وتسترًا من بعض نساء المسلمين؟!

﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧)﴾

التشاؤم ليس معتقدًا اختصَّ به أهلُ الجاهلية في شهر صفر وغيره، بل هو معتقدٌ تتابع عليه أعداءُ الرسل، فتأمل كيف سجَّل القرآنُ هذا الخُلُقَ السيء على قوم صالح ﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ وقوم موسى ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١)﴾ (الأعراف)، وأصحاب القرية ﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾ (يس)، وعلى كفار قريش مع نبيِّنا ﷺ ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨)﴾ (النساء).

د. عمر المقبل

(١) سمعها منه د. عمر المقبل.

﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) ﴾

فمع قلة عددهم بالنسبة لسكان مدينتهم، فإن أثر فسادهم أدى إلى هلاك وتدمير تلك المدينة وأهلها. ونفى عنهم الإصلاح؛ لأن هذه دعواهم التي يخدعون بها الدهماء، كما هو ديدن المفسدين في كل زمان ومكان. أ.د. ناصر العمر

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٥٨)﴾

لا تجد في القرآن ذكر (المطر) إلا في موضع الانتقام والعذاب بخلاف (الغيث) الذي يذكره القرآن في الخير والرحمة؛ قال تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾، في حين قال ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ﴾ (الشورى: ٢٨). د. فاضل السامرائي، التعبير القرآني ١٥

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) ﴾

تأمل كيف جمع الله بين إجابة المضطر، وكشف الضر، وخلافة الأرض، وفي آية واحد: ﴿ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾ وتأمل في قصة موسى حين قَتَل ثم أناب، واضطر إلى ربه؛ فتاب عليه واصطفاه: ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (٤٠) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ فهل بعد هذا ييأس مضطر أو مذنب تائب. د. محمد الربيعة

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٦٩) ﴾

إنَّ البعض يتعامل مع أخبار الأمراض والأدواء والأحداث في حدودية الزمان والمكان، فنظرتُه إليها نظرة الغافل المتجافي، فكأنه ماض كان، أو مستقبل لن يكون في زمانه ومكانه، وقد أمر الله بالتأمل والاعتبار بما كان – رغم تباعد الزمان والمكان – بقوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

أ.د. ابتسام الجابري

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (٧٩)﴾

فيه تنبيه على أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله في نصرته.

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ٢١٧/٤

﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١)﴾

﴿ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا ﴾ هي مكة، وإنما خصها بالذكر دون سائر البلدان، وهو رب البلاد كلها؛ لأنه أراد تعريف المشركين من قوم رسول الله ﷺ، الذين هم أهل مكة، بنعمته عليهمن وإحسانه إليهم، وأن الذي ينبغي لهم أن يعبدوه هو الذي حرم بلدهم، فمنع الناس منهم، وهم في سائر البلاد يأكل بعضهم بعضًا، ويقتل بعضهم بعضًا.

ابن جرير، جامع البيان ٥١١/١٩

﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ (٩٢) ﴾

جاء في ترجمة عبد الله بن أبي الحسن الحنبلي قال: كنا قومً نصارى.. وكان في قريتنا جماعة من المسلمين يقرؤون القرآن، فإذا سمعتهم أبكي، فلما دخلت أرض الإسلام أسلمت.

ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ٤٤٢/١

قد نعجز عن مخاطبة بعض الناس بسبب حاجز اللغة، لكننا لن نعجز أن نسمعهم آيات قد تكون سببًا في هدايتهم.

سورة القصص

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤)﴾

انظروا العبر، كيف كان فرعون يقتل الأبناءَ خوفًا من موسى، فتربى موسى في بيته.

ابن عثيمين

﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) ﴾

١) وقد اقتضت حكته أنَّ خِلَعَ النصر وجوائزه؛ إنما تفيض على أهل الانكسار: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (القصص: ٥ – ٦).

ابن القيم، زاد المعاد (٤١٧/٣)

٢) إذا أردت أن ترى كيف تُرسم خريطة النصر في ميدان الضعف والعجز؛ فاقرأ صدر سورة القصص.

د. عمر المقبل

٣) هاتان الآيتان صدرت بهما سورة القصص التي تحدثت عن المستضعفين – ومنهم موسى في نشاته صغيرًا – وكيف مكن له الله في آخر أمره، وفي ذلك عزاء لإخواننا المستضعفين في فلسطين وغيرها فيما يلاقونه من بلاء وشدة، يعقبها قوة وتمكين بإذن الله.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) ﴾

١) جمع الله تعالى في هذه الآية بين أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين؛ فتأملها فتح الله على قلبك.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٢/١٣)

٢) ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ هذا والله التسليم للشريعة! القته دون أن تسأل عن الحكمة مع شدة غرابة الأمر!

د. عبد الله بلقاسم

﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩)﴾

١) تأمل في روعة هذا الخطاب: متانةً ورقةً وإقناعًا، ثم انظر كيف أثر في أعظم طاغية عرفه التاريخ البشري؟ فأين نساءنا ورجالنا عن هذا الهدي القرآني الرفيع؟

أ.د. ناصر العمر

٢) عندما تحاك المؤامرات ضد بلد أو مجتمع أو فرد يجب أن يقوم العقلاء رجالاً ونساء بما يقدرون عليه لمنع الإفساد، أو التخفيف منه، كل حسب طاقته ومكانته، تدبر أثر موقف امرأة فرعون عندما أرادوا قتل موسى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ﴾. وتأمل أثر موقف أعقل أولاد يعقوب عندما تمالؤوا على قتل يوسف: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ (يوسف: ١٠)؛ فلا عذر لأحد مهما كان موقعه ألا يقوم بواجبه.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) ﴾

قال الحسن البصري رحمه الله: من أحسن عبادة الله في شبيبته؛ أعطاه الله الحكمة عند كبر سنه، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/١٦٧ – ١٦٨

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) ﴾

لما قتل موسى القبطي قال: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) ﴾، قال ابن عطية: إن ندم موسى حمله على الخضوع لربه والاستغفار عن ذنب باء به عنده تعالى، فغفر الله خطأه ذلك، قال قتادة رحمه الله: عرف – والله – المخرج، فاستغفر.

المحرر الوجيز ٤/٣٣٢

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (١٧) ﴾

بعض الناس كلما اراد أن يتقدَّم في حياته، تذكَّر بعض زلاته في الماضي، فتراجع، وهذا خطأ؛ فالعبرة بكمال النهاية، انظروا إلى موسى عليه السلام قتل نفسًا لم يُؤمَر بقتلها، ولم يمنعه هذا من التصحيح، بل قال: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾، ونال شرف الرسالة وقام بأعبائها، فإياكم واليأس. متدبرة

﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (١٩) ﴾

قال أبو عمران الجوني: آية الجبابرة: القتل بغير حق. الدر المنثور ٤٠١/٦

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠) ﴾

١) فيه دليل على جواز النميمة لمصلحة دينية. الألوسي، روح المعاني (٢٦٨/١٠)

٢) ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ خطوات أنقذت حياة نبي – بإذن الله –! اركض! ربِّ مشوارٍ تُولد في الحياة!

د. عبد الله بلقاسم

٣) انظر كيف جمعت هذه الآية صفات الدعاة الناصحين: حرص على مصلحة الناس، ودفع ما يضرهم، ويتحملون التعب والمشقة من أجلهم، ويقترحون الحلول المناسبة لحل المشاكل.

د. محمد القحطاني

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) ﴾

١) فيها تنبيه لطيف على أن الناظر في العلم – عند الحاجة إلى العمل أو التكلم به – إذا لم يترجح عنده أحد القولين؛ فإنه يستهدي ربه ويسأله الهداية للصواب، بعد أن يقصد الحق بقلبه ويبحث عنه، فإن الله لا يخيب من هذه حاله، كما جرى لموسى لما قصد تلقاء مدين، ولم يدر الطريق المعين إليها، فسأل ربه، فهداه الله، وأعطاه ما رجاه وتمناه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦١٨

٢) ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي ﴾، ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا﴾ الآية (البقرة: ٢٥٠) المتأمل لهذه الآيات وأمثالها يلحظ اقتران الدعاء بالعمل، دون الاقتصار على أحدهما، وهو منهج للأنبياء مطرد، كما حدث في بدر وأحد.

أ.د. ناصر العمر

﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤)﴾

١) إخلاص وشهامة، وبعد عن حب الظهور، وترك لطلب المقابلن ومع ذلك جاءه الخير وهو في ظله: ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾.

د. محمد الحمد

٢) في قول موسى عليه السلام بعد أن سقى للمرأتين: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: كان قد بلغ به الجوع ما بلغ، وإنه لأكرم الخلق يومئذ على الله.

فعلق ابن عطية قائلاً: وفي هذا معتبر، وحاكم بهوان الدنيا على الله تعالى!

المحرر الوجيز ١٨٩/٥

٣) أيُّها القلب الحزين: إياك أن تنسى العليَّ، كن مثل كليم الرحمن، خرج خائفًا، سافرراجلًا، اخضر جوعًا، فنادى منكسرًا: ﴿ رَبِّ ﴾، فحذف يا النداء ﴿ إِنِّي ﴾؛ لتأكيد المسكنة، ولم يقل: أنا، ﴿ لِمَا ﴾ لأيِّ شيء ﴿ أَنْزَلْتَ إِلَيَّ ﴾ بصيغة الماضي؛ لشدَّة يقينه بالإجابة فكأنَّها تحقَّقت، ﴿ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾، فكان جزاءُ هذا الانكسار التام: أهلًا ومالًا، ونبوَّةً وحفظًا.

د. عصام العويد

٤) ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ إشارة إلى سبب من اسباب إجابة الدعاء، وهو إعلان الافتقار إلى الله، وإظهار المسكنة إليه عز وجل.

د. محمد الحمد، هداية آية ٧

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) ﴾

١) وصفها بالحياء في مشيها خصوصًا، وهذا فيه توجيه للمرأة المسلمة؛ فالمشي عند المرأة يدل على شخصيتها بل يدل على عفافها من عدمه. فانتبهي اختي الكريمة للمشي فهو ليس أمرًا هامشيًا في حياة المرأة بل هو أمر مهم ذكره الله عز وجل في كتابه. ثم قالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ ﴾، ولم تقل: إننا ندعوك؛ لأن هذا هو اللائق بالمؤمنة العفيفة حينما تتحدث مع الرجال الغرباء.

د. عويض العطوي

٢) ﴿ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ ما أجمله من وصف! فهي كأنها من شدة حياتها لم تمش على قدميها، بل (على حياتها)، الحياء في الكلمة والنظرة والحركة بالنسبة للمرأة خصوصًا هو لحاؤها الذي لا تزهر أغصان الورد بدونه. د. عصام العويد

٣) ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ المكافأة تسبب تلف القلوب، ودفع المنن.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٢٠٥

٤) قال ابن كثير في قوله تعالى عن ابنتي شعيب ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾: وهذا تأدب في العبارة لم تطلبه طلبًا مطلقًا؛ لئلا يوهم ريبة.

تفسير القرآن العظيم ٢٢٨/٦

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦)﴾

١) أركان الولاية اثنان: القوة، والامانة، ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩)﴾ النمل: ٣٩، فمن العدل ألَّا يولى أحد منصبًا إلا وهو أهل له في قوته وفي أمانته؛ فإن ولى من ليس أهلًا مع وجود من هو خير منه، فليس بعادل. ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ٤٦١/١

٢) تأمل كم تكرر وصف القوة والأمانة في القرآن لسادات الخلق: جبريل، وموسى، ويوسف، وغيرهم! إنها فرصة لتربية أبنائنا على هذا المعنى الشريف – وهم يستعدون للاختبارات – وتذكيرهم بشدة حاجة الأمة للطالب القوي في علمه وتحصيله، الجاد في أداء عمله، وأن التفوق الدراسي ليس مطلبًا اجتماعيًا بل هو – قبل ذلك – مطلب شرعي، فالساحة ملآى بالكسالى! د. عمر المقبل

٣) اجعل أعمالك وتعاملك يشهدان لك بالقوة والأمانة: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾، ﴿ فَسَقَى لَهُمَا﴾.. ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾.

د. محمد الربيعة

﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آَنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩)﴾

استدل بعض أهل العلم بقوله تعالى: ﴿ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ بأن فيها دليلًا على أن الرجل يذهب بأهله حيث شاء؛ لما له عليها من فضل القوامة وزيادة الدرجة، إلا أن يلتزم لها أمرًا فالمؤمنون عند شروطهم، و"**أحق الشروط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج**"[1].

القرطبي، أحكام القرآن ٢٨١/١٣

﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (٣٤) ﴾

﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ فيه إشارة إلى أهمية العناية بالجانب البياني والإعلامي في باب دعوة الآخرين: مسلمين أو غيرهمن وأنه لا يكفي مجرد صدق الداعي، بل يحسن مع ذلك أن يهتم بكل وسيلة تكون سببًا في إبلاغ دعوته، والتأثير بها.

د. عمر المقبل

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآَيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (٣٥)﴾

١) ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ إخوانك هم عُدَّتُك للمهمَّات فاستكثر من الصادقين منهم، ولا تفرّط فيهم. د. عبد الرحمن الشهري

٢) بون شاسع بين استعلاء فرعون وجبروته وطغيانه، وضعف قوم موسى وذلتهم وقلة حيلتهم، وبرغم ذلك قال الله ﷻ لموسى وهارون ومن معهما: ﴿ بِآَيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ أي: بحجتنا وهذه حقيقة الانتصار. أ.د. ناصر العمر

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)﴾

١) والهوى – نعوذ بالله منه – هو أول فتنة طَرَقَت العالم، وباتباع الهوى ضلَّ إبليس، وبه ضلَّ كثيرٌ من الأمم عن اتِّباع رسلهم وأنبيائهم، كما في قصص القرآن العظيم؛ ولهذا حكم الله – وهو أعدل الحاكمين – أنَّه لا أحد أضل ممن اتَّبع هواه، فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾. د. بكر أبو زيد، تصنيف الناس بين الظن واليقين ٣٧

[1] الترمذي ح (١١٢٧)، والنسائي ح (٣٢٨١)، وأحمد ح (١٧٣٠٢).

٢) إن لم تنقد للهدى، قادك الهوى: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾.

د. عمر المقبل

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) ﴾

قال الكاتب والشاعر النصراني أمين نخلة: "كلما قرأت القرآن قلت لنفسي: ويحك انجي؛ فإنك على النصرانية"! انتهى. وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

ميراث الصمت والملكوت ١٤٢ (بتصرف)

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٢) ﴾

شجرة الإخلاص أصلها ثابت، لا يضرها زعازع: ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ وأما شجرة الرياء، فإنها تجتث عند نسمة: "**من كان يعبد شيئًا، فليتبعه**"[1].

ابن القيم، بدائع الفوائد ٢٣٧/٣

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٦٩) ﴾

من عيوب النفس: أن تسترسل مع الخواطر السيئة التي تمرُّ بذهنها، فتترسخ فيها، ودواء ذلك: أن يرد تلك الخواطر في الابتداء، ويدفعها بالذكر الدائم، ويتذكر أنَّ الله مطلع على سريرته، وأن يعيش مع قول الله: ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ (طه: ٧).

عبد العزيز السلمان، اغتنام الأوقات (١٤١) (بتصرف)

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) ﴾

وإنما ذكر السماع عند ذكر الليل والإبصار عند ذكر النهار؛ لأن الإنسان يدرك سمعه في الليل أكثر من إدراكه بالنهار، ويرى بالنهار أكثر مما يرى بالليل.

ابن هبيرة، ذيل طبقات الحنابلة ٢٤٠/١

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) ﴾

هي خمس كلمات – أي: خمس جمل – متباعدة في المواقع، نائية المطارح، قد جعلها النظم البديع أشد تلفًا من الشيء المؤتلف في الأصل، وأحسن توافقًا من المتطابق في أول الوضع.

الباقلاني، إعجاز القرآن ١٩٤

[1] البخاري ح (٦٥٧٣)، ومسلم ح (١٨٢)، وأحمد ح (١٠٩٠٦).

﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) ﴾

١) قال بعض السلف من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده، فليقل: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله. تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥٨/٥

٢) أيُّها الطالب! إن أوتيتَ حفظًا وذكاءً، فانتبه، فقد قال قارون: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ فخُسف به، والمؤمن حقًّا حاله حال المعترفين بالنعمة، كما قال صاحب الجنة: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ (الكهف: ٣٩).

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠)﴾

١) إيثار ثواب الآجل على العاجل حالة العلماء؛ فمن كان هكذا فهو عالِم، ومن آثر العاجل على الآجل فليس بعالِم. ابن هبيرة، ذيل طبقات الحنابلة ١٤٩/٢

٢) بقدر ما أوتو من العلم؛ يكون زهدهم في الدنيا.

﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) ﴾

لما خُسف بقارون، قال من تمنى حاله: ﴿ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ﴾ وهم بالأمس يتضرعون ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) ﴾ (القصص)، قف متأملاً متدبرًا: كم دعوة حزنت على عدم استجابة الله لك إياها؟ بل قد يسيء البعض بربه الظن، فيخالطه شك أو ريبة أو قنوط! وما علم المسكين أن خيرة الله خيرٌ من خيرته لنفسه، كما صرف الشر عن أصحاب قارون، ولكن ﴿وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠)﴾ (القصص)[1].

أ.د. ناصر العمر

[1] أرسلت هذه الرسالة أيام الاختبارات، فجاء هذا التعليق من أحد الإخوة المشتركين: أسأل الله أن يجزيكم خير الجزاء، فأنا طالب جامعي وقد دعوت كثيرًا في اختباراتي بأن يكون معدلي كاملًا، ثم لما نظرت نتيجتي وجدتني نقصت كثيرًا، فاصابني حزن وغم لعد استجابة الدعوة، ثم لما قرأت رسالتكم بالأمس حولك ﴿﴾: حمدت الله واطمأننت واستبشرت فالدعاء، لن يضيع، ولعل في النقص خيرًا.

سورة العنكبوت

﴿الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)﴾

١) دَلَّ كتاب الله على أنه لا بد من الفتنة لِكُلِّ من ادعى الإيمان، والعقوبة لذوي السيئات والطغيان. ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢١٢/٣

٢) ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ لا يظنن أحد أنه يخلص من الألم البتَّة، وإنما يتفاوت أهل الآلام في العقول، فأعقلهم من باع ألمًا مستمرًا عظيمًا بألم منقطع يسير، واشقاهم من باع الألم المنقطع اليسير بالألم العظيم المستمر.

ابن القيم، زاد المعاد ١١/٣

٣) ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ قال قتادة رحمه الله: ليعلم الصادق من الكاذب والطائع من العاصي، وقد كان يقال: إن المؤمن ليُضرب بالبلاء كما يُفتن الذهب بالنار، وكان يقال: إن مثل الفتنة كمثل الدرهم الزيف يأخذه الأعمى ويراه البصير. الدر المنثور ٤٥٠/٦

﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآَتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) ﴾

لما علم الله سبحانه أن قلوب المشتاقين إليه لا تهدأ إلا بلقائه، ضرب لهم أجلاً للقاء؛ تسكينًا لقلوبهم، فقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآَتٍ﴾ (العنكبوت: ٥).

ابن القيم، روضة المحبين (٤٣٦)

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢) ﴾

نرى في المتسمين بالإسلام من يستن بأولئك! فيقول لصاحبه – إذا اراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم-: افعل هذا وإثمه في عنقي! وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم!. الزمخشري، الكشاف ٤٤٨/٣

﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣) ﴾

بيان لما يستتبعه قولهم ذلك في الآخرة من المضرة لأنفسهم بعد بيان عدم منفعته لمخاطبيهم أصلاً، والتعبير عن الخطايا بالأثقال؛ للإيذان بغاية ثقلها وكونها فادحة.

الألوسي، روح المعاني ٢٤٥/١٥

﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧) ﴾

لا بد في الرزق من سعي وعمل ولو في تناوله وابتغائه من وجوهه؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾.

ابن خلدون، مقدمته ٦٦/٢

﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢)﴾

قال قتادة في قوله تعالىك ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ﴾ لا تلقى المؤمن إلا يرحم المؤمن، ويحوطه حيثما كان. الدر المنثور ٤٦٢/٦

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) ﴾

فأي معنى أبلغ من معنى أكده الله من ستة أوجه؟ حيث قال: ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ فأدخل إن، وبنى أفعل التفضيل، وبناه من الوهن، وأضافه إلى الجمع، وعرَّف الجمع باللام، وأتى في خبر إن باللام! الزركشي، البرهان ٤٨٤/١

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣)﴾

١) كان بعض السلف إذا مرَّ بمثلٍ في القرآن لا يفهمه يبكي ويقول: لست من العالمين.

مفتاح دار السعادة ٥١/١

٢) هذا مدح للأمثال التي يضربها، وحث على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وانه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين، والسبب في ذلك: أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم، يعرفون أنها أهم من غيرها؛ لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها، وتدبرها، فيبذلون جهدهم في معرفتها، وأما من لم يعقلها – مع أهميتها –، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم؛ لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى. السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦٣١

٣) من أعجبته حكمة عظيمة صالحة في قول مفكر أو فيلسوف، فليتحسر على نفسه أن جهلت موضعها من القرآن، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾. عبد العزيز الطريفي، في العقلية الليبرالية ١١٠

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥) ﴾

١) قال أبو العالية: إن الصلاة فيها ثلاث خصال، فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخلال؛ فليست بصلاة: الإخلاص، والخشية، وذكر الله، فالإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر، وذكر القرآن يأمره وينهاه.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٨٢/٦

٢) الصلاة فيها دفع مكروه، وهو الفحشاء والمنكر، وفيها تحصيل محبوب، وهو ذكر الله، وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع ذلك المكروه؛ فإنَّ ذكر الله عبادة، وعبادة القلب مقصودة لذاتها، وأما اندفاع الشرِّ فهو مقصود لغيره على سبيل التبع؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾. ابن تيمية، العبودية ٩٩

٣) بحسب قيام العبد بالأمر تدفع عنه جيوش الشهوة، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (الحج: ٣٨) وفي القراءة الأخرى: (يدفع). ابن القيم، طريق الهجرتين ٧٢

٤) هل أبصرت هذه الآية؟ ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ تأمل كيف أسند الله النهي إلا الصلاة نفسها!

إن الصلاة تعني أن ترحل عن خطاياك إلى الله؛ لتخرج من دركات العادة إلى درجات العبادة، وليتغير طعم المنكر في قلبك فلا تجد له لذة، فأبصر ثم أبصر فإن الصلاة تصنعك. د. فريد الأنصاري، بلاغ الرسالة القرآنية ١١٥

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١)﴾

١) أما هذه الأمة فقد ارسل الله إليها محمدًا ﷺ، وجعله خاتم الأنبياء، وجعل آيته العظيمة الباقية هذا القرآن العظيم، فإن آيات الأنبياء تموت بموتهم، ولا تبقى بعد موتهم إلى ذكرى، أما محمد ﷺ فإن آيته هذا القرآن العظيم، باقية إلى يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾، فالكتاب كاف عن كل آية لمن تدبره، وتعقله، وعرف معانيه، وانتفع بأخباره، واتعظ بقصصه، فإنه يغني عن كل شيء من الآيات. لكن الذي يجعلنا لا نحس بهذا الآيات العظيمة، أننا لا نقرأ القرآن على وجهه نتدبره، ونتعظ بما فيه. ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ١/١٣٤

٢) ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ كل علم دين لا يُطلب من القرآن، فهو ضلال، وكل عاقل يترك كتاب الله مريدًا للعلو في الأرض والفساد، فإن الله يقصمه؛ فالضال لم يحصل له المطلوب، بل يعذب بالعمل الذي لا فائدة فيه. ابن تيمية، الاستقامة ١/٢١

٣) لقد عظمت نعمة الله على عبد أغناه بفهم كتابه عن الفقر إلى غيره: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت: ٥١).

ابن القيم، بدائع الفوائد (٥/٢٢٧)

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٠) ﴾

التفت حولك، هل ترى نملةً أو حشرةً صغيرةً تحمل رزقها على ظهرها؟ بل ربما دفعته بمقدمة رأسها لعجزها عن حمله، أيُّ هَمٍّ حملته هذه الدويبة الصغيرة لرزقها؟ وهل كان معها خرائط تهتدي بها؟ كلَّا.. إنها هداية الله الذي قدَّر فهدى، والذي قال: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾، فكيف يقلق عبدٌ في شأن رزقه، وهذا كلام ربِّه؟

د. عمر المقبل

﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤)﴾

الموقنون بالآخرة لهم سيرة أخرى، إنهم يتقون الشبهات استبراء لدينهم وعرضهم، ويكترثون بالآخرة أشد من اكتراث غيرهم بالدنيا، هم يفهمون بعمق قوله تعالى: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة ١٤٩

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩) ﴾

١) قال عباس بن أحمد في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾: الذين يعملون بما يعلمون نهديهم إلى ما لا يعلمون. اقتضاء العلم العمل ٣٠

٢) قد ذكر في غير موضع من القرآن ما يبين أن الحسنة الثانية قد تكون من ثواب الأولى، وكذلك السيئة الثانية قد تكون من عقوبة الأولى، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (الروم: ١٠). ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٤٠/١٤

٣) ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ كثرة الممارسات للمواهب تُعطي الملكات؛ فتبقى للنفس هيئة راسخة وملكة ثابتة.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٨٠٥/٢

٤) قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ علَّق سبحانه الهداية بالجهاد؛ فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادًا، وأفرض الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله، هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد، فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد.

ابن القيم، الفوائد ٥٨

٥) ثلاث مراحل لمن أراد أن يستمتع بهذا الدين:

١- اترك ما كنت تستمتع به قبل المحبة، وستتجرع ذلك في البداية، وهذه هي المجاهدة. ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾.

٢- إن ترقيت في المحبة بذلت لدينك رضًا وتطوعًا، وهذا هو التذوق.

٣- إن ترقيت في المحبة بذلت لدينك ذلًا وتضرعًا، وهذا هو الاستمتاع.

أبو إسحاق الحويني

٦) رمضان أعظم ميدان للتنافس، وبلوغ الغايات على قدر التضحيات، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾.

ومن رام العُلا من غير كدٍّ *** أضاع العمرَ في طلب المحالِ

د. عبد المحسن المطيري

سورة الروم

﴿ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآَخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) ﴾

١) قال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾: إنه ليبلغ من حذق أحدهم بأمر دنياه أنه يقلب الدرهم على ظفره، فيخبرك بوزنه، وما يحسن يصلي!!

الدر المنثور ٤٨٤/٦

٢) ما الذي جعل العلامة الشنقيطي يقول عن هذه الآية يجب على كل مسلم أن يتدبرها تدبرًا كثيرًا، ويبين ما دلت عليه لكل من استطاع بيانه له من الناس؟ قال رحمه الله: اعلم أنه يجب على كل مسلم في هذا الزمان أن يتدبر بية "الروم" هذه تدبرًا كثيرًا، ويبين ما دلت عليه لكل من استطاع بيانه له من الناس. وإيضاح ذلك أن من أعظم فتن آخر الزمان التي ابتلى الله بها ضعاف العقول من المسلمين شدة إتقان الإفرنج لأعمال الحياة الدنيا، ومهارتهم فيها على كثرتها، واختلاف أنواعها مع عجز المسلمين عن ذلك، فظنوا أن من قدر على تلك الأعمال أنه على الحق، وأن من عجز عنها متخلف وليس على الحق، وهذا جهل فاحش، وغلط فادح. وفي هذه الآية الكريمة إيضاح لهذه الفتنة، وتخفيف لشأنها.

أضواء البيان ١٦٦/٦

٣) تفقَّد قراءاتك: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ لم يُذموا لمجرد اشتغالهم بعلوم الدنيا؛ بل لأنها تسببت في الغفلة عن الآخرة. د. عمر المقبل

﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨)﴾

جمع الله تعالى الحمد لنفسه في الزمان والمكان كله، فقال: ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ وقال: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآَخِرَةِ ﴾؛ فتبين بهذا أن الألف واللام في ﴿ الْحَمْدُ ﴾ مستغرقة لجميع أنواع المحامد، وهو ثناء أثنى به تعالى على نفسه، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه به. الشنقيطي، أضواء البيان ٥/١

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)﴾

١) ارتفاع نسبة الطلاق بلغ رقمًا مخيفًا – قرابة ٤٠.٠٠٠ حالة طلاق في سنة واحدة – وهذا مخالف لأصل خلق الزوجين: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ فلو تحقق السكن، لما وقع الطلاق – غالبًا –، إذن لا بد من سبب معتبر حال دون تحقق الأصل والغاية، والعلاج: أن تصلح ما بينك وبين الله؛ يصلح لك زوجك، تدبر: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ (الأنبياء: ٩٠). أ.د. ناصر العمر

٢) أصول الحياة الزوجية وأركانها دون انقطاع:

١- سكن كل واحد منهما للآخر.

٢- المودة.

٣- الرحمة.

وأي نقص في ذلك، فهو خلل في تحقق آيات الله في نفس المقصر، تدبر: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. أ.د. ناصر العمر

٣) من تأمَّل القرآن، علم أنَّ كلمة (السكن) هي سرُّ الكون الذي هدى إليه القرآن في العلاقة بين الرجل والمرأة ﴿ لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾؛ ولذا كان الهدفُ الرئيس للمرأة في الحياة بعد حق الله أن تتعلم كيف تكون سكنًا لزوجها وأسرتها. د. عصام العويد

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٢٢)﴾

أرأيت توأمين متشابهين، لا يتميز عندك أحدهما عن الآخر إلا بجهد؟ عند ذلك تعرف نعمة الله تعالى في الاختلاف التي ذكرها في هذه الآية.

السخاوي، تفسير السخاوي ٢/٦٧

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)﴾

يواجه الإنسان في حياته – وخاصة في هذا الزمن – كثيرًا من المتغيرات، التي يتأثر بها كثير من الناس، ولو تدبر المؤمن هذه الآية، لما زهد في طريق الحق ولو انحرف عنه أكثر الناس؛ ولذلك ختم الله الآية بقوله: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

د. محمد الربيعة

﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩)﴾

لم ترد آية في الربا إلا جاء قبلها أو بعدها ذكر الصدقة أو الزكاة، وفي هذا إشارة لطيفة بأن الربح الحقيقي في الصدقة والزكاة لا بالربا، كما يتوهم المرابون، وآية الروم كشفت المكنون.

أ.د. ناصر العمر

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠)﴾

كنت أعاني من طلب ثناء الناس كثيرًا في عبادتي؛ حتى قرأت هذه الآية، فكرَّرت: ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾؟ لا والله! فيا له من حرمان أن يترك المرءُ طلبَ ثناء مولاه الذي خلقه، ثم رزقه، ثم يميته، ثم يحييه، إلى طلب ثناء مخلوق مثله.

متدبر

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١)﴾

يشتكي العالم اليوم من أزمات كثيرة، يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: أفعال الله كلُّها خير وحكمة، وتقدير الله لهذه الشرور له حكمة عظيمة، وتأمل هذه الآية، تجد أنَّ هذا الفساد الذي ظهر في البر والبحر كان لما يُرجى به من العاقبة الحميدة وهي: الرجوع إلى الله ﷻ.

القول المفيد ٢/٤١٤

﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (٤٤)﴾

الحيوان البهيم يتأمل العواقب، وأنت لا ترى إلا الحاضر! ما تكاد تهتم بمؤونة الشتاء حتى يقوى البرد، ولا بمؤونة الصيف حتى يقوى الحر، والذر يدخر الزاد من الصيف لأيام الشتاء، أفتراك ما علمت قرب رحيلك إلى القبر؛ فهلا هيأت لنفسك فراشًا تمهد به الطريق؟ ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾.

ابن القيم، بدائع الفوائد (٣٢٢/٤) (بتصرف)

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)﴾

إن صلاح الدين انتصر؛ لأنه دعا بدعوة الإسلامن لم يدعُ بدعوة الجاهلية، ولا نادى بشعائر الكفار، ولم يرفع راية مذهب باطل ابتدعه أهل الضلال من البشر، بل رفع راية القرآن الذي أنزله رب العالمين وخالق البشر ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

الطنطاوي، نور وهداية ١٨٨

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩)﴾

أشارت الآية إلى سرعة تقلُّب فلوب البشر من اليأس إلى الاستبشار، وأعاد لفظة (من قبل – من قبله) دلالة على أن إبلاسهم قبل المطر بزمنٍ يسير لا كثير.

ابن عطية، المحرر الوجيز ٣٩٦/٤

﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠)﴾

١) ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ فإذا كانت حياة الأرض بعد موتها من أعظم الأدلة على سعة رحمته؛ فالدليل في القلب الخلي من العلم والخير حين ينزل الله عليه غيث الوحي فيهتز وينبت العلوم المختلفة النافعة، والأعمال الظاهرة والباطنة أعظم من الأرض بكثير! ودلالته على سعة رحمة الله وواسع جوده وتنوع هباته أكثر وأعظم.

السعدي، المواهب الربانية ٢٢

٢) الموفَّق من الناس من يجتمع له التفكر في آيات الله الكونيَّة، وتدبر آيات القرآن، فالخارج للبّرِّ – مثلاً – يحصل له ذلك حين يرى آثار رحمة الله بإحياء الأرض بعد موتها، فيذكره بقدرة الله على إحياء الموتى، فيعتبر عندها بقوله سبحانه: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦)﴾

لو لم يكن للعلم وأهله العاملين به من شرف إلا أن بركة علمهم تبقى، ويمتد أثرها حتى في عرصات القيامة لكفى، فهم شهود الله على بطلان عبادة المشركين كما في سورة النحل: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٧)﴾ (النحل)، وشهود على منكري البعث كما في سورة الروم: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

د. عمر المقبل

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠)﴾

١) ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ جاء الحديث عن صدق وعد الله بعد الصبر؛ لأنه "مما يعين على الصبر؛ فإن العبد إذا علم أن عمله غير ضائع بل سيجده كاملاً، هان عليه ما يلقاه من المكاره، ويسر عليه كل عسير، واستقل من عمله كل كثير".

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦٤٦/١

٢) رسالة ربانية إلى كل مصلح وداعية ومجاهد: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾، أمرٌ في أولها، ونهي في آخرها، وخبر مؤكد في وسطها.

د. محمد القحطاني

٣) سوء فهم معنى الصبر ولوازمه وآثاره؛ يورث اندفاعًا أو تنازلاً أو قنوطًا! ولو تدبر أولئك آيات الصبر في القرآن؛ لأدركوا أنه قرين العمل الجاد واليقين، وبذلك يتحقق الفتح المبين ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾.

أ.د. ناصر العمر

سورة لقمان

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٦)﴾

١) ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾. قيل: نزلت في النضر بن الحارث، كان يشتري أخبار الأعاجم كـ (رستم واسفنديار) – بعض ملوك فارس–، ويحدث بها قريشًا؛ ليستملحوا حديثه، ويتركوا استماع القرآن.

جامع البيان للطبري ٢٣٨/١٩

ما أشبه الليلة بالبارحة، فهذه الدور التي تنشر كتبًا وروايات تفسد الأخلاق والعقائد، وتزهد في نصوص الوحي؛ امتداد لمسيرة النضر بن الحارث وطريقته!.

٢) أشهد الله وملائكته، وحملة عرشه الكرام، وجميع خلقه – من غير جدال في تصحيح حديث وتضعيف آخر، بل الأمر تجربة نفسية–: أن الغناء مهما كابر المكابرون يقسِي القلب، ويعين على هجر القرآن الكريم وحديث رسول الله وسير الصالحين.

أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري، جريدة الجزيرة عدد ١٣٥٦٧

٣) قف متأملاً لبلاغة هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ فمع أن الاشتراء كان لوسيلة اللهو إلا أنه جعل الغاية هي السلعة؛ تقبيحًا لفعله، ثم عبر بقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ لبيان الاثر اللازم لهذا السفه، بمزاحمته لمرضاة الله، وصده عن سبيله، وليس كما يتوهم البعض أنه مجرد تسلية لا تؤثر على دينه وعبادته، والواقع يكذب هذه الدعوى ويفندها.

أ.د. ناصر العمر

٤) ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أفتى أحدُ العلماء بحرمة المعازف؛ لدخولها في هذه الآية – كما نصَّ عليه أكابر المفسرين –، فقال له أحدُهم: إنما قال: ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وأنا لا افعلها لذلك، فقال له العالم: ألم تسمع بقية الآية: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؟ فأنت تضل، ولكن بغير علم.

متدبر

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤)﴾

١) ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ ألم يبلغك ما تقاسي أمك وما تتعذب بسببك؟ لو سبب لك إنسان عُشر هذا العذابن لأعرضت عنه وهجرته، - هذا إن لم تنتقم منه -! ولكن الأم تنسى المها بعد لحظات من خروج الولد، ثم تضمه إلى صدرها؛ فتحس كأن روحها التي كادت تفارقها قد رجعت إليها. الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي ٩٤/٢

٢) ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ الأم إن كانت عجوزًا، أو كانت مريضة، فاذكر أنها إن احتاجت لك اليوم؛ فلقد كنت يومًا أحوج إليها، وإن طالبتك أن تقدم لها من مالك؛ فقد قدمت لك من نفسها ومن جسدها. الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي ٩٤/٢

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧)﴾

الداعية إلى الله، والآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر: لا بُدَّ أن يصيبه أذى، فهو محتاج إلى الصبر على ما يصيبه من أذيَّة الناس له بالقول أو بالفعل، وقد جمع الله بين الأمر والنهي وبين الصبر في وصية لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾. د. عبد العزيز الراجحي، الإيضاح والتبيين ٧٦

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)﴾

١) ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾، ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان: ٦٣)، علاقة حركة الجوارح بالاخلاق قرينة معتبرة لمعرفة أخلاق بعض الناس، وفي سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ (٣٧)، وفي سورة النور: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ (٣١)، بل أشدها في سورة لقمان: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾.

أ.د. ناصر العمر

٢) قال ابن زيد رحمه الله: لو كان رفع الصوت خيرًا، ما جعله الله للحمير.

الدر المنثور ٥٢٥/٦

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١)﴾

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ذكر النعم يدعو إلى الشكر، وذكر النقم يقتضي الصبر على فعل المأمور وإن كرهته النفس، وعن المحظور وإن أحبته النفس؛ لئلا يصيبه ما أصاب غيره من النقمة.

ابن تيمية، دقائق التفسير ٩٧/٥

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣)﴾

ربما اتكل بعض المغترين على ما يرى من نعم الله عليه في الدنيا وأنه لا يغير ما به، ويظن أن ذلك من محبة الله له، وأنه يعطيه في الآخرة أفضل من ذلك، فهذا من الغرور ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾. ابن القيم، الجواب الكافي ٣٥

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)﴾

١) من لطائف التفسير النبوي أنه فسر آيتين من سورة الأنعام بآيتين من سورة لقمان: ففسر آية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: ٨٢)؛ بآية: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وفسر آية: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ (الأنعام: ٥٩)؛ بآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، ولم أجد له ﷺ غيرها. د. مساعد الطيار

٢) حين يَقْصُرُ بعض الناس قولَه تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ على معرفة جنس الجنين، أو القدرة على تحديده – بإذن الله –؛ فإن ذلك يحدث لهم غشكالات، بينما هي تشمل: الرزق، والاجل، والسعادة والشقاء، وغير ذلك مما يتصل بحياة الجنين، وحينها تزول تلك الإشكالات التي يثيرها بعضهم بسبب تقدم الطب في علم الأجنة.

أ.د. ناصر العمر

٣) ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ كان البخاري ينشد:

اغتنم في الفراغ فضل ركوعٍ فعسى أن يكون مؤتُك بغتةْ
كم صحيح رأيت من غير سقم ذهبت نفسه الصحيحة فلتةْ

مقدمة فتح الباري ٤٨١/١

وهكذا كان البخاري، فقد كان من أهل الركوع، وكان موته ليلة عيد الفطر بغتة.

سورة السجدة

سورة السجدة مشتملة على تقرير أمر القرآن بما تضمنه من اصول الإيمان الستة إلا القدر، بذلك فتحت وبذلك ختمت، كما أن سورة الشورى بدأت بالوحي وختمت بالوحي المتضمن للقرآن والإيمان.

ابن تيمية، جامع المسائل ١٤٣/١

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤)﴾

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ يقرن الله تعالى استواءه على العرش باسم (الرحمن) كثيرًا؛ لأن العرش محيط بالخلوقات قد وسعها. والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ الأعراف: ١٥٦، فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات؛ فلذلك وسعت رحمته كل شيء.

ابن القيم، مدارج السالكين ٣٣/١

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢)﴾

١) ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وجواب (لو) متروك، تقديره: لو رأيت حالهم؛ لرأيت ما يُعتبر به، ولشاهدت العجب.

ابن الجوزي، زاد المسير ١١٥/٥

٢) إنَّ علمًا لا يبعدك اليوم عن المعاصي، ولا يحملك على الطاعة، لن يبعدك غدًا عن نار جهنم، وإذا لم تعمل اليوم، ولم تتدارك أيامك الماضية؛ فستقول غدًا يوم القيامة: ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾، فسيقال لك: يا أحمق! أنت قد جئت من هناك!!

أبو حامد الغزالي، أيها الولد ١٠٨

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤)﴾

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ المؤمن يتذكَّر الآخرة، فإذا رأى حرَّ الدنيا تذكر نار الآخرة، وإذا سمع باختبار الدنيا تذكر اختبار الآخرة، وهكذا شأن الأخيار ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ (ص: ٤٦).

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥)﴾

من وعظ بالله، كان من تمام اتِّعاظه إتراب جبينه بالسجود لله؛ تواضعًا له، وتذلُّلًا لجلاله، وهو مندوب إليه بهذه الآية – والله أعلم–، خلافًا على الجبابرة والكفَّار، ومَن تأخذُه العزَّة بالغثم.

القصاب، نكت القرآن ٣/٦٣٦

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦)﴾

١) المؤمن يكون جسده في مضجعه، وقلبه قد قطع المراحل مسافرًا إلى حبيبه، فإذا أخذ مضجعه، اجتمع عليه حبه وشوقه، فيهزه المضجع إلى مسكنه، كما قال الله تعالى في حق المحبين: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٣٠٥ – ٣٠٦

٢) إن غاية الحياة تتحقق كلها في الصلاة؛ فالصلاة اتصال بالله واستعداد لحياة الخلود، ثم إنها لذة لا تعدلها – إذا أقيمت على وجهها – لذة من لذائذ الحياة، تدبر حال المحبين للصلاة: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية ٣٤

٣) تأمل حالك في الليالي المباركة هل تشعر بلذة النوم وحب الفراش؟ أو أنك تأوي إلى فراشك قدر حاجتك؛ لتستعين بذلك على العبادة، فتلحظ أنك كلما استغرقك النوم قمت فزعًا؛ خوفًا من فوات هذه المغانم؟ تدبر هذه الآية؛ لتكتشف أي (عابد) أنت: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ الآية، فمن ضيع الليالي المباركة، فهو لما سواها أضيع.

أ.د. ناصر العمر

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)﴾

١) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**يقول الله تعالى: أَعددْتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ذخرًا، بله ما اطلعتم عليه**" (أي: مُدَّخرًا لهم فوق النعيم الذي أخبرتهم به)، قال: اقرؤوا – إن شئتم –: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)﴾[١].

٢) قال الحسن البصري رحمه الله: أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين، ولم يخطر على قلب بشر.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٦٥/٦

٣) ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هذه لذة الخبر، فكيف بلذة النظر؟! د. عادل الزرقي

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠)﴾

قال الفضيل بن عياض: والله ما طمعوا في الخروج؛ لأنَّ الأرجل مقيَّدة والايدي موثَّقة، ولكن يرفعهم لهبُها، وتردذثهم مقامعها – نعوذ بالله من النار –.

الدر المنثور ٤٤٥/١٠

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)﴾

١) قال ابن عيينة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ لما أخذوا برأس الأمر، صاروا رؤوسًا!، وقال بعض العلماء: بالصبر واليقين، تنال الإمامة في الدين. تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٧٢/٦

٢) سر عجيب في قوله تعالى عن ائمة المتقين: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (السجدة: ٢٤) ليعلم أن هدايتهم بما أمر به سبحانه على لسان رسوله، لا بمقتضى عقولهم وبرائهم وسياساتهم وأذواقهم، وتقليد اسلافهم بغير برهان من الله؛ لأنه قال: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾.

ابن القيم، رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (١٨)

---

[١] أخرجه البخاري ح (٤٥٠٢)، ومسلم ح (٢٨٢٤).

٣) الطريق إلى الله خال من أهل الشك، ومن الذين يتبعون الشهوات، وهو معمور بأهل اليقين والصبر، وهم على الطريق كالأعلام: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

ابن القيم، الفوائد ٥٥

٤) ما رأيناه في سير الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين يؤكد أن عظم المنزلة مع ثقل الأحمال ومعاناة الصعاب ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٢٢

٥) من ظن أن التربية تتوقف عند سن معين فقد وهم، بل هي مستمرة إلى زمن متقدم من عمر المؤمن؛ فإن القرآن أخبرنا ان أئمة الدين لم يبلغوا منزلتهم من الإمامة إلا بعد ابتلاء وتمحيص، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

أ.د. عبد الكريم بكار، ١٧٥ بصيرة في تربية الأسرة

٦) عندما ترى الآخرين قد تخلوا عن تحمل مسؤولياتهم في أشد الأزمات التي تمر بها بلادهم وأمتهم؛ فاعلم أن الفرصة قد اصبحت مواتية لك لتكون من أئمة المتقين، فاقبل متدبرًا: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

أ.د. ناصر العمر

سورة الأحزاب

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١)﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ ناداه بوصفه دون اسمه تعظيمًا له؛ فإنّ مواجهة العظماء بأسمائهم في النداء لا تليق.

القونوي، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ١٥٥/٧

﴿ادْعُوهُمْ لِآَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آَبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥)﴾

كان يقال لزيد بن حارثة: زيد بن محمد، حتى نزلت: ﴿ادْعُوهُمْ لِآَبَائِهِمْ﴾، فلما مزع عنه هذا الشرف، وعلم الله وحشته من ذلك؛ شرفه بتخصيصه من بين الصحابة، فقال: ﴿﴾ (الأحزاب: ٣٧)، ومن ذكره الله باسمه في كتابه حتى صار اسمه قرآنًا يتلى في المحاريب، نوه به غاية التنويه؛ فكان هذا تأنيس له، وعوض من الفخر بأبوته ﷺ له.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٩٤/١٤ (بتصرف)

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٦) ﴾

عامي في بلدنا ينتسب إلى مذهب ضال – معروف بشتم الصحابة وأمهات المؤمنين – قرأ قوله تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾–، فتوقف قليلًا عند قوله: ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ فقال بفطرته: كيف نشتم أمهاتنا إن كنا مؤمنين؟ فكان ذلك سببًا في هدايته لمذهب أهل السنة ولله الحمد.

عادل المعاودة

﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠)﴾

١) تأمَّل في وصف الله لحال المسلمين في غزوة الأحزاب: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾، ثم تأمَّل كيف قابلوا هذه الحال: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب : ٢٢)، ثم انظر النتيجة: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ الآيات (الأحزاب: ٢٥).

الشنقيطي، أضواء البيان (٢٣٤/٦ – ٢٢٥) (بتصرف)

٢) ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ الظنون من الهواجس والخواطر التي لا يمكن لبشر أن يدفعها، فلا تعتبر منقصة في حق الصحابة، بل هم مؤمنون صادقون واثقون من نصر الله، لكن الله ذلك ذلك؛ ليبين الموقف النفسي الذي اصاب سكان المدينة عمومًا على اختلاف طبقاتهم الإيمانية آنذاك.

صال المغامسي، سورة الأحزاب (شريط)

﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) ﴾

من تدبَّر سورة الأحزابن وجد طائفة من صفات مرضى القلوب، والتي تبرز عند ضعف المسلمين وقدوم الأحزاب عليهم، فمنها: التكذيب: ﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾، التخذيل: ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ (الأحزاب: ١٣)، الخوف: ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ ﴾، البخل: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾، اتهام المسلمين بانهم سبب المشكلة: ﴿ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ (الأحزاب: ١٩).

د. عبد الله الفوزان

﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦)﴾

أخبر الله أن الفرار لا ينفع لا من الموت ولا من القتل، والتجربة تدل على ما دل عليه القرآن، فإن هؤلاء الذين فروا في هذا العام لم ينفعهم فرارهم، بل خسروا الدين والدنيا وهكذا سنة الله قديمًا وحديثًا.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٤٥٣/٢٨

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨)﴾

الواثق بربه لا يصده المخذلون، ففي سورة الأحزاب: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

د. سعود الشريم

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)﴾

١) كان معاوية يستلم جميع اركان الكعبة، فقال له ابن عباس: إن النبي ﷺ لم يكن يستلم إلا الركنين! فقال معاوية: ليس شيء من البيت مهجور! فقال ابن عباس: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فسكت معاوية ووافق ابن عباس رضوان الله عليهم أجمعين.[١]

ويستفاد من هذا الموقف: أن فهم السنة من أعظم ما يعين على التدبر الصحيح.

د. عمر المقبل

٢) ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ من هدي هذه الآية أن وارث مقام التعليم يجب أن يكون قدوةً في سمته وأخلاقه وسيرته، تقيًا ورعًا، مجتنبًا للمحرمات بعيدًا عن الشبهات؛ فإذا كان كذلك، نفعهم بسيرته وأخلاقه أكثر مما ينفعهم بعلمه.

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح ٢٩

٣) ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ هذا القرآن لن يكون له أثره في البشرية من النذارة والإنارة إلا من خلال نماذج بشرية حية، تشتعل قلوبها بحقائقه الإيمانية؛ حتى تستنير وتتوهج، ثم تنير.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٦٢

٤) لن نتقدَّم مرَّة أُخرى إلا إذا استعدنا ثقتَنا بأنفسنا، ولن نصل إلى هذا الهدف بتدمير نظمنا الإجتماعية، وتقليد حضارة أجنبية عن ديننا وليس عن محيطنا التاريخي والجغرافي فحسب، وقد بيَّن الله لنا الطريق في كتابه المبين: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾.

د. صالح الحصين

---

[١] الطحاوي ح (٣٨٥٤).

٥) ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ معلوم أن الرسول ﷺ أسوة حسنة، وإنما جيء بكلمة (حسنة)؛ لتأكيد الأمر، وزيادة في الإيضاح، ودفعًا لأهل الهمم، حتى يقتدوا برسولهم ﷺ فقد كان يحمل التراب، ويرابط ويقاتل، ويبدأ بنفسه قبل أن يبدأ بغيره صلوا الله وسلامه عليه. صالح المغامسي، سورة الأحزاب (شريط)

٦) من أعظم ما يسهل الاقتداء بالنبي ﷺ: خوف الله وتذكر الآخرة وكثرة الذكر ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

د. عبد المحسن المطيري

٧) تأس في كل حال:

إذا ضممت قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ إلى ندائه ﷺ في حجة الوداع: "**خذوا عني مناسككم**"[١]؛ هان عليك ما تجده من مشقة ونصب – غير مقصود – في سبيل تتبع سنة نبيك ﷺ، بل ستجد في ذلك لذة يعجز الوصف عنها.

د. عمر المقبل

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥)﴾

تأمَّل سورةَ الأحزاب، فقد ذكر الله فيها أنواعًا من (الأحزاب) التي اجتمعت لعداوة المسلمين، فذكر فيها: الكافرين، والمنافقين، وأهل الكتاب، والذين في قلوبهم مرض، والمرجفين، والمعوقين، وأهل الجبن والبخل عن نصر الله وغيرهم، لكن لما استمسك المؤمنون بربهم، كانت النتيجة: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾. متدبر

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧)﴾

لما أهوى المسلمون الأولون بجباههم إلى الأرض – حيث تطأ النعال – خضوعًا لله، جعل الله رؤوس الجبارين تنحني خضوعًا لهم، وتيجان الحكام تتهاوى على نعالهم، وجعلهم بالإسلام سادة الدنيا وأساتذتها. تدبر: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية ٤١

[١] مسلم ح (١٢٩٧)، وأبو داود ح (١٩٧٠)، والنسائي ح (٣٠٦٢)، وأحمد ح (١٥٠٤١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآَخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)﴾

فيها وجوب تحديد الهدف والغاية، وما يلزم تجاه ذلك، وبيان العاقبة عاجلاً وآجلاً.

أ.د. ناصر العمر

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١)﴾

تأمل كيف عبر عند العذاب بقوله: ﴿ يُضَاعَفْ ﴾ فلم يصرح بالمعذب، فلما ذكر غيتاء الأجر، قال: ﴿ نُؤْتِهَا ﴾؛ للتصريح بالمؤتي وهو الله، إشارة إلى كمال الرحمة والكرم، ولن الكريم عند النفع يظهر نفسه وفعله، وعند الضر لا يذكر نفسه. الرازي، مفاتيح الغيب ١٨٠/٢٥

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢)﴾

١) علامة القلب المريض: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ الذي في قلبه مرض شهوة الزنا مستعدٌّ ينتظر أدنى محرك يحركه؛ لأنَّ قلبه مريض لا يتحمل ما يتحمل الصحيح، ولا يصبر على ما يصبر عليه، وأدنى سبب يدعوه إلى الحرام يجيب دعوته. السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦٦٣ (تصرف يسير)

٢) ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ إذا كان هذا الطمع في أمهات المؤمنين، فلا بد أن يكون في غيرهن بطريق الأولى؛ فإن الله اختار لنبيِّه أفضل النساء وأعفهن، ومع ذلك أمرهنَّ بالحجاب ونهاهنَّ عن الخضوع بالقول صيانةً لهن، فغيرهنَّ أولى بالصيانة والتحفُّظ والبعد عن أسباب العهر والفتنة. ابن جبرين، فتاواه ١٠٢/٥

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) ﴾

سمى الله مكث المرأة في بيتها قرارًا ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ وهذا المعنى من أسمى المعاني الرفيعة؛ ففيه استقرار لنفسها، وراحة لقلبها، وانشراح لصدرها، فخروجها عن هذا القرار يفضي إلى: اضطراب نفسها، وقلق وضيق صدرها، وتعرضها لما لا تحمد عقباه.

ابن باز، خطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله ٢٦

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩) ﴾

١) إذا كمل خوف العبد من ربه، لم يخف شيئًا سواه، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾، وإذا نقص خوفه، خاف من المخلوق، وعلى قدر نقص الخوف وزيادته يكون الخوف. ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٩٤/١)

٢) حمل رسالة الإسلام لا يسلم من تهديدات القوى الدنيوية: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾. إبراهيم السكران

﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧)﴾

١) من التطبيق العملي الذي كان يمارسه النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أنه كان يبشر أصحابه برمضان، ويقول: "**قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، يفتح فيه أبواب الجنة، ويغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها، فقد حرم**"[١].

٢) قال ابن عطية: قال لي أبي: هذه ارجى آية عندي في كتاب الله؛ لأن الله قد أمر نبيه أن يبشر المؤمنين بأن لهم عنده فضلاً كبيرًا، وقد بين الله تعالى الفضل الكبير في قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

المحرر الوجيز ٤٥٠/٤

[١] ابن أبي شيبة ح (٨٨٦٧)، وأحمد ح (٧١٤٨).

٣) أبشر.. أبشر بأعظم بشارة أنزلها ربك آمرًا نبيك ﷺ أن يبشر المؤمنين: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾؛ فلنحقق الإيمان في قلوبنا.

متدبر

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩)﴾

سمى الله الطلاق سراحًا، ووصفه بالجميل، وقيده بالإحسان، وأمر فيه بالتمتع فقال: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾، ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة: ٢٢٩) فهل تدبر المطلقون ذلك؟

أ.د. إبراهيم الدوسري

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٠)﴾

١) قال تعالى: ﴿ وَبَنَاتِ عَمِّكَ ﴾ فذكر العمر مفردًا، ثم لما ذكر العمات قال: ﴿ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ ﴾ بالجمع، وكذلك قال: ﴿ وَبَنَاتِ خَالِكَ ﴾ فردًا ﴿ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ ﴾ جمعًا، والحكمة في ذلك أن العمل والخال – في الإطلاق – اسم جنس، كالشاعر والراجز، وليس كذلك في العمة والخالة، وهذا عرف لغوي؛ فجاء الكلام عليه بغاية البيان لرفع الإشكال، وهذا دقيق فتأملوه.

ابن العربي، أحكام القرآن ٣/٥٩٣

٢) قال تعالى في شأن المرأة التي وهبت نفسها: ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ قال الزجاج: ولم يقل: (إن وهبت نفسها لك)؛ لأنه لو قال: (لك) جاز أن يتوهم أن ذلك يجوز لغير رسول الله ﷺ كما جاز في بنات العم وبنات العمات – والله أعلم –.

ابن الجوزي، زاد المسير ٣/٤٧٤

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) ﴾

١) ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ البعد عن مظان الريب حزم ديني، وقد يجب في بعض المواطن، ويستحب في بعضها.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٧٠

٢) ﴿ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ فلا يقل أحد غير ما قال الله! لا يقل أحد إن الاختلاط، وإزالة الحجب، والترخص في الحديث والمشاركة بين الجنسين أعون على تصريف الغريزة المكبوتة.. إلى آخر مقولات الضعاف المهازيل الجهال المحجوبين، لا يقل أحد هذا والله يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ يقول هذا عن نساء النبي الطاهرات، وعن رجال الصدر الأول ممن لا تتطاول إليهن وإليهم الأعناق!

سيد قطب، في ظلال القرآن ٢٨٧٨/٥

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾

وعبر بالنبي دون اسمه ﷺن على خلاف الغالب في حكايته تعالى عن أنبيائه عليهم السلام؛ إشعارًا بما اختص به ﷺ من مزيد الفخامة والكرامة وعلو القدر، وأكد ذلك الإشعار بـ (أل) إشارة إلى أنه المعروف الحقيق بهذا الوصف. الألوسي، روح المعاني ٢٠٤/١٦

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨)﴾

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ كتنقص أحد منهم وازدرائه لنسبه، أو بلده، أو خلقته، - وكل ذلك ليس من كسبه-؛ لذا كان العقاب شديدً اليمًا: ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾، ويدخل في هذا اتهامه فيما هو بريء منه؛ فلنتفقد قلوبنا ولنحفظ السنتنا.

أ.د. ناصر العمر

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٩)﴾

والجلباب الذي يكون فوق الثياب من ملحفة وخمار ورداء ونحوه، أي: يغطين بها وجوههن وصدورهن، ثم ذكر حكمة ذلك بقوله: ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾؛ لأنهن إن لم يحتجبن، ربما ظن أنهن غير عفيفات، فيتعرض لهن من في قلبه مرض، فيؤذيهن، وربما استهين بهن، فالاحتجاب حاسم لمطامع الطامعين فيهن.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦٧١

﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠)﴾

لما ذكر الله تعالى الحجاب: ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ أعقبها بقوله: ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ ﴾، وهكذا تجد آيات الحجاب مصاحبةً لآيات التحذير من المنافقين ومرضى القلوب، وقد تعدَّد هذا في سورة الأحزاب، وسورة النور، والواقع شاهد بذلك.

باسل الرشود

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨)﴾

عند زيارتي لبعض البلاد التي تخلصت من الظالمين، وجدت أن بعض أعوان الطغاة يعيشون ندامة ويؤسًا، بسبب وقوفهم مع الظالمين، حيث أصبح ذلك مسبة وعارًا عليهم وعلى أهلهم، فطفقوا يتبرؤون منهم، ولكن هيهات وقد سجل التاريخ! فتدبرت حال أمثالهم يوم القيامة.

أ.د. ناصر العمر

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾

١) إن اللسان السائب حبل مرخي في يد الشيطان، يصرف صاحبه كيف يشاء! ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

الغزالي، خلق المسلم ٦٨

٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ ما رأيت شيئًا أذهب بالرشد، وأجلب للضر، وأقتل للتقوى، من اللسان السائب!

الغزالي، المحاور الخمسة ٢٠٩

٣) قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ وعد من الله لمن قال قولاً سديدًا أن يصلح عمله، ويغفر ذنبه، فهل ترانا نشتري إصلاح اعمالنا وغفران ذنوبنا بتسديد أقوالنا؟

متدبر

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢)﴾

١) تحدث ابن تيمية عن صفات الفرق الناجية قائلاً:

ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس؛ فإن أتباع الظن جهل، واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم، وجماع الشر: الجهل والظلم؛ قال الله تعالى: ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾.

مجموع الفتاوى ٣٤٨/٣

٢) عجبًا لأناس يتسخطون من أقدار الله، مع أنهم يعرفون أنه الذي بيده ملكوت السموات والأرض، وأنه العليم الحكيم الخبير، بينما هم لا يحزنون لتقصيرهم وسوء تصرفاتهم، ولا يعاتبون أنفسهم على ذلك، تدبر هذه الآية التي تشخص طبيعة النفس البشرية لتتعامل معها وفق ذلك: ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾.

أ.د. ناصر العمر

سورة سبأ

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦)﴾

هذا دليل ظاهر أن الذي نراه مُعارضًا للنقل، ويقدم العقل عليه، ليس من الذين أوتوا العلم في قبيل ولا دبير ولا قليل ولا كثير.

ابن القيم، الصواعق المرسلة (٨٥١/٣)

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) ﴾

ذكر ابن العربي من معاني الفضل في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ﴾ حسن الصوت، ثم قال: والأصوات الحسنة نعمة من الله تعالى وزيادة في الخلق ومنة، وأحق ما لبست هذه الحلة النفسية والموهبة الكريمة كتاب الله؛ فنِعمُ الله إذا صرفت في الطاعات، فقد قضى بها حق النعمة.

أحكام القرآن (٣/٧)

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) ﴾

تأمل في قول الله في قصة سليمان: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾، ولم يقل: (غدوها ورواحها شهران..)؟ لعل السرَّ في ذلك – والله أعلم–: أنَّ في هذا تحديدًا لمدة سيرها من أول النهار إلى منتصفه، ومن منتصفه إلى نهايته، بينما لو قيل: غدوُّها ورواحُها شهران، لم يتضح هذا الفرق الدقيق.

الشنقيطي، أضواء البيان (٤٧٠/٣) (بتصرف)

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) ﴾

١) قال بعض السلف: لما قال الله ﷻ: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ﴾، لم يأت عليهم ساعة من ليل أو نهار إلا وفيهم مصلٍّ يصلي.

جامع العلوم والحكم (٨٥/٢)

٢) قد تسلف أيادي بيضاء لبعض الناس، وتبذل جهدًا محمودًا في سوقها؛ حتى إذا استقرت في أيديهم، نظروا إليك جامدين، أو ودعوك بكلمات باردة، ثم ولوا عنك مدبرين! هل يغضبك هذا المسلك؟ هكذا صنعوا قبلاً مع ربك وربهم فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾.

محمد الغزالي، جدد حياتك (١٠٤)

٣) فيما قصه الله – في سورة سبأ – من شأن داود واشتغاله بالصناعات عبرة!

ذلك أن "الفقه في الدنيا جزء من العقل الذي يفقه الآخرة، ولن يستطيع نصرة الإيمان أبله ولا قاعد!

وعندما تحول المسلمون إلى عالم ثالث أو رابع، نال منهم خصومهم، وأمسوا معرة لدينهم!!".

محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي (٣٢٧)

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥)﴾

إنها – والله – عبرة العبر، في وصل المبتدأ بالخبر، أين الجنتان عن يمين وشمال؟ وأين البلدة الطيبة؟ إنها رمال! وأين القرى الظاهرة والعمارة المتكاثرة؟ إنها قفار! وأين تقدير السير بالأميال لتيسير الاتصال؟ إنها اليوم مجاهل يضل فيها القطا، أجدبت الخمط والأثل، فضلاً عن العنب والنخل.

البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي (٥٣١/٣)

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) ﴾

إياك أن تكون عند حسن ظن إبليس فيك!

د. عبد الرحمن الشهري

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) ﴾

﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ فاستعملت (على) في جانب الحق، و(في) في جانب الباطل؛ لأنَّ صاحب الحقِّ كأنه مُسْتَعْلٍ يرقب نظره كيف شاء؛ ظاهرةً له الاشياء، وصاحب الباطل كأنه منغمسٌ في ظلام، ولا يدري أين توجَّه.

الزركشي، البرهان (١٧٥/٤)

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩) ﴾

﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ من توقع أن تخلف عليه نفقته، سهل عليه بذلها، سواء وقع عليه إخلافها عاجلاً أو آجلاً.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (١٧٩)

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦) ﴾

١) قال ابن هبيرة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ﴾ أن يكون قيامكم خالصًا لله ﷻ، لا لغلبة خصومكم؛ فحينئذ تفوزون بالهدى.

ذيل طبقات الحنابلة (١٤٨/٢)

٢) من أصرار هذا الدين ولطائفه أن باب عقيدته هو: التفكر! ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ آية في غاية الجمال والسمو! وإني أشهد أني مذ ذقتها، وجدت أنها بحر من الأسرار التربوية لا يعلم مداه إلا الله.

د. فريد الأنصاري، جمالية الدين (٥٦)

٣) ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ فائدة ذلك أن التفرغ لله تعالى في خلوةٍ لا يكدر صفوها أحد من الخلق، يتيح للقلب أن يتفاعل – في صفاء – مع معطيات التفكر، والشعور بمعية الله، وحقائق الكون الكبرى، ومثل ذلك لا يحصل في لغط النقاش الجماعي، وضوضاء الجدل المتعدد!

د. فريد الأنصاري، جمالية الدين (٥٧)

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ (٥٤) ﴾

١) شرب عبد الله بن عباس ﷺ ماء باردًا، فبكى فاشتد بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك؟! قال: ذكرت آية في كتاب الله: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾، فعرفت أن أهل النار لا يشتهون إلا الماء البارد، وقد قال الله ﷻ: ﴿ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ (الأعراف: ٥٠).

تفسير ابن أبي حاتم (٢٨/١٢)

٢) وأعظم العذاب أن يُمنع الإنسان عن مراده كما قال الله تعالى: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم.

أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (٤٩٦/٤)

٣) موتٌ وفوتٌ: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ فسرها بعض السلف: بأنهم اشتهوا التوبة ساعة الرحيل، قال الحسن البصري رحمه الله: "اتق الله يا ابن آدم، لا يجتمع عليك خصلتان: سكرة الموت، وحسرة الفوت".

تفسير ابن رجب (٣٠٤/١)

٤) إذا جاء الموت، وطويت صحائف الأعمال، ووجدت عِظَم ثواب الحسنات وعِظَم عقاب السيئات، تمنيت أن تُسَبِّح تسبيحة واحدة أو تصلي ركعة فلا تستطيع ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية (٤٩)

سورة فاطر

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥)﴾

تضمنت الآية غرورين:

- غرورًا يغتره المرء من تلقاء نفسه ويزين لنفسه من المظاهر الفاتنة التي تلوح له في هذه الدنيا ما يتوهمه خيرًا ولا ينظر في عواقبه بحيث تخفى مضاره في بادئ الرأي ولا يظن أنه من الشيطان.

- غرورًا يتلقاه ممن يغره وهو الشيطان.

وكذلك الغرور كله في هذا العالم بعضه يمليه المرء على نفسه وبعضه يتلقاه من شياطين الإنس والجن. ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥٩/٢٢)

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)﴾

الأمر باتخاذه عدوًا تنبيه على استفراغ الوسع في محاربته، ومجاهدته، كأنه عدو لا يفتر ولا يقصر عن محاربة العبد على عدد الأنفاس.

ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد (٦/٣)

﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآَهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨) ﴾

١) بقدر ضعف الإيمان ونقص الإخلاص؛ ستبدو الأشياء التي حرَّم الله جميلة في العين والقلب، مهما كان قبحها في الواقع: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآَهُ حَسَنًا ﴾، والذي زينها هو الشيطان؛ إذ تعهد بذلك أمام ربه: ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر: ٣٩ – ٤٠).

أ.د. ناصر العمر

٢) قد يعجب الإنسان من استمرار بعض الناس على خطأ ظاهر كيف خفي عليه؟ لكن يزول عجبه حين يقراك ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾؛ فحريّ بالعبد أن يسأل ربه أن يريه الحق حقًا، والباطل باطلاً، وأن يدخله في عباده المهتدين.

متدبر

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (١٠)﴾

١) المعصية تورث الذل ولا بد، فإن العز كل العز في طاعة الله تعالى، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي: فليطلبها بطاعة الله؛ فإنه لا يجدها إلا في طاعة الله.

ابن القيم، الجواب الكافي (٥٩)

٢) ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ من أطاع الله، فقد والاه فيما أطاعه فيه، وله من العز بحسب طاعته، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه، وله من الذل بحسب معصيته. ابن القيم، الجواب الكافي (١٨٠)

٣) كل قول – ولو كان طيبًا – لا يصدِّقه عمل، لا يرفعُ إلى الله، ولا يحظى بقبوله، ودليل ذلك: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ أي: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وهذا يبين لك سرًّا من أسرار قبول الخلق لبعض الواعظين، وإعراضهم عن آخرين.

د. محمد الخضيري

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١١)﴾

تأمل هذه الآية: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ قف قليلاً، وتفكر! كم في هذه اللحظة من أنثى آدمية وغير آدمية؟ وكم من أنثى تزحف، وأخرى تمشي، وثالثة تطير، ورابعة تسبح! هي في هذه اللحظة تحمل أو تضع حملها؟! إنها بالمليارات! وكل ذلك لا يخفى على الله تعالى! فما أعظمه من درس في تربية القلب بهذه الصفة العظيمة: صفة العلم. د. عمر المقبل

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)﴾

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ تأمل كيف بيّن شدة الاختلاف والتباين بين البحرين، ثم صرف أنظارنا إلى أجمل وأفضل ما فيها ﴿ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ الآية. فلو أننا ركزنا على الوجه المشرق لما نعايشه في حياتنا واستثمرنا ذلك بإيجابية وواقعية، لاختلفت نظرتنا للحياة مهما كانت الظروف المحيطة بنا.

أ.د. ناصر العمر

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥)﴾

١) العبد له في كل نفس ولحظة وطرفة عين عدة حوائج إلى الله، لا يشعر بكثير منها؛ فأفقر الناس إلى الله من شعر بهذه الحاجات، وطلبها من معدنها بطريقها ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾. ابن القيم، طريق الهجرتين (٨٨)

٢) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ الفقر إلى الله ﷻ هو عين الغنى به؛ فأفقر الناس إلى الله اغناهم به، واذلهم له أعزهم، واضعفهم بين يديه أقواهم، وأجهلهم عند نفسه أعلمهم بالله. ابن القيم، طريق الهجرتين (٦٥)

٣) تدبرُ آية ينقل قرى رافضية عراقية إلى السنة:

صرح أحد المهتدين إلى السنة بأن سبب هدايته هو تدبره لقوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ﴾ لكن كيف تأثر بها؟

يقول هذا الأخ المهتدي: فلما تأملت قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ قلت: يا ناس علي فقير! والأئمة فقراء! ونحن فقراء إلى الله، فلماذا ندعوهم من دون الله؟ ومن هنا ابتدأت قصة الهداية للسنة، فلما ذاق طعمها، دعا إليها؛ فاهتدى على يده قرى شيعية بأكملها، فما أعظم بركات التدبر؟[1]

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٢٢) ﴾

شبه سبحانه من لا يستجيب لرسوله بأصحاب القبور، وهذا من أحسن التشبيه، فإن أبدانهم قبور قلوبهم! فقد ماتت قلوبهم وقبرت في أبدانهم.

ابن القيم، إغاثة اللهفان (٢٢/١)

﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) ﴾

١) قال تعالى في صورة فاطر: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾، وقال في سورة البينة: ﴿ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ إلى قوله: ﴿ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ (البينة: ٧ – ٨)، فاقتضت الآيتان: أنَّ العلماء هم الذين يخشون الله تعالى، وأن الذين يخشون الله تعالى هم خير البريَّة؛ فتبيَّن بهذا: أنَّ العلماء هم خير البرية.

ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم (٦)

٢) ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ إذا أراد الإنسان أن يعرف أن علمه نافع، فلينظر إلى كسر هذا العلم لقلبه لله، فإن وجد أنه يزداد خشية لله ومعرفة به، ويذهب عنه طفرة الغرور، فقد انتفع بعلمه.

د. محمد الشنقيطي، شرح زاد المستنقع، باب صلاة التطوع

[1] صرح بذلك أحد الإخوة في قناة صفا الفضائية.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) ﴾

١) قال خباب بن الأرت ﷺ: فضّل الله ﷻ أهل التلاوة للقرآن بتلاوته، وأخبر أنهم يقومون بأمره فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ يخبرهم أن تجارتهم في الآخرة هي الرابحة، وأنها لا تكسد عنده؛ حت يوفيهم أجورهم من الجنة.

فهم القرآن للمحاسبي (٢٩٧)

٢) تجارة لا يمكن سرقتها..

تأمل قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ ماذا يرجون؟ ﴿ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴾ يرجون تجارة لا يسطو عليها لص ولا سارق، ولا يخاف عليها من كساد، إنما هي رابحة لن تبور ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ (فاطر: ٣٠)، فهي تجارة رابحة – أيها الإخوان – فأين المشترون؟

د. عبد الكريم الخضير

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) ﴾

١) قيل في سبب تقديم الظالم لنفسه على السابق بالخيرات – مع أن السابق أعلى مرتبة منه–؛ لئلا ييأس الظالم من رحمة الله، وأخر السابق؛ لئلا يعجب بعمله.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣٤٩/١٤)

٢) قدم الظالم لكثرته، ثم المقتصد وهو أقل ممن قبله، ثم السابقين وهم أقل، فإن قُلتك لِمَ قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق؟ قلت: للإيذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم، والسابقون أقل من القليل. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣٤٩/١٤)

٣) قال الله تعالى: ﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ عند ذكر السابق إلى الخيرات؛ لئلا يغتر بعمله، بل ما سبق إلى الخيرات إلا بتوفيق الله تعالى ومعونته؛ فينبغي له أن يشتغل بشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٦٨٩)

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤)﴾

١) قال إبراهيم التيمي: ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار؛ لأن أهل الجنة قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة؛ لأنهم قالواك ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ (الطور: ٢٦).

حلية الاولياء (٢١٥/٤)

٢) قال الحسن البصري رحمه الله: إن المؤمنين قوم ذلت – والله – منهم الأسماع والأبصار والأبدان؛ حتى حسبهم الجاهل مرضى، وهم – والله – أصحاب القلوب، ألا تراه يقول: ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ والله لقد كابدوا في الدنيا حزنًا شديدًا، والله ما أحزنهم ما أحزن الناس، ولكن أبكاهم وأحزنهم الخوف من النار.

التخويف من النار لابن رجب (٣٤)

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧)﴾

١) إلى من عاش إلى هذه اللحظات:

تأمل! ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ ﴾ من عرف شرف العمر وقيمته، لم يفرط في لحظة منه؛ فلينظر الشاب في حراسة بضاعته، وليحتفظ الكهل بقدر استطاعته، وليتزود الشيخ للحاق جماعته، ولينظر الهرم أن يؤخذ من ساعته.

ابن الجوزي، تنبيه النائم الغمر على مواسم العُمْر (٥)

٢) ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ ﴾ قال ابن الجوزي: إذا انتصف شهر رمضان، فقد ذهب نصف البضاعة في التفريط والإضاعة، والتسويف يمحق ساعة بعد ساعة، والشمس والقمر بحسبان، ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ (البقرة: ١٨٥) يا واقفًا في مقام التحيُّر، هل أنت على عزم التغير؟ إلى متى ترضى بالنزول في منزل الهوان، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾.

التبصرة لابن الجوزي (٨٩/٢)

٣) إنما حَسُنَ طولُ العمر ونفع؛ ليحصل التذكر والاستدراك، واغتنام الفرص، والتوبة النصوح، كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ ﴾، فمن لم يُورِّثه التعمير وطول البقاء إصلاحَ معائبه، واغتنامَ بقية أنفاسه، فيعمل على حياة قلبه، وحصول النعيم المقيم، وإلا؛ فلا خير له في حياته.

ابن القيم، الفوائد (١٨٩)

٤) هو حديث يتكرر عن مضي عام وقدوم آخر، لكن انظر إلى بعض طرق القرآن وهو يربي أهله – حين يتحدث عن الزمن–! ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ ﴾؟!

يا له من سؤال! ويا لحسرة المفرطين!

د. عمر المقبل

﴿ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣)﴾

١) قال علي ﷺ: ثلاث هن راجعات إلى أهلها: المكر، والنكث، والبغي، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾، وقوله: ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ (الفتح: ١٠)، وقوله: ﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ (يونس: ٢٣).

محاضرات الأدباء (٣٥٤/١)

٢) ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ قال ابن القيم رحمه الله: "وقد شاهد الناسُ عيانًا أنَّ مَن عاش بالمكر مات بالفقر"، ثم ذكر أمثلة كثيرة ومهمة كأنها تحكي واقع الناس اليوم، تحسن مراجعتها في أواخر المجلد الأول من "إغاثة اللهفان".

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٣٥٨/١)

سورة يس

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢)﴾

١) هل وقفت مع هذه الآية شارحًا للناس أثر الوقف في دعم مشاريع الأمة الخيرية باستقلال وحرية، ومبيِّنًا عظيم أجر الواقفين وديمومته؟ بل هل وضعت لك برنامجًا لإقامة وقف ينفعك في حياتك وبعد مماتك، كما تخطط بجد ومثابرة لبناء مسكن لك ولأولادك؟

أ.د. ناصر العمر

٢) تدبَّر كلمة: ﴿ وَآَثَارَهُمْ ﴾ تجد أنَّ للاعمال أثرًا بعد موت صاحبها حسنة كانت أم سيِّئة، وستكون ظاهرةً له يوم القيامة؛ فاحرص ان يكون لك أثرًا في دنياك ترى نفعه يوم القيامة.

د. عبد المحسن المطيري

٣) ابحث عن آثارك بعد موتك؛ فإن ربك يقول: ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ ﴾! يموت اثنان، فتأمل الفرق بين آثارهم: قارئ ومغن! ظالم وعادل! داعية للسنة وآخر للبدعة!

د. عمر المقبل

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠)﴾

كثيرٌ من ابناء الإسلام يرى أنه لا يصلح لخدمة الدين إلا العلماء والدعاة الذين لهم باعٌ طويل في العلم والدعوة، فإذا قارن حالَه بحالهم، وجد مسافةً بعيدةً؛ فلا يلبث ان يضعف عزمه، وتفتر همَّته؛ فيعيش سلبيًا لا يقدم لدينه! لا، بل كل فرد مهما كانت حاله يصلح لنصرة دينه إذا سلك الطريق الصحيح في ذلك. قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾.. فاعتبر.

د. محمد العواجي

﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١)﴾

فيها دلالة إلى أن تشوّف الداعي إلى ما في أيدي القوم، وتطلعه إلى أن ينال من وراء إرشاده شيئًا من متاع هذه الحياة؛ قادح في صدقه، وداخل في الريبة في إخلاصه.

محمد الخضر حسين، مجموعة مؤلفاته (٢٢٩٨/٥)

﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) ﴾

١) كم في هذه الآية من معان سامية؟ كظم للغيظ، وحلم عن الجهال، ورأفة بمن آذوه، والاشتغال عن الشماتة بهم والدعاء عليهم! ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته، والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام؟ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/١٥) (بتصرف)

٢) فليعلم المؤمن أن هذه الوحشة لا تدوم، بل هي من عوارض الطريق فسوف تبدو له الخيام وسوف يخرج إليه المتلقون يهنئونه بالسلامة والوصول إليهم؛ فيا قرة عينه إذ ذاك ويا فرحته إذ يقول: ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾. ابن القيم، طريق الهجرتين (٢٨٦)

٣) أعظم امنيات الداعية الصادق تحقيق السعادة للمدعوين، قال قتادة رحمه الله: لا تلقى المؤمن إلا ناصحًا، لا تلقاه غاشًا؛ لَمَّا عاين من كرامة الله؛ تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله له. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦٨٦/٣)

﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠)﴾

١) أما تستحي من استبطائك هجوم الموت، اقتداء برعاع الغافلين، الذين ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾، فيأتيهم المر؛ نذيرًا من الموت فلا ينزجرون، ويأتيهم الشيب؛ رسولاص منه فما يعتبرون، ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (يس: ٣٠). الغزالي، الإحياء (٦٥/٤)

٢) ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ كأن الوصية أهم ما يعنى به من يفجؤه الموت، فبادر إلى كتابة وصيتك من الآن؛ فإنك لا تدري ما يعرض لك.

د. عبد الرحمن الشهري

﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) ﴾

كنت في طريقي في هذه الإجازة لفعل الفاحشة وفجأة، تذكرت وقوفي بين يدي الله وتذكرت هذه الآية: ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فغيرت مساري، ورجعت لبيتي، فحمدت الله على فضله أن عصمني من كبيرة من كبائر الذنوب بسبب تدبر هذه الآية.

متدبر

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١)﴾

ما الحكمة في التنصيص على الأنعام في هذه الآية؟ يقول القاسمي رحمه الله: "والسر في إفراده هذه النعمة، والتذكير بها دون غيرها من نعمه وأياديه، أن بها حياة العرب وقوام معاشهم؛ إذ منها طعامهم وشرابهم ولباسهم وأثاثهم وخباؤهم وركوبهم وجمالهم، فلولا تفضله عليهم بتذليلها لهم، لما قامت لهم قائمة".

محاسن التأويل (٧/٢٤١)

سورة الصافات

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤)﴾

قال رجل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: كيف يحاسب الله العباد في يوم؟ قال علي ﷺ: يحاسبهم في يوم كما يرزقهم في يوم. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٣٥/٢)

﴿ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢)﴾

إذا قرأت قصص الكرم في التاريخ القديم أو الحديث، فإنك تتعجب جدًا من ذلك! وحينما قرأتُ قوله تعالى – عن أهل الجنة –: ﴿ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾، تصاغرت في عيني كل قصص الكرم وذهب الذهن كل مذهب، وإذا كان الذي سيكرمهم رب العالمين، فأي عبارة يمكن أن تصف هذا الكرم؟! د. عمر المقبل

﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) ﴾

من نعيم أهل الجنة: وصف نسائهن بأنهن: ﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾؛ لِمَا لغض البصر من جميل الأثر وهو جمال المرأة المعنوي، فكيف مع كثرة الفتن في هذه الدنيا؟!

د. عبد الله الغفيلي

﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (٥٦)﴾

كثير من البباء لا يدركون خطورة القرناء على أبنائهم؛ فلا يتحققون من أفكارهم وتوجُّهاتهم، بل قد يكتفون بمظاهر قد تخدعهم، أو أسباب قدرية للعلاقة لا تنفعهم: كالقرابة والزمالة والجوار، وينسون أنَّ الحمو الموت، فتدبر قصة هذا القرين: ﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾، وتحقق من قرناء ابنك قبل فوات الأوان. أ.د. ناصر العمر

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) ﴾

ختمت قصة نوح بـ" ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ فكل من أحسن فالله يجزيه كما جزى نوحًا ﷺ، والذي جزاه الله بأمرينك بما ترك عليه في الآخرين، وبما سلمه في العالمين.

وكذلك من كان مؤمنًا بالله، محسنًا في عبادته، وإلى عباده، فالله يجزيه كما جزى نوحًا: ينجيه من الهلاك، ويُسلِّم عرضه من الذكر السيء، ويلقي محبته وثناء الناس على ألسنة الخلق.

ابن عثيمين، تفسير سورة الصافات (١٨٢ – ١٨٨)

﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤)﴾

لن يكمل جمال مظهرك في العيد إلا بتحقق جمال مخبرك، ولن يتم ذلك إلا بسلامة القلب وخلوصه من الضغائن والبغضاء والآثام؛ فلنكن كابينا إبراهيم عليه السلام ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، وبذلك أمر الله نبينا محمد ﷺ: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ (المدثر: ٤)، أي: قلبك.

أ.د. ناصر العمر

﴿ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧)﴾

١) من تأمل هذا الموضع حق التأمل، علم أن حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه؛ فإن العبد إنما يحمله على حسن العمل ظنه بربه أن يجازيه على أعماله، ويثيبه عليها ويتقبلها منه، فالذي حمله على العمل حسن الظن، فكلما حسن ظنه، حسن عمله.

ابن القيم، الجواب الكافي (٢٧)

٢) الثقة بالله شقَّت لموسى عليه السلام البحر، وبرَّدت النار على إبراهيم عليه السلام، ونجَّت محمدًا ﷺ في الغار.. هذه الثقة بالله لا يذوق حلاوتها إلا من عرف الله!

د. عبد المحسن المطيري

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢)﴾

تأمل قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ فقوله: ﴿ مَعَهُ ﴾ تبين أهمية مرافقة الأب لابنه ومصاحبته له والذي يثمر – غالبًا – سمعًا وطاعة واستجابة؛ ولذا قال هذا الابن البار – لما عرض عليه أبوه أمر الذبح–: ﴿ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾.

﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤)﴾

قال الضحاك بن قيس: اذكروا الله في الرخاء، يذكركم في الشدة؛ إن يونس عليه السلام كان عبدًا صالحًا، وكان يذكر الله، فلما وقع في بطن الحوت، سأل الله؛ فقال الله: ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ وإن فرعون كان عبدًا طاغيًا ناسيًا لذكر الله تعالى، فلما أدركه الغرق، قال: (آمنت)؛ فقال الله: ﴿ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ (يونس: ٩١)؛ فاجعل لك ذخائر خيرٍ من تقوى، تجد تأثيرها.

سورة ص

﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١)﴾

هنا ملمح جميل: تأمل كيف أضيفت كلمة ﴿ ذِي ﴾ إلى الذكر، والذكر هو القرآن، وكلمة (ذي) لا تضاف إلا إلى الأشياء الرفيعة التي يقصد التنويه بشانها، أما قرأت قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾؟ (الرحمن: ٧٨)، وقوله: ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾؟ ،الكهف: ٥٨)، ولا نجد وربك الغفور صاحب الرحمة، لأن الكلام عن الله ﷻ.

د. عويض العطوي

﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) ﴾

﴿ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ أعداء الرسل لا يعادونهم عداءً شخصيًا، وإنما عداءً منهجيًا؛ ويتفرع على هذا أنَّ الكافرين سيكونون أعداءً لكلِّ من يتبع الرسول ﷺ.

ابن عثيمين، تفسير سورة ص (٢٦)

﴿ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦)﴾

١) ﴿ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ أي: له قصد ونية غير صالحة، وهذه شبهة لا تروج إلا على السفهاء؛ فإن من دعا إلى قول حق أو غير حق، لا يرد قوله بالقدح في نيته، وإنما يرد بمقابلته بما يبطله بالحجج والبراهين.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٧٠٩)

٢) عندما تنتصر في جولة مع الباطلن فاحذر أن تتصور انتهاء المعركة معه؛ فأهل الباطل أصبر على نصر باطلهم من صبر كثير من أهل الحق على نصرة الحق، وهذه الآيات تكشف الحقيقة: ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾، ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ (الفرقان: ٤٢).

أ.د. ناصر العمر

﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآَخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٧)﴾

هذه حجة من ليس عنده علم شرعي، تنهاه عن المنكر، فيقول: ما سمعنا بهذا، هذا دين جديد، مازال الناس على عكس ما تقول... إلخ، والحجة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

ابن عثيمين، تفسير سورة ص (٤٤)

﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) ﴾

قال ابن عباس ﷺ: كان في نفسي شيء من صلاة الضحى، حتى وجدتها في القرآن: ﴿يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/١٦٠)

تعليق: وهذا محمول على أن ابن عباس لم تبلغه أحاديث صلاة الضحى.

﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣)﴾

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ لباقة هذين الخصمين حيث لم تثر هذه الخصومة ضغينتهما؛ لقوله: ﴿ هَذَا أَخِي ﴾ مع أنه قال في الاول: ﴿ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ﴾ (ص: ٢٢)، لكن هذا البغي لم تذهب معه الأخوة.

ابن عثيمين، تفسير سورة ص (١١٦)

﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤)﴾

الإيمان والعمل الصالح من أعظم ما يضبط مسار المعاملات المالية؛ ألم يقل الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾، فأين دعاة الفصل بين الدين والحياة؟!

د. عمر المقبل

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آَيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩) ﴾

١) فإن من لم يتدبر ولم يتأمل ولم يساعده التوفيق الإلهي، لم يقف على الأسرار العجيبة المذكورة في هذا القرآن العظيم.

الرازي، مفاتيح الغيب (٢٦/٣٨٩)

٢) يجب على من عَلِمَ كتاب الله أن يزدجر بنواهيه، ويخشى الله ويتقيه، ويراقبه ويستجيب؛ فإنه حُمِّلَ أعباءَ الرسل، وصار شهيدًا في القيامة على من خالف من أهل الملل، فالواجب على من خصه الله بحفظ كتابه: أن يتلوه حق تلاوتهن ويتدبر حقائق عبارته، ويتفهم عجائبه، ويتبين غرائبه.

القرطبي، مقدمة الجامع لأحكام القرآن (٢/١)

٣) التأمل في القرآن: هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره، وتعلقه، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم، ولا تدبر.

ابن القيم، مدارج السالكين (٤٠٥/١)

٤) لو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر، لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكر حتى مر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه؛ كررها ولو مائة مرة ولو ليلة؛ فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم. ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١٨٧/١)

٥) لا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر؛ فإنه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين. ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١٨٧/١)

٦) قال السعدي رحمه الله معلقًا على قوله تعالى: ﴿ لِيَدَّبَّرُوا آَيَاتِهِ ﴾: هذه الحكمة من إنزاله؛ ليتدبر الناس آياته فيستخرجوا علمها، ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتامل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة؛ تدرك بركته وخيره، والقراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود.

تيسير الكريم الرحمن (٧١٢)

٧) فما أولانا بتدبر كتابه الكريم تدبر من يريد العلم ومن هو مؤمن بهذا الكتاب العظيم وأنه كلام الله حقًا، قاصدين معرفة مراد ربهم ﷻ، والعمل بذلك عملاً بقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ مستشعرين قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: ٩)، وقولهك ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ (فصلت: ٤٤).

ابن باز، مجموع فتاواه (٣٠٢/٢)

٨) سئل الشيخ ابن باز: هل هناك فرق في الأجر بين قراءة القرآن من المصحف أو عن ظهر قلب؟ فأجابك لا أعلم دليلاً يفرق بينهما، وإنما المشروع التدبر وإحضار القلب، فإذا كانت القراءة عن ظهر قلب أخشع لقلبه وأقرب إلى تدبر القرآن، فهي أفضل، وإن كانت القراءة من المصحف اخشع لقلبه وأكمل في تدبره، كانت افضل.

مجموع فتاوى ابن باز (٣٥٢/٢٤)

فتأمل – وفقك الله – كيف دار جواب الشيخ على حضور القلب والتدبر، فليتنا نتدبر هذا الجواب؛ لنتدبر أعظم كتاب.

﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣)﴾

لما ألهت الخيل سليمان بن داود ﷺ عن صلاته، دعا بتلك الخيل، فجعل يقتلها، ويضرب اعناقها وسوقها؛ انتقامًا من نفسه، فانتقم من نفسه التي لهت بهذه الصافنات الجياد عن ذكر الله؛ فإذا رأيت شيئًا من مالك يصدك عن ذكر الله، فتباعد عنه قدر استطاعتك، قبل أن يبعدك عن الله.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (١٤٨/١ – ١٤٩)

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥)﴾

١) فبدأ بطلب المغفرة قبل طلب المُلك العظيم؛ وذلك لأنَّ زوال أثر الذنوب هو الذي يحصل به المقصود، فالذنوب تتراكم على القلب، وتمنعه كثيرًا من المصالح، فعلى المؤمن أن يسأل ربَّه التخلص من هذه الذنوب قبل أن يسأل ما يريد.

ابن عثيمين، تفسير سورة ص (١٦٧)

٢) وفي هذه الآية أدب من آداب الدعاء: وهو تعظيم الرغبة، وعلو الهمة في الطلب، فسليمان ﷺ لم يكتف بسؤال الله المغفرة؛ ولكنه – لعلو همته وعلمه بسعة فضل ربه – سأله مع ذلك ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فأجاب الله دعاءه، وسخر له الريح، والشياطين، بل وله في الآخرة زلفى وحسن مآب.

د. محمد الحمد

﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤) ﴾

١) قال الإمام سفيان بن عيينه رحمه الله: إني قرأت القرآن فوجدت صفة سليمان عليه السلام مع العافية التي كان فيها: ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ووجدت صفة ايوب عليه السلام مع البلاء الذي كان فيه: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾، فاستوت الصفتان، وهذا مبتلى، فوجدت الشكر قد قام مقام الصبر، فلما اعتدلا كانت العافية مع الشكر أحب إليَّ من البلاء مع الصبر.

تهذيب الكمال ١٩٣/١١

٢) قال تعالى في الثناء على أيوب عليه السلام: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ فأطلق عليه: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ بكونه وجده صابرًا، وهذا يدل على أن من لم يصبر إذا ابتلي، فإنه: بئس العبد.

ابن القيم، عدة الصابرين (٦٠)

﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦)﴾

قال تعالى عن خيار رسله: ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾، تذكُّر الدار الآخرة والتذكير بها، والعمل لها؛ من نعم الله الخالصة على أوليائه المصطفين الأخيار.

قال قتادة رحمه الله: كانوا يذكِّرون الناس الدار الآخرة والعمل لها.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥١/٤)

﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠)﴾

١) إنما قال: ﴿ مُفَتَّحَةً ﴾ ولم يقل (مفتوحة)؛ لأنها تُفتح لهم بالأمر لا بالمس.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢١٩/١٥)

٢) ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ تأملها، تجد تحتها معنًى بديعًا، فهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها بل تبقى مفتحة، بعكس أبواب النار فهي موصدة على اهلها.

١-ذهابهم وإيابهم وتبوئهم من الجنة حيث شاؤوا.
٢-دخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف.
٣-أنها دار أمن، لا يحتاجون إلى غلق الأبواب كما في الدنيا.

ابن القيم، حادي الارواح إلى بلاد الأفراح (٣٩)

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) ﴾

١) ليحذر كلَّ الحذر من طغيان: (أنا، ولي، وعندي)؛ فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابتلي بها (إبليس، وفرعون، وقارون): ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ﴾ لإبليس، و﴿ لِي مُلْكُ مِصْرَ ﴾ (الزخرف: ٥١) لفرعون، و﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ (القصص: ٧٨) لقارون.

ابن القيم، زاد المعاد (٤٢٨/٢)

٢) في قول إبليس: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ علق الشنقيطي على ذلك فقال: بل الطين خيرٌ من النار؛ لأن طبيعة النار الخفة والطيش والإفساد والتفريق، وطبيعة الطين الرزانة والإصلاح، تودعه الحبة فيعطيكها سنبلة، والنواة فيعطيكها نخلة، فانظر إلى الرياض الناضرة وما فيها من الثمار اللذيذة، والأزهار الجميلة، والروائح الطيبة؛ تعلم أن الطين خير من النار

أضواء البيان (٣٣/١)

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) ﴾

تعهد الشيطان أمام الله سبحانه: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فتدبر كيف وصلت الحال: فمع ان الشيطان يعترف بالله ربًا، بل ويدعوه: ﴿ فَأَنْظِرْنِي ﴾ (ص: ٧٩) ثم يأتي (من بني أدم) من تعداه في الإجرام واغواية ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ (النازعات: ٢٤)! بل وينفي الألوهية مطلقًا: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ (القصص: ٣٨)!

فأي أمان بعد ذلك إلا لمن اصطفاه الله: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ (الحجر: ٤٢).

فاللَّهُمَّ سلم سلم

أ.د. ناصر العمر

سورة الزمر

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)﴾

١) انكشف لأرباب القلوب ببصيرة الإيمان وأنوار القرآن أن لا وصول إلى السعادة إلا بالعلم والعبادة، فالناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعلمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾.

أبو حامد الغزالي، الإحياء (٣٦٢/٤)

٢) حرارة الإخلاص تنطفئ رويدًا رويدًا، كلما هاجت في النفس نوازع الاثرة، وحب الثناء، والتطلع إلى الجاه وبُعد الصيت، والرغبة في العلو والافتخار ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم (٦٣)

﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠)﴾

١) قال عمر بن عبد العزيز: ما أنعم الله على عبدٍ نعمةً فانتزعها منه، فعاضه من ذلك الصبر إلا كان ما عاضه الله أفضل مما انتزع منه، ثم قرأ: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

البيان والتبيين (٤٥٦/١)

٢) ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ذكر بعض المفسرين أنها في الصائمين؛ لأن رمضان شهر الصبر.. وليس المراد الصبر عن المفطرات فحسب، بل يشمل الصبر عن كل ما يؤثر على الصيام، وبالاخص اللغو والمعاصي كما في الحديث: "**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه**"[1]. فاحذر أن تفرِّط بوعد الله: "**الصوم لي وأنا أجزي به**"[2].

أ.د. ناصر العمر

[1] البخاري ح (٦٠٥٧).

[2] البخاري ح (٧٤٩٢)، ومسلم ح (١١٥١)، والنسائي ح (٢٢١١)، وأحمد ح (٩١١٢).

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)﴾

١) أهل العقول الراجحة والقلوب الزاكية يحسنون الاستماع لما ينفعهم، ويميزون بين الحسن والأحسن، ويتبعون الأحسن، وهؤلاء هم الذين استحقوا البشرى من ربهم، فما أعظمه من ثناء! وما أشد غفلة الكثير من تدبر مثل هذه الآيات!

د. محمد القحطاني

٢) قال وهب بن منبه: من أدب الاستماع: سكون الجوارح، وغض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل، والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧٦/١١)

٣) كثيرًا ما يصفُ الناسُ الرَّجلَ الماهر في جمع حطام الدنيا بالذكاء، ورجاحة العقل، بخلاف الرجل الذي يجتهد في تحصيل أجور الآخرة بالعمل الصالح، والله سبحانه وصف المتقين والمتذكرين والعاملين والمهتدين بأنهم هم أصحاب العقول حقًّا: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾. فهد العيبان

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣) ﴾

١) وصف الله كتابه بأنه ﴿ مَثَانِيَ ﴾ أي: تثنى فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وتثنى فيه أسماء الله وصفاته، وكذلك القلب يحتاج دائمًا إلى تكرر معاني كلام الله تعالى عليه، فينبغي لقارئ القرآن، المتدبر لمعانيه، ألَّا يدع التدبر في جميع المواضع منه؛ فإنه يحصل له بسبب ذلك خير كثير، ونفع غزير. السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٧٢٢)

٢) قال ابن جريج: إذا سمعوا ذكر النار والوعيد اقشعروا، ثم تلين جلودهم إذا سمعوا ذكر الجنة.

فهم القرآن للمحاسبي (٢٧٩)

٣) لما كان القرآن في غاية الجزالة والبلاغة، اقشعرت الجلود منه؛ إعظامًا له، وتعجبًا من حسن ترصيعه، وتهيبًا لما فيه. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٥٠)

٤) ما قرأ العبدُ الآيات حاضر القلب متفكِّرًا متأمِّلًا، إلَّا وجدت العين تدمع والقلب يخشع، والنفس تتوهج إيمانًا تريد المسير إلى الله، وإذا بأرض القلب تتقلب خصبة طريَّة، قد اقشعر جلده وقلبه من خشية الله تعالى.

د. محمد المختار الشنقيطي، مجموعة دروس للشيخ على الشبكة

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨)﴾

ومن تدبره ما خالفه، عرف أن القدح كله فيما خالفه.

ابن القيم، الصواعق المرسلة (١١٢٧/٣)

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥)﴾

١) تأمَّل في نفرة كثير من غلاة المدنية من نصوص القرآن والسنة، وابتهاجهم بذكر الأعلام والمفاهيم الغريبة وقارنها بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

إبراهيم السكران، مآلات الخطاب المدني (١٢٧)

٢) القلوب الميتة لا تطيق حب الله؛ فتتسلى بحب من سواه. أ.د. ناصر العمر

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧)﴾

١) قام ابن المنكدر يصلي من الليل، فكثر بكاؤه في صلاته، ففزع أهله، فأرسلوا إلى صديقه أبي حازم، فسأله: ما الذي أبكاك؟ فقال: مرَّ بي قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾! فبكى أبو حازم معه واشتد بكاؤهما، فقال أهل ابن المنكدر: جئنا بك؛ لتفرج عنه فزدته! فأخبرهم ما الذي أبكاهما.

صفوة الصفوة (١٤٢/٢)

٢) قال أبو بكر العابد: سمعت الفضيل بن عياض يقول في قول الله ﷻ: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ قال: أُتوا بأعمال ظنوها حسنات فإذا هي سيئات! قال بكر: فرأيت يحيى بن معين بكى! تاريخ بغداد (٢٦٢/١٣)

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾

١) قال ابن مسعود ﷺ: ما في القرآن آية أعظم فرجًا من آية سورة الغرف – أي: الزمر –: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. الإتقان في علوم القرآن (١٤٩/٤)

يقول أحدُهم: كلَّما ضاقت بي الدنيا صلَّيت وقرأت هذه الآية، فاتسع كلُّ ضيق، وانفرج كل مضيق.

٢) قال ابن عباس ﷺ لابن عمرو بن العاص: أي آية في القرآن ارجى عندك؟ فقال: قول الله: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا ﴾، فقال ابن عباس: لكن أنا اقول: قول الله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى﴾ (البقرة: ٢٦٠)، فرضي من إبراهيم قوله: ﴿بَلَى﴾ فهذا لما يعرض في الصدور، ويوسوس به الشيطان. تفسير ابن أبي حاتم (٢٨٨/٢)

٣) قال حميد بن هشام: قلتُ لأبي سليمان بن عطية: يا عم، لم تُشدِّد علينا، وقد قال الله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾؟ فقال: اقرأ بقية الآيات، فقرأت: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ قال: اقرأ، فقرأت: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ الآيات، فمسح رأسي، وقال: يا بنيَّ، اتق الله وخفه وارجه.

تاريخ دمشق (٣٠٥/١٥)

٤) إنها الرحمة التي تسع كل معصية مهما كانت، إنها دعوة العصاة المبعدين في تيه الضلال إلى الأمل والثقة بعفو الله، فإذا ما تسلطت عليه لحظة يأس وقنوط، سمع هذا النداء الندي اللطيف الذي يعلن أنه ليس بين المسرف على نفسه إلا الدخول في هذا الباب الذي ليس عليه بواب يمنع، ولا يحتاج من يلج فيه إلى استئذان.

سيد قطب، في ظلال القرآن (٣٠٥٨/٥)

٥) كثيرون يتلون هذه الآية فتنصرف أفئدتهم إلى بعض من يعرفون ممن أسرف على نفسه، دون أن يشعروا أنهم معنيون بذلك ابتداءً! وهذا من أخطر أنواع الإسراف؛ لما في ذلك من التزكية للنفس، والغفلة عن محقرات الذنوب حتى يهلك.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣)﴾

١) في خواتيم سورة الزمر: قال الله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ بينما قال في أهل الجنة: ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ السبب: أن في هذه الآية إشارة إلى الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ التي يشفع فيها لأهل الجنة حين يأتون فيجدون باب الجنة مغلقًا؛ فيشفع لهم ﷺ في دخولها فيدخلونها.

ابن عثيمين، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٨٤/٣)

٢) قال في قدوم المتقين إلى الجنة زمرًا: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ أي: أنهم بعدما أذن الله لهم بدخول الجنة جاؤوها وقد وجدوا الأبواب مفتوحة تهيئة وترحيبًا بقدومهم، كما تفتح الأبواب قبل قدوم ضيف عزيز كريم.

فهل نحن قد استعددنا لقدوم رمضان وفتحنا له قلوبنا، وهيأنا أنفسنا للقيام بحقه، كما يستعد المضيف لتكريم ضيفه العظيم؟!

أ.د. ناصر العمر

سورة غافر

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧)﴾

١) بشراك ايها التائب! ها هم حملة عرش الرحمن يدعون لك، وهم في السماء، وأنت في الأرض!

د. عمر المقبل

٢) ماذا نفعل مع من أساء إلينا ثم اعتذر؟

أنعفو عنه ثم ندعو له ونثني عليه فيمن حولنا!

انظر هذا الكرم والعفو والرحمة، ثم تأمل حالك ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ الآية.

أ.د. ناصر العمر

٣) قال تعالى عن الملائكة: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا﴾ وفيها فائدتان:

١- أن الله لم يذكر عن الملائكة استغفارًا؛ لعدم حاجتهم له، بل هم يسبحون.

٢- أنهم قدَّموا بين يدي استغفارهم للمؤمنين تسبيحًا وتحميدًا، وهكذا ينبغي للداعي أن يكون.

أ.د. محمد أبو موسى، آل حم: غافر – فصلت (٣٦)

٤) قال خلف بن هشام: أتيت سليم بن عيسى؛ لأقرأ عليه، فكنت أقرأ عليه حتَّى بلغت يومًا سورة غافر، فلما بلغتُ إلى قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا﴾ بكى بكاءً شديدًا، ثم قال لي: يا خلف ألا ترى ما أعظم حقِّ المؤمن؟ تُراه نائمًا على فراشه والملائكة يستغفرون له.

وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/٢٤٢)

٥) ﴿رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ تأمل كيف قدم حملة العرش في دعائهم الرحمة على العلم!

بقدر يقينك أن علمه وسع كل شيء؛ كن على يقين أن رحمته كذلك.

د. عبد الله بلقاسم

٦) في الآية دليل على أن صفة الإيمان إذا جمعت بين شخصين يجب أن تكون داعية للنصيحة، وأن يستغفر له بظهر الغيب، وإن تباعدت أماكنهم وتفاوتت أجناسهم.

السخاوي، تفسيره (٢/٢٥٠)

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ (١٣)﴾

مئات القتلى في تشيلي، ومئات الآلاف يجلون من مساكنهم في اليابان، ورعب في عدة دول من تسونامي جديد. . لكن ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ ﴾ أي: ما يتعظ بهذه الآيات ﴿ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴾ "والإنابة: الرجوع عن الكفر والمعاصي، إلى الإيمان والطاعة"[1][2].

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠) ﴾

١) سوء الظن مثل سوء القول، فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوئ الغير، فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك؛ فإن الله: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾.

الغزالي، الإحياء (٣/١٥٠)

٢) روى الأعمش، عن ابن جبير، عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ﴾ إذا أنت نظرت إليها تريد الخيانة أم لا ﴿ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ إذا أنت قدرت عليها تزني بها أم لا قال: ثم سكت الأعمش، فقال لتلميذه: ألا أخبرك بالتي تليها؟ قال: قلت: بلى! قال: ﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ﴾ قادر أن يجزي بالحسنة الحسنة، وبالسيئة السيئة، إن الله هو السميع البصير.

حلية الأولياء (١/٣٢٣)

﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧) ﴾

حينما هدد فرعون موسى بالقتل، قال موسى ﷺ: ﴿ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ فخص صفة الكبر وعدم إيمانه بالآخرة؛ لأنه إذا اجتمع في المرء التكبر والتكذيب بالجزاء، قَلَّت مبالاته بعواقب أعماله؛ فكمُلت فيه أسباب القسوة، والجرأة على الناس.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٤/١٨٣)

---

[1] الشنقيطي، أضواء البيان (٦/٣٧٨).

[2] تعليقًا على أحداث الزلزال العنيف الذي ضرب "تشيلي" ١٣ ربيع الأول ١٤٣١هـ الموافق: صبيحة يوم السبت ٢٧ فبراير ٢٠١٠ وكان مركز الزلزال قبالة شاطئ منطقة ماولي التشيلية على عمق ٣٥ كم تحت سطح البحر. وقد بلغت قوته ٨.٨ على مقياس "ريختر" وقد خلف الزلزال مئات القتلى وأكثر من مليوني مشرد.

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) ﴾

١) قصة مؤمن آل فرعون وامراة فرعون آسية، فيها رسالة للرجال والنساء: أنه يمكن أن نكون إيجابيين فاعلين حتى في أكثر البيئات طغيانًا؛ فلنكف عن كثرة التشكي، ولنقبل على العمل. د. محمد السيد

٢) من التجارب النافعة لبعض العقلاء: عدم الانزعاج من النقد، أو إشغال النفس بقصد الناقد ونيته؛ وغنما يفيد مما فيه – بغض النظر عن قائله وأسلوبه –، وقد تأملتُ عموم دلالة آية غافر وتقسيمها العقلي؛ فازددت قناعة بهذا المنهج، فتدبرها: ﴿ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾. أ.د. ناصر العمر

٣) في قصة مؤمن آل فرعون – المذكورة في سورة "غافر" – إشارة إلى أن على واحد الإسهام في برامج الإصلاح، دعمًا وتسهيلاً، كل حسب موقعه، وبحسب استطاعته، فهذا شخص واحد لم تمنعه الظروف المحيطة به من أن يقول كلمة حق.. فـ "**لا تحقرن من المعروف شيئًا**"[1].

﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) ﴾

أرأيت أعقل من هذا السؤال؟ فإما نجاة وإما هلاك! لا طريق آخر: ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ (المدثر: ٣٧). د. محمد العواجي

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآَلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥)﴾

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ﴾ هذا ما قاله ذلك الرجل المؤمن في زمن الاستكبار والإعراض من قومه، بعد أن صدع بالحق، غير هائب ولا وجل، فماذا كانت العاقبة؟ ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ﴾، فمتى يدعو أناس في زمن أحوج ما تكون الأمة إلى علمهم ومواقفهم، قبل أن يحل بهم وبمجتمعهم سوء العذاب؟!

أ.د. ناصر العمر

[1] مسلم ح (٢٦٢٦)، وأبو داود (٤٠٨٤)، وأحمد ح (١٥٩٥٥).

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)﴾

قال ابن سيرين رحمه الله: كان أبو هريرة ﷺ ياتينا بعد صلاة العصر فيقول: عرجت ملائكة، وهبطت ملائكة، وعُرض آل فرعون على النار! فلا يسمعه أحد إلا يتعوذ بالله من النار.

تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/٢٢٨)

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٥٥) ﴾

١) العبد مأمور أن يصبر على المقدور، ويطيع المأمور، وإذا أذنب استغفر.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢/٣٢٦)

٢) لا تقع فتنة إلا من ترك ما أمر الله به؛ فإنه سبحانه أمر بالحق، وأمر بالصبر، فالفتنة إما من ترك الحق، وإما من ترك الصبر.

ابن تيمية، الاستقامة (١/٣٩)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آَيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦)﴾

﴿ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ ﴾ فالمتكبر يريد أن يصل بتكبره ورده للحق إلى منزلة لم يصل إليها بعمله ومواهبه؛ حسدًا وبغيًا، وهذا وعد من الله بأنه لن يحقق ذلك، بل إنه بمقدار تكبره سينزل عن مرتبته التي هو فيها قبل تكبره، بخلاف ما كان يؤمله ويرتجبه من علو! جزاءً وفاقًا.

أ.د. ناصر العمر

﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) ﴾

الإنسان إذا قاس نفسه بعالم الذرة فأخذته العزة لكبره، فليقسها بعالم الكواكب بالسماء؛ ليستشعر الهوان من صغره وضآلته، ولكن من طبيعة البشر الغرور: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية (٥٨)

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)﴾

قال طاووس لعطاء: إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه، ويجعل دونها حجابه، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة، أمرك أن تدعوه ووعدك بالإجابة.

جامع العلوم والحكم (٥٧٢٩/٢

﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥) ﴾

الإخلاص يذكر في كتاب الله ﷻ كثيرًا: تارة يأمر الله تعالى به: ﴿ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾، وتارة يخبر أنَّ الجنة لأهله: ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴾ (الصافات: ٤٠ – ٤١)، وتارة يخبر أنه لن ينجو من شَرَك إبليس – يعني: مصيدته – إلا من كان مخلصًا لله، ﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (الحجر: ٣٩ – ٤٠).

د. خالد السبت

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣)﴾

﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ ﴾ في إضافة الرسل إليهم ما يفيد أنهم يعرفونهم ويعرفون صدقهم، ثم إن كلمة ﴿ جَاءَتْهُمْ ﴾ تفيد ان هؤلاء الرسل لم يقولوا شيئًا من عند أنفسهم، وإنما جاؤوا بما جاؤوا به كما يجيء حامل الرسالة والأمانة.

أ.د. محمد ابو موسى، آل حم : غافر، فصلت (٣٠٠).

سورة فصلت

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥)﴾

الحجاب يمنع رؤية الحق، والأكنَّة تمنع من فهمه، والوقر يمنع من سماعه.

ابن القيم، حادي الأرواح (٦٩)

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩)﴾

وخلقها في يومين أدل على القدرة والحكمة من خلقها دفعة واحدة في طرفة عين؛ لأنه أبعد من أن يظن أنها خلقت صدفة، وليرشد خلقه إلى الأناة في أمورهم.

الماوردي، النكت والعيون (١٧٠/٥)

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) ﴾

لما احتجَّ قومُ عاد بقولهم: ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾، قيل لهم: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾، وهكذا كل ما في المخلوقات من قوَّة وشدَّة تدل على أنَّ الله أقوى وأشدُّ، وما فيها من علم يدلُّ على أنَّ الله أعلم، وما فيها من علمٍ وحياةٍ يدلُّ على أنَّ الله أولى بالعلم والحياة؛ فمن تمام الحجة الاستدلال بالأثر على المؤثِّر.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٥٧/١٦)

﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)﴾

١) قال الحسن البصري رحمه الله: إن قومًا الهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة! ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي وكذب، ولو أحسن الظن لأحسن العمل، وتلا قول الله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

الجامع لأحكام القرآن (٣٥٣/١٥)

٢) التشاؤم أشعة مقطعية تكشف مقدار الخلل في قلب المتشائم: ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

أ.د. ناصر العمر

٣) عندما يفقد الإنسان التفاؤل، سينطلق في تصرفاته من قاعدة التشاؤم؛ وهنا يكون قد أساء الظن بربه، وجلب على نفسه من المصائب ما لا تطيق، قف متدبرًا هذه الآية، تدرك ماذا جنى المتشائمون عاجلاً وآجلاً: ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥) ﴾

إذا رأيت الإنسان على باطل ويتحدث عن ماضيه وحاضره بلغة المعجب والمفتخر وكأنه محسن؛ فاعلم أنه ممن احتوشته الشياطين، قال تعالى: ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١٧٤/٧) (بتصرف)

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦)﴾

١) اشتهر عند مشركي العرب أن القرآن ما خالط قلبًا إلا وجذبه إلى الحنيفية، وقاده إلى جنة الإسلام بسلاسل الإقناع والبرهان، فحملهم الحرص على عقائدهم، وحب البقاء على تقاليدهم على مقاومته بما يمكنهم، فكان أمثل راي ارتأوه في ذلك ما قصّه الله علينا بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ فإذا كان القرآن قد احيا أولئك الأقوام – مع شدة كراهتهم لهذا النوع من الحياة ومقاومتهم له بما علمنا من المقاومة، وكانوا منه في أمر مريج – فكيف لا يجيبنا؟ ونحن نوقن بأنه كلام الله الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

محمد رشيد رضا، مجلة المنار (٣٠٦/٢)

٢) في سماع القرآن تأثير عجيب، وقوة لا تقهر، اعترف بها الكفار، وأعلنوا أن إمكانية غلبتهم مرهونة برد هذا التأثير بطريقتين:

١- عدم السماع.

٢- إشاعة اللغو: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾.

فتأمل – يا مؤمن – كيف قالوا: لا تسمعوا، ولو يقولوا لا تستمعوا؟ لماذا؟ لأن في ذلك اعترافًا منهم بقوة تأثير أدنى درجات الاستماع، وهو (السماع)، فكيف بما فوقهظ وقالوا: ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ فأشعر ذكرُ اللغو (وهو الصياح والصفير) وذكرُ حرف الجر (في) بأن المقصود تداخل ذلك مع أصوات القرآن حتى يكون في أثنائه وخلاله! فأين نحن من هذا المؤثر العظيم؟ ولِمَ لا نجاهدهم به جهادًا كبيرًا؟

د. عويض العطوي

٣) في قول المشركين: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ كل هذه المحاضرات لصوت القرآن؛ حتى لا يصل إلى قلوبهم ولا إلى قلوب غيرهم، وهو متضمن الاعتراف بأن هذا القرآن قادر على اقتحام قلوبهم، وان ينتزعهم من أنفسهم، وأنه هو هذا الدين، وأن الإفلات منه إفلات من هذا الدين.

أ.د. محمد أبو موسى، آل حم : غافر وفصلت (٣٩٩)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١)﴾

١) قال الزهري: تلا عمر هذه الآية على المنبر، ثم قال: استقاموا – والله – للهِ بطاعته، ولم يروغوا روغان الثعالب! تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٧٦/٧)

٢) من كان مشغولاً بالله وبذكره ومحبته في حال حياته، وجد ذلك أحوج ما هو إليه عند خروج روحه إلى الله، ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾. ابن القيم، طريق الهجرتين (٣٠٨)

٣) إنها آية من الروعة بمكان! فهي تصل – في إحساس المؤمن – الدنيا بالآخرة، وتملؤه سكينةً وسلامًا، فإنما قبضة الأرواح بالنسبة للمؤمن المستقيم رسل سلام من السلام! ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ (النحل: ٣٢).

د. فريد الأنصاري، جمالية الدين (٦٨)

﴿ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢)﴾

وصف الله نعيم أهل الجنة بقوله: ﴿ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ وختمت الآية بهذين الاسمين: الغفور الرحيم؛ للإشارة إلى أن الله غفر لهم أو لأكثرهم اللمم وما تابوا منه، وأنه رحيم بهم؛ لأنهم كانوا يحبونه ويخافونه ويناصرون دينه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٨٧/٢٤)

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤)﴾

١) ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ سبحان الله! إنسان بينك وبينه عداوة، وأساء إليك، فيقال لك: ادفع بالتي هي أحسن، فإذا استجبت لأمر الله ودفعت بالتي هي أحسن، يأتيك الثواب: ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾؟! الذي يقوله منظ هو الله ﷻ مقلب القلوب، ما من قلب من قلوب بني آدم إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن ﷻ يصرفه كيف يشاء.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٢٧٨/١)

٢) ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ الدفع بأحسن الأقوال والأعمال موجب لحصول الألفة والاتفاق المقتضي للتعاون على مصالح الدنيا والدين.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (٢٠٩)

٣) وجدت هذه الآية في حياتيك ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ فكلما وقعت خصومه أو سوء فهم، تذكرت هذه الآية، واجتهدت في الإحسان، فأجد تسامحًا عجيبًا، وقناعة ورضا عن نفسي ولله الحمد.

متدبر

٤) ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ هذا أثر حسن الخلق مع الذي بينك وبينه عداوة؛ فكيف يكون أثره مع من لم يكن بينك وبينه عداوة، بل كيف اثره مع مَن لك معه إلفة وعشرة كزوج وأخ؟ فليكن بذل الخلق الحسن، بل الاحسن سجية لنا في مختلف أحوالنا.

٥) تأملوا أيُّها العارفون باللغة العربية كيف جاءت النتيجة بإذا الفجائية؛ لأن (إذا) الفجائية تدل على الحدوث الفوري في نتيجتها، ولكن ليس كلُّ أحد يوفق لذلك: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٥).

ابن عثيمين، مكارم الأخلاق ٢٩

﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦)﴾

١) أن يخضع لك عدوك كأنه صديق؛ فهذا انتصار! وأن يعصمك الله من الشيطانح فهذا انتصار أكبر! قال ابن عباس ﷺ: أم الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة؛ فإذا فعلوا ذلك، عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم. جامع البيان لابن جرير (٤٣٢/٢٠)

٢) الله يأمر بملاينة العدوِّ الإنسيِّ والإحسان إليه؛ لأن ذلك يؤثر فيه، ويأمر بالاستعاذة به من العدوِّ الشيطانيِّ؛ لأنه لا يقبل مصانعةً ولا إحسانًا، ولا يبتغي غيرَ هلاك ابن ىدم؛ لشدَّةِ العداوة بينه وبين أبيه آدمَ من قبل. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١١٠/١

٣) قال عمرو بن عثمان المكي: لقد عَلَّمَ الله نبيه ﷺ ما فيه الشفاء، وجوامع النصر، وفواتح العبادة، فقال: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. تاريخ بغداد (٢٢٣/١٢)

٤) ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ الله طرد إبليس من سماواته، ورجمه بالشهب الثواقب؛ فتفرغ اللعين لهذا الكيد العظيم، لا يدع للخير بداية إلا اربكها بقاصف الوساوس ونيران الفتن؛ فجعل الرحمن الاستعاذة لعباده المؤمنين نجاة وأمانًا من كل شيطان رجيم. د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (١١٩)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١)﴾

١) ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ القرآن عزيز فأعطه أعز الأوقات، لا تكتف بما بين الأذان والصلوات، وأعرف بعض مشايخي يقف في طريق سفره؛ ليقرا ورده.

د. عبد الكريم الخضير

٢) قد تمر أوقات تتهزم فيها الأمة وتضعف، لكن لا يمكن أن تمر لحظة واحدة ينهزم فيها هذا الكتاب؛ لأن الله يقول: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾.

د. محمد الراوي، سورة هود (شريط)

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٤٤) ﴾

تأمل إخباره ﷻ عن القرآن بأنه نفسه شفاءك ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾، وقال عن العسل: ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ النحل: ٦٩، وما كان نفسه أبلغ مما جعل فيه شفاء.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/٢٥٠)

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٤٦)﴾

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ﴾

﴿ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾ (الإسراء: ١٥).

﴿ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ﴾ (فاطر: ١٨).

﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ﴾ (العنكبوت: ٦).

أي شيء ابلغ من هذا الحشد من الآيات في تربية القرآن لأهله ليعتنوا بتربية نفوسهم، وتعبيدها لرب العالمين؟

أ.د. عبد العزيز العويد

سورة الشورى

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣)﴾

من طرق التدبر: الاستدلال المركب من آيتين فأكثر، كهذا النموذج:

في قوله تعالى: ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ مع قوله: ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ (لقمان: ١٥)، مع العلم بأحوال الصحابة ﷺ، وشدة إنابتهم، دليل على أن قولهم حجة، خصوصًا الخلفاء الراشدين ﷺ.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٧٥٤)

﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦)﴾

فيها أكبر برهان على أن من آمن بالله ورسوله إيمانًا تامًا، وعلم مراد الرسول ﷺ قطعًا، تيقن ثبوت جميع ما أخبر به، وعلم أن ما عارض ذلك فهو باطل، وأنه ليس بعد الحق إلا الضلال.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام (١٧٠)

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (١٩) ﴾

أوصى ابن قدامة رحمه الله أحد إخوانه قائلاً: واعلم أن من هو في البحر – على اللوح – ليس بأحوج إلى الله وإلى لطفه ممن هو في بيته بين أهله وماله؛ فإذا حققت هذا في قلبك، فاعتمد على الله اعتماد الغريق الذي لا يعلم له سبب نجاة غير الله.

الوصية المباركة (٧٧)

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠)﴾

قال قتادة رحمه الله: من يُؤثِر دنياه على آخرته، لم يجعل الله له نصيبًا في الآخرة إلا النار، ولم يزدد بذلك من الدنيا شيئًا، إلا رزقًا قد فُرغ منه وقُسِم له: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾.

الدر المنثور (٣٤٣/٧)

﴿ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣)﴾

يتساءل كثيرون عن الدليل الشرعي على مقولة: إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها!

والجواب هو: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٠٤/٧)

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥) ﴾

لما كانت التوبة عملاً من الأعمال العظيمة التي قد تكون كاملة، وقد تكون ناقصة، وقد تكون فاسدة إذا كان الغرض منها دنيويًا، وكان محل ذلك القلب الذي لا يعلمه إلا الله؛ ختم هذه الآية بقوله: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٧٥٨) (بتصرف يسير)

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٦)﴾

﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أي: يستجيب دعاء المؤمنين لأنفسهم، ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ فيستجيب دعاءهم لإخوانهم، وهذا من بركة الصالحين، ومن سعة فضل الله ورحمته وكرمه، إذ يغري المؤمنين بالدعاء لأنفسهم ولإخوانهم؛ ليتفضل عليهم، قال سفيان: يا من أحب عباده إليه من ساله فأكثر سؤاله، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله، وليس كذلك غيرك يا رب[1].

د. عبد الله السكاكر

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥٣/٧.

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧)﴾

١) قال قتادة رحمه الله: يقال: خير الرزق ما لا يطغيك، ولا يلهيك.

جامع البيان للطبري (٢١/٥٣٦)

٢) الآيـة دليلٌ علـى أنَّ كثرة المـال سببٌ لفسـاد الـدين إلَّا مـن عصـمَه الله، فهـو معصـوم مخصوص بالكرامة، كما كان أغنياءُ الصحابة، ومن لم يعصمه؛ فكثرةُ المال له مَهلكٌ.

القصاب، نكت القرآن (٤/١١٢)

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨)﴾

١) كم في القرآن من بشائر ومفاتيح تفاؤل! ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ فها هي الارض تسقى بعد جدبهاح فلننتظر بشائر عزة الامة ونصرها ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ يوسف: ١١٠، ولنتفاءل بعودة الغائب بعد طول عناء ﴿ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ﴾ يوسف: ٨٧، فأملوا خيرًا ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ الزمر: ٥٣ مهما طال الزمن واستحكم البلاء. أ.د. ناصر العمر

٢) ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾؛ أي: يَئِسُوا من نزوله، ﴿ وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾، لنقف وقفة تدبُّر، ولنتذكر حالنا في العام الماضي حين قل المطر، والله لولا ربُّنا ومولانا ما نزلت قطرةٌ واحدةٌ من السماء، إنها وقفةٌ تورث ذلًّا، وافتقارًا، وإخباتًا للملك الرزَّاق الكبير.

٣) ومناسبة ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين: ﴿الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ دون غيرهما؛ لمناسبتهما للإغاثة؛ لأنَّ الولي يحسن إلى مواليه، والحميد يعطي ما يُحمد عليه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/١٥٨)

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠)﴾

١) قيل لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساءهم؟ قال: إنهم علموا أن الله إنما ابتلاهم بذنوبهم، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.

الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/٢٩٥)

٢) المعاصي كلها إذا ظهرت ولم تنكر، ضرت العامة، وهي من أسباب الخذلان، تسليط الأعداء، وحصول الكثير من المصائب، كما أنها من أسباب قسوة القلب وانتكاسه، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (الشورى: ٣٠)، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: ١٦).

ابن باز، مجموع فتاواه (١٨/٧)

٣) أثر المعاصي في الحرمان من العلم النافع معلوم بالنصِّ والواقع، كما قال الله سبحانه: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾، ولا ريب أنَّ حرمان العلم النافع من أعظم المصائب. ابن باز، فتاواه (٢٤٢/٦)

٤) يثير البعض جدلاً حول صحة الأثر: "ما نزل بلاء إلا بذنبٍ، وما رُفع إلا بتوبة"[1]، ومهما تُكلِّم في سنده، فمعناه صحيح قطعًا، ألم يتدبر هؤلاء قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾؟ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣). أ.د. ناصر العمر

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧)﴾

﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أذكر أنني في ليلة اختلفت مع زوجي وغضبت، وبعد أن خرج من المنزل أخذت المصحف؛ لأقرأ وبدون تعمد فتحت صفحة وبدأت اقرأ، حتى مررت بهذه الآية، ووالله لكأنني لأول مرة أعلم أنها آنها آية من كتاب الله، فأعدتها مرارًا فوجدت بردها على قلبي، وهدأ غضبي وقررت الصفح عن شريك حياتي استجابة لأمر ربي. متدبرة

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٨)﴾

١) قال الحسن رحمه الله: ما تشاور قوم قط إلا هُدُوا، وأُرشِد أمرهم، ثم تلا: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾.

الدر المنثور (٣٥٧/٧)

---

[1] المجالسة وجواهر العلم ح (٧٢٧).

٢) ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ حين يقرأ بعض الناس هذه الآية لا يكاد ينصرف ذهنه إلا إلى المجال العسكري أو السياسي! إن الشورى اسلوب حياة، ينبغي أن يمارس في الأسرة، والعمل وفي كل المجالات.

أ.د. عبد الكريم بكار، التواصل الأسري (١١)

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩)﴾

مدحهم بالانتصار؛ لأنهم لم يزيدوا عليه، إذا لو زادوا عليه، لكان تعديًا ولم يكن انتصارًا.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف (٣٢٥)

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠)﴾

قلوب أصلحها القرآن:

كان الحسن البصري يدعو ذات ليلة: اللَّهُمَّ اعف عمن ظلمني، فأكثر في ذلك؛ فقال له رجل: يا أبا سعيد، لقد سمعتك الليلة تدعو لمن ظلمك! حتى تمنيت أن أمون فيمن ظلمك، فما دَعَاك إلى ذلك؟ قال: قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾.

ابن بطال، شرح البخاري (٥٧٥/٦)

﴿ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) ﴾

المظلوم وإن كان مأذونًا له في دفع الظلم عنه بقوله تعالى: ﴿ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ فذلك مشروط بشرطين: أحدهما: القدرة على ذلك، والثاني: ألا يعتدي، فإذا كان عاجزًا، أو كان الانتصار يفضي إلى عدوان زائد؛ لم يجز.

ابن تيمية، الاستقامة (٤٠/١)

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢)﴾

كتب عمر إلى عامل له: أما بعد؛ فلتجف يداك من دماء المسلمين، وبطنك من أموالهم، ولسانك عن أعراضهم، فإذا فعلت ذلك، فليس عليك سبيل، ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾.

حلية الأولياء (٣٠٧/٥)

﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣) ﴾

العفو من أعظم وسائل التربية للنفس وإعدادها، والعفو تهيئة للقيادة، فالذي لا يستطيع أن يقود نفسه بالحلم والعفو والتجاوز، كيف سيستطيع أن يقود غيره من المسلمين؟ فلو التزمنا العفو – والله – لوجدنا من الخير ما يخطر على بال.

أ.د. ناصر العمر

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩)﴾

١) بدأ بذكر الإناث، فقدم ما كانت تؤخره الجاهلية من أمر البنات؛ حتى كانوا يئدونهن؛ أي: هذا النوع المؤخر عندكم، مقدم عندي في الذكر، وتأمل كيف نكر سبحانه الإناث، وعرف الذكور؛ فجبر نقص الأنوثة بالتقديم، وجبر نقص التأخير بالتعريف فإن التعريف تنويه.

ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود (٢١)

٢) في العطية من الله قُدمت الأنثى، وحق لها أن تفتخر بهذا التكريم، فمن رزق البنات، فعليه أن يشكر الله تعالى؛ لأنه سمى ذلك هبة، وفي هذا في رد على أولئك الجاهليين الذين كانوا ينتقصون من حق الأنثى، وينزعجون عندما يبشر أحدهم بها.

د. عويض العطوي، كيف نتدبر القرآن (شريط)

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢)﴾

لا يموت قلب خالطت نبضه آيات القرآن، كما أنه لا حياة لقلب خلي منها:﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾، ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ (الأنعام: ١٢٢).

د. فريد الأنصاري، بلاغ الرسالة القرآنية (٤١)

سورة الزخرف

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣)﴾

تدبُّرُ الكلام إنما يُنتفع به إذا فُهِمَ، قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فمن عرف الخير والشر فلم يتبع الخير ويحذر الشر، لم يكن عاقلاً؛ ولهذا لا يُعد عاقلاً إلا من فعل ما ينفعه واجتنب ما يضره. ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٠٨/١٥)

﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤) ﴾

١) ليستعذ المؤمن – وهو يقرأ هذه الآية – من مقام من يقول لقرنائه: تعالوا نتنزه على الخيل أو في بعض الزوارق؛ فيركبون حاملين مع أنفسهم أواني الخمر والمعازف، فلا يزالون يسقون حتى تميل طِلاهم – أعناقهم – وهم على ظهور الدواب، أو في بطون السفن وهي تجري بهم، لا يذكرون إلا الشيطان، ولا يمتثلون إلا أوامره!

الزمخشري، الكشاف (٢٤٠/٤)

٢) لما كان الركوب مباشرة أمر خطر واتصالاً بسبب من أسباب التلف؛ كان من حق الراكب ألَّا ينسى أنه منقلب إلى الله غير منفلت من قضائه، ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه؛ حتى يكون مستعدًا للقاء الله بإصلاحه من نفسه. الزمخشري، الكشاف (٢٤٤/٤)

٣) لما ذكر الباري نعمته على العباد بتيسير الركوب للأنعام والفلك، قال: ﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤)﴾ ذكر فيها أركان الشكر الثلاثة، وهي:

- الاعتراف والتذكر لنعمة الله.
- والتحدث بها، والثناء على الله بها.
- والاستعانة بها على عبادته. السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (٣٤٥/١)

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧)﴾

١) قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ ولم يقل (إلا الله)؛ لفائدتين:

١- الإشارة إلى علة إفراد الله بالعبادة؛ لأنه كما أنه منفرد بالخلق، فيجب أن يفرد بالعبادة.

٢- الإشارة إلى بطلان عبادة الأصنام؛ لأنها لم تفطركم حتى تعبدوها، وهذه من البلاغة التامة في تعبير إبراهيم عليه السلام. ابن عثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد (١/١٥٠)

٢) من العدل وكمال العقل: عدم رد ما عليه المخالف جملة، إذا كان عنده شيء من الحق ولو كان كافرًا؛ تأمل دقة استثناء إبراهيم عليه السلام في خطابه لقومه: ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾، وكذلك قال الفتية: ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ (الكهف: ١٦)، على القول بان الاستثناء متصل في الموضعين. أ.د. ناصر العمر

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) ﴾

١) قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فتلقاه ضعيف الحيلة، عيَّ اللسان، وهو مبسوط له في الرزق، وتلقاه شديد الحيلة، سليط اللسان، وهو مقتور عليه، قال الله – جل ثناؤه –: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾، كما قسم بينهم صورهم وأخلاقهم تبارك ربنا وتعالى.

جامع البيان ٥٨٤/٢٠

٢) قال حاتم الأصم: رأيت الناس يذمُّ بعضُهم بعضًا، ويغتاب بعضُهم بعضًا، فوجدت أصلَ ذلك مِنَ الحسدِ في المال والجاه والعلم، فتامَّلت في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فعلمت أنَّ القسمةَ كانت من الله في الأزل، فما حسدت أحدًا، ورضيت بقسمة الله تعالى. أيها الولد للغزالي (١٢١ – ١٢٨)

﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦)﴾

قال سفيان بن عيينه رحمه الله: ليس مثل من أمثال العرب إلا وأصلُه في كتاب الله تعالى، قيل له: فأين قول الناس: أعط أخام تمرةً، فإن أبى فجمرة؟ قال: في قوله: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾. بحر العلوم (١١١/٤)

﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣) ﴾

١) ما كان الصدر الأول من سلفنا صالحًا بالجبلة والطبع، فالرعيل منهم – وهم الصحابة – كانوا في جاهلية جهلاء كبقية العرب، وإنما أصلحهم القرآن لما استمسكوا بعروته واهتدوا بهديه، ووقفوا عند حدوده، وحكموه في أنفسهم، فبذلك أصبحوا صالحين مصلحين، سادة في غير جبرية، وقادة في غير عنف. البشير الإبراهيمي، آثاره (٢٢٧/٤)

٢) إذا امر الرسول ﷺ بالاستمساك بالحق – وهو المؤيد بالوحي وبالآيات، المضمون له أعلى المقامات–، فكيف بمن ليس له مؤيدات ولا ضمانات، وقد احتوشته الشهوات والشبهات؟! د. عبد الله السكاكر

٣) هل يظن عاقل – بعد هذه الآية – أنه ينجو أو يهتدي للحق أو يثبت على الصراط المستقيم بغير القرآن والسنة؟ فهد العيبان

﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧) ﴾

١) قال الحسن البصري رحمه الله: استكثروا من الأصدقاء المؤمنين؛ فإن الرجل منهم يشفع في قريبه وصديقه، فإذا رأى الكفار ذلك قالوا: ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١)﴾. تفسير معاني القرآن للنحاس (٢١٢/٦)

٢) مر بعض المتعففين على جارية تغني، فأعجبته وطرب، وقال: والله إني أحبك! فقالت: نفسي بين يديك فما يمنعك؟ فقال: يمنعني قول الله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾، وأخاف أن تكون خلتنا اليوم عادوة يوم القيامة.

محاضرات الأدباء (٢٤٩/٢)

٣) سألني بعض من له دراية بعلوم الفلسفة، فقال: إن الحكماء يقولون: إن الصداقة لا تدوم إلا بين الفضلاء، فهل يوجد هذا المعنى في القرآن؟ فقلت له: نعم..! هو في قوله تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾، فهذا يدل على أن الفضلاء يستمرون على صداقتهم رغم الأهوال العظيمة.

محمد الخضر حسين، المجموعة الكاملة (٧٥/٢)

٤) الإسلام لم يهذِّب الحبَّ ويزكيه فحسب، بل جعله عبادة يتعبد بها المؤمن، ويستشعر لذَّتها، ويرجو بها رضوان ربه، فما أسوأ أن تزول هذه المعاني العظيمة، وتختزل هذه المحبة في وردةٍ حمراء سرعان ما تذبل، ويختصر زمن التعبير عنها في يوم واحد، تأمل في خلودِ حبِّ المتقين: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾.

أ.د. ابتسام الجابري

٥) ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ إنها قاعدة مُطَّردة في بيان مصير أيِّ نوع من العلاقات، فتخير أيها الطالب ويا أيتها الطالبة كيف تكون النهاية؟! فتش في زملاء الفصل، وفيمن ينشئ العلاقة أثناء الفسح، ونهاية الدوام، واختر اليوم صديقًا لا يعاديك يوم القيامة، وتذكَّر ان صحبة التقوى ثمارُها تمتد إلى عالم الآخرة، ألا ما أجمل التقوى حين تزين علاقاتنا، بل حياتنا كلها.

د. عمر المقبل

﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨)﴾

القرآن يتلى على الناس في دنياهم قبل أن يصلوا إلى أخراهم؛ لكي يسارعوا إلى إتباعه والعمل به، ولا يكونوا من أولئك الذين يقال لهم – وهم في عذاب جهنم خالدون–: ﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾.

د. محمد الراوي، حديث القرآن عن القرآن (١٤)

سورة الدخان

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣)﴾

١) ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ في كثرة خيراتها، مباركة في سعة فوائدها ومبراتها، ومن بركتها: أنها تفوق ليالي الدهر، وأن من قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، أما يحق لك – أيها المؤمن – أن تجرد قلبك في هذه الليلة من جميع الأشغال؟ وأن تقبل بكليتك إلى طاعة ذي العظمة والجلال؟ وأن تعترف بذنوبك وفاقتك وافتقارك؟ وأن تتوسل إليه مخلصًا في خضوعك وانكسارك؟

السعدي، الفواكه الشهية في الخطب المنبرية (٢١٤)

٢) ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ تدبر كيف جمع الله في ليلة القدر أنواع البركات: فالقرآن مبارك، ونزل في ليلة مباركة، وفي شهر مبارك، ومكان مبارك، ونزل به أكثر الملائكة بركة على أكثر البشر بركة، وواهب البركات كلها هو الله ﷻ؛ فحري بالمؤمن أن يجتهد لعله يدرك بركة هذه الليلة، فينعم ببركتها في الدنيا والبرزخ والآخرة.

د. عبد الله الغفيلي

٣) تأمل العلاقة الوثيقة بين الليل وبين القرآن في آيات كثيرة، وتتأكد في رمضان ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾، ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (القدر: ١)، ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (الإسراء: ٧٨)، ﴿ قُمِ اللَّيْلَ ﴾ (المزمل: ٢)، فهل أنت تقضي ليلك في رمضان مع القرآن تاليًا متدبرًا؟ ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ (المزمل: ٤) وتأمل حال كثيرين في ليالي رمضان تحزن!!

أ.د. ناصر العمر

٤) ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ كم مرت بك هذه الآية من مرّ؟ وكم مرة توقفت قليلاً؛ لتعدد ما تستطيع من بركاتها؟ فماذا أنت قائل؟!

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤)﴾

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ فتأمل في قوله (حكيم)؛ ليتبين للمؤمن أن أوامره محكمة متقنة، ليس فيها خلل ولا نقص ولا سفه ولا باطل، ذلك تقدير العزيز العليم.

ابن عثيمين، مجالس شهر رمضان (١٠٤/١)

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩)﴾

قال سعيد بن جبيرك لم تبك عليهم السماء؛ لأنهم لم يكونوا يرفع لهم فيها عمل صالح، ولم تبك عليهم الأرض؛ لأنهم لم يكونوا يعملون فيها بعمل صالح.

الدر المنثور (٤١٢/٧)

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩)﴾

السياق يرشد إلى بيان المجملن وتعيين المحتمل، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم؛ فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ كيف تجد سياقه يدل على أنه الدليل الحقير.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٣٤)

سورة الجاثية

﴿ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥)﴾

١) ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ ﴾ في تنوع جهاتها، وفي قوتها، فلو أن جميع مكائن الدنيا كلها اجتمعت، وصارت على أقوى ما يكون من نَفْث هواء لا يمكن أن تحرك ساكنًا إلا فيما حولها فقط، لكن أن تصل من أقصى الشمال إلى الجنوب، أو بالعكس فلا.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (٢١٦/٢)

٢) ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ألا إنَّ العاقل حقًّا إذا شاهد قُدرة الله في تصريف هذه الرياح وتقليبها شمالاً وجنوبًا، وليلاً ونهارًا، وما تحمله من أمطارٍ وأخطارٍ؛ أورثه ذلك تعظيمًا لله، وخوفًا من عذابه، ولم يأمن مكر الله: ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ (الملك: ١٧).

د. عبد الله الغفيلي

﴿ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨)﴾

وهذه الصورة البغيضةُ – مع أنَّها صورة فريق من المشركين في مكة – إلا أنها تتكرَّر في كلِّ عصر، فكم في الناس من يسمع بيات الله تتلى عليه ثم يُصرُّ مستكبرًا كأن لم يسمعها؟! لأنها لا توافق هواه، ولا تسير مع مألوفه، ولا تتمشى له مع اتجاه.

سيد قطب، في ظلال القرآن (٣٢٢٥/٥)

﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)﴾

زرت أحد العباد – في سن السبعين –، فذكر موقفًا حصل له أيام شبابه، حيث دخل سجن التوقيف مع خصم له، في قضية حقوقية، قال: والحق معي، وكان خصمي سفيهًا، وكنت أوقظه للصلاة، فقد كان مقصرًا فيها، وعندما أتى علينا وقت السحر؛ توضأت وأخذت المصحف وصليت، وبدأت بالجاثية، فلما بلغت قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾ تأثرت بها كثيرًا، وبكيت منها بكاء طويلاً، وعفوت عن خصمي بسببها.

متدبر

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١)﴾

١) قال مسروق عن رجل من أهل مكة: هذا مقام تميم الداري، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح، يقرأ آية من كتاب الله ويركع ويسجد ويبكي: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦٦/١٦)

٢) قال عبد الرحمن بن عجلان: بِتُّ عند الربيع بن خيثم ذات ليلة، فقام يصلي فمر بهذه الآية: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، فمكث ليلته حتى أصبح، ما جاوز هذه الآية إلى غيرها ببكاء شديد. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦٦/١٦)

٣) هل تعرف الآية التي تُسمَّى مبكاة العابدين؟ ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ قال الثعلبي: "هذه الآية تُسمَّى: مبكاة العابدين".

كان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية يقول لنفسه: "ليت شعري! مِن أيِّ الفريقين أنت؟!"، فما يقول أمثالنا؟ المحرر الوجيز (٧٥/٥)

٤) يا من يطمع في علو الدرجات من غير عمل صالح، هيهات هيهات: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾. ابن رجب، اختيار الأولى (١١)

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣) ﴾

١) علق الحسن البصري رحمه الله على هذه الآية: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ فقال: هو المنافق لا يهوى شيئًا إلا ركبه! ذم الهوى لابن الجوزي (١٧)

٢) مخالفة ما تهوى الأنفس شاقة، وكفى شاهدًا على ذلك حال المشركين وغيرهم ممن أصرّ على ما هو عليه؛ حتى رضوا بإهلاك النفوس والأموال ولم يرضوا بمخالفة الهوى، حتى قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾.

الشاطبي، الموافقات (١٥٣/٢)

٣) آية من كتاب الله كانت سببًا بعد – توفيق الله – في تركي لمعصية طالما نغصت علي حياتي، هي قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ﴾.

متدبر

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (٢٧) ﴾

﴿ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ دخل سفيان الثوري المدينة يومًا، فوجد شيخًا اسمه "المعافري" يحدث الناس بما يضحكهم به، فقال له يا شيخ: اتق الله! أما تعلم أن لله يومًا يخسر فيه المبطلون؟! قال الراوي: فما زالت تُعرف في وجه المعفري حتى لقي ربه.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٧٠/٧)

فهل يعي هذا المعنى المبطلون، ومن ضيعوا أوقاتهم مع المبطلين؟

سورة الأحقاف

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥)﴾

١) قال مالك بن مِغوَل: شكى أبو مَعشَر أحدَ ابنائه إلى طلحة بن مُصرِّف، فقال: استعن عليه بهذه الآية: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾. حلية الأولياء (١٩/٥)

٢) تأمل قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا ﴾ فلم يكتف بذلك، بل قال: (ترضاه) فيا لتلك الهمم العالية، ويا لعلو رغبات المخلصين!

٣) ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾ تأمل كيف جعل صلاح الذرية من صلاح النفس؛ لعظيم أثر الذرية على الإنسان في دنياه وآخرته.

أ.د. عبد العزيز العويد

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٩) ﴾

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ﴾ فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه؛ فإن موضع نظر الله – سبحانه – القلوب، دون ظاهر الحركات.

أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (١٦٣/١)

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠)﴾

أتى عبد الرحمن بن عوف بطعام – وكان صائمًا –، فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير منِّين كُفِّن في بُردةٍ، إن غُطِّي راسُه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه، وقتل حمزة وهو خير منِّي، ثم بُسط لنا من الدنيا ما بُسط، وقد خشينا أن تكون حسناتُنا عُجِّلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام[1].

وابن عوف من العشرة المبشرين بالجنة، لكن المؤمن يهضم نفسه.

[1] البخاري ح (١٢١٦).

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤)﴾

١) ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ﴾ من حكمة الله تعالى أن الريح لم تأتهم هكذا، وإنما جاءتهم وهو يؤملون الغيث والرحمة؛ فكان وقعها أشد، ومجيء العذاب في حال يتأمل فيها الإنسان كشف الضر يكون أعظم وأعظم.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٣٣٤/١)

٢) التحولات السلبية الكبرى التي تمر بالبلدان والأمم كالريح، تسبق بإرهاص وإنذار، وما لم يتعامل مع تلك المقدمات بجدية وحكمة وحزم؛ كان الدمار والبوار: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ﴾. أ.د. ناصر العمر

٣) عندما تُصرف القلوب عما فُطرت عليه بمؤامرات الشبهات والشهوات؛ ستفسر الأحداث تفسيرًا مضادًا لأسبابها وآثارها، فلا تتعظ بالآيات والنذر؛ حتى يحل بها العذاب والهلاك، قف متدبرًا: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ﴾ ثم تأمل سبب ذلك: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (الأعراف: ١٤٦).

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) ﴾

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) ﴾، وقال: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) ﴾ (الجن: ١)، حين تقرأ كلام أولئك الجن عن القرآن يتملكك العجب! أفي جلسة واحدة صنع بهم القرآن كل هذا؟ مع أنهم يقينًا لم يسمعوا إلا شيئًا يسيرًا من القرآن! إنك – لو تأملت – لانكشف لك سر هذا: إنه استماعهم الواعي وتدبرهم لما سمعوه، وشعورهم أنهم معنيون بتلك الآيات، فمتى قال أحدنا: إنا سمعنا قرآنًا عجبًا؟

د. عمر المقبل

سورة محمد

﴿ فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) ﴾

ما أعظم ما تسكبُه هذه الآية في قلب المتدبر لها من طمأنينة ويقين بحكمة الله وعلمه، وأنه سبحانه لا يَعجل لعجلة عباده، وأن من وراء ما يحصل حِكَمًا بالغةً، تتقاصر دونها عقول البشر وأفهامهم. د. عمر المقبل

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧)﴾

من استشعر التقوى في مقاصده، وأخلص النيَّة لله في أعمالهن لم يسلمه الله إلى عدوِّه، ولم يُعْلِه عليه، وكان الظفر له على مَن ناوأه. القصاب، نكت القرآن (١٥٠/٤)

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠)﴾

أمر الله بالسير، والسير ينقسم إلى قسمين: سير بالقدم، وسير بالقلب. أما السير بالقدم: فبأن يسير الإنسان في الأرض على أقدامه، أو راحلته لينظر ماذا حصل للكافرين وما صارت إليه حالهم. وأما السير بالقلب: فبالتأمل والتفكر فيما نقل من أخبارهم.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٥٨٩/١)

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (١٢)﴾

١) فوا أسفاه ووا حسرتاه! كيف ينقضي الزمان، وينفد العمر، والقلب مجوب عن ربه؟ وخرج من الدنيا كما دخل إليها، وما ذاق أطيب ما فيها، بل عاش فيها عيش البهائم، وانتقل منها انتقال المفاليس، الذين ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين (٢١١)

٢) هل يتميز الإنسان من الحيوان إلا بأنه يدرك غاية الحياة؟ أما من يأكل كما تأكل الأنعام، ويشرب كما تشرب، ويلد كما تلد، فهو مثلها أو أضل منها سبيلاً ﴿ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾. الطنطاوي، نور وهداية (٣٣)

٣) ﴿ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ ساروا الأنعام في العاجلة وفاقتهم في الآجلة. د. محمد الحمد

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥) ﴾

لا يحتمل الإنسان ارتفاع حرارة جسمه ولو درجات قليلة! فكيف إذا جلبها لجوفه؟ تأمل: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ هذا ما حدث للأمعاء وهي في آخر الجوف؛ فما ظنك بما فوقها من أعضاء الجسم؟! نسأل الله العافية. متدبر

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧) ﴾

١) ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ مثال تولَد الطاعة كمثل نواةٍ غرستها، فصارت شجرة، ثم أثمرت، فأُكِلَت ثمارُها، وغُرِسَتْ نواها، فكلما أثمر منها شيء، جنيت ثمره، وغرست نواه، وكذلك تداعي المعاصي، فليتدبر اللبيب هذا المثال، فمِن ثوابِ الحسنةِ الحسنةُ بعدها، ومن عقوبة السيِّئة السيئةُ بعدها. ابن القيم، الفوائد (٣٥)

٢) الذي أُوصي له أبنائي الطلاب: تقوى الله في جميع الأحوال، والحرص على العلم، والعناية بالمقرَّرات والمذاكرة فيما بينهم، والإصغاء للمدرسين، والسؤال عما يشكل في الدرس بأسلوب حسن، ومن أهم اسباب التحصيل: إصلاح النية، وحفظ الوقت، والعمل بما عَلِمَ، وفي بعض الآثار: "مَن عَمِلَ بما عَلِمَ أورثه الله عِلْمَ ما لم يَعلم"[١]، وشاهده في كتاب الله: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾.

ابن باز، فتاواه (٦/٢٤٢)

---

[١] حلية الأولياء (٦/١٦٣).

٣) تأمَّل كيف يكون الجزاءُ من جنس العمل في أمرين عظيمين يغفل عنهما أكثر الخلق الزيغ والاهتداء، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾، وقال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (الصف: ٥).

د. محمد الخضيري

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩) ﴾

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ بالتوحيد يقوى العبد ويستغني؛ فلا يزول فقر العبد وفاقته إلا به، وإذا لم يحصل له، لم يزل فقيرًا محتاجًا مُعذَّبًا في طلبه، وإذا حصل مع التوحيد الاستغفار؛ حصل له غناه وسعادته وزال عنه ما يعذبه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥٦/١)

﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (٢١) ﴾

استعد! فبعد أن تفتح قلبك، فلتكن عازمًا على تنفيذ ما يمر بك من أوامر، والكف عما يمر بك من نواهٍ، فهذا الصدق في البداية له أثره في النهاية، وتذكر: ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾، وتذكر أنك إن تقدمت خطوة في هذا الطريق، فربك أكرم.

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)﴾

١) قرأ قارئ عند عمر: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ وعنده شاب فقال: "اللَّهُمَّ عليها اقفالها، وبيدك مفاتيحها، لا يفتحها سواكن فعرفها له عمر، وزادته خيرًا.

جامع البيان للطبري (٥٨/٢٦)

٢) وإنك لتجد في بيت الله الحرام خمسين ألفًا بأيديهم المصاحف يقرؤون القرآن، ولكنك لا تجد خمسين منهم يفهمون معاني ما يقرؤون، وإني لا أنكر أن لقارئ القرآن أجرًا على كل حال، لكن الله يقول: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)﴾ فمتى نكسر هذه الاقفال؛ ختى نفهم ما يقال؟.

علي الطنطاوي، روائع الطنطاوي (٤١/١)

٣) ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ إنَّ المنادين بعزل القرآن عن نظم الحياة قومٌ أصيبوا بمرضٍ في قلوبهم، وتلك وراثة ورثوها من إخوانهم أهل الكفر والضلال والنفاق، فلقد ذكر الله عن الكفار أنهم إذا سمعوا القرآن استهزؤوا به: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ (لقمان: ٧).

الشيخ عبد العزيز آل الشيخ، خطب الشيخ (١٦٥)

٤) حتى هذه الآية: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ نفرؤها ونتجاوزها كغيرها من الآيات دون أن نشعر بها، فأي حرمان هذا؟! متدبر

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠)﴾

١) قال عثمان بن عفان: ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وقد قال تعالى عن المنافقين: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾، ثم قال: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾. ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١١٠/١٤)

٢) قال تعالى عن المنافقين: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ ثم قال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ فمعرفة المنافق في لحن القول لا بد منها، وأما معرفته بالسيما فموقوفة على المشيئة. ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١١٠/١٤)

٣) ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ وقال: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ ﴾ (الحج: ٧٢). وهذا أمر محسوس لمن له قلب؛ فإن ما في القلب من النور والظلمة والخير والشر يسري كثيرًا إلى الوجه والعين، وهما أعظم الاشياء ارتباطًا بالقلب. ابن تيمية، الاستقامة (٣٥٥/١)

٤) قال الله عن المنافقين: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ فهذا مقسم عليه، محقق لا شرط فيه؛ وذلك أن ظهور ما في قلب الإنسان على لسانه أعظم من ظهوره في وجهه، لكنه يبدو في الوجه بدوًا خفيًا يعلمه الله. ابن تيمية، الاستقامة (٣٥٥/١)

٥) ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ في مقالاتهم.. في بحوثهم.. في خطبهم ومحاضراتهم.. في نتائج مراكز ابحاثهم.. تتبعها فقط؛ فستجد الكثير من خططهم ومكرهم.

د. عبد الرحمن الشهري

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١) ﴾

علق الحافظ الذهبي على الابتلاء الذي تعرض له الإمام مالك – وربطه بهذه الآية – فقال: فالمؤمن إذا امتحن صبر، واتعظ، واستغفر، ولم يتشاغل بذم من انتقم منه، فالله حكم مقسط؛ ثم يحمد الله على سلامة دينه، ويعلم أن عقوبة الدنيا أهون وخير له.

سير أعلام النبلاء (١٨/٨)

﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥) ﴾

مظاهر الضعف في الأمة ينبغي ألا تعميها عمَّا لها من عناصر القوَّة، واقواها: علو مبادئها ومعية الله: ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ ﴾، وهذا ما أدركه أعداؤها على أرض الواقع في ميادين الجهاد، مما جعلهم يسعون للحوار بزخمٍ غير مسبوقٍ، وما ذاك إلا ليحصلوا في ميدان الحوار ما عجزوا عنه في ميدان القتال.

أ.د. ناصر العمر

﴿ هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨) ﴾

انتصار الدين لا ينتظر أحدًا: كسر الغرور في العمل للإسلام يكون حين يدرك كل عامل بأن انتصار الدين ليس متوقفًا عليه أبدًا ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾.

محمد المنجد

سورة الفتح

﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١)﴾

١) قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴾ و﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ (الكهف: ٥) فيقال: حيث ذكر الله سبحانه (يقولون بألسنتهم) و﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ (آل عمران: ١٦٧) فالمراد به أنه قول باللسان مجرد لا معنى تحته، فإنه باطل، والباطل لا حقيقة له، وإنما غايته وقصاراه أنه حركة لسان مجرد عن معنى، فليس وراء حركة اللسان به شيء.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام (٣٤٠)

٢) انتبه! ما نطق به اللسان ولم يعقد عليه القلبُ، ليس بعمل صالحٍ كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾. محمد بن عبد الوهاب، تفسيره (٩)

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨)﴾

١) ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ دليل على أنَّ الله قد يثيب المؤمن رزقًا في الدنيا على العمل الصالح، ولا يحطُّ ذلك من درجة فضله، ويجعل ذلك من أطيب وجوهه، ألا ترى أن الغنائم أطيب وجوه الكسب، وامطر الله على نبيِّه أيوب حين عافاه من بلائه جرادًا من ذهب لم تبتذله الأيدي. القصاب، نكت القرآن (١٦١/٤)

٢) إذا أردتَ أن تعرف قيمةَ عمل القلب ومنزلته عند الله، فتأمل هذه الآية: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾، فماذا ترتَّب على صدقهم وإخلاصهم؟ ﴿ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾، فما أحوجنا لتفقُّد قلوبنا. د. عمر المقبل

﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣) ﴾

لن تتخلَّف سنتُه أو تتبدل، لكن نحن الذي بدَّلنا! محمد الفراج

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾

١) قال أبو عروة: كنَّا عند مالك بن أنس، فذكروا رجلاً ينتقص الصحابة، فقرأ مالك هذه الآية: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ ﴾، حتى بلغ: ﴿ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾، فقال مالك: من أصبح في قلبه غيظٌ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقد أصابته الآية. حلية الأولياء (٣٢٧/٦)

٢) تناقلت بعض وسائل الإعلام خبر موجة الجفاف والمسغبة التي أصابت المسلمين في بعض جهات أفريقيا (أثيوبيا، والصومال، وتشاد)، إنها داعية لحقِّ الأخوة بالاهتمام والدعاء، وفي جوع الصائم ذكرى بإخوانه، وهي فرصة للكرام المقتدين بخير الأنام في شهر الصيام؛ ليكونوا "**أَجودَ بالخير من الرِّيح المرسلة**"[1]، ويكونوا كما كان أسلافهم: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾. د. محمد الخضيري

٣) وصف الله الصحابة بقوله: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ ولم يقل: (يبتغون أجرًا) ففيه اعتراف منهم بالتقصير، وطمع بالفضل الإلهي الذي لا منتهى ولا حد له، والذي هو أعظم من الأجرة التي يستحقونها على عملهم.

الرازي، مفاتيح الغيب (٨٩/٢٨)

٤) طوبى لمن تشبه بما نعت الله به نبيه ﷺ وأصحابه فقال: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ "قد أثرت العبادة – من كثرتها وحسنها – في وجوههم حتى استنارت، فلما استنارت بالصلاة بواطنهم، استنارت بالجلال ظواهرهم". السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٧٩٥)

٥) ليس المزارع الحاذق من ينثر الحب في الفلاة؛ ليسقيه المطر أو تذروه الرياح! وإنما هو من يحسن اختيار الحب والتربة والماء، ويتعاهده حتى يؤتي أكله بإذن ربه: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾. أ.د. ناصر العمر

[1] البخاري ح (١٩٠٢)، ومسلم ح (٢٣٠٨)، والنسائي ح (٦٩٠٢)، وأحمد ح (٦١٦٢).

سورة الحجرات

لما أثنى الله على أصحاب رسوله في خاتمة سورة الفتح؛ جعل سورة الحجرات في تكميل إيمانهم وتأديبهم، فبدأ بالأدب مع الله، ثم مع رسوله، ثم مع المؤمنين، سواء من حضر منهم، ومن غاب، ومن تلبَّس بفسق.

د. محمد الخضيري

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) ﴾

١) يقول ابن عقيل الحنبلي: ما أخوفني أن أساكن معصية فتكون سببًا في سقوط عملي وسقوط منزلتي – إن كانت عند الله تعالى – بعدما سمعت قوله تعالى: ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾؛ فإن هذا يدل على أن في بعض التسبب وسوء الأدب على الشريعة ما يحبط الأعمال، ولا يشعر العامل إلا أنه عصيان ينتهي إلى رتبة الإحباط. وقد علق ابن مفلح قائلاً: هذا يجعل الفطن خائفًا وجلاً من الإقدام على المآثم، وخوفًا أن يكون تحتها من العقوبة ما يماثل هذه.

الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/٣١٧)

٢) إن كلمة واحدة من سوء الأدب مع الله أو مع رسوله ﷺ قد تحرق رصيد العبد الإيماني كله!

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (٤٠٠)

٣) الأدب مع أهل الفضل من العلماء والأتقياء والمربين والحكماء الذين وقفوا حياتهم لخدمة الدين – تعليمًا ودعوة – يقتضي التوقير والاحترام، سواء في معاملتهم أو في طرق أبوابهم، ومراعاة أوقاتهم؛ لما في ذلك من مصلحة عامة للمسلمين.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (٣٦٩)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)﴾

قال عمر بن الخطاب ﷺ: "إن الذين يشتهون المعاصي ولا يعملون بها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾".. كم بين حال الذي: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ (يوسف : ٢٣)، وبين شيخٍ ضعيفٍ يُدعى لمثل ذلك فيجيب؟!

تفسير ابن رجب ٣١٨/١

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)﴾

قارن بين تأدب السلف يهدى القرآن وبين فعل بعض الناس مع علمائهم:

قال الإمام أبو عبيدة القاسم بن سلام: ما استأذنت قط على مُحدِّث! كنت أنتظر حتى يخرج إليّ، وتأولت قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾.

الآداب الشرعية لابن مفلح (٦٩/٢)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)﴾

١) لا تروِ للناس كل ما تسمعه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ الواجب على من شرح الله صدره للإسلام أنْ إذا بلغته مقالةٌ ضعيفةٌ عن بعض العلماء أن لا يحيَها لمن يعمل بها، بل يسكت عنها وإن تيقَّن صحتها، فما أكثر ما يحكي عن الائمة من ما لا حقيقة له.

ابن تيمية، بيان الدليل (١٥٧)

٢) في هذه الآية قاعدة من قواعد تدقيق الأخبار، ومن أولى ما يكون تبيُّن ما تنشره بعض وسائل الإعلام عن أهل الحسبة وغيرهم من القائمين بشؤون الناس، فمع إمكانية وقوع الخطأ من كلِّ أحد، ألا ينبغي التبيُّن في أخبار تلك الوسائل:

١- لتلبُّس كثير منها بالفسق الفكري والأخلاقي.

٢- لأن بعض الكتّاب قد تكون له مواقف شخصية، فيجد في المنفذ الإعلامي فرصةً للتنفيس عما في نفسه.

٣- ثبوت الكذب أو التحريف والمبالغة في كثير من تلك الأخبار التي تذكر عن هذه الجهة أو تلك.

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧)﴾

قال أبو سعيد الخدري: لما قبض رسول الله ﷺ، أنكرنا أنفسنا، وكيف لا نُنكر أنفسنا، والله تعالى يقول: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾.

الدر المنثور (٧/٥٦٠)

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)﴾

١) ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ قال محمد بن مناذر: كنت أمشي مع الخليل بن أحمد، فانقطع نعلي، فمشيت حافيًا، فخلع نعليه وحملهما يمشي معي، فقلت له: ماذا تصنع؟ فقال: أواسيك في الحفاء.

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/٢٤٢)

٢) إذا مرض المسلم عاده المسلمون، وإذا افتقر أعانوه، وإذا أحسن شكروه، وإذا كان مظلومًا نصروه، وإذا ظَلَم ردعوه؛ دينهم نصيحة وأمر بمعروف ونهي عن منكر؛ اليس الله يقول: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾؟

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح (٨٩)

٣) إن الإسلام لم يضع للمسلم الخيار في الوحدة، بل وضع هذه الوحدة الإسلامية موضع الأسس الكبرى من الدين، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾.

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح (٢٨٦)

٤) ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ بقدر طاقة الإيمان في قلوبنا؛ نتخطى الحدود والجنسيات ونحبهم.

د. عبد الله بلقاسم

٥) يقول أحدُهم: لقيت بمنىً شابًا غير عربيٍّ، يحمل شيخًا كبيرًا فوق ظهره، فاردت أن اشكره لبرِّه، فقلت: جزيت خيرًا لبرِّك بابيك، فقال: لكنه ليس أبي، ولا من بلدي، فقلت: فمن إذن؟ قال: وجدتُه بعرفة ليس معه أحدٌ، فحملته على ظهري إلى مزدلفة، ومنها إلى منى، قلت: لم فعلت ذلك؟! فقال: سبحان الله ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾.

٦) من أعظم حواجب الرحمة: عدم القيام بحقوق المؤمنين، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾. السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٠٠)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١)﴾

١) هل المستهزئ يستشعر هذا المعنى؟

قال القرطبي معلقًا على قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ ﴾:

وبالجملة فينبغي ألا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن يقتحمه بعينه إذا رآه رثَّ الحال، أو ذا عاهة في بدنه، أو غير لبيق في محادثته؛ فلعله أخلص ضميرًا، وأنقى قلبًا ممن هو على ضد صفته، فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله، والاستهزاء بمن عظمه الله.

الجامع لأحكام القرآن (٣٢٥/١٦)

٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ عسى أن يكون المسخور به خيرًا من الساخر، وهو الغالب والواقع؛ فإن السخرية لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق. السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٠١)

٣) ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ من أعظم التعبير: إظهارُ التعبير وإشاعته في قالب النصح، وقد عدَّ الله من خصال المنافقين إظهار أمرٍ حسنٍ ويراد به التوصل إلى غرض فاسد يقصده في الباطن. ابن رجب، تفسير ابن رجب (٢٧٢/١)

٤) أركان الأخلاق:

١- حفظ المراتب: كحفظ مرتبة النبي ﷺ: ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾.

٢- مراعاة العواقب: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾.

٣- تحري المناقب، وتجنب المثالب: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾.

د. مصطفى البحياوي، تفسير سورة الحجرات (شريط)

٥) قال بعض السلف: "أصبِحُوا تائبين، وأمسُوا تائبين". علّق ابن رجب قائلاً: يشير إلى أن المؤمن لا ينبغي أن يصبح ويمسي إلا على توبة؛ فإنه لا يدري متى يفجاه الموت، فمن أصبح أو أمسى على غير توبة، فهو على خطر؛ لأنه يخشى أن يلقى الله غير تائب؛ فيحشر في زمرة الظالمين، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

تفسير ابن رجب الحنبلي (٣١٤/١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢)﴾

١) التحذير من الذنب وسببه واضح في كتاب الله كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ فانظر لهذا الترتيب: إذا ظن الإنسان بأخيه شيئًا، تجسس عليه؛ فإذا تجسس، صار يغتابه.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (١٢١/٢)

٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ هذه الآية أصلٌ في سد الذرائع وتعليم الورع، فلأجل بعض الظن نجتنب كثيره!

د. عبد المحسن المطيري

٣) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ أمر الله المؤمنين أن يجتنبوا الظن، وكأنه شيء مائل للعيان يمر عليه الإنسان، فعلى العاقل أن يجتنبه تمامًا؛ لأن بعض هذ الظن أي القليل منه إثم، فلأجل هذا القلي يُترك الكثير، ولو أن الناس أخذوا بهاذ التوجيه واجتنبوا الظن – إلا فيما غلبت أدلته – فلم يفكروا فيه؛ لأراحوا واستراحوا.

د. عويض العطوي، كيف نتدبر القرآن (شريط)

٤) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾ جرَّبتُ سوءَ الظن بالناس وحسن الظن بهم؛ فوجدت الأول قطعةً من لهب النار، والثاني نسيمًا من نعيم الجنة، تمشي به بين الناس محبوبًا متفائلاً نشيطًا باذلاً.

د. محمد الخضيري

٥) ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ تأمل كيف نَفَّر القرآن من الغيبة على أبغ وجه، إذ جعل المحبة متجهة إلا ما لا يميل إليه الطبع – وهو أكل لحم الميت –، وزاد الصورة شناعة أن جعل الميت إنسانًا، وأخًا لمن يأكله! ولا يقارف ذلك إلا حيوان متوحش، لا يخضع لتشريع، ولا عهد له بتهذيب.

الخضر حسين، المجموعة الكاملة (٨١٩/٢)

٦) كم هدمت الظنون السيئة من بيتٍ؟ وكم حطَّمت من قلبٍ؟ يعمد الواحد منَّا عند وجود أدنى شكٍّ بالتجسس أو الاختبار برسالة جوال أو بتدبير اتصال، وهذا كله بنص القرآن محرَّم ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾، وفي الحديث: "**وَلا تَحَسَّسُوا**"[١].

د. عصام العويد

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾

ليس في كتاب الله آية واحدة يمدح فيها أحدًا بنسبه، ولا يذم أحدًا بنسبه، وإنما يمدح بالإيمان والتقوى، ويذم بالكفر والفسوق والعصيان.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٣٠/٣٥)

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧)﴾

إلى من عاش مواسم الطاعة: تفقَّد قلبك عند كل عبادة تتقرب بها إلى الله؛ خوفًا من أن يخالطها إعجاب أو منة بأ هذا منك فتهلكن فنعمة الله عليك ومنته بأن وفقك لهذه القربة، أعظم من أداءك لها! ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

أ.د. ناصر العمر

[١] البخاري ح (٥١٤٣)، ومسلم ح (٢٥٦٣)، وأبو داود ح (٤٩١٧)، (وأحمد ح (٧٨٥٧).

سورة ق

سورة ﴿ق﴾ ما من أحد يرددها، فيفتح مسامع قلبه لها إلا فتحت كل السدود التي تراكمت بسبب الذنوب. إن الآمر بقوله: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ (ق: ٢٤)، هو نفسه القائل ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آَمِنِينَ﴾ (الحجر: ٤٦)، هو أيضًا الآمر: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآَنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (ق: ٤٥)، فيا قارئ ﴿ ق ﴾ ق: ١، قد لا تنجو من الأولى وتظفر بالثانية إلا بالثالثة.

د. عصام العويد

﴿ ق وَالْقُرْآَنِ الْمَجِيدِ (١)﴾

قسم بالقرآن، والقسم به دلالة على التنويه بشأنه؛ لأن القسم لا يكون إلا بعظيم عند المقسم، فكان التعظيم من لوازم القسم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٧٦/٢٦)

﴿ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢)﴾

عندما تخضع العقول تفكيرها: للإلف، والعادة، والتقليد، والهوى، دون تجرد لاتباع الحق، فإنها ستنكر البدهيات، وتعارض المُسَلَّمات.

أ.د. ناصر العمر

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤) ﴾

عبر بالانتقاص دون التعبير بالإعدام والإفناء؛ لأن للأجساد درجات من الاضمحلال تدخل تحت معنى النقص، فقد يفنى بعض اجزاء الجسد ويبقى بعضه، وقد يأتي الفناء على عامة أجزائه، وقد صح أن عجب الذنب لا يفنى، فكان فناء الأجساد نقصًا لا انعدامًا.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٨٣/٢٦)

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ (٥)﴾

١) ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ هكذا كل إنسان يرد الحق أول مرة، فليعلم أنه سيبتلى بالشك والريب في قبول الحق في المستقبل؛ ولهذا يجب علينا من حين نسمع أن هذا الشيء حق أن نقول: سمعنا وأطعنا.

ابن عثيمين، تفسير سورة ق (٧٥ – ٧٦)

٢) في هذه الآية: أن مما يفتح الله به على العبد في معرفة الأحكام الشرعية أن يكون مصدقًا موقنًا، فكلما كنت مصدقًا موقنًا، فاعلم أن الله سيفتح لك ما لا يفتحه لغيرك وعليه: فالواجب على المرء أن يقبل الحق فور علمه به؛ لئلا يقع في أمر مريج.

ابن عثيمين، اللقاء الشهري (١/٥)

٣) في وصف رأي الكفار فيما جاء به النبي بأنه ﴿ مَرِيجٍ ﴾ دلالة على أن رأيهم باطل ليس بصحيح؛ لأن الجزم الصحيح لا يتغير ولا يتبدل أما هم فكان أمرهم مضطربًا فهم كما قال الله: ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴾ (الذاريات: ٨).

الرازي، مفاتيح الغيب (١٣٣/٢٨)

٤) إذا رأيت الرجل يتناقض في مواقفه وآرائهن فاعلم أنه لا ينطلق من قاعدة صلبة، أو رؤية واضحة، وإنما يعيش لحظته، وتتحكم به الظروف المحيطة؛ تأمل قوله سبحانه: ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾، ثم تدبر ما بعدها من آيات تجد عجبًا!

أ.د. ناصر العمر

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦)﴾

قد يقول قائل: إن كلمة ﴿ فَوْقَهُمْ ﴾ لا فائدة منها، لأن السماء معروفة أنها فوق، والحكمة في التنصيص عليها هنا، إشارة إلى عظمة هذه السماء، وأنها مع علوها وارتفاعها وسعتها وعظمتها تدل على كمال خلقه وقدرته ﷻ.

ابن عثيمين، تفسير سورة ق (٧٧)

﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨) ﴾

١) شرط الله الإنابة في الفهم والتذكير؛ فقال تعالى: ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ وقال: ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴾ وقال: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة، فليس من ذوي الألباب؛ ولذلك لا تتكشف له أسرار الكتاب.

أبو حامد الغزالي، الإحياء (٥٢/٢)

٢) قيد الله التبصرة والذكرى للعبد بوصفه ﴿ مُنِيبٍ ﴾ وهو – الراجع إلى مولاه –؛ لأنه هو المنتفع بالذكرى، وفي قوله تعالى بعدها: ﴿ رِزْقًا لِلْعِبَادِ ﴾ ق: ١١، أطلق الوصف بغير تقييد؛ لأن الرزق حاصل لكل أحد، غير أن المنيب يأكل ذاكرًا شاكرًا للإنعام، وغيره يأكل كما تأكل الأنعام!.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٣٦/٢٨)

٣) ذكر الله تعالى بعض آياته في الأرض، ثم قال: ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ أي: قدرنا الأرض، وألقينا فيها الرواسي، وأنبتنا فيها أصناف النبات الحسنة؛ لأجل أن نبصر عبادنا كمال ثدرتنا على البعث وعلى كل شيء، وعلى استحقاقنا للعبادة دون غيرنا.

الشنقيطي، أضواء البيان (٤٢٤/٧)

﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥)﴾

﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ﴾؟ هذه من براهيم البعث؛ لأن من لم يعي بخلق الناس، ولم يعجز عن إيجادهم الأول لا شكَّ في قدرته على إعادتهم وخلقهم مرة أخرى؛ لأن الإعادة لا يمكن أن تكون اصعب من البدء.

الشنقيطي، أضواء البيان (٤٢٥/٧)

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦)﴾

فإياك أن تضمر في قلبك شيئًا يحاسبك الله عليه، أما الوساوس التي تطرأ على القلب، ولا يميل الإنسان إليها – بل يحاول دفعها – فلا تضره بل هي دليل إيمانه، فالشيطان إنما يلقي الوساوس على القلب السليم، أما غير السليم، فالشيطان لا يوسوس له؛ لأنه قد انتهى.

ابن عثيمين، تفسير سورة الحديد (٣٦٣)

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) ﴾

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أي: الملكين الذين يكتبان الحسنات والسيئات، وفي بعض الآثار: أنت تجري في معصية الله وفيما لا يعنيك، ألا تستحي من الله ولا منهما؟! ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد (٢٦٩/٧)

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) ﴾

١) في اللسان آفتان عظيمتان، إن خلص العبد من إحداهما لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كل منهما أعظم إثمًا من الأخرى في وقتها.

ابن القيم، الجواب الكافي (١٦١)

٢) فإذا كانت الأقوال تكتب، فالأفعال من باب أولى؛ فعليك أن تتقي الله ﷻ، ولا تخالفه، إذا سمعت الله يقول خيرًا، فقل: آمنت به وصدقت، وإذا سمعت الله يأمر بأمر، فقل: آمنت به وسمعًا وطاعة، أو نهيًا فقل: آمنت به وسمعًا وطاعة.

ابن عثيمين، تفسير سورة القمر (٢٩٧)

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩)﴾

١) لما احتضر أبو بكر، تمثلت عائشة ببيت من الشعر، فكشف أبو بكر عن وجهه، وقال: ليس كذا، ولكن قولي: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾.

الإمام أحمد، الزهد (١٠٩)

٢) وصف الله تعالى شدة الموت في أربع آيات:

١- ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾.

٢- ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾ (الأنعام: ٩٣).

٣- ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴾ (الواقعة: ٨٣).

٤- ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ (القيامة: ٢٦).

فرحم الله عبدًا أعد لذلك المصرع! القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١٨/١)

﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣)﴾

١) ﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ قال الفضيل بن عياض: هو الرجل يذكر ذنوبه في الخلاء، فيستغفر الله منها. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٠٦/٧)

ومما يدخل في هذا المعنى أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله: "**ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**"[1] أي: من تذكره لعظمة الله ولقائه، ونحو ذلك من المعاني التي ترد على القلب.

٢) من رجع عن المخالفات خوفًا من عذاب الله فهو تائب، ومن رجع حياء فهو منيب، ومن رجع تعظيمًا لجلال الله سبحانه فهو أوّاب.

ابن علان، دليل الفالحين (٩٠/١)

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧) ﴾

١) من أوضح ما يكون لذوي الفهم: قصص الأولين والآخرين، قصص من أطاع الله ما فُعل بهم، وقصص من عصاه وما فعل بهم، فمن لم يفهم ذلك ولم ينتفع به، فلا حيلة فيه. كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾؛ ولهذا قال بعدها: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)﴾.

محمد بن عبد الوهاب، مختصر سيرة الرسول (٨)

٢) من يؤتى الحكمة وينتفع بالعلم على منزلتين: إما رجلٌ رأى الحق بنفسه فقبله واتبعه؛ فذلك صاحب القلب، أو رجلٌ لم يعقله بنفسه، بل هو محتاج إلى من يعلمه ويبينه له ويعظه ويؤدبه؛ فهذا أصغى فألقى السمع وهو شهيد، أي: حاضر القلب.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣١١/٩)

٣) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ ولم يقل: (استمع)؛ لأن إلقاء السمع، أي: يرسل سمعه ولا يمسكه وإن لم يقصد السماع، أي: تحصل الذكرى لمن له سمع، وهو تعريض بتمثيل المشركين بمن ليس له قلب وبمن لا يلقي سمعه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٧٠/٢٦)

٤) وفي قوله ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ إشارة إلى أن مجرد الإصغاء لا يفيد، ما لم يكن المصغي حاضرًا بفطنته وذهنه. وفي الآية ترتيب حسن؛ لأنه إن كان ذا قلب ذكي يستخرج المعاني بتدبره وفكره؛ فذاك وإلا فلا بد أن يكون مستمعًا مصغيًا إلى كلام المنذر؛ ليحصل له التذكير.

النيسابوري، غرائب القرآن (١٧٩/٦)

---

[1] البخاري ح (٦٦٠)، ومسلم ح (١٠٣١)، والترمذي ح (٢٣٩١)، ومالك ح (٣٥٠٥)، وأحمد ح (٩٦٦٥).

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (٣٨)
فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩)﴾

فتأمل قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾ فإن أعداء الرسول ﷺ نسبوه إلى ما لا يليق به، وقالوا فيه ما هو منزه عنه، فأمره الله ﷻ أن يصبر على قولهم، ويكون له اسوة بربه سبحانه، حيث قال أعداؤه فيه ما لا يليق.

ابن القيم، إغاثة اللهفان (٢/٣٤٠)

﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢)﴾

من السنة قراءة سورة (ق) في صلاة العيد، ومناسبة ذلك قوله تعالى فيها: ﴿ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾، وقوله: ﴿ كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ (ق: ١١)، وقوله: ﴿ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ (ق: ٤٤)، فخرج المرء للعيد يوم الزينة ينبغي أن لا ينسيه خروجه إلى عرصات الحساب، ولا يكون في ذلك اليوم بطرًا فخورًا، ولا يرتكب فسقًا ولا فجورًا.

الرازي، مفاتيح الغيب (٢٨/١٢٥)

﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤) ﴾

جعل الله لهذا المنظر مثلاً مقرَّبًا – مع بعد ما بين المثلين –، فالحج مظهر مصغر ليوم الحشر، يعيشه المرء، فيدفعه للعمل الصالح، وينشطه في مجال الخير، ويهزم باعث المعصية في نفسه، ويبقى ذكر الموت وما بعده بين عينيه، وفي هذا من الآثار العظيمة ما يلمسه كلُّ حاجٍّ مع نفسه.

د. ناصر الأحمد

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥) ﴾

﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ دعاء القنوت لا ينبغي الإطالة فيه، وجعله موعظة في سجع متكلَّف، وترنيم وتطريب، يستثير به عواطف الناس، ويستدعي بكاءهم، بما لا تجد معشاره أثناء قراءة القرآن، والقرآن أعظم واعظ.

علوي السقاف، مأخذ على بعض الأئمة (مقال على الشبكة)

سورة الذاريات

﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) ﴾

هذه سيرة الكريم يأتي بأبلغ وجوه الكرم، ويستقله، ويعتذر من التقصير.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٧٥/٢٨)

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) ﴾

١) قال قتادة في الآية: من تفكر في خلقه، علم أنما لينت مفاصله للعبادة.

الدر المنثور (٦١٩/٧)

٢) تأمل كيفية خلق الرأس، وكثرة ما فيه من العظام، حتى قيل إنها خمسة وخمسون عظمًا، مختلفة الأشكال والمقادير والمنافع، وكيف ركبه ﷻ على البدن، وجعله عاليًا علو الراكب على مركوبه؟ ثم اقرأ قوله تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١٨٩/١)

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (٢٣)﴾

لقد أقسم ربنا في كتابه بكثير من مخلوقاته: أقسم بالشمس وضحاها، وأقسم بالليل، وبالفجر، فلما ذكر الرزق أقسم بذاته ﷻ فقال: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية (١٢٨)

﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) ﴾

في الآية ترغيب في أن يكون أهل الإنسان – ومن يتولى شؤون بيته – حازمين، مستعدين لكل ما يراد منهم من الشؤون والقيام بمهمات البيت؛ فإن إبراهيم في الحال بادر إلى أهله، فوجد طعام ضيوفه حاضرًا لا يحوج إلا إلى تقديمه.

السعدي، تيسير اللطيف المنان (٣٧٧)

﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) ﴾

سئل الضحاك عن قوله تعالى: ﴿ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾، و ﴿ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ الذاريات: ٤١، و ﴿ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ (الحج: ٥٥)، فقال: ﴿ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ التي لا ولد لها، و﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ التي لا بركة فيها ولا منفعة ولا تلقح، وأما ﴿ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ فيوم لا ليلة له.

الدر المنثور (٦٢٠/٧)

﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣)﴾

استقراء عالم:

﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ ﴾ متى اتصلت (أرسل) بـ (على) فهي بمعنى المبالغة في المباشرة والعذاب، ومتى اتصلت بـ (إلى) فهي أخف.

ابن عطية، المحرر الوجيز (١٦١/٥)

﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦)﴾

١) ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ دون أن يقول: فأخرجنا لوطًا وأهل بيته؛ قصدًا للتنويه بشأن الإيمان والإسلام، أي: أن الله نجّاهم من العذاب لأجل إيمانهم بما جاء به رسولهم، لا لأجل أنهم أهل لوط.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٩/٢٧)

٢) قال قتادة رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾: لو كان فيها أكثر من ذلك، لنجاهم الله؛ ليعلموا أن الإيمان عند الله محفوظ لا ضيعة على أهله.

الدر المنثور (٦٢٠/٧)

٣) ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ فانتبه يا أخي الداعية، لا تجزع إذا دعوت، فلم يستجب لك من المائة إلا عشرة، فالرسل عليهم السلام يبقون في أممهم دهورًا كثيرة، ولا يتبعهم إلا القليل.

ابن عثيمين، تفسير سورة الذاريات (١٥٠)

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧)﴾

آيات ثلاث قلبت حياتي وقادت قلبي للإسلام:

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ (الأنبياء: ٣٠).

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ (النبأ: ٦ – ٧).

لا يمكن لأحد أن يكتشف هذه الحقائق قبل (١٤ قرنًا)! إن وراءها قدرة إلهية بلا شك.. فقادني ذلك للغوص في أعماق القرآن؛ حتى اكتشفت جملة من الحقائق أنارت أمامي الطريق[١].

ريتشارد فيرلين كبير مفتشي فرقة مكافحة الإرهاب البريطانية

﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠)﴾

١) وسمَّى الله الرجوع إليه فرارًا؛ لأنَّ في الرجوع لغيره أنواع المخاوف والمكاره، وفي الرجوع إليه انواع المحابِّ والأمن.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨١١)

افرُّ إليك منك وأين لا *** إليك مفرُّ منك المستجير

٢) ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ هكذا يطمئن المؤمن؛ لأنه يعرف إلى أين يفر حين تصيبه مصيبة، أو يداهمه همٌّ، فأما في عالم الاشقياء فهم يهربون إلى المخدرات، فلا يجدون إلا الوبال، وإلى الشهوات المحرمة، فلا ينالون إلا الأوبئة التي حرمتهم الشهوات، فأين يذهبون؟! هم والله لا يدرون.

د. سفر الحوالي

﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣)﴾

دلالة على أنهم إنما اتفقوا؛ لأن قلوبهم تشبه قلوب بعض في الكفر والطغيان، فتشابهت مقالاتهم للرسل لأجل تشابه قلوبهم.

الشنقيطي، أضواء البيان (٦٧٠/٧)

---

[١] نشره عدد من الصحف، منها: الشرق الاوسط في عددها الصادر يوم السبت ٢٨ صفر ١٤٣١هـ الموافق ١٣ فبراير ٢٠١٠ العدد ١١٤٠٠.

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥) ﴾

١) هنا فتش عن نفسك؛ هل أنت إذا ذُكِّرت بآيات الله وخُوِّفت من الله ﷻ، هل أنت تتذكر أم يبقى قلبك قاسيًا؟ إن كانت الأولى فاحمد الله؛ فإنك من المؤمنين، وإن كانت الثانية، فحاسب نفسك، ولا تلومن إلا نفسك، وعليك أن ترجع إلى الله؛ حتى تنتفع بالذكرى.

ابن عثيمين، تفسير سورة الذاريات (١٦٦)

٢) إذا رأيت قلبك لا يتذكر بالذكرى فاتهمه؛ لأن الله يقول: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فالذكرى لا بد أن تنفع المؤمنين.

ابن عثيمين، تفسير جزء عم (١٨١)

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾

أي: إلا لآمرهم بعبادتي فيعبدني من وفقته منهم لعبادتي، وأبتليهم واختبرهم بالتكاليف ثم أجازيهم على أعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

وإنما قلنا إن هذا هو التحقيق في معنى الآية؛ لأنه تدل عليه آيات محكمات من كتاب الله، فقد صرح تعالى في آيات من كتابه أنه خلقهم ليبتليهم أيهم أحسن عملاً، وأنه خلقهم ليجزيهم بأعمالهم.

الشنقيطي، اضواء البيان (٦٧٣/٧)

﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (٥٩)﴾

انظر كيف سمى الله تعالى السابقين بأزمان بعيدة أصحابًا لهؤلاء؛ وذلك لاتفاقهم في التكذيب، ورمي الرسل بما لا يستحقون، فهم أصحاب في الواقع، وإن تباعدت الأزمان والأماكن.

ابن عثيمين، تفسير سورة الذاريات (١٧٠)

سور الطور

﴿ وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) ﴾

أقسم سبحانه بسيد الجبال، وسيد الكتب، ويكون ذلك متضمنًا للنبوتين المعظمتين: نبوَّة موسى ونبوَّة محمد، وكثيرًا ما يقرن بينهما وبين محلهما كما في سورة "التين".

ابن القيم، في أقسام القرآن (٢٦٥)

﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤)﴾

١) وهذا البيت هو كعبة أهل السماء؛ ولهذا رأى نبيُّنا محمد ﷺ نبيَّ الله إبراهيم الخليل ﵇ مسندًا ظهره إلى البيت المعمور؛ لأنه باني الكعبة الأرضية والجزاء من جنس العمل.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢٨٨/٤)

٢) إذا قرأت هذه الآية، وعلمت ان الله يقسم بهذا البيت الذي في السماء السابعة، ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك، تيقَّنت أنَّ في السماء والأرض عبادًا غيرك يعبدون الله، لكن ليس لك ولا لغيرك إلا الله، وأنه سبحانه غنيٌ عن كلِّ خلقه، وكلُّ خلقه – بلا استثناء – فقير إليه شاء أم أبى، وهذا الذي يتركه أثر القرآن في نفوسنا إذا تلوناه وتدبَّرناه.

صالح المغامسي

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧)﴾

هذه والله جملة عظيمة مؤثرة، لكنها لا تؤثر إلا على قلب لين كلين الزبد أو أشد، أما القلب القاسي فلا يهتم بها، تمر عليه وكأنه حجارة.

ابن عثيمين، تفسير سورة الطور (١٧٨ – ١٧٧)

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١)﴾

دلت هذه الآية على أن شفقة الأبوة كما هي في الدنيا متوفرة كذلك في الآخرة؛ ولهذا طيب الله تعالى قلوب عباده بأنه لا يُوْلِهم باولادهم بل يجمع بينهم.

الرازي، مفاتيح الغيب (٢٠٨/٢٨)

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) ﴾

يقول جبير بن مطعم ﷺ سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآيات: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) ﴾ قال: كاد قلبي أن يطير[١]!

والسؤال: كم مرةً توقفنا عند هذه السورة، وهذه الأسئلة العظيمة القامعة لكل شبهة؟!

﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) ﴾

هذه الآية ينبغي أن يقررها كل مؤمن في نفسه؛ فإنها تفسح مضايق الدنيا.

ابن عطية، المحرر الوجيز (١٩٤/٥)

[١] البخاري ح (٤٨٥٤)، وابن ماجه ح (٨٣٢).

سورة النجم

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) ﴾

١) الضلال يكون من غير قصدٍ من الإنسان إليه، والغي كأنه شيء يكتسبه الإنسان ويريده، فنفى الله تعالى عن نبيه ﷺ هذين الحالين، فلا هو ضل عن جهل، ولا غوى عن قصدٍ، تأمل: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾.

ابن عطية، المحرر الوجيز (١٧٧/٥)

٢) فوصفَه بأن ليس بضال وهو الجاهل، ولا غاوٍ وهو الظالم؛ فإن صلاحَ العبد في أن يعلمَ الحقَّ ويَعمَلَ به، فمن لم يَعلمِ الحقَّ، فهو ضالٌّ عنه، ومَن عَلِمَه فخالفَه واتبَعَ هَواه، فهو غاوٍ، ومَن علمه وعَمِل به، كان من أولي الأيدي عملاً ومن أولي الأبصار علمًا.

ابن تيمية، جامع المسائل (٨٥/٣)

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧)﴾

جرت العادة أن الإنسان إذا دخل منزلاً غريبًا، تجده ينظر يمينًا وشمالاً في هذا المنزل، وخصوصًا إذا تغير تغيرًا عظيمًا، في هذه اللحظة لا بد أن ينظر ما الذي حدث، لكن لكمال أدب النبي ﷺ ورباطة جأشه، وتحمله ما لا يتحمله بشر سواه، صار في هذا الأدب العظيم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤).

ابن عثيمين، تفسير سورة النجم (٢١٢ – ٢١٣)

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (٢٣)﴾

١) افتراءات المشركين وكذبهم على رب العالمين إنما يدفعهم إليها أمران: الظن والهوى، وقد جُمعا في قوله تعالى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾، وهما ما يصد المشركين عن اتباع الحق.

الإسكافي، درة التنزيل (٢٦٣)

٢) كل من خالف الرسول ﷺ، فلا بد أن يتبع الظن وما تهوى الانفس: ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾. ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٦٧/١٣)

٣) نعى القرآن على أقوام جريهم وراء الظنون التي ملأت عقولهم بالخرافات، وأفسدت حاضرهم ومستقبلهم بالأكاذيب، فقال: ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾. الغزالي، خلق المسلم (٣٢)

﴿ فَلِلَّهِ الْآَخِرَةُ وَالْأُولَى (٢٥)﴾

بدأ بالآخرة؛ لأن ملك الله في الآخرة يظهر أكثر مما في الدنيا فيها ملوك، وفيها رؤساء، وفيها زعماء، يرى العامة أن لهم تدبيرًا، لكن الآخرة لا يوجد فيها هذا ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (غافر: ١٦). ابن عثيمين، تفسير سورة النجم (٢١٨ – ٢١٩)

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨)﴾

طلب بعض الولاة رجلاً، فأفلت منه، فأخذ أخاه، وقال له: إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك، قال الرجل: أرأيت إن جئت بكتاب من أمير المؤمنين، تخلِّي سبيلي؟ قال الوالي: نعم، قال الرجل: فأنا نتيك بكتاب من العزيز الرحيم، وأقيم عليه شاهدين: موسى وإبراهيم: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ قال الوالي: خلُّوا سبياه.. هذا رجل لقن حجته. الوافي بالوفيات (٢٤٦/٧)

﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (٤٢)﴾

متضمنة لكنز عظيم، وهو أن كل مراد إن لم يُرَد لأجل الله، ويتصل به، وإلا فهو مضمحل، منقطع، فإنه ليس إليه المنتهى، وليس المنتهى إلا إلى الذي انتهت إليه الأمور كلها، فهو غاية كل مطلوب، وكل محبوب لا يحب لأجله فمحبته عناء وعذاب.

ابن القيم، الفوائد (٢٠٢)

سورة القمر

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) ﴾

خطب حذيفة بن اليمان بالمدائن، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) ﴾ ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق على عهد رسول الله ﷺ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار، وغدًا السباق.

الدر المنثور (٦٧٢/٧)

﴿ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (٣)﴾

كل شيء إلى غاية؛ فالحق يستقر ظاهرًا ثابتًا، والباطل يستقر زاهقًا ذاهبًا.

ابن عطية، المحرر الوجيز (٢١٢/٥)

﴿ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (٧)﴾

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ هذا من أدق التشبيهاتح لأن الجراد المنتشر تجده يذهب يمينًا ويسارًا، لا يدري أين يذهب، فهم سيخرجون من الأجداث على هذا الوجه، بينما هم في الدنيا لهم قائد، ولهم أمير، ولهم موجه يعرفون طريقهم، وإن كان طريقًا فاسدًا.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات – الحديد (٢٦٦)

﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) ﴾

﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ ولم يقل: (وفجرنا عيون الأرض)، فكأن الارض كلها كانت عيونًا متفجرة، حتى التنور الذي هو أبعد ما يكون عن الماء لحرارته ويبوسته صار يفور، كمال قال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ (هود: ٤٠).

ابن عثيمين، تفسير الحجرات – الحديد (٢٧٠)

﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣)﴾

إنما ذكر الله تعالى مادة صنع السفينة، وأنها من الأخشاب والمسامير، أو الروابط التي تربط بين تلك الاخشاب! ليكون ذلك تعليمًا للبشر أن يصنعوا السفن على هذا النحوز

ابن عثيمين، تفسير الحجرات – الحديد (٢٧١)

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٧) ﴾

١) أنزل الله القرآن يحتوي على عجائب الحكم، فمن فتشه بيد الفهم، وحادثه في خلوة الفكر؛ استجلب رضا المتكلم به، وحظي بالزلفى لديه: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

ابن الجزري، صيد الخاطر (١٢٣)

٢) هو قرآن واحد يراه البلغاء أوفى كلام بلطائف التعبير، ويراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم، لا يلتوي على أفهامهم، ولا يحتاجون فيه إلى ترجمان وراء وضع اللغة، فهو متعة العامة والخاصة على السواء، ميسر لكل من أراد: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

د. محمد دراز، النبأ العظيم (١٤٣)

٣) القرآن المجيد ليس صورة لنفسية فرد، وات مرية لعقلية شعب، ولا سِجلًا لتاريخ عصر، وإنما هو كتاب الإنسانية المفتوح، ومنهلها المورود، فمهما تتباعد الأقطار والعصور، ومهما تتعدد الأجناس والألوان واللغات، ومهما تتفاوت المشارب والنزعات، سيجد فيه كل طالب للحق سبيلًا ممهدًا، يهديه إلى الله، على بصيرة وبينة: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

د. محمد دراز، الدِّين ١٧٢

٤) ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ قوله: ﴿ لِلذِّكْرِ ﴾ قيل في معناه أقوال، وأقربها للصواب: الأذكار والاتعاظ، أي: أن من قرأه ليتذكر به ويتعظ به، سهل عليه ذلك واتعظ وانتفع، ومما يرجح هذا: قوله بعد ذلك: ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ يعني: هل أحد يدكر؟ مع أن الله سهل القرآن للذكر، أفلا يليق بنا وقد سهله الله للذكر أن نتعظ ونتذكر؟ بلى!

ابن عثيمين، تفسير الحجرات – الحديد (٢٧٣)

٥) ابذل من نفسك، واتعب في تحصيل القرآن، أما أن تتمنى وتسترخي وتخطط ولا تنفذ، فلا يمكن أن تحفظ بهذه الطريقة، أما قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ فالتيسير هذا لا ينافي المشقة عند بعض الناس، والله ﷻ إذا علم صدق النية من الشخص، أعانه عليه ويسره له.

د. عبد الكريم الخضير

٦) يا قائم رمضان: استجمع الفؤاد، وعش مع هذه الآيات في عظاتها! عش مع أهل الجنة في نعيمهم وسرورهم؛ حتى تتحرك النفس إلى الجنان، وعش مع أهل النار في جحيمهم وسعيرهم، فإن هذا يزكي الفؤاد حال تذكرهما، ويكسبه الرقة والخوف من رب العباد، فما تفكر عبد في بيات القرآن إلا تذكر: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآَنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ فكن ذلك المدكر!

د. محمد المختار الشنقيطي

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨)﴾

ما فائدة تكرار قوله تعالى عن قوم عاد: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾، في ابتداء القصة وفي آخرها؟ الجواب: أن الأولى تخبر عن عذابهم في الدنيا والثانية عن عذابهم في الآخرة؛ وذلك أن الله اختص عادًا بذكر عذابين لها في قوله تعالى: ﴿ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴾ (فصلت: ١٦)، ويصح أن تكون الأولى قبل وقوع العذاب والثانية بعد وقوعه؛ توبيخًا لهم.

الإسكافي، درة التنزيل (٢٦٤)

﴿ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧)﴾

١) ﴿ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ ﴾ في هذا إشارة إلى أن الله تعالى قد يظهر للإنسان من الآيات ما يؤمن على مثله البشر؛ حتى إذا استكبر كان استكباره عن علم، فكان عقابه أشد وأوجع؛ ولهذا جعل الله الناقة فتنة؛ لأنها أظهرت الحق لهم، ولكن لم يقبلوه.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات – الحديد (٢٨١)

٢) ﴿ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ ﴾ انتبه لهذا الاستدراج من الله ﷻ، إذا يسر لك أسباب المعصية، فلا تفعل؛ فإن الله ربما ييسر أسباب المعصية للإنسان فتنة له.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات – الحديد (٢٨١)

﴿ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥)﴾

الشكر وقت الرخاء من أهم أسباب النجاة وقت الشدة، تأمل منة الله على نبيه لوط عليه السلام بنجاته: ﴿ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾.

د. عمر المقبل

﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (٤٦)﴾

عن القاسم بن معن: أن أبا حنيفة قام ليلة بهذه الآية: ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾، يرددها ويبكي ويتضرع.

تاريخ بغداد (٤٨٩/١٥)

والسؤال: كم مرة مررنا بهذه الآية ولم تحرك فينا ساكنًا؟

﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠)﴾

﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ إن شئت أن ترى عجائب ذلك فانظر إلى الزلازل التي تصيب مئات القرى، بل آلاف القرى، وبلحظة واحدة تعدمها! لو جاءت المعاول والآلات والقنابل، لم تفعل مثل فعل لحظة واحدة من أمر الله ﷻ!

ابن عثيمين، تفسير الحجرات – الحديد (٢٩٤)

﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (٥٣) ﴾

حتى الشوكة يشاكها الإنسان تكتب، حتى ما يزن مثقال ذرة من الأعمال يكتب، وإذا آمنت بذلك؛– ويجب عليك أن تؤمن به – فإنه يجب عليك الحذر من المخالفة، فإياك أن تخالف بقولك، أو فعلك، أو تركك؛ لأن كل شيء مكتوب.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات – الحديد (٢٩٧)

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)﴾

من بركة الإقبال على القرآن حسن الخاتمة: فقد مات ابن تيمية رحمه الله وقد وقف في القراءة عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥) ﴾، وآخر آية فسرها العلامة الشنقيطي هي: ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ (المجادلة: ٢٢) وغير ذلك كثير جدًا، فنسأل الله تعالى حسن الختام.

سورة الرحمن

تأمَّل قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ كيف جعل الخلق والتعليم ناشئًا عن صفة الرحمة، متعلقًا باسم الرحمن، وجعل معاني السورة مرتبطة بهذا الاسم، وختمها بقوله: ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن: ٧٨)، فالاسم الذي تبارك هو الاسم الذي افتتح به السورة؛ إذ مجيء البركة كلها منه، وبه وضعت البركة في كل مبارك، فكل ما ذُكر عليه، بورك فيه، وكل ما خلي منه، نزعت منه البركة.

ابن القيم، مختصر الصواعق (٢/١٢٤)

﴿ الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) ﴾

١) في تقديم تعليم القرآن على خلق الإنسان إيذان بمكانته، وإعلام بشانه وهدايته، ولولا فضل الله بتعليم القرآن، لكان الإنسان أسيرًا وعبدًا لدنياه، فليكن القرآن مقدمًا في حياتنا؛ لنبصر على هداه – جميع أمرنا.

محمد الراوي، حديث القرآن عن القرآن (٤٦٣)

٢) ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) ﴾ الإنسان بالأمس نطفة، واليوم هو في غاية البيان وشدة الخصام يجادل في ربه، وينكر قدرته على البعث، فالمنافاة العظيمة التي بين النطفة وبين الإبانة في الخصام – مع أن الله خلقه من نطفة وجعله خصيمًا مبينًا–: بية من آياته ﷻ، دالة على أنه المعبود وحده، وأن البعث من القبور حق.

الشنقيطي، أضواء البيان (٧/٧٣٥)

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩)﴾

١) قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾ اعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل عليك، وأوف كما تحب أن يوفى لك؛ فإن العدل يصلح الناس.

الدر المنثور (٧/٦٩٢)

٢) تقدم الميزان وتكرر في ثلاث آيات متتابعات في سورة الرحمن: ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾؛ لأنه دين العدل، وبه قامت السماوات والأرض! د. عبد الله الغفيلي

﴿ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣)﴾

١) لما جاءت سورة الرحمن بذكر نعمٍ تجل عن الإحاطة بالوصف ويعجز العارف بها عن شكرها، تكرر قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣)﴾، في عامة السورة؛ وذلك أنها تعم ظاهرة مشاهدة لكل مخلوقاته، ولا طمع لأحد في نسبتها لغير الله تعالى، فتتابع التكرار واشتد الإنكار على من كذب بشيء من ذلك.

الغرناطي، ملاك التأويل (١٠٦١)

٢) إذا تأملت سورة القمر، وجدت خطابها خاصًا ببني آدم، بل بمشركي العرب منهم فقط، فأتبعت سورة القمر بسورة الرحمن؛ تنبيهًا للثقلين، وإعذارًا إليهم، وتقريرًا على ما أودع سبحانه في العالم من العجائب، والبراهين الساطعة، فتكرر فيها التقرير والتنبيه بقوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣)﴾؛ خطابًا للجنسين، فبان اتصالها بسورة القمر أشد البيان. ابن الزبير الغرناطي، نظم الدرر (٢٩٣/٨)

﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) ﴾

في قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الإنس والجن والملائكة وكل المخلوقات ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ وفي هذا حفاوة بالدعاء والسؤال، والتعرض لنفحات ذي الجلال؛ فإنها مظنة تعجيل التبديل والتغيير، فإذا سألوه وألحوا في سؤالهم، كان من شأنه أن يجيب سائلهم، ويغير أحوالهم من الهوان والتخلف والجهل والمرض والفرقة والضياع إلى الرفعة والمجد والعلم والعافية والاتحاد، وهذه مناسبة اتصال أول الآية بآخرها. د. سلمان العودة

﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (٤١)﴾

في الآخرة لا تسجل القضية ضد مجهول! ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ ﴾ بعلامات تظهر عليهم: كالزرقة: ﴿ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ طه: ١٠٢، وسواد الوجه: ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ (آل عمران: ١٠٦). د. سعد العتبي

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) ﴾

يقول أحد الإخوة: كم من معصية في الخفاء منعني منها قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾، إنها آية واحدة تغني عن كثير من المواعظ[1].

﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٥٦)﴾

قال الحسن رحمه الله: قاصرات الطرف على أزواجهن لا يردن غيرهم، والله ما هن متبرجات ولا متطلعات. الدر المنثور (١٤/١٤٣)

وفي هذا دلالة على عظم خلق الحياء، وأنه ممتد إلى عالم الآخرة.

[1] من آثار وبركات هذه الرسالة على إخواننا المشتركين، ما سطره بعض المشتركين – بارك الله فيه – حيث قال: (سبحان الله! أوشكت أن أقترف معصية، فجاءت رسالتكم وفيها: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) ﴾ فأعانتني على تركها، فجزاكم الله خيرًا، ولا تنسونا من دعائكم) انتهت الرسالة.
ونقول: هكذا فليكن التدبر، وهل يراد من القرآن إلا تدبره والعمل به؟ فأكثر الله في المسلمين من أمثاله.

سورة الواقعة

١) قال مسروق: من اراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة، ونبأ اهل النار، ونبأ أهل الدنيا، ونبأ اهل الآخرة، فيقرأ سورة الواقعة.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩٤/١٧)

٢) هل تأملتَ كيف تحدَّثتْ (الواقعة) عن ثواب المؤمنين وعقوبة أصحاب الشمال؟ ففي الحديث عن ثواب المؤمنين لم يذكر سبب الثواب، وحينما ذكر عذاب أصحاب الشمال بين سبب تعذيبهم. والحكمة في ذكر سبب عذابهم، مع أنه لم يذكر في أصحاب اليمين سبب ثوابهم، فلم يقل: إنهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين؛ التنبيه على أن ذلك الثواب منه تعالى فضل، لا تستوجبه طاعة مطيع، وشكر شاكر، وأن العقاب منه تعالى عدلٌ، فإذا لم يعلم سبب العقاب يظن أن هناك ظلمًا.

روح البيان، إسماعيل حقي (٣٢٨/٩)

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١)﴾

ابتدأ الله هذه السورة بجملة شرطية عن وقوع الساعة، حذف جوابها؛ ليذهب الذهن في تقديره كل مذهب، ويسلك في تفخيمه كل طريق!

ابن عثيمين، الضياء اللامع (٣٦١/٢)

﴿ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣)﴾

١) قال زيد بن أسلم: من انخفض يومئذ؛ لم يرتفع أبدًا، ومن ارتفع يومئذ؛ لم ينخفض أبدًا.

الدر المنثور (٥/٨)

٢) في الآية تعظيم لشأن يوم القيامة، وترغيب وترهيب؛ ليخاف الناس في الدنيا من أسباب الخفض في الآخرة فيطيعوا الله، ويرغبوا في أسباب الرفع فيطيعوه أيضًا.

الشنقيطي، أضواء البيان (٧٦٤/٧)

٣) قال تعالى عن القيامة: ﴿ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ يعني: هي خافضة رافعة، فأهل العلم والإيمان هم الذين لهم الرفعة في الدنيا والآخرة، ومن سواهم فإنهم موضوعون بحسب بعدهم عن العلم والإيمان، وتخفض أهل الجهل والعصيان، وكم من إنسان في الدنيا رفيع الجاه، معظم عند الناس، يكون يوم القيامة من أحقر عباد الله؟!

ابن عثيمين، تفسير الحجرات – الحديد (٣٢٧، ٣٢٨)

﴿ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١)﴾

قدم ذكر الفاكهة على اللحم؛ لأن الفواكه أعز، ولذلك جعل التخير للفاكهة، والاشتهاء للحم؛ ولأن الاشتهاء أعلق بالطعام منه بالفواكه، فلذة كسر الشهية بالطعام لذة زائدة على لذة حسن طعمه، وكثرة التخير للفاكهة فيه لذة اخرى هي لذة تلوين الأصناف فهم من لذة عظمى إلى مثلها.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٩٥/٢٧)

﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧)﴾

قال المفسرون: العروب هي العاشقة المتعشقة لزوجها، الغنجات حسنات الكلام مع أزواجهن على الفراش فالصالحة تجمع ولا بد صفتين وهما: تمام الحياء عند غير زوجها، وكمال اللعب والتكسر والتغنج والتعشق والخضوع إذا خلت ببعلها ولهن مثل الذي عليهن.

د. عصام العويد

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥)﴾

١) ﴿ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ حتى الكلمة الطيبة تلقيها، فالله يزرعها في القلوب.

متدبر

٢) ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾، أي: بعد أن يخرج وتتعلق به النفوس يجعله الله حطامًا، ولم يأت التعبير بـ (لو نشاء لم ننبته)؛ لأن كونه ينبت وتتعلق به النفس، ثم يكون حطامًا أشد وقعًا على النفس من كونه لا ينبت أصلاً.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات – الحديد (٣٤٣)

﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠)﴾

لم يقل: لو نشاء لم ننزِّل؛ لكن قال: لو نشاء جعلناه أجاجًا – أي: مالحًا لا يمكن أن يشرب–، فما الحكمة في اختيار هذه اللفظة: ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾؟ لم يقل: لو نشاء لم ننزِّل؛ لأن حسرة الإنسان على ماء بين يديه، ولكن لا يستطيعه ولا يستسيغه أشد من حسرته على ماءٍ مفقودٍ.

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (٧٣) ﴾

١) في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴾ لطيفة، وهي: أن الله تعالى قدم كونها تذكرة على كونها متاعًا؛ ليعلم العبد أن الفائدة الأخروية أتم وبالذكر أهم.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٦١/٢٩)

٢) كلما أَوْقَدْتَ نارًا تتدفأ بها، فتذكَّر قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ قال الشنقيطي: أي: أن دار الدنيا إذا أحسُّوا شدَّة حرارتها، تذكَّروا بها نار الآخرة التي هي أشد منها حرًّا؛ لينزجروا عن الأعمال المقتضية لدخول النار.

أضواء البيان (٧٩٦/٧)

٣) ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴾ خص المقوين بالذكر وإن كانت منفعتها عامة للمسافرين والمقيمين؛ تنبيهًا لعباده – والله أعلم بمراده من كلامه – على أنهم كلهم مسافرون وأنهم في هذه الدار على جناح سفر ليسوا مقيمين ولا مستوطنين وأنهم عابرو سبيل وابناء سفر.

ابن القيم، طريق الهجرتين (١٤٢)

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧)﴾

١) ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ بها يهتدي في ظلمات البر والبحر، ثم أتبعها بما يهتدي به في ظلمات الشرك والجهل: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ يهتدي به، فتأمل بين القسم وجوابه.

متدبر

٢) وصف القرآن بأنه كريم في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ فيه ميزة وهي: أن الكلام إذا قرئ وتردد كثيرًا، يهون في الأعين والآذان؛ ولهذا ترى من قال شيئًا في مجلس الملوك لا يذكره ثانيًا ولا يكرره، فقوله تعالى: ﴿ كَرِيمٌ ﴾ أي: لا يهون بكثرة التلاوة بل يبقى أبد الدهر كالكلام الغض والحديث الطري.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٦٦/٢٩)

٣) القرآن كريم في ثوابه؛ فالحرف بعشر حسنات، والحسنة بعشر أمثالها، وهو كريم في آثاره على القلوب وصلاحها؛ فإن قراءة القرآن تلين القلب، وتوجب الخشوع لله ﷻ، وكريم في آثاره بدعوة الناس إلى شريعة الله ﷻ.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات – الحديد (٣٤٧)

﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)﴾

١) كما أن اللوح المحفوظ الذي كتب فيه حروف القرآن لا يسمه إلا بدن طاهر، فمعاني القرآن لا يذوقها إلا القلوب الطاهرة، وهي قلوب المتقين.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٤٢/١٣)

٢) علق البخاري على قوله: ﴿ لَا يَمَسُّهُ ﴾، فقال: "لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن ولا يحمله بحقه إلا الموقن المؤمن". قال ابن حجر: "والمعنى لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به، وأيقن بأنه من عند الله، فهو المطهَّر من الكفر، ولا يحمله بحقه إلا المطهَّر من الجهل والشك، لا الغافل عنه الذي لا يعمل".

فتح الباري (٥٠٨/١٣) (بتصرف)

﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠)﴾

إشارة إلى أنه يجب علينا أن نعمل به؛ لأن الذي أنزله هو الرب المطاع الخالق الرازق، الذي يجب أن نطيعه بما أمر، وننتهي عما نهى عنه وزجر.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات – الحديد (٣٤٩)

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣)﴾

ذكر الله الحلقوم دون المريء؛ لأن الخلقوم مجرى النفس، وبانقطاعه يموت الإنسان، فإذا بلغت الروح الحلقوم وهي صاعدة من أسفل البدن إلى هذا الموضع، حينئذ تنقطع العلائق من الدنيا، ويعرف الإنسان انه اقبل على الآخرة، وانتهى من الدنيا.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات – الحديد (٣٥١)

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧)﴾

عندما أقرأ وصف المحتضر – وهو على عتبات الآخرة – وروحه تودع الدنيا، أترك رهبة الصورة تغزو نفسي، وأنا مستكين: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧)﴾.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم (١١)

سورة الحديد

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)﴾

إنما خلقها الله في ستة أيام – والله أعلم – لحكمتين:

١-أن هذه المخلوقات يترتب بعضها على بعض، فرتب الله تعالى بعضها على بعض حتى أحكمها، وانتهى منها في ستة أيام.

٢-ان الله علم عباده التؤدة والتأني، وأن أهم إحكام الشيء لا الفراغ منه.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات – الحديد (٣٦٥)

﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦) ﴾

﴿ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ إذا كنت تصدق بذلك، فهل يمكن أن تضمر في قلبك ما لا يرضاه الله؟ إن كنت مؤمنًا لا يمكن، فطهر قلبك من الرياء والنفاق، والغل على المسلمين، والحقد والبغضاء؛ لأن قلبك معلوم عند الله ﷻ.

ابن عثيمين، تفسير سورة الحجرات – الحديد (٣٧٣)

﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٩) ﴾

﴿ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ أقرب الخلق إلى الله تعالى أعظمهم رأفة ورحمة، كما أن ابعدهم منه من اتصف بضد صفاته.

ابن القيم، الروح (٢٥١)

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)﴾

١) بالشجاعة والكرم في سبيل الله فتضَّل السابقون، قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥٨/٢٨)

٢) إنزال الناس منازلهم، ومراعاة مراتبهم في الفضل منهج قرآني، تأمل: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾؛ فليحذر أولئك الذين يتجاوزون من لهم سابقة في علم أو دعوة بحجة أنهم بشر، وأنهم غير معصومين... إلخ، تلك الدعاوى التي نهايتها أن لا يبقى للأمة أئمَّة يُقتدى بهم.

د. عمر المقبل

﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣)﴾

﴿ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ ﴾ حيث كان منهجم الخداع للمؤمنين في الدنيا، فكان الجزاء من جنس العمل، إذ لن يجدوا نورًا، وإنما سيجدون نارًا، وتأمل دقة اللفظ ممن خاطبهم، حيث قال: ﴿ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾ ولم يقل: (فستجدون نورًا).

أ.د. ناصر العمر

﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤)﴾

١) مرارة الانتكاس: ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ أشدّ ما يكون من الحسرة والبلاء أن يُفتح للعبد طريقُ النجاة والفلاح؛ حتى إذا ظن أنه ناجٍ ورأى منازل السعداء، اقتُطِعَ عنهم وضُربت عليه الشقوة.

ابن القيم، طريق الهجرتين (٨٨١/٢ – ٨٨٢)

٢) ﴿ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ كم مَنْ شارف مركبُه ساحلَ النجاة، فلما همَّ أن يرقى، لعِبَ به موج الهوى، فغرق.

ابن رجب، لطائف المعارف (٣٤٠)

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦)﴾

١) ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ **(الحديد: ١٦) قال ابن مسعود ﷺ: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين[١].**

فكم سَنة لنا في الإسلام، وربما في الاستقامة؟!

٢) أحضر قلبك.. فالقرآن أول ما نزل على القلب، فإن أنصت القلب وانفتح لخطاب الله؛ أنصتت تبعًا له بقية الجوارح، وإن أعرض؛ كانت كالرعية بلا راعٍ، ويوضح هذا لك أن الله عاتب المؤمنين بعدم خشوع قلوبهم عند سماع القرآن: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾.

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨)﴾

﴿ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ **وصف الله القرض بانه حسنٌ، وليكون كذلك فلا بد أن يجمع شرطين:**

١-الإخلاص لله ﷻ.
٢-المتابعة لرسول الله ﷺ.

فالمرائي الذي ينفق ماله رياء لم يقرض الله قرضًا حسنًا.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات – الحديد (٣٩٢)

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠)﴾

العاقل إذا قرأ القرآن وتبصر عرف قيمة الدنيا، وأنها ليست بشيء، وأنها مزرعة للآخرة، فانظر ماذا زرعتَ فيها لآخرتك؟ إن كنت زرعت خيرًا، فأبشر بالحصاد الذي يرضيك، وإن كان الأمر بالعكس، فقد خسرت الدنيا والآخرة.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٣٥٨/٣)

[١] مسلم ح (٣٠٢٧).

﴿ لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣)﴾

الزهد المشروع هو ترك كل شيء لا ينفع في الدار الآخرة، وثقة القلب بما عند الله، وفي الأثر: "الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك اوثق مما في يدي الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فيها أو أنها ابقيت لط"؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾. ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٦٤/١٠)

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)﴾

فيه إشارة لأولي الألباب إلى الوسائل التي تتيح الغلبة والقوة، وإشارة أخرى إلى أن الحق لا ينتصر بالحماس الجاهل، فمن فقد عدالة المبدأ وخبرة القدير المدربن فلا يلومن إلا نفسه! محمد الغزالي، المحاور الخمسة (٦٥)

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧)﴾

قال عبد الرحمن بن عمر: ذُكِر عند عبد الرحمن بن مهدي قوم من أهل البدع، واجتهادهم في العبادة، فقال: لا يقبل الله إلَّا ما كان على الأمر والسُّنة؛ ثم قرأ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾، فلم يقبل ذلك منهم، ووبَّخهم عليه، ثم قال: الزم الطريق والسنة. حلية الأولياء (٨/٩)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٨) ﴾

تأمل حيث جعل الله تحقيق التقوى من أجل غايات الصيام، ثم انظر لأثر التقوى في حياتك، ومن اعظم ذلك أن يجعل الله لك نورًا تمشي به في الظلمات، مع الرحمة وتكفير السيئات، وقفْ مليًا مع: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أ.د. ناصر العمر

سورة المجادلة

سورة المجادلة ورد في كل آية منها اسم الجلالة (الله)، دون الربوبية (رب)، وقد ورد (٤٠) مرة، وهو – أي اسم الجلالة (الله) – يغلب وروده في مقام الأحكام الشرعية، ومقام تربية المهابة.

د. مساعد الطيار

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١)﴾

بينما عمر بن الخطاب يسير على حماره لقيته امرأة، فقالت: قف يا عمر! فوقف، فأغلظت له القول، فقال رجلك يا أمير المؤمنين ما رأيت كاليوم! فقال: وما يمنعني أن استمع إليها وهي التي استمع الله لها، فأنزل فيها ما نزل: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾.

الدر المنثور (٧٠/٨)

﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٥)﴾

١) ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، وقوله بعدها: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾؟ الفرق أن الكافرين على نوعين: فالكافر غير المحاد لله ورسوله له عذاب أليم، أما الكافر المحاد والمعادي لله ورسوله فله مع العذاب الأليم الكبت والإذلال والقهر والخيبة في الدنيا والآخرة، فناسبت كل خاتمة ما ذكر قبلها.

الإسكافي، درة التنزيل (٢٧٢)

٢) وصف الله عذابه للكفار بأنه ﴿ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ فإن قيل: وهل هناك عذاب غير مهين؟ قيل: المهين هو المورث صاحبه ذلة وهوانًا، ويخلد فيه صاحبه لا ينتقل من هوانه إلى عز وكرامة أبدًا، الذين يعذبون في الآخرة ليمحصوا، فإن ذلك وإن كان عذابًا فهو غير مهين؛ لأن الغاية تمحيصه من آثامه ثم يورد معدن العز والكرامة ويخلد في نعيم الجنان.

الطبري، جامع البيان (٢٥٤/٢)

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦) ﴾

١) لو رمى العبد بكل معصية حجرًا في داره، لامتلأت داره في مدة يسيرة قريبة من عمره، ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي، والملكان يحفظان عليه ذلك: ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾.

أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (٤٠٦/٤)

٢) اجتمعت كلمةٌ إلى نظرة، إلى خاطر قبيح وفكرة، في كتاب يحصي حتى الذرَّة، والعصاةُ عن المعاصي في سكرة؛ فجنوا ما جنوا ثمار ما غرسوه: ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾.

ابن الجوزي، التبصرة (٣٥٩)

٣) إن المسلم الحق يغالي بالوقت مغالاة شديدة، فإذا سمح بضياعه وترك العوادي تنهبه؛ فهو ينتحر بهذا المسلك الطائش: ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم (٢٠٥)

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠)﴾

الحزن يضعف القلب، ويوهن العزم، ويضر الإرادة، ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فالحزن مرض من أمراض القلب، يمنعه من نهوضه وسيره وتشميره.

ابن القيم، طريق الهجرتين (٢٧٩)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)﴾

١) دل قوله تعالى: ﴿ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ على أن كل من وسع على عباد الله أبواب الخير والراحة، وسع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة، ولا ينبغي للعاقل أن يقيد الآية بالتفسح والتوسع في المجلسن بل المراد منه إيصال أي خير إلى المسلم، وإدخال السرور في قلبه.

الرازي، مفاتيح الغيب (٢٣٤/٢٩)

٢) إذا كان جزاء الفسح في المكان، هو توسعة الرزق في الدنيا، وتوسعة المنازل في الجنة، وهي لا تضر الفاسحَ شيئًا، ولا تكلفه جهدًا، فكيف بمن فرج عن مسلم كربة، أو دفع عنه مسغبة، أو قضى له حاجة؟! د. صالح البهلال

٣) كيف بمن يسعى لإخوانه؟!

﴿ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ يوسع الله حياتك بحركة يسيرة تتحركها ليقعد أخوك؛ كيف بمن يسعى ويركض من أجلهم؟! د. عبد الله بلقاسم

٤) ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا ﴾ لا يبعد أن يدخل في إشارات هذه الآية فسح المجال للمتحدث، وترك الاستئثار بالحديث في المجلس، والبعد عن مقاطعة من يشرع بحديث، أو تكذيبه، أو إكمال كلامه، والله أعلم.

د. محمد الحمد، هداية آيات (٤٣)

٥) لما أمر الله عباده بأدبين من آداب المجالسة فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا ﴾ أعقبهما بقوله: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ فدل على أن أهل العلم أولى من أخذ بهذين الأدبين، وأنهم أولى من تؤدب معهم بهما، وان مجالسهم أولى المجالس بالقيام بهما.

د. محمد الخضيري

٦) قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ ولم يقل (يرفعكم)؛ ليدل ذلك على فضيلة الإيمان والعلم عمومًا، وأن بهما تحصل الرفعة في الدنيا والآخرة، ويدل على أن من ثمرات العلم والإيمان: سرعة الانقياد لأمر الله، وأن هذه الآداب ونحوها إنما تنفع صاحبها، ويحصل له بها الثواب إذا كانت صادرة عن العلم والإيمان.

السعدي، المواهب الربانية (٢١)

٧) من عمل بهذا القرآن تصديقًا وطاعة وتخلقًا، فإن الله تعالى يرفعه به في الدنيا وفي الآخرة؛ وذلك لن هذه القرآن هو أصل العلم، ومنبع العلم، وكل العلم، وقد قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٦٤٦/٤)

٨) كم من عالم لا يرتفع بعلمه! وذلك لضعف إيمانه، وقلة إخلاصه، وضعف عنايته بأمر قلبه، لا لقة علمه، وذلك أن الله وعد بالرفعة من جمع الإيمان والعلم فقال: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ وهذا سر ارتفاع قدر أفراد من العلماء من بين سائر أهل العلم.

د. محمد الخضيري

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢)﴾

من أبين النَّسْخ في القرآن: نَسْخَ وجوب الدقة عند مناجاة الرسول ﷺ وقد أجمع العلماء عليه. ويبقى السؤال: ما حكمة ذكره وقد نسخ وزال المقصود منه بموت الرسول.

فيقال: ليبقى لورثة رسول الله ﷺ من أهل العلم هيبة وقد فلا يجترأ عليهم ولا يؤذون بكثرة الأسئلة، والمناجاة في كل وقت فلا جفاء ولا غلو؟

د. محمد الخضيري

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨)﴾

قال تعالى عن المنافقين: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ وهذا يقتضي توغلهم في النفاق ورسوخه فيهم وأنه باق في ارواحهم بعد بعثهم؛ لأن نفوسهم خرجت من عالم الدنيا متخلقة به، فإن النفوس إنما تكتسب تزكية او خبثًا في عالم التكليف.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٥٢/٢٨)

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾

١) ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ إنما يثبت الإيمان بملاحظة أسبابه وأدلته، وبملازمة الطاعات وأنواع القربات.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (٥٩)

٢) وفي قوله تعالى: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ سر بديع وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى؛ عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم والفضل العميم.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣٩٦/٤)

٣) تدبر هذه الآية كاملة:

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

حيث جعل جزاءهم عظيمًا مقابل البراءة من أقرب الناس إليهم، إذ لا تفعل ذلك إلا النفوس المؤمنة القوية: ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ فكان العطاء سخيًا وافرًا، توج ذلك برضوانه عليهم، وبأن جعلهم من حزبه المقربين، عوضًا عن تركهم لتحزبات الجاهلية بالباطل: ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.

أ.د. ناصر العمر

سورة الحشر

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢)﴾

الاعتماد في الحماية والنصرة على المخلوقين من أعظم أسباب الخذلان في أحرج الأوقات، تدبر: ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾.

أ.د. ناصر العمر

﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) ﴾

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ يؤلمني جدًا عندما يقال لشخص: قال رسول الله كذا وكذا، فيقول لك: هل فيه خلاف؟ سبحان الله! المخالف قد يكون معذورًا في مخالفة النص لتأويله، أو عدم علمه، لكن أنت غير معذور، وإذا عذر المتبوع، فليس للتابع عذر.

ابن عثيمين، لقاء الباب المفتوح (الجلسة الأولى من عام ١٤١٣هـ)

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨)﴾

١) قال أبو بكر بن عياش: أبو بكر الصديق رضي الله عنه هو خليفة رسول الله في القرآن؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨)﴾ فمن سماه الله صادقًا، فليس يكذب، وقد ناداه الصحابة: فقالوا: يا خليفة رسول الله!

سير أعلام النبلاء (٢٨/١٦)

٢) والصادقون في هذه الآية الذين جمعوا بين صدق اللسان وصدق الأفعال؛ لأن افعالهم في أمر هجرتهم إنما كانت وفق أقوالهم.

ابن عطية، المحرر الوجيز (٢٦١/٥)

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)﴾

١) إذا أردت أن تعرف بعض مزايا الأنصار النادرة، فقف وتأمل: ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ فعبر بـ (الحب) دون غيره كـ (القبول والرضا والإكرام)؛ لأن الناس – غالبًا – يتضايقون ممن يفد إليهم من بلاد أخرى، بل قد لا يتحمل بعضهم ضيفًا عزيزًا بضعة أيام، فكيف بمن سيشاركهم الإقامة والمعيشة؟.

أ.د. ناصر العمر

٢) سئل أبو الحسن البوشنجي عن الفتوّة – أي: الرجولة التي يتفاخر بها بعض الناس – فقال: الفتوّة عندي في آية من كتاب الله، وخبر عن النبيِّ ﷺ، فالآية قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، والخبر: "**لا يؤمن العبدُ حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**"[1]، فمن اجتعتا فيه، فله الفتوّة.

شعب الإيمان للبيهقي (٢٦١/٣)

٣) ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ﴾ أحسن ما قيل فيه: لا يحسدون إخوانهم على فضل ما أعطاهم الله.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٦٩/٨)

٤) يؤسفنا كثيرًا أن يقع المسلمون في التكالب العظيم على جمع الدنيا وهم يقرؤون قول الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾؛ فإن هذه القضية العامة الكلية تدل بمنطوقها على حصول الفلاح لمن وقاه الله شح نفسه، وتدل بمفهومها على حصول الخسارة لمن لم يوق شح نفسه، وهذا هو الواقع.

ابن عثيمين، فتاوى نور على الدرب (٥/١)

---

[1] البخاري ح (١٣)، ومسلم ح (٤٥)، والترمذي ح (٢٥١٥)، والنسائي ح (٥٠١٦)، وأحمد ح (١٢٨٠١).

٥) عندما يذكر الله فضل قوم أو كرامةً لأحد أوليائه يبين أن من أراد أن يسلك طريق هؤلاء فله مثلهم، فحين ذكر فضل الأنصار قال: ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وبعد أن بين سبب نجاة يونس قال: ﴿ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٨، وفي سياق ذكر سبب شفاء أيوب قال: ﴿وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ الأنبياء: ٨٤. فما أكرمه من إله!

أ.د. ناصر العمر

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)﴾

١) قال سعد بن أبي وقاص ﷺ: الناس على ثلاث منازل، فمضت منزلتان، وبقيت واحدة:

١- ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا ﴾ (الحشر: ٨) هؤلاء المهاجرون، وهذه منزلة قد مضت.

٢- ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ (الحشر: ٩)، وهؤلاء الأنصار وهذه منزلة قد مضت.

٣- ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾، فأحسن ما أنتم عليه كائنون، أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت. مختصر منهاج السنة (٢٣٤/١)

٢) بلغ ابن عمر أن رجلاً نال من عثمان فدعاه فأقعده بين يديه فقرأ عليه: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ الحشر: ٨، قال: من هؤلاء أنت؟ قال: لا. ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾، قال: من هؤلاء أنت؟ قال: أرجو أن أكون منهم، قال: لا والله ما يكون منهم من يتناولهم وكان في قلبه الغل عليهم.

الدر المنثور (١١٣/٨ – ١١٤)

٣) ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ لا يعرفون وجوههم ولا أسماءهم ولا متى وأين وفي أي زمن ولدوا، ويدعون لهم، ويسمونهم إخواننا.

د. عبد الله بن بلقاسم

٤) في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ إشارة إلى أنه يحسن بالداعي إذا أراد أن يدعو لنفسه ولغيره أن يبدأ بنفسه، ثم يُثَنِّي بغيره، ولهذا الدعاء نظائر كثيرة في الكتاب والسنة.

د. محمد الحمد

٥) ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ سبحان الله! أخوة الإيمان تبقى حتى بعد الوفاة، فتذكرُ أموات المسلمين بالخير، فتترحم عليهم، وترجو لمحسنهم، وتدعو لمسيئهم أن يشمله الله بعفوه، ومن تدبر القرآن، وجده يهدي إلى هذه المحبة.

د. محمد المختار الشنقيطي، مجموعة دروس للشيخ على الشبكة

٦) ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ذَكَرَ الله في هذا الدعاء نَفْيَ الغل عن القلب الشامل لقليل الغل وكثيره، إذا انتفى، ثبت ضده وهو المحبة بين المؤمنين والموالاة والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٥١)

٧) إن الخصومات إذا غارت جذورها، وتفرعت أشواكها، شَلَّت زهرات الإيمان الغض، وأذوت ما يوحي به من حنان وسلام ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾.

٨) من عظمة منهج أهل السنة في حبهم لجميع الصحابة رضي الله عنهم أنهم ليس في قلوبهم غِلٌّ على أحد منهم؛ لأن الله أنزل في كتابه: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾، مع ما سبق في علمه سبحانه ان يقع بينهم ما يقع، فسلِمت قلوب أهل السنة من ذلك، ومَرِضت قلوبُ آخَرين.

د. عمر المقبل

﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٣) ﴾

المنافق يُخَوَّف بالناس، والمؤمن يُخوَّف بالله، تأمل: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾.

القصاب، نكت القرآن (٢٦١/٤)

﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١٤)﴾

١) قال تعالى عن اليهود: ﴿ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ﴾ يعني: أن البأس الشديد الذي يوصفون به إنما يكون إذا كان بعضهم مع بعض، فأما إذا قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة؛ لأن الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله، كما قال تعالى قبلها: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ (الحشر: ١٣).

الرازي، مفاتيح الغيب (٢٥٢/٢٩)

٢) وحدة الحق على قِلّتها ستكون أعلى وأعز من وحدة الباطل على كثرتها؛ ذلك أن وحدة المحقين تستند إلى مبادئ باقية خالدة، وأن وحدة المبطلين قد أسست على جرف هار من المنافع الوقتية الزائلة: ﴿ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾.

محمد دراز، من خلق القرآن (٥)

٣) قال قتادة في قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾: كذلك أهل الباطل مختلفة شهادتهم، مختلفة أهواءهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق.

الدر المنثور (١١٦/٨)

٤) تفرق القلوب واختلافها من ضعف العقل، قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ وعلّل ذلك بقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾، ولا دواء لذلك إلا بإنارة العقل بنور الوحي؛ فنور الوحي يحيي من كان ميتًا، ويضيء الطريق للمتمسّك به.

الشنقيطي، أضواء البيان (٥٣/٣)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾

النظر في سالف الأعمال وسيلة إلى الشكر على ما حسن منها، وإلى الاستغفار والتوبة مما قبح منها.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (٦٨)

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩)﴾

١) التعريف بالله من أهم عوامل نجاح الخطاب الدعوي، وإنما الغفلة تقع للناس بسبب نسيانهم ربهم الذي خلقهم، فبدل أن يعبدوه يعبدون أهواءهم ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (٣٠٧)

٢) (٤٠) عامًا عشتُها مع المخدرات، لم أعرف فيها للحياة طعمًا، وتقطعت حبالي بيني وبين ربي، وبين أكثر عباده، ولم يردني إلى الله إلا بية واحدة سمعتها، فوقرت في قلبي، فشعرت أنها تختصر معاناتي طوال هذه السنين كلها، إنها قول العليم الخبير: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾.

أحد التائبين من المخدرات

٣) قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، ثم قال بعدها: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ الحشر: ٢١، ذكر هذه الآية بعد بيان حال الفاسقين ينبه على أن ما أوقع الفاسقين في الهلكة إنما هو إهمالهم القرآن الكريم والتدبر فيه، وذلك من نسيانهم الله تعالى.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١١٦/٢٨)

﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) ﴾

فهم لا يستوون في حياتهم ومماتهم.. لا يستوون في أخلاقهم.. لا يستوون في أقوالهم وأفعالهم.. لا يستوون في نياتهم.. لا يستوون في همِّهم وهمتهم.. فتفقد نيتك وأقوالك وأفعالك.

د. عمر المقبل

﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)﴾

١) قال الضحاك في الآية: لو أنزل هذا القرآن على جبل فأمرته بالذي أمرتكم به وخوَّفته بالذي خوفتكم به إذًا لخشع وتصدع من خشية الله، فأنتم أحق أن تخشوا وتذلوا وتلين قلوبكم لذكر الله.

الدر المنثور (١٢١/٨)

٢) فهذا حال جبال الحجارة الصلبة، وهذه رِقَّتُها وخشيتها وتدكدكها من جلال ربِّها، فيا عجبًا من مضغة لخم أقسى من هذه الجبال تسمع آيات الله تتلى عليها ويذكر الرب ﷻ فلا تلين ولا تخشع ولا تنيب فليس بمستنكر على الله ﷻ ولا يخالف حكمته أن يخلق لها نارًا تذيبها إذا لم تلن بكلامه وذكره وزواجره ومواعظه، فمن لم يلن لله في هذه الدار قلبه ولم ينب إليه ولم يذبه بحبه والبكاء من خشيته؛ فليتمتع قليلاً فإن أمامه الملين الأعظم

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (٢٢١/١)

٣) ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ المقصود من ذكر الجبل وخشوعه هنا تنبيه الإنسان على قسوة قلبه، وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن، وإعراضه عن تدبر زواجره.

زكريا الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (٥٥٩/١)

٤) ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: لأجل أن يتفكروا. ويستفاد من هذه الآية فائدة أصولية وهي: أن كل مثل في القرآن، فهو إثبات للقياس؛ لأن المقصود بالمثل: انتقال الذهن من هذا إلى هذا.

ابن عثيمين، شرح أصول في التفسير (٥١)

سورة الممتحنة

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧)﴾

﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ﴾ إرشاد إلى أنه لا ينبغي للإنسان أن يفرط في العداوة، وأن لا يقطع حبال الصلة مع المخالفين والمناوئين، بل يحسن به أن يعتدل في ذلك، وأن يترك فرصة للتصالح والتقارب ولو كانت ضئيلة.

د. محمد الحمد، هداية آيات (١٣)

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨)﴾

من كفَّ أذاه من الكفار، فإن المسلمين يقابلونه بالإحسان والعدل ولا يحبونه بقلوبهم؛ لأنَّ الله قال: ﴿ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾، ولم يقل: توالونهم وتحبونهم، بل قال الله تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (المجادلة: ٢٢)، فالصلة الدنيوية شيء، والمودة شيء آخر.

د. صالح الفوزان

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣)﴾

كلما تراكمت الذنوب، طُبع على القلوب، وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين، ويستهين بأمر الآخرة، ويستعظم أمر الدنيا، ويصير مقصور الهم عليها ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾.

الغزالي، الإحياء (١٢/٣)

سورة الصف

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢)﴾

١) كما يستدل بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ وما بعدها، على أن من تكلم بالحق وعمل بخلافه أنَّه ممقوت مذموم، فهو – أيضًا – دليل على أنَّ الحمد والعواقب الحميدة لمن تَوافَقَ ظاهره وباطنه، وأقواله وأفعاله.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام (١٦٩)

٢) أنزل الله القرآن؛ ليكون دستورًا نتبعه، ونظامًا نطبقه، فاكتفى أناس منا بتلاوة ألفاظه والتطريب في قراءته، وافتتاح الحفلات واختتامها به، وبين تلاوة الافتتاح وتلاوة الاختتام، ما لا يرضي الله ولا يوافق الإسلام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح (١٠٦)

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٦)﴾

قال عمرو بن مرَّة: خمسة سُمُّوا قبل أن يكون: محمد ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، ويحيى ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى ﴾ (مريم: ٧)، وعيسى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى﴾ (آل عمران: ٤٥)، وإسحاق ويعقوب ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ ﴾ (هود: ٧١).

الإتقان في علوم القرآن (٤/٦٧)

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨)﴾

لا تتعب ذهنك بهذيانات الملحدين؛ فإنها عند من عرفها من هوس الشياطين، وخيالات المبطلين، وإذا طلع فجر الهدى، واشرقت النبوة، فعساكر تلك الخيالات والوساوس في أول المنهزمين ﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/٢١٥)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤)﴾

هذه الآية حجة واضحة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ لا يشك أحدٌ أنَّ نصر الله إنما هو نصر دينه، ولا يكون نصرُه إلَّا بالمعونة على إقامة أمره ونهيه وعلوهما، والاخذ على يديّ من يريد ذله وإهانته.

القصاب، نكت القرآن (٤/٢٩٤)

سورة الجمعة

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢)﴾

١) في قوله: ﴿ مِنْهُمْ ﴾ فائدتان:

الأولى: أنه كأمته الامية، لم يقرأ كتابًا، ولا خطه بيمينه، ومع ذلك أتى بهذا القرآن الذي ما سمعوا بمثله، وهذا برهان صدقه.

والثانية: التنبيه على معرفتهم بنسبه، وشرفه، وعفته، وصدقه، بل لم يكذب قط، فمن لم يكذب على الناس، أفيكذب على الله؟!

ابن رجب، تفسير ابن رجب (٤٢٧/٢) (بتصرف)

٢) رتَّب الله أتباعَ الرسول في الذكر على مراتبهم في الفضل، تأمل: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ هذا في الصحابة، ثم قال في التابعين: ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾، وهذا كقوله تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾ (التوبة: ١٠٠).

حافظ الحكمي، معارج القبول (١٢٠١/٣)

٣) ابتدئ بالتلاوة في قوله تعالى: ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾؛ لأن اول تبليغ الدعوة بإبلاغ الوحين وثنَّى بالتزكية؛ لأن ابتداء الدعوة بالتطهير من الرجس المعنوي وهو الشرك وما يعْلق به من مساوئ الأعمال والطباع.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٠٩/٢٨)

٤) ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ هذه الأمة حرَّر القرآن أرواحَها من العبودية للأوثان الحجرية والبشرية، وحرر ابدانَها من الخضوع لجبروت الكسروية القيصرية، وجلَّا عقولها على النور الإلهي، وطهَّر نفوسها من أدران الإسفاف.

محمد البشير الإبراهيمي،آثاره ١٥٩/٠١)

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥)﴾

١) قال ميمون بن مهران: الحمار لا يدري أسفر على ظهره أم زبيل، فهكذا اليهود. وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه؛ لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٥٦/٢٠)

٢) ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ الحمار لا ينتفع بالأسفار ولو نشرت بين عينيه، وفيه إشارة إلى أن مِن موجبات نقل النبوة عن بني إسرائيل كلية: أنهم وصلوا إلى حد الإياس من انتفاعهم بأمانة التبليغ والعملن فنقلها الله إلى قوم أحق بها وبالقيام بها.

عطية سالم، تتمة أضواء البيان (١٩٦/٨)

٣) ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ قال الضحاك: كتبًا لا يدري ما فيها! ولا يدري ما هي! هذا مثل ضربه الله لهذه الأمة، أي: وأنتم إن لم تعملوا بهذا الكتاب، كان مثلكم كمثلهم. الدر المنثور (٤٥٧/١٤)

٤) قاس م حَمَّله – سبحانه – كتابه ليؤمن به ويتدبره، ويعمل به ويدعو إليه، ثم خالف ذلك – ولم يحمِلْه إلا على ظهر قلب–، فقراءته بغير تدبر ولا تفهُّم ولا اتباع ولا تحكيم له وعمل بموجبه؛ كحمار على ظهره زاملة أسفار، لا يدري ما فيها، وحظه منها حملها على ظهره ليس إلا. ابن القيم، إعلام الموقعين (١٢٧/١)

٥) ضرب الله مثل الذي لا ينتفع بما أوتي؛ بالحمار يحمل أسفارًا، ولعل من حِكمِ ذكر هذا المثل في سورة الجمعة ألا يكون حظُّ الخطيب والمأموم من خطبة الجمعة كحظهما قبلها!

﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) ﴾

لما زعم اليهود أنهم أبناء الله وأحباءه، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى، دعوا إلى المباهلة والدعاء على أكذب الطائفتين منهم أو من المسلمين، فلما نكلوا عن ذلك، علم كل أحد أنهم ظالمون؛ لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه، لكانوا أقدموا على ذلك؛ فلما تأخروا، علم كذبهم.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣٣٢/١)

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) ﴾

١) إننا نرى الأموات تمر بنا مواكبهم كل يوم، ولكننا نظن أن الموت كُتب على الناس كلهم إلا علينا، ونبصر القبور تملأ الأرض، ولا نفكر أننا سننزل يومًا إلى القبر.

الطنطاوي، نور وهداية (١٢)

٢) فيا صاح! إنك راحل إلى الله حتمًا، وما عمرك هذا المتناثر بين يديك صباح مساء، إلا دلالة صريحة على السير الحثيث، فبعد قليل ستنتهي الرحلة، ونقف على محطة القبر – أنا وأنت – لنلج عالم البرزخ، في انتظار أجيال الخلائق لليوم الموعود.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (١٤٧ – ١٤٨)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩)﴾

١) قال الشافعي: السعي في هذا الموضع: العمل، لا السعي على الأقدام – أي: الإسراع–، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ (الليل: ٤)، وقال: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ (الإسراء: ١٩)، وقال: ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ (الإنسان: ٢٢)، وقال: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (النجم: ٣٩)، وقال: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ (البقرة: ٢٠٥).

معرفة السنن والآثار للبيهقي (١٦٣/٥)

٢) ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ إذا أمر الله بترك البيع الذي ترغب فيه النفوس وتحرص عليه؛ فترك غيره من الشواغل من باب أولى، كالصناعات وغيرها.

السعدي، خلاصة تفسير القرآن (١٥٣)

٣) في سورة الجمعة مثال لقاعدة شرعية، وهي: (الوسائل لها أحكام المقاصد) أي: إنه قد يمنع من المباح إذا كان يفضي لترك واجب أو فعل محرم، مثاله: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾.

السعدي، القواعد الحسان (١٣٨)

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)﴾

١) روي عن عمر أنه قال: لا يقعد أحدُكم عن طلب الرزق، ويقول: اللَّهُمَّ ارزقني، وقد علم أنَّ السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضةً، وأن الله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض، وتلا قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)﴾.

وصية نافعة للشيخ فيصل المبارك (٤)

٢) ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ ينبغي للمؤمن الموفق وقت اشتغاله في مكاسب الدنيا أن يقصد بذلك الاستعانة على قيامه بالواجبات، وأن يكون مستعينًا بالله في ذلك، طالبًا لفضله، جاعلاً الرجاء والطمع في فضل الله نصب عينيه؛ فإن التعلق بالله والطمع في فضله من الإيمان ومن العبادات.

السعدي، خلاصة تفسير القرآن (١٥٤)

٣) ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ كأنك ذهبت للمسجد لتأخذ شحنة إيمانية تعينك وتسيطر على كلِّ حواسِّك في حركتك في التجارة، وفي الإنتاج، وفي الاستهلاك، وفي كل ما ينفعك وينمي حياتك، وحين يأمرك ربك أن تفرغ لأداء الصلاة لا يريد من هذا الفراغ أن يعطل لك حركة الحياة، إنما ليعطيك الوقودَ اللازم لتصبح حركة حياتك على وفق ما أراده الله.

الشعراوي، تفسير الشعراوي (١٠٢٧٩/١٧)

٤) إذا فتح الله لك باب رزق، فلا تعجبنَّ بذكائك، أو تظن أنك رزقت بحذقك، بل تذكر أنَّ ذلك من فضل الله عليك، تأمل: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾، فإنما هو فضل الله ورزقه، وكم من بَليد رُزق من حيث لا يحتسبن وذكيٍّ جنى عليه ذكاؤه؟

د. عمر المقبل

٥) الشريعة جامعة بين القيام بحق الله تعالى كالصلاة والذكر، وبين القيام بمصالح النفس كالسعي في الرزق، وذلك ظاهر من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

متدبر

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١)﴾

١) المشروع أن يخطب يوم الجمعة قائمًا – خلافًا لبعض من ابتدع الجلوس–، واستدل الشافعي على ذلك، فقال: "قال الله جل ثناؤه: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾، فلم أعلم مخالفًا أنها نزلت في خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة".

الأم (٢٢٩/١)

٢) دلت الآية على أنه ينبغي للعبد – المقبل على عبادة الله – وقت دواعي النفس لحضور اللهو والتجارات والشهوات أن يذكرها بما عند الله من الخيرات، وما لمؤثر رضاه على هواه. السعدي، تيسير الكرم الرحمن (٨٦٣)

٣) ذكر الله التجارةَ في معرض الحظِّ من شأنها حيث شغلت عن طاعة: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾، ولما أخذوا بأدب الشريعة في إيثار الواجبات الدينية، ذكرها ولم يهضم من حقِّها شيئًا، فقال سبحانه: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (النور: ٣٧). محمد الخضر حسين، الحرية (٣٢)

٤) المال غاد ورائح، فرحم الله عبدًا كسب فتطهر، واقتصد فاعتدل، ورزق فأنفق، ولم ينس نصيبه من الدنيا، ويا خيبة من طغى عليه ماله، وأضاع دينه وكرامته، وكان من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾. د. سعود الشريم

٥) ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ أطلق العنان لخيالك، واستعرض ما شئت من أنواع اللهو والتجارة التي ملأت دنيا الناس اليوم.. كلها – والله – لا تساوي شيئًا أمام هبة إلهية، أو منحة ربانية تملأ قلب العبد سكينة وطمأنينة بطاعة الله، أو قناعة ورضا بمقدور الله، هذا في الدنيا، وأما ما عند الله في الآخرة فأعظم من أن تحيط به عبارة. د. عمر المقبل

٦) من تدبر قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾، استحى من الله أن تكون أيام عشر ذي الحجة كغيرها من الأيام.

د. عمر المقبل

سورة المنافقون

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤)﴾

١) ما حرمه الله وكرهه مما فيه جمال إنما حرم وكره؛ لاشتماله على مكروه يبغضه الله أعظم مما فيه من محبوبه، وكذلك الصور الجميلة من الرجال والنساء، فإن أحدهم إذا كان خلقه سيئًا – بأن يكون فاجرًا، أو كافرًا معلنًا أو منافقًا –، كان البغض أو المقت لخلقه ودينه مستعليًا على ما فيه من الجمال، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾.

ابن تيمية، الاستقامة (٤٤٥/١)

٢) في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ﴾ شُبهوا بالخشب لذهاب عقولهم، وفراغ قلوبهم من الإيمان، ولم يكتف بجعلها خشبًا، حتى جعلها مسندة إلى الحائط؛ لأن الخشب لا ينتفع بها إلا إذا كانت في سقف أو مكان ينتفع بها، وأما إذا كانت مهملة فإنها مسندة إلى الحيطان أو ملقاة على الأرض.

أبو حيان، البحر المحيط (٢٧٦/١٠)

٣) إن الرجل فاسد الذمة، أو ساقط المروءة، لا قوة له ولو لبس جلود السباع، ومشى في ركاب الملوك ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾.

الغزالي، خلق المسلم (٩٠)

٤) ما الحكمة من قراءة سورة "المنافقون" في الجمعة؟ مناسبتها ظاهرة، ومنها:

١- أن يُصحِّح الناسُ قلوبهم ومسارهم إلى الله تعالى كلَّ اسبوع.

٢- أن يقرع أسماع الناس التحذير من المنافقين كل جمعة؛ لأن الله قال فيها عن المنافقين: ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ﴾.

ابن عثيمين، الشرح الممتع (٦٨/٥)

٥) ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ﴾ يتعجب المرء لأول وهلة من هذا الوصف! فكأنه لا عدو سواهم! مع أنهم يصلون، ويصومون، ويحجون، وقد يتصدقون، ويزول التعجب إذا عرفت حقيقتهم، فقلوبهم انطوت على حقد وبغض لهذا الدين وأهله، وحب لأعدائه، يدرك ذلك بكرههم للجهاد ولمزهم للعلماء والمصلحين، مع إعجاب وإشادة برؤوس الضلال والمنافقين: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢)﴾ (البقرة: ١١ – ١٢).

أ.د. ناصر العمر

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧)﴾

﴿ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا ﴾ ظنوا أنهم لولا أموالهم لما اجتمع المسلمون لنصر دين الله! فمن أعجب العجب أن يدَّعي أحرص الناس على خذلان الدين مثل هذه الدعوى، ولا يروج هذا إلا على من لا علم له بحقائق الأمور: ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٦٥)

﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨)﴾

عزة المؤمن مهما خبت نارها، فإن جذوتها باقية إذا هبت عليها ريح الإيمان توقدت، وعلا لهيبها، ﴿الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي (١/١٣٣)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩)﴾

١) اختار لفظ ﴿ تُلْهِكُمْ ﴾ ولم يقل (تشغلكم)، والحكمة في ذلك أن من الشغل ما هو محمود؛ فقد يكون شغلاً في حق، كما جاء في الحديث: "**إن في الصلاة لشغلاً**"[1]، وكما قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾ (يس: ٥٥)، أما الغلهاء فمما لا خير فيه؛ وهو مذموم على وجه العموم، فاختار ما هو أحق بالنهي.

د. فاضل السامرائي، لمسات بيانية (١٧٩)

٢) قال أبو حازم رحمه الله: "كل ما شَغَلك عن الله من مال أو ولد، فهو عليك شؤم"!

تفسير ابن رجب (٢/٤٧٥)

٣) في الآية تحذير من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر ربهم، إذ هذه علامتهم؛ ولذا فإن كثرة ذكر الله أمان من النفاق، والله تعالى أكرم من أن يبتلى قلبًا ذاكرًا بالنفاق، وإنما ذلك لقلبو غفلت عن ذكر الله ﷻ.

ابن القيم، الوابل الصيب (١١٠)

﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠)﴾

الآية فيها دليل على أن المرء ممنوع من ماله عند حضور أجله، وغير مسلَّط على إنفاذ إرادته فيه، كهيئة ما كان في صحته، وأن لا سبيل له على أكثر من ثلثه الذي أباح الله له على لسان رسوله.

القصاب، نكت القرآن (٤/٣٠٤)

[1] البخاري ح (١٢١٦)، وأبو داود ح (٩٢٣)، وابن ماجه ح (١٠١٩)، وأحمد ح (٣٥٦٣).

سورة التغابن

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)﴾

اشتر نفسك اليوم؛ فإنَّ السوق قائمة، والثمن موجود، والبضائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق والبضائع يومٌ لا تصل فيه إلى قليلٍ ولا كثير ﴿ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ (التغابن: ٩)، وذلك يوم ﴿ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾ (الفرقان: ٢٧).

ابن القيم، الفوائد (٤٩)

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١)﴾

١) قال إبراهيم الحربي: "أجمع عقلاء كلِّ ملة: أنه من لم يجر مع القدر، لم يتهنأ بعيشه"، ومصداق ذلك في القرآن: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾.

سير أعلام النبلاء (٣٦٧/١٣)

٢) ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ هذا أفضل جزاء يعطيه الله لأهل الإيمان، كما قال تعالى في الأخبار: أن المؤمنين يثبتهم الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وأصل الثبات: ثبات القلب وصبره، ويقينه عند ورود كل فتنة، فقال: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (إبراهيم: ٢٧).

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٦٧)

٣) تأمل: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ بعد: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فمن حزن حُزنًا غير مشروع، فَلِنقص إيمانه؛ إذ الإيمان موجِبٌ لاطمئنان القلب وثباته عند المصائب، وعد من الله لا يتخلف؛ فتفقد إيمانك وقلبك.

أ.د. ناصر العمر

٤) ما يحدث في بعض مدن وقرى منطقة المدينة وما حولها من زلازل، إنما هي بقدر الله، ومن أعظم ما يُسلِّي المؤمن – وهو يعيش هذه المصيبة، أو يسمع عنها – علمه ويقينه بذلك؛ فإن هذا مما يطمئن القلب، كما قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾، قال بعضهم: يهد قلبه، ويهدأ قلبه[١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤)﴾

١) ﴿ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ ليس المراد من هذه العداوة ما يفهمه كثير من الناس: أنها عداوة البغضاء والمحادة، بل إنما هي عداوة المحبة الصادة للآباء عن الهجرة، والجهاد، والتعلم، والصدقة، وغير ذلك من امور البر وأعمال الخير. ابن القيم، عدة الصابرين (٥١٩)

٢) في الآية عزاءٌ لمن بُلي بزوج مؤذ، أو ولد عاقٍّ، فصبر على أذاهما، وعفا وصفح عن زلَّاتهما، وفي موعود الله من الغفران ما يُهوِّن عليه ذلك.

القصاب، نكت القرآن (٢٩٤/٤)

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) ﴾

١) سؤال يحتاج إلى تدبر: عزى أحدهم صديقًا له أصيب في وفاة ابن له، فقال له: أيسرك وهو بلية وفتنة ويحزنك وهو صلاة ورحمة؟

وقصَدَ المعزي بقوله (بليّة وفتنة): أن الله وصف الأولاد بقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾.

وقَصَدَ بقوله (صلاة ورحمة) أن الله تعالى قال – عن الصابرين على المصائب –: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ (البقرة: ١١٥). برد الأكباد عند فقد الأولاد (٣٥)

٢) ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ فلما ذكر فتنة الأموال والأولاد التي مالت بأكثر الخلق عن طريق الاستقامة، قال مذكرًا لهم ما يفوتهم إن افتتنوا بها، وما يحصل لهم إن سلموا من فتنتها ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

السعدي، القواعد الحسان (١١٨)

[١] أرسلت إبان الزلازل التي أصابت مناطق العيص شمال غرب المدينة.

٣) تأمل كيف وصى الله الأبناء ببر والديهم والإحسان إليهم في آيات عديدة، وبأسلوب عظيم بينما لا نجد مثله بتوصية الآباء بأبنائهم إلا فيما يخص إقامة الدين وتحقيق العدل، بل نجد التحذير من عداوتهم وفتنتهم: ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾، ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾؛ لأن الآباء جبلوا على حب أبنائهم حبًا فطريًا قد يوصل إلى الإضرار بدينهم، فهل نقوم بحق آبائنا برًا وإحسانًا كما أمرنا الله؟

أ.د. ناصر العمر

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦)﴾

هل قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ تخفيف أم تكليف؟ يحتمل الأمرين، فإن قلنا المعنى: لا تقصِّروا عما تستطيعون؛ فهذا تكليف، وإن قلنا إن المعنى: لا يلزمكم فوق ما تستطيعون؛ فهو تخفيف، وأكثر الناس يستدلون بهذه الآية في التخفيف دون التكليف.

ابن عثيمين، التعليق على السياسة الشرعية ١٤٨

﴿ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) ﴾

إذا كان في الزراعة موسم للبذار، وفي التجارة موسم للاستيراد، وفي السنة المدرسية موسم للاستعداد للامتحان، ففي سوق الصدقات موسم تزيد فيه الأرباح، هو رمضان، فاغتنموه: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾.

الطنطاوي، نور وهداية (٥١)

سورة الطلاق

١) أكد تعالى ذكر التقوى وثمراتها بين آيات الطلاق والعِدد في سورة الطلاق؛ لأن أحكام الطلاق وضبط العِدة من أحق الأشياء بالمراعاة وتأكيد الوصية؛ لكثرة ما فيها من الانتصار للنفس وقصد الإضرار وتعدي حدود الله تعالى.

الإسكافي، درة التنزيل (١٢٨٤) (بتصرف)

٢) من نظر في آيات القرآن الكريم وجد أن البيوت مضافة إلى النساء في ثلاث آيات من كتاب الله تعالى، مع أن البيوت للأزواج أو لأوليائهن؛ وإنما حصلت هذه الإضافة – والله أعلم – مراعاة لاستمرار لزوم النساء للبيوت، فهي إضافة إسكان ولزوم للمسكن والتصاق به، لا إضافة تمليك.

د. بكر أبوزيد، حراسة الفضيلة (١٢٧)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١) ﴾

١) ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ ﴾ إن الذي يجري حين الغضب من خروج المرأة من بيتها أو إخراجها من قبل زوجها؛ مخالفة سافرة لهذا الأمر الغلهي، قد يقول الزوج أو الزوجة: كيف نجتمع في بيت واحدٍ وقد جُرحت وأهنت؟ فالجواب: ﴿ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾.

د. عصام العويد

٢) أضاف البيتَ إلى المرأة، وكما أن فيه دلالةً على قرار المرأة ببيتها؛ ففيه أهمية إعطائها مزيدًا من الصلاحية في تدبير أمور البيت، واتخاذ القرارات فيه من أثاث ومطبخ وزينة، وهذا نوع من العدل، إذ هو المتناسب مع الأمر بقرارها في البيت، حتى في حال طلاقها طلاقًا رجعيًا.

متدبرة

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)﴾

١) ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة: ٢٢٩) في حسن المصاحبة والمفارقة حفظ للوداد، وبعد من البغضاء والعداوة، إذا جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (٢٠٢)

٢) ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ قال ابن مسعود ﷺ: مخرجه أن يعلم أنه من قِبَل الله، وأن الله هو الذي يعطيه، وهو يمنعه، وهو يبتليه، وهو يعافيه، وهو يدفع عنه.

فتح القدير (٣٤٠/٥)

٣) قيل لرجل من الفقهاء: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ فقال الفقيه: والله إنه ليجعل لنا المخرج وما بلغنا من التقوى مت هو أهله، وإنه ليرزقنا وما تقيناه كما ينبغي، وإنه ليجعل لنا من أمرنا يسرًا وما اتقيناهن وإنا لنرجو الثالثة: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ ﴾ (الطلاق: ٥).

حلية الأولياء (٢٤٨/٤، ٢٤٩)

٤) كثير من الناس لا يفهم من الرزق – في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ – إلا الرزق المالي ونحوه من المحسوسات، ولكن الرزق أوسع من ذلك؛ تأمل ماذا يقول ابن الجوزي: "ورزق الله قد يكون بتيسير الصبر على البلاء". صيد الخاطر (٣٠٣)

٥) ضاق بي أمر أوجب غمًا لازمًا دائمًا، وأخذت أفكر في الخلاص منه بكل حيلة، فما استطعت، فعرضت لي هذه الآية: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾، فعلمت أن التقوى سبب للمخرج من كل غم، فما كان إلا أن هممت بتحقيق التقوى فوجدت المخرج!.

ابن الجوزي، صيد الخاطر (١٤٣)

٦) قال بعضهم: ما افتقر تقيٌ قط، قالوا: لم؟ قال: لأن الله يقول: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، والآية اقتضت أن المتقي يُرزق من حيث لا يحتسب، ولم تدل على أن غير المتقي لا يرزق، فالكفار قد يرزقون بأسباب محرَّمة، وقد لا يرزقون إلا بتكلف، وأهل التقوى

يرزقهم الله من حيث لا يحتسبون، ولا يكون رزقهم بأسباب محرمة، والتقى لا يحرم ما يحتاج إليه من الرزق، وإنما يُحمى من فضول الدنيا، رحمةً به.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٦/٥٢)

٧) قد ضمن الله للمتقين أن يجعل لهم مخرجًا مما يضيق على الناس، وأن يرزقهم من حيث لا يحتسبون؛ فإذا لم يحصل ذلك، دل على أن في التقوى خللًا فليستغفر الله، وليتب إليه[1]. ابن ابي العز الحنفي، شرح الطحاوية (٤١١)

٨) حُكِي عن بعض العلماء أنه قيل له: اقرأ سورة الواقعة؛ ليأتيَك الرزق؛ فقال: لولا أن أهجر سورة من القرآن، لم أتلها في المستقبل إذا كنا لا نقرأ إلا لجلب الرزق!

علق الشيخ الخضر حسين قائلاً: وقد تكون قراءة القرآن للتعبد والتدبر مؤدية إلى تيسير ما عسر؛ من حيث إنها طاعة خالصة لله: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. الموسوعة الكاملة (٢/٦٢)

٩) ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ كل من تدبر موارد التقوى في القرآن والسنة، علم أنها سبب كل خير في الدنيا والآخرة ومفتاحه، وإنما تأتي المصائب والبلايا والملحن والعقوبات بسبب الإهمال أو الإخلال بالتقوى وإضاعتها، أو إضاعة جزء منها. ابن باز، مجموع فتاواه (٢/٢٨٣)

١٠) من أهم أسباب تحصيل العلم: تقوى الله، والحذر من المعاصي، قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾، والمخرج من الجهل من أهم المخارج المطلوبة، كما أنَّ العلم من أفضل الرزق الذي ينتج عن التقوى.

ابن باز، مجموع فتاوى ومقالات الشيخ (٢٨/٢٨٣)

١١) ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ إذا رأيت أمورك متيسرة ومسهلة، وأن الله يعطيك من الخير – وإن كنت لا تحتسبه – فهذه لا شك بشرى، وإذا رأيت عكس ذلك فصحح مسارك، فإن فيك بلاء، وأما الاستدراج فيقع إذا كان العبد مقيمًا على المعصية.

ابن عثيمين، تعليقه على القواعد الحسان (٥٣)

١٢) حقِّق لنفسك التقوى كي تنقلب أمامك المعادلة فجأةً؛ فتحظى بالفرج والرزق من حيث لا تدري ولا ترجو ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾.

د. سعود الشريم

---

[1] قد يظن البعض أن ها هنا تناقضًا، وليس كذلك، فلكل رسالة محمل: فالأولى غلب على صاحبها الرجاء فقال ما قال، والثانية غلب على قائلها التحقيق والخوف، والله أعلم.

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى (٦) ﴾

القرآن يرسم منهجًا مطردًا للتعامل فيما بين الناس من حقوق، وذلك بأن يكون بـ (المعروف)، ﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ﴾ وكثيرون يفقهون هذا الأصل، بل ويحتجون به إذا طالبهم الآخرون بحقوقهم، فما بالهم لا يراعونه عندما يطلبون حقوقهم من الآخرين؟! أفلا يتدبرون: ﴿ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ (النور: ٤٩ الآيات).

أ.د. ناصر العمر

﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧)﴾

١) ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ الطلاق: ٧، لو استجمعت يأس العالَم في قلبك، لذهب به الإيمان بهذه الآية. د. عبد الله بلقاسم

٢) ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ لا ينقضي عجبك من مجيء هذه الآية بعد تلك الأحوال الصعبة، والمضائق التي يمر بها الزوجان من طلاق، ونزاع على رضاع، وضيق في الرزق، فهي بشارة جلية، وطمأنة إلهية؛ فهل بعد هذا يسيطر اليأس أو القنوط على من قدر عليهما الطلاق؟ إنها آية تسكب الأمل، وتبعث على الفأل، فما على العبد إلا أن يحسن الظن بربه، ويفعل الأسباب، ثم ليبشر. د. عمر المقبل

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (١١)﴾

﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ هذا دين رفيع لا يعرض عنه إلا مطموس، ولا يعيبه إلا منكوس، ولا يحاربه إلا موكوس، فإنه لا يدع شريعة الله إلى شريعة الناس إلا من أخلد إلى الارض واتبع هواه.

سيد قطب، في ظلال القرآن (٧/٢٣٥)

سورة التحريم

﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣)﴾

١) قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا ﴾ فيه جواز إسرار بعض الحديث للزوجات، وانه يلزمهن كتمانه، وإذا أذنب أحد في حقك، فلك أن تعاتبه، ولكن ينبغي عدم الاستقصاء في التثريب وذكر الذنب. د. محمد الخضيري

٢) الكريم يتغافل عن تقصير أهله وصحبه، ولا يستقصي حقوقه، قال الحسن البصري رحمه الله: ما استقصى كريم قط! قال الله تعالى عن نبينا – لما أخطأت بعضُ أزواجه–: ﴿ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾. معالم التنزيل للبغوي (١٦٤/٨)

٣) الخوض في التفاصيل الدقيقة في الحوار حول أي موضوع كثيرًا ما يسبب الحرج لبعض الحاضرين؛ ولهذا كان التغافل والإغضاب من صفات النبلاء، وهو شيء نتعلمه من نبينا ﷺ. أ.د. عبد الكريم بكار، التواصل الأسري (٥٣)

﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤) ﴾

﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الله وجنوده في السماء والأرض مع النبي ﷺ في مشكلة أسرية! ما أعظم قدره عند ربه!

د. عبد الله بن بلقاسم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)﴾

١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ إن من أكبر أسباب الانحراف التي وجدتها خلال اشتغالي بالقضاء واطلاعي على الآلاف المؤلفة من القضايا، ومما رأيت وما سمعت من أحوال الناس، من أكبر هذه الأسباب: غياب الأب عن أولاده أكثر النهار، فلا يكاد يراهم ولا يرونه إلا يوم الجمعة.

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح (١٤٧)

٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ جاءت كلمة ﴿ نَارًا ﴾ منكرةً؛ دلالة على عظمها وفظاعتها؛ كونها نارًا كاف للخوف منها، لكنها مع ذلك وُصفت بوصفين عظيمين: ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾، ﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾، ألا ما أشد هذا الوصف وما أفظعه؛ حتى قيل: إنه اعظم وصف للنار فيما يتعلق بالمؤمنين.

د. عويض العطوي

٣) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ ما أشد هذا الوصف وأفظعه! ولو تأملنا لوجدنا أن هذه النار الفظيعة لم تكن عقابًا على تقاعس في الجهاد، ولا على ترك شيء من أركان الإسلام، وإنما جاءت في مسئولية التربية، مسئولية النفس والأهل، فهل يعي المربون ذلك؟!.

د. عويض العطوي، كيف نتدبر القرآن (شريط)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨)﴾

قال ابن عباس رضي الله عنه: ليس أحد من الموحدين إلا يعطى نورًا يوم القيامة، فأما المنافق فيطفأ نوره، والمؤمن يشفق مما يرى من إطفاء نور المنافق فهو يقول: ﴿ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾.

الدر المنثور (٢٢٨/٨)

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٩)﴾

وهذا في الحقيقة من رحمة الله بعباده؛ فإن الله إنما أرسل محمدًا رحمة للعالمين، وهو سبحانه أرحم بعباده من الوالدة بولدها، لكن قد تكون الرحمة المطلوبة لا تحصل إلا بنوع من ألم وشدة تلحق بعض النفوس.

ابن تيمية، الاستقامة (٤٤٠/١)

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠)﴾

قوله سبحانه: ﴿ تَحْتَ ﴾ إعلام بأنه لا سلطان للمرأة على زوجها، وإنما السلطان للزوج عليها، فالمرأة لا تجعل في مقابل الندية بالرجل، فضلاً عن أن تعلو عليه، ففي ذلك خلاف الفطرة والشرع.

د. بكر أبوزيد، حراسة الفضيلة (١٩)

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١)﴾

١) لكل أخت تشكو كثرة المغريات حولها، أو تعاني من ضعف الناصر على الحق، اعتبري بحال امرأة جعلها الله مثلاً لكل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة، إنها امرأة فرعون، التي لم يمنعها طغيان زوجها، ولا المغريات حولها، أن تعلق قلبها بربها، فأثمر ذلك: الثبات، ثم الجنة، بل وصارت قدوة لنساء العالمين.

د. عمر المقبل

٢) لا عذر لامرأة مسلمة أن تبرر تقصيرها وعدم استقامتها بفساد أهل بيتها، أو بيئتها، وما تواجهه من ضغوط؛ فهذه امرأة فرعون بلغت الكمال لثباتها – مع ما بلغه فرعون وملأه من إسراف وظلم عظيم – فتدبر قصتها في سورة التحريم؛ تجد تلك الحقيقة المذهلة.

أ.د. ناصر العمر

٣) ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ كم قرأت في هذه الآية وسمعتها؟ هل استوقفك فيها أمر قلَّ أن نتدبره؟ سألت هذه المرأة الصالحة أن يكون البيتُ عند ربِّها قبل أن تسأله أن يكون في الجنة، أو أن تقتصر عليه، وقد جعلها الله مثلاً للمؤمنين، وشهد لها نبيُّنا بالكمال، وأنها من خير نساء العالمين؛ فهل دعونا بمثل ذلك.

أ.د. ناصر العمر

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢)﴾

لقوة يقين مريم عليها السلام وتبتلها للعبادة، وتحصين فرجها، جعلها الله قدوة لنبي كريم، بل وأجرى لها من الكرامات ما جعلها أسوة ومضرب مثل للمؤمن، ورفع ذكرها في العالمين، وجعل لها لسان صدق في الآخرين.

أ.د. ناصر العمر

سورة تبارك

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) ﴾

فإذا ظهر للعبد من سر الربوبية أن الملك والتدبير كله بيد الله كما قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فلا يرى نفعًا ولا ضرًا، ولا حركة ولا سكونًا، ولا قبضًا ولا بسطًا، ولا خفضًا ولا رفعًا إلا والله فاعله وخالقه، وقابضه وباسطه، ورافعه وخافضه، فهذا الشهود هو سر الكلمات الكونيات.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٨٩/١)

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) ﴾

﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ابتلانا الله بحسن العمل، لا بالعمل فقط، الم يكن أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه: أي العمل أفضل؟ ففهمهم رضي الله عنهم يدل على التنافس في جودة العمل لا مجرد كثرته.

﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) ﴾

إنما قال ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾؛ ولم يقل (مرتين)؛ لأن كلمة (مرتين) تحصر النظر في مرتين، بينما ﴿ كَرَّتَيْنِ ﴾ تفيد التكرار مرة بعد مرة.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٩/٢٩)

﴿ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩)﴾

من سنن أهل الباطل وعاداتهم الذميمة: أنهم يرمون اهل الحق بما هم أولى به، انظر إلى قوله سبحانه عن أهل النار: ﴿ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾.

د. عبد المحسن العسكر

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠)﴾

العقل الصحيح هو الذي يعقل صاحبه عن الوقوع فيما لا ينبغي، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، أما العقل الذي لا يزجر صاحبه عما لا ينبغي، فهو عقل دنيوي يعيش به صاحبه، وليس هو العقل بمعنى الكلمة.

الشنقيطي، العذب النمير (١٦/١)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) ﴾

الشاب المؤمن بالغيب هو الذي يرى رفاقه يسلكون طريق الفسوق، وهو يميل إليه، بل يعالج في نفسه مثل حر النار من الرغبة فيه، ويقاوم نفسه ويكبت رغبته، ويترك هذه اللذة الحاضرة؛ طمعًا باللذة الموعودة في الآخرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح (٦٧)

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)﴾

١) إن الله هو الذي قسم الأرزاق، وكتب لكل نفس رزقها واجلها، ولكنه ما قال لنا اقعدوا حتى يأتي الرزق إليكم، بل قال: ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية (١٢٨)

٢) نحن لا نتوكل التوكل الذي لم يأمر به الإسلام، بل نمشي في مناكب الأرض، نمشي مشيًا لا نسعى سعيًا؛ لأن الله قال في مجال الرزق: ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ وقال في مجال العبادة: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الجمعة: ٩)، هذا هو الفهم الصحيح لمسألة الرزق.

علي الطنطاوي، نور وهداية (١٣٢ – ١٣٣)

﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٢) ﴾

١) شبه الكافر في ركوبه ومشيه على الدين الباطل بمن يمشي في الطريق الذي فيه حفر وارتفاع وانخفاض، فيتعثر ويسقط على وجههن كلما تخلص من عثرة، وقع في أخرى.

الجمل، حاشية الجمل على الجلالين (٤٢٧٧)

٢) "اسـتطلاعات الـرأي" تعمـل فـي أي مجتمـع كعلامـات طريـق تُرشـد وتلفـت نظـر المسؤولين للصـالح العام.. وفي المقابل يؤدي فقدُها إلى انتشـار العشوائية في المجتمع، والفرق بين الطريقتين يمثله قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

الكاتب فهد الأحمدي

﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٩)﴾

لما كانت الأعمال – وجودها وكمالها – متوقفة على التوكل؛ وخص الله التوكل من بين سائر الأعمال، وإلا فهو داخل في الإيمان، ومن جملة لوازمه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٧٨)

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (٣٠) ﴾

قال صالح بن أحمد بن حنبل: كان أبي رحمه الله إذا خَرَجَتِ الدلوُ ملأى، قال: الحمد لله، قلت: يا أبت، أي شيء الفائدة في هذا؟ فقال: يا بني، أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾؟.

ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد (٣٨٢)

سورة القلم

﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) ﴾

قال قتادة رحمه الله: القلم نعمة من الله عظيمة، لولا القلم، ما قام دين ولم يصلح عيش، والله اعلم بما يصلح خلقه.

الدر المنثور (٢٤٢/٨)

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)﴾

١) سبحان من أعطى ثم أثنى..

فسبحان الله ما أعظم شأنه، وأتم امتنانه، انظر إلى عميم لطفه، وعظيم فضلهن كيف أعطى ثم أثنى، فهو الذي زينه بالخلق الكريم، ثم اضاف إليه ذلك، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. الغزالي، الإحياء (٣٥٨/٢)

٢) من المعلوم أن أحب خلق الله إليه المؤمنون، فإذا كان أكملهم إيمانًا أحسنهم خلقًا؛ كان أعظمهم محبة له – سبحانه – أحسنهم خلقًا، والخلق الدين، كما قال الله تعالى ﴿﴾.

ابن تيمية، الاستقامة (٤٤٣/١)

٣) ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ أي: دين وهدي عظيم؛ وذلك أنه ﷺ كان خلقه القرآن، تلاوة وتدبرًا، وعملاً بأوامره، وتركًا لنواهيه، وترغيبًا في طاعة الله ورسوله، ودعوة إلى الخير، ونصيحة لله ولعباده، إلى غير ذلك من وجوه الخير.

ابن باز، مجموع فتاواه (١٧/٩)

﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠)﴾

١) قوله تعالى لنبيه: ﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ أبلغ في الإكرام والاحترام؛ فإن قوله: لا تكذبن ولا تحلف، ولا تشتم، ولا تهمز، ليس هو مثل قوله: لا تطع من يكونمتلبسًا بهذه الأخلاق؛ لما فيه من الدلالة على تشريفه وبراءته من تلك الأخلاق.

ابن تيمية، دقائق التفسير (١٥/٥)

٢) ﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴾ من فوائدها: أن النهي عن طاعة المرء نهي عن التشبه به بالأولى؛ فلا يطاع المكذب والحلاف، ولا يعمل بمثل عملهما.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٦/٦٣ – ٦٤)

٣) امتهان الحلف والإكثار منه مذموم، فقد وصف الله بها أقوامًا مقبوحين فقال: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ وبين في مواطن كثيرة أن ذلك من أبرز صفات المنافقين: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا﴾ (المنافقون: ٢) ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ﴾ الآية (التوبة: ٥٦) وما يزالون على ذلك إلى يوم القيامة: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ (المجادلة : ١٨) فعظم ربك، واحفظ يمينك.

د. محمد الخضيري

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (١٦)﴾

عبر بالوسم على الخرطوم – وهو الأنف – عن غاية الإذلال والإهانة؛ لأن السمة على الوجه شين وإذالة، فكيف بها على أكرم موضع منه؟!

الزمخشري، الكشاف (٤/١١٧)

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧)﴾

نيران النوايا الرديئة التي عصفت بقلوبهم أحرقت جنتهم، فعلينا أن نتأكد من خلو قلوبنا من تلك النوايا.

د. عبد الله بن بلقاسم

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩)﴾

ما أجمل ان ينطلق اللسان بالاعتراف بالذنب، وإن كان صاحبُه نادمًا في قلبه، تأمَّل قول أصحاب الجنة الذين أقسموا على حرمان حق الفقراء: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

القصاب، نكت القرآن (٤/٣٨٣)

﴿ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢)﴾

إياك أن يكسر الذنب حسن ظنك، فسيعطيك الله بعد الذنب والتوبة أكثر.

د. عبد الله بلقاسم

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٤)﴾

أضيفت الجنات إلى النعيم؛ لأنه ليس فيها إلا النعيم الخالص الذي لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا، فساكنها منعم في بدنه، ومنعم في قلبه، قال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (الحجر: ٤٨).

د. عبد المحسن العسكر

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ (٤٠)﴾

لقد قطع خوف الخاتمة ظهور المتقين، وكأن المسيئين الظالمين قد أخذوا توقيعًا بالأمان: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾.

ابن القيم، الجواب الكافي (٩٢)

﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥)﴾

١) كل أمة عذبت بنوع عذاب على أيدي الملائكة: كصيحة جبريل ﷺ بثمود، وإرسال الريح على عاد، والخسف بقارون، وقلب جبريل ديار قوم لوط، إلا من كذب بهذا القرآن، فقد تولى الله عقابهم بنفسه، قال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ابن الجوزي، صيد الخاطر (١٩٧)

٢) الباطل مهما انتفش، فهو مستدرج: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

د. محمد الراوي، تعليق على سورة هود (شريط)

٣) الانهيار الكبير في الاقتصاد الربوي الرأسمالي تجلت فيه آية عظمى ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾، فالآن أين دعاة الليبرالية الذين زخرفوا للدول والشعوب اللهث خلف الدولار واقتصاد الغرب الغني؟ فأراهم الله لابصارهم حقيقة ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾ (البقرة: ٢٧٦)، وتأمل كلمة ﴿ يَمْحَقُ ﴾، إنه الإعجاز حتى في اللفظ.

د. عصام العويد

٤) تأمل: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ يغتر الظالمون بإمهال الله لهم، فيتدرجون في طغيانهم، ويستمرئون ذلك؛ حتى يوقنوا أن سياستهم عين العدل، فإذا أمنوا العقوبة، أخذهم الله ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٤٤ – ٤٥).

أ.د. ناصر العمر

﴿ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩)﴾

هذا نبي الله، ومع هذا فلم ينجُ من كربته إلا بنعمة الله وفضله ورحمته، فمَن الناسُ بعده؟

د. عمر المقبل

﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١)﴾

أي: يعينونك بابصارهمن بمعنى يحسدونك؛ لبغضهم إياك.. وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله ﷻ.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٨/٢٠١)

سورة الحاقة

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤)﴾

عادة القرآن تقديم ذكر عاد على ثمود إلا في بعض المواضع، ومنها: في سورة الحاقة فإنه قال: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾، وسبب ذلك – والله أعلم – أن السورة لما ابتدأت بذكر ﴿ بِالْقَارِعَةِ ﴾ – وهي التي تقرع أسماع الناس من شدة صوتها – قدم ذكر ﴿ثَمُودُ﴾؛ لأن العذاب الذي أصابهم من قبيل القرع إذ أصابتهم الصواعق المسماة في بعض بالصيحة.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٧٥/١٥)

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩)﴾

للنجاح لذة وله نشوة، تأمل نداء الناجحين ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾ إنه نداء بصوت عال تغمره البهجة: تعالوا جميعًا هذا كتابي خذوه فاقرؤوه! وبمثلها يصدح المجتهد حين يستلم شهادة التفوق على الأقران، فإن أردت إكسير النجاح الذي لا ينضب في الحياتين؛ فقف طويلاً مع التعليل في قوله: ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ (الحاقة: ٢٠).

أ.د. ناصر العمر

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) ﴾

١) تأمل سر التعبير عن العيشة بأنها راضية في قوله: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾، فالوصف بها أحسن من الوصف بالمرضية؛ فإنها اللائقة بهم، فكأن العيشة رضيت بهم كما رضوا بها، وهذا أبلغ من مجرد كونها مرضية فقط، فتأمله.

ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن (٦٤)

٢) ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ عبر عن تمام رضى صاحب العيشة برضى عيشته على الحقيقة؛ وذلك أن رضى من يلقاه ويحيط به ويخدمه مؤثر في رضاه، فكما أن رضى الوالدين في الدنيا والأولاد والزوج بل والخدم يجعل الإنسان في غاية الرضا؛ فكيف بأثر رضى من حوله عليه في الآخرة، وتاج ذلك رضى الله عنه: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (التوبة: ٧٢).

أ.د. ناصر العمر

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)﴾

١) خرج ابن عمر ومعه أصحاب له، ووضعوا سفرة لهم، فمر بهم راعي غنم، فدعاه ابن عمر؛ ليأكل، فقال: إني صائم! فقال ابن عمر: أتصوم في مثل هذا اليوم الحار الشديد سمومه وأنت في هذه الجبال ترعى هذه الغنم؟ فقال: إني والله أبادر أيامي الخالية.

الدر المنثور (٢٧٢/٨)

٢) قال قتادة رحمه الله: أيامكم هذه أيام خالية فانية، تؤدي إلى أيام باقية، فاعملوا في هذه الأيامن وقدموا خيرًا إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله.

الدر المنثور (٢٧/٨)

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤)﴾

كان أبو الدرداء ﵁ يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين، ويقولك خلعنا نصف السلسلة بالإيمان، أفلا نخلع نصفها الآخر؟!

رموز الكنوز للرسعني (٢٦٥/٨)

سورة المعارج

﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) ﴾

الحقيقة واحدة، ولكن بقدر صفاء النفوس وخلوصها تكون قدرتها على التعامل الإيجابي مع الأحداث مهما عظمت، وبمقدار ما فيها من غبش تعمى عن رؤية الواقع والمستقبل على وجهه الصحيح!

أ.د. ناصر العمر

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) ﴾

إذا أردت معرفة الرجل الهلوع فهو: الذي إذا أصابه الجوع مثلاً أظهر الاستجاعة، وإذا أصابه الألم أسرع الشكاية، وإذا أصابه القهر أظهر الاستكانة، فلا احتمال لديه ولا إفضال.

ابن القيم، بدائع التفسير (١٩٧/٣)

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥)﴾

١) قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات: ١٩)، وقال في سورة المعارج: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾، فزاد في الآية الثانية كلمة ﴿ مَعْلُومٌ ﴾؛ فلماذا؟ لعل السبب – والله أعلم – أنه في سورة المعارج: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴾ (المعارج: ٢٤)، قال: ﴿ مَعْلُومٌ ﴾؛ لأن المقصود الزكاة المحددة، والحديث قبلها عن الفرائض والواجبات: ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ (المعارج: ٢٢)، أما في سورة الذاريات: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات: ١٩)، فالآيات قبلها في بيان فضل المتطوعين زيادة على الواجب: ﴿كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ (الذاريات: ١٦ – ١٧)، فناسب الإطلاق في الإنفاق بلا تقييد؛ حيث المراد ما زاد على الواجب.

الغرناطي، ملاك التأويل (١٠٣٦)

٢) هكذا نقل الإسلام إسعاف البائسين من أن يكون منَّة تذلّ كرامتهم إلى أن يكون حقًا يأخذونه مرفوعي الرأس، موفوري الكرامة.

د. مصطفى السباعي، أخلاقنا الاجتماعية (٤٨)

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨)﴾

إياك أن تأمن من عذاب الله، وتطمئن من محاسبته؛ فإنه سبحانه لما ذكر صفات المؤمنين في سورة المعارج، أعقبها بقوله ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾، فلا يأمن عذابه أحد، ولو بلغ من العبادة ما بلغ، إلا من أمنه الله.

د. عبد المحسن العسكر

سورة نوح

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢)﴾

من أدب النصيحة وأساليبها النافعة: أن يضيف الناصح المنصوح إلى نفسه؛ ليأخذ قوله مأخذ الجد والصدق المتطلب الخير له؛ لأن المرء لا يريد لمنصوحه إلا خيرًا؛ ولذا قال نوح عليه السلام حين دعوته لقومه: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

د. عبد المحسن العسكر

﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩)﴾

تنويع أسلوب الدعوة: ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ من الحكمة الجمع بين الإعلان والإسرار؛ إزالةً لما يقع في نفس المدعو من اتهام الداعي بأنه ما أراد من دعوته علانيةً إلا تلويث عرضه، والإزراء بسمعته.

محمد الخضر حسين، الأعمال الكاملة (٥/٢٣٠٠)

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣)﴾

١) صعد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه المنبر؛ ليستسقي فلم يزد على الاستغفار، وقراءة آيات الاستغفار، ومنها قوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾، ثم قال: لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/٢٣٣)

٢) انهارت الأسهم، وغلت الأسعار، وأعدمت ملايين الطيور، ونفقت آلاف الإبل، وأجدبت الأرض، كل هذا من البلاء، ولو تحققنا بهذه الآية، لجاء الفرج ممن لا يخلف الوعد: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣)﴾.

متدبر

﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (٢٥) ﴾

هذه الآيةُ ومثيلاتُها دالة دلالة صريحة على أن ما يُصيبنا من كوارث إنما هو بسبب خطايانا. ومحاولة بعض الناس الهرب عن معاني مثل هذه الآيات والتشكيك فيها إنما هو مصادمةٌ لصريح القرآن. وغفلة عن تدبر معانيه والانتفاع بها، وتطمين للمذنبين، وادعاء للكمال في النفس والمجتمع، وهو علامة على قسوة القلب، ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنعام: ٤٣).

فهد العيبان

سورة الجن

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢)﴾

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ جعلوا السبب الداعي لهم إلى الإيمان وتوابعه: ما علموه من إرشادات القرآن، المشتملة على المصالح والفوائد واجتناب المضار، فهذا هو الإيمان النافع، المثمر لكل خير، المبني على هداية القرآن، بخلاف إيمان العوائد، والمربى والإلف ونحو ذلك؛ فإنه إيمان تقليد تحت خطر الشبهات والعوارض الكثيرة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٩٠)

﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (١٦)﴾

من أحب تصفية الأحوال فليجتهد في تصفية الأعمال: يقول تعالى: ﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ قال أبو سليمان الداراني: "من صفَّى صُفِّى له، ومن كدَّر كُدِّر عليه". علق ابن الجوزي فقال: "وإنما يَعرف الزيادة من النقصان المحاسب لنفسه؛ فاحذر من نفار النعم، ومفاجأة النقم، ولا تغتر ببساط الحلم؛ فربما عجل انقباضه".

صيد الخاطر (٦)

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨)﴾

في بعض الأمكنة والأزمنة: كان القرآنُ يُقرأ على الأموات دون الأحياء، وبعد تفسيره خطيئة، إذ ساد عند بعضهم أنَّ تفسير القرآن صوابُه خطأ وخطأه كفر، فالقارئ يقرأ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨)﴾، والناس حول ضريح الولي المدفون في ناحية المسجد يدعون باعلى أصواتهم: يا سيدي مدد! ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد)؟

أبو بكر الجزائري، الدعاء ومنزلته (٣١٥)

﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) ﴾

انظر إضافة النبي باسم العبودية إلى الله في قوله: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ (الإسراء: ١)، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ (الفرقان: ١)، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ (البقرة: ٢٣)؛ لأن كلَّ ما نُسب إلى المحبوب فهو محبوب؛

لما انتسبت إلك صرتُ معظمًا *** وعلوتُ قدرًا دون من لم يُنسب

ابن القيم، روضة المحبين (٢٧٠)

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧)﴾

١) قال الواحدي: وفي هذا دليل على أن من ادعى أن النجوم تدله على ما يكون من حياة، أو موت، أو غير ذلك؛ فقد كفر بما في القرآن. مفاتيح الغيب للرازي (٦٧٨/٣٠)

٢) إنك قد لا تتعجب أن يدعي الغيب بعضُ السحرة، أو من ينتسب إلى مذهبٍ ضالٍّ يتكسب من ورائه، وربما غلَّف دعواه تلك باسم الدين، لكن تتعجب ممن يصدِّق هؤلاء في كذبهم، وهم يقرؤون قول ربهم: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤).

د. عمر المقبل

﴿ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨)﴾

تفخر أكبر مراكز الإحصاء العالمية بجمع المعلومات في جانب معين، ويفوتها أنواع كثيرة من المعرفة، ولا تتجاوز بضعة قرون من الزمن، وربما بَنَت معلوماتها المستقبلية على توقعات تصيب وتخطئ، وكل هذا يتضاءل جدًّا حين يقرأ المؤمنُ كلام ربه الذي أثنى على نفسه، فقال: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾، فلا ماض، ولا حاضر، ولا مستقبل يخرج عن هذه الآية.

د. عمر المقبل

سورة المزمل

اختبر حفظك..

إن الذي لا تلتهب مواجيده بأشواق التهجد لا يكون من أهل سورة المزمل حقًا!

كما أن الذي لا تخترق نفسه بجمر الدعوة والنذارة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليس من المتحققين بسورة المدثر! د. فريد الأنصاري، هذه رسالات القرآن فمن يتلقاها (مقالة)

﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢)﴾

إذا كان الله ﷻ قد سمى الصلاة تسبيحًا، فقد دل ذلك على وجوب التسبيح. كما أنه لما سماها قيامًا في قوله تعالى ﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ دل على وجوب القيام، وكذلك لما سماها قرآنًا في قوله تعالى: ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ﴾ دل على وجوب القرآن فيها، ولما سماها ركوعًا وسجودًا في مواضع؛ دل على وجوب الركوع والسجود فيها.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٢/٥٥١)

﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) ﴾

١) تدبر عملي:

قال الحسن البصري رحمه الله: مر رجل من أصحاب النبي ﷺ على رجل يقرأ آية ويبكي ويرددها، فقال: "ألم تسمعوا إلى قول الله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾، قال: هذا الترتيل". مصنف ابن أبي شيبة ٧/٢٢٦

٢) حتى يرق قلبك!

﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ أي: تمهل وفرِّق بين الحروف لتبين، والمقصد أن يجد الفكر فسحة للنظر، وفهم المعاني، وبذلك يرق القلب، ويفيض عليه النور والرحمة.

ابن عطية، المحرر الوجيز (٥/٣٨٧)

٣) في هذه الآية دليل على أنه لا بد للقارئ من الترتيل؛ لتقع قراءته عن حضور القلب، وذكر المعاني، فلا يكون كمن يعثر على كنز من الجواهر عن غفلة وعدم شعور.

النيسابوري، غرائب القرآن (٣٧٨/٦)

٤) والحكمة في الترتيل: التمكن من التأمل في حقائق الآيات ودقائقها، فعند الوصول إلى ذكر الله يستشعر عظمته وجلاله، وعند الوصول إلى الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف ويستنير القلب بنور الله، وبعكس هذا فإن الإسراع في القراءة يدل على عدم الوقوف على المعاني.

المراغي، تفسير المراغي (١١٢/٢٩)

٥) إنما أمره بالترتيل؛ لأن ترتيل القرآن به يحصل التدبر والتفكر، وتحريك القلوب به، والتعبد بآياته والتهيؤ والاستعداد التام له.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٩٣)

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥)﴾

١) سئل مالك عن مسالة، فقال: لا أدري، فقال له السائل: إنها مسألة خفيفة سهلة، وإنما أردت أن أُعلِمَ بها الأمير، وكان السائلُ ذا قدر؛ فغضب مالك، وقال: مسألة خفيفة سهلة؟ ليس في العلم شيء خفيف، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾.

الشاطبي، الموافقات (٤٧٠/٥)

٢) ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ هذه الجملة معترضة بين الأمر بالقيام والترتيل، وبين التعليل بذكر صفة صلاة الليل، ففيها دليل على أن قيام الليل من أعظم ما يعين على القيام بالتكاليف الشاقة، وهذا شأن الصلاة فرضها ونفلها؛ فإنها مما أمر بالاستعانة به كما قال تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ (البقرة: ٤٥).

د. عبد المحسن العسكر

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦)﴾

١) مدارسة جبريل للنبي ﷺ كانت ليلاً فدلَّ على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلاً؛ فإن الليل تنقطعُ فيه الشواغلُ، وتجتمعُ فيه الهممُ، ويتواطأ فيه القلبُ واللسانُ على التدبر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾.

ابن رجب، لطائف المعارف (١٦٩)

٢) صلاة الليل أعون على تذكر القرآن، والسلامة من النسيان، وأعون على المزيد من التدبر؛ ولذا قال سبحانه: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ قال ابن عباس ﷺ: ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾: أدنى أن يفقهوا القرآن، وقال قتادة رحمه الله: أحفظ للقراءة.

ابن عشور، التحرير والتنوير (٢٤٦/٢٩)

٣) أمر الله نبيه ﷺ في بداية سورة المزمل بترتيل القرآن في قيام الليل، وهي دعوة لتدبر القرآن، إذ لا يخفى عظم أثر الترتيل في إحداث التدبر، خصوصًا في ظلمة الليل، حيث السكون، وحضور القلب، والاعتبار.

أ.د. ابتسام الجابري

٤) رمضان بإطلالته المباركة فرصة ومنحة لأن يُطَهِّر المسلمُ نفسه بالنهار؛ ليعدَّها لتلقي هدايات القرآن في قيام الليل: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾، وناشئة الليل : ساعاته، فهي أجمع للقلب على التلاوة، فكأن الصيام في النهار تخلية، والقيام بالقرآن في الليل تحلية.

د. سعود الشريم، خطبة: رمضان شهر القرآن

﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠) ﴾

١) ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾ الصبر على ما يقولون يتضمن شيئين: الأول: عدم التضجر مما يقول هؤلاء، وأن يتحمل ما يقوله أعداؤه فيه، وفيما جاء به، والثاني: أن يمضي في الدعوة إلى الله، وأن لا يتقاعس.

ابن عثيمين، تفسير سورة ق (١١١)

٢) أمر الله تعالى في كتابه بالصبر الجميلن والصفح الجميل، والهجر الجميل، فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه، والهجر الجميل هو الذي لا أذى معه.

ابن القيم، مدارج السالكين (١٦٠/٢)

٣) ﴿ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ الله جميل يحب الجمال، حتى في الهجر والقطيعة مع الكفار، فأي عذر لمن يكدر صفو الوصل بالمنة والأذى مع الأقارب والأرحام؟!

أ.د. ناصر العمر

﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (١٢)﴾

قرأها سليمان التيمي فقال: قيودًا والله لا تُفَكُّ أبدًا، ثم بكى.

الدر المنثور (٣١٩/٨)

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠) ﴾

١) قال عمر بن الخطاب: ما من حال يأتيني عليه الموت – بعد الجهاد في سبيل الله – أحبُّ إلي من أن يأتيني وأنا بين شُعبتي رحلي ألتمس من فضل الله، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾.

الدر المنثور (٣٢٣/٨)

٢) بشرى لمن يسعى في طلب الرزق الحلال بالتجارة ونحوها، ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فقد كان بعض الصحابة يتأول من هذه الآية فضيلة التجارة والسفر لأجلها، حيث قرن الله بين المجاهدين والمكتسبين المال الحلال؛ يعني أن الله ما ذكر هذين السببين لنسخ تحديد القيام إلا تنويهًا بهما؛ لأن في غيرهما من الأعذار ما هو أشبه بالمرض، ودقائق القرآن ولطائفه لا تنحصر. ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٦٦/٢٩)

٣) ﴿ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ عبر الله بالقرض، وهو الغني ﷻ، والحكمة في أن يقول هذا ﷻ؛ ليبين أن أجرهم مضمون، كما أن القرض مضمون، وسيردُّ عليه الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة. ابن عثيمين، تفسير سورة الحديد (٣٩٣)

٤) تأمل آخر آية من سورة المزمل، وما فيها من التأكيد على قراءة القرآن مهما كانت الظروف، من مرض وسفر وقتال في سبيل الله! فهل يعتبر المقصرون في قراءة القرآن بسبب أعمال لا تداني هذه الأعذار؟

متدبر

سورة المدثر

﴿ يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) ﴾

من أول ما نزل بعد ﴿ اقْرَأْ ﴾ قوله سبحانه: ﴿ يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ﴾، فانظر كيف قدم ذلك على تشريع اشياء كثيرة من العبادات وغيرها، فقف عندها، ثم قف، ثم قف، ترى العجب العجيب، ويتبيَّن لك ما أضاع الناسُ من أصل الأصول، وهو التوحيد والدعوة إليه. محمد بن عبد الوهاب، رسائل الشيخ الشخصية (١٧١/١)

﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) ﴾

هل أعجبتك كثرة عملك؟

تأمل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ قال الحسن رحمه الله: لا تستكثر عملك الصالح.

جامع البيان للطبري ٤١٥/٢٣

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) ﴾

١) الوليد بن المغيرة كان يفكر: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾، لكن أين قاده تفكيره؟ الفكر الذي لا يقود للجنة، وينقذ من النار، وبالٌ على صاحبه! د. عمر المقبل

٢) مع أهمية (التفكير) وأثره في الحياة، فيجب أن يُبنى على أصول صحيحة، ومنطلقات شرعية، وتجرد سالم من المؤثرات الصارفة؛ وإلا كان وبالاً على صاحبه في العاجل والآجل. تدبر: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣)﴾. أ.د. ناصر العمر

٣) إذا لم ينطلق التفكير من عقل حر متجرد للحق، عازم على الرشد، وإنما كان محاطًا بأسوار من الحسابات الأرضية والتخوفات الوهمية، فلن يصل بصاحبه إلى نتيجة سوية، وإنما سيضطرب في تفكيره ويزداد (توهمًا) بصواب مسيره، وصحة طريقه، تدبر هذه الآية وما بعدها: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾؛ لترى إلى أي نهاية صاحبها وصل؟ أ.د. ناصر العمر

﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (٣١) ﴾

١) إذا رأيت أن (علم الغيب) لا يزيد إيمانك ويقينك وثباتك، فراجع قلبك؛ خشية أن يكون قد اشرب فتنة، تدبر: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾. أ.د. ناصر العمر

٢) الجنود التي يخذل بها الباطل، وينصر بها الحق، ليست مقصورة على نوع معين من السلا، بل هي أعم من أن تكون مادية أو معنوية، وإذا كانت مادية فإن خطرها لا يتمثل في ضخامتها، فقد تفتك جرثومة لا تراها العين بجيش عظيم: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾. الغزالي، فقه السيرة (١/١٧٥)

﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) ﴾

تدبر هذه الآية، يتضح لك أنه لا مجال للتوقف بحال، فتَفَقَّد إيمانك وعملك، فإن لم تكن تتقدم، فإنك يقينًا تتأخر. أ.د. نار العمر

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) ﴾

أي: كل نفسه مرتهنة بعملها السيئ إلا أصحاب اليمين، فإنه قد تعود بركات أعمالهم الصالحة على ذراريهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ألحقنا بهم ذرياتهم في المنزلة الرفيعة في الجنة، وإن لم يكونوا قد شاركوهم في الأعمال، بل في أصل الإيمان.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/٣٨٤)

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥١)﴾

شبه هؤلاء في إعراضهم ونفورهم عن القرآن بحمير رأت أسودًا، أو رماة ففرت منهم، وهذا من بديع القياس والتمثيل، فإن القوم في جهلهم بما بعث الله به رسوله كالحمير، وهي لا تعقل شيئًا، فإذا سمعت صوت الأسد أو الرامي نفرت منه أشد النفور، وهذا غاية الذم لهؤلاء. ابن القيم، إعلام الموقعين (١/١٦٤)

سورة القيامة

﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢)﴾

قال الحسن البصري رحمه الله: إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه، ما أردت بكلمتي؟ ما أردت باكلتي؟ ما أردت بحديثي نفسي؟ ولا اراه إلا يعاتبها، وإن الفاجر يمضي قدمًا لا يعاتب نفسه.

الدر المنثور (٨/٣٤٣)

﴿ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤)﴾

١) قرأ الحسن رحمه الله هذه الآية، فقال: إن الله أعفَّ مطعم ابن آدم ولم يجعله خفًا ولا حافرًا، فهو يأكل بيديه ويتقي بها، وسائر الدواب إنما يتقي الأرض بفمه.

الدر المنثور (٨/٣٤٤)

٢) ﴿ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ أي: أطراف أصابعه وعظامه، وذلك مستلزم لخلق جميع أجزاء البدن؛ لأنها إذا وجدت الأنامل والبنان، فقد تمت خلقة الجسد.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٩٨)

﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١٥) ﴾

١) استحضار العبد لخطاياه وذنوبه؛ تجعله لا يرى لنفسه على أحد فضلاً، فيرى أن من سلَّم عليه أو لقيه بوجه منبسط، فقد أحسن إليه، فما أطيب عيشه! وما أنعم باله! خلافًا لمن يرى لنفسه على الناس حقوقًا من الإكرام يطلبها منهم، ويذمهم على ترك القيام بها.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (٢/٨٤٣ – ٨٤٤)

٢) حين يقرؤك الآخرون؛ يرون فيك جانبك الظاهر، ولن يغوص إلى ذاك الخفي سواك، ولن تكون هناك قناة أخرى تبث تردداته إلاك ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾.

د. سلمان العودة، طفولة قلب (٣٦٣)

٣) عند تلاوة هذه الآية: ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾، قف متدبرًا متأملاً ثم اسأل نفسك بصدق وتجرد: هل جميع همومك خاضعة لهَمِّ هذا الدين؟ أو (هو) مجرد هم من تلك الهموم؟

أ.د. ناصر العمر

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) ﴾

١) من الآداب التي أدَّب الله بها نبيه ﷺ أنْ أمره بترك الاستعجال على تلقي الوحي؛ فهكذا ينبغي لطالب العلم ولسامعه أن يصبر على معلمه حتى ينتهي، ثم يسأل عما أشكل عليه منه.

ابن القيم، بدائع التفسير (٢٣٠/١)

٢- إذا كان الله تعالى نهى نبيه ﷺ عن الاستعجال بقراءة القرآن مع وجود سبب معتبر، فماذا يقول من يَهذُّهُ بلا فهم ولا تدبُّر، أو علة لها حظ من النظر؟

أ.د. ناصر العمر

٣) ورتل ولا تعجل!

تأمل هذه الآية التي خوطب بها نبيك ﷺ: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ فالترتيل هو الطريقة الشرعية للدخول إلى عالم التدبر، وقد كرر الله الأمر به في مواضع: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل: ٤)، ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ (الإسراء: ١٠٦)، فإياك والهذرمة وسرعة القراءة التي تفقدك لذة التدبر!

﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) ﴾

اختيار ﴿ وَتَذَرُونَ ﴾ على (تَدَعون) له سبب؛ ذلك أن الفعل (وذر) في عموم معانيه يفيد الذم، والموقف موقف ذم، فإنهم يحبون العاجلة ويذرون الآخرة، فاختار الفعل الذي يقال في عموم معانيه للذم، وهو اختيار فَنيٌّ رفيع.

د. فاضل السامرائي، لمسات بيانية (٢١٧ ٢١٨)

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) ﴾

١) قال ابن عقيل: تسمع: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ فتهش لها كأنها فيك نزلت، وتسمع بعدها: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾ فتطمئن أنها لغيرك، ومن أين ثبت هذا الأمر؟ ومن أين جاء الطمع؟ الله.. الله.. وما هذه إلا خدعة تحول بينك وبين التقوى.

الآداب الشرعية (١٧٧/١)

٢) إن روح الإنسان لتستمتع بلمحة من جمال الإبداع الإلهي في الكون أو النفس، فكيف بها وهي تنظر – لا إلى جمال صنع الله – ولكن إلى جمال ذات الله؟

ألا إنه مقام يحتاج أولاً إلى مد من الله، ويحتاج ثانيًا إلى تثبيت من الله؛ ليملك الإنسان نفسه، فيثبت، ويستمتع بالسعادة التي لا يحيط بها وصف، ولا يتصور حقيقتها إدراك!

سيد قطب، في ظلال القرآن (٦/٣٧٧٠ – ٣٧٧١)

٣) إن في اليوم الآخر لموعدًا يملؤه ضياء ونورًا، موعدًا عمل له الأنبياء والصديقون! وتعلق به العاملون أولاً وآخرًا! إنهك رؤية الله ذي الجلال والجمال! ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

د. فريد الأنصاري، جمالية الدين (٨٧)

﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) ﴾

لنستعد! ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ يجتمع عليه كرب الموت وهول المطلع. قال الضحاك رحمه الله: "هو في أمر عظيم، الناس يجهزون بدنه، والملائكة يجهزون روحه".

تفسير السمعاني (٦/١٠٩)

﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠)﴾

مَن لك إذا ألمَّ الألمُ وسكت الصوت، وتمكَّن الندم، ووقع الفوت، وأقبل لأخذ الروح ملكُ الموت، وجاءت جنودهن وقيل: من راق؟ ونزلت منزلاً ليس بمسْكون، وتعوَّضت بعد الحركات السكون، فيا أسفًا لك كيف تكون؟ وأهوال القبر لا تطاق، أكثر عمرك قد مضى، وأعظم زمانك قد انقضى، أفي أفعالك ما يَصلحُ للرِّضا إذا التقينا يوم التلاق؟

ابن الجوزي، التبصرة (١/٢١٧) (بتصرف)

﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٤) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٥) ﴾

هذا ليس من باب التكرار، بل هو وعيد ودعاء، يعني: قرب منك ما يُهلك قربًا بعد قرب، كما تقول: غفر لك ثم غفر الله لك، أي: غفر لك مغفرة بعد مغفرة، فليس هذا بتكرار محض، ولا من باب التأكيد اللفظي، بل هو تعدد الطلب لتعدد المطلوب، ونظيره: اضربه ثم اضربه.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام (٣٥٦ – ٣٥٧)

سورة الإنسان

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١) ﴾

كان السلف لعظم خوفهم من الله، وشدة قلقهم من لحظة وقوفهم أمام الله ﷻ، يتمنون أنهم لم يخلقوا، كما قال الفاروق ﷺ لما سمع رجلاً يقرأ: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾، فقال عمر: ليتها تمت، أي: ليتني لم أكن شيئًا مذكورًا!

معالم التنزيل للبغوي (٢٨٩/٨)

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) ﴾

جمع بين الشاكر والكفور، ولم يقل: إما شكورًا، وإما كفورًا مع اجتماعهما في صيغة المبالغة، فنفى المبالغة في الشكر وأثبتها في الكفر؛ لأن شكر الله تعالى لا يؤدى مهما كثر، فانتفت عنه المبالغة، ولم تنتف عن الكفر المبالغة، فإن اقل الكفر مع كثرة النعم على العبد يكون جحودًا عظيمًا لتلك النعم.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٤٥٠/٢١)

﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩)﴾

١) اعلم أن مجامع الطاعات محصورة في أمرين: التعظيم لأمر الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾ والشفقة على خلق الله، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ﴾.

الرازي، مفاتيح الغيب (٢٢٢/١٦)

٢) نعم القدوة هم:

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ كان حماد بن أبي سليمان يفطّر في كل ليلة في شهر رمضان خمسين إنسانًا، فإذا كانت ليلة الفطر كساهم ثوبًا ثوبًا وأعطاهم مائة مائة.

الإخوان لابن أبي الدنيا (٢١١)

٣) ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ فمن طلب من الفقراء الدعاء أو الثناء، خرج من هذه الآية؛ ولهذا كانت عائشة إذا أرسلت إلى قوم بهدية تقول للمرسول: اسمع ما دعوا به لنا؛ حتى ندعو لهم بمثل ما دعوا، ويبقى أجرنا على الله.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١١/١١)

٤) هل تريد بابًا من أبواب العمل الخالص؟ إنها محبة المساكين والإحسان إليهم؛ لأن نفعهم في الدنيا لا يرجى غالبًا، تأمل قال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾.

ابن رجب، اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (١٠٢)

٥) ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ قال ابن عباس ﷺ: كذلك كانت نياتهم في الدنيا حين أطعموا.

وقال مجاهد: أما إنهم ما تكلموا به، ولكن علمه الله منهم، فأثنى به عليهم؛ ليرغب في ذلك راغب.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩/١٣٠)

٦) ولا يزال في أمة محمد ﷺ أناس يؤثرون على أنفسهم، ويعرفون للسائل والمحروم حقه في أموالهم، ويعطون لا يريدون جزاء ولا ثناء، وما انقطعوا ولا ينقطعون إلى يوم القيامة، لسان حالهم: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾.

علي الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي (٢/٦٨)

٧) ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ الإرادة عمل قلبيح فاحذر أن تقول بلسانك: لا أريد شكرًا، وقلبك يتلظى على من أحسنت عليه؛ لأنه لم يشكرك.

د. صالح البهلال

﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١)﴾

١) من خاف الله في الدنيا، وأخذ أُهبتَه من طاعة ربه، أمَّنَه من أهوال يوم القيامة، ووقاه الفزع الأكبر، تأمل قوله سبحانه عن طائفة من عباده المحسنين في سورة الإنسان: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾.

القصاب، نكت القرآن (٤/٤٦٢)

٢) تأمل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ فالنضرة تعلو صفحة الوجه، والسرور لذة قلبية لا ترى، فجمع الله أكمل النعيم وأتمه، ظاهرًا وباطنًا، وإذا كان الرائي لأهل الدنيا المترفين – ممن تنعموا واختلطوا بأسيادهم وكبرائهم – يرى أثر ذلك عليهم، فكيف بحال من تنعم بصحبة النبيين وتلذذ برؤية وجه رب العالمين؟

د. محمد الخضيري

﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢)﴾

١) قرأ رجل على أبي سليمان الداراني سورة الإنسان، فلما بلغ: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ قال أبو سليمان: بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/٢٩٠)

٢) دخل في ذلك: الصبر على كلِّ مصيبةٍ ورزيَّةٍ، بفقد مال، وموت حميم وقريب، ومضض الفقر، والأوجاع والأمراض، وأشباه ذلك إذا جزع غصصه، وصبر على آلامهن وسلَّم فيها لحُكم ربه.

القصاب، نكت القرآن (٤/٤٦٣)

٣) من فسح لنفسه في اتباع الهوى، ضيق عليها في قبره ويوم معاده، ومن ضيق عليها بمخالفة الهوى، وسع عليها في قبره ومعاده، وقد أشار الله تعالى إلى هذا في قوله: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾؛ فلما كان في الصبر – الذي هو حبس النفس عن الهوى – خشونة وتضييق، جازاهم على ذلك نعومة الحرير وسعة الجنة.

ابن القيم، روضة المحبين (٤٨٠)

﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣)﴾

شدة البرد من زمهرير جهنم – كما صح بذلك الخبر عن النبي – ولكمال نعيم أهل الجنة؛ فإن الله تعالى نفى عنهم الحر المزعج، والبرد المؤلم، فقال سبحانه: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾، فهل يتذكر صاحب القرآن هذا حينما يقرصه البرد؟! جعلنا الله وإياكم من أهل ذلك النعيم[١].

﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤)﴾

[١] أرسلت في وقت شدة البرد التي مرت بالبلاد عام ١٤٢٩هـ.

قال مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ أدنيت منهم يتناولونها، إن قام ارتفعت بقدره، وإن قعد تدلت حتى يتناولها، وإن اضطجع تدلت حتى يتناولها، فذلك تذليلها.

الدر المنثور (٣٧٤/٨)

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا (١٩)﴾

١) ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا ﴾ قال بعضهم : هذا من التشبيه العجيب؛ لأنَّ اللؤلؤ إذا كان متفرقًا كان أحسن في المنظر لوقوع شعاع بعضه على بعض.

الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣٧٣/٤) (بتصرف)

٢) تأمل.. هذا وصف الخدم، فما ظنك بالمخدومين؟! لا شك أن حالهم ونعيمهم أعظم وأعلى! جعلنا الله وإياك من أهل ذلك النعيم.

د. عمر المقبل

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠)﴾

من أساليب القرآن البديعة: الإيجاز، تأمل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ أي: عظيمًا لا غاية بعده في السعة والجمال والدوام، ففي الآية إيجاز بليغ تذهب فيه النفس كل مذهب!

د. عبد المحسن العسكر

﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١)﴾

لما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي، قال بعده: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ أي: طهَّر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة، فحلَّى الظاهر والباطن.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥٥١/٤)

﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا (٢٢) ﴾

لم يُكتَف في إكرام أهل الجنة وثوابهم بالإكرام بالفعل، والثواب المحسوس، بل إنهم يكرمون بالقول؛ ولذلك لما قال سبحانه: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (الإنسان: ٢١)، قال لهم على سبيل الحفاوة والإكرام: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾، وهذا له نظائر في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ٤٣).

د. عبد المحسن العسكر

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (٢٧)﴾

١) من طال وقوفه في الصلاة ليلاً ونهارًا لله، وتحمل لأجله المشاق؛ خف عليه الوقوف في ذلك اليوم، وإن آثر الراحة هنا والدعة والبطالة والنعمة؛ طال عليه الوقوف هناك، واشتدت مشقته عليه، وقد أشار الله إلى ذلك في قوله: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾.

ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية (٣٧)

٢) يوم القيامة يوم ثقيل، لا ينجو فيه – برحمة الله – إلا صاحب العمل الدؤوب في ليل طويل: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ وقيام رمضان فرصة للتعود عليه.

د. عبد المحسن المطيري

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠)﴾

إنما بيَّن الله ذلك في كتابه من أجل ألَّا يعتمد الإنسان على نفسه وعلى مشيئتهن بل يعلم أنها مرتبطة بمشيئة الله؛ حتى يلجأ إلى الله في سؤال الهداية لما يحب ويرضى، فلا يقول الإنسان: أنا حر، أريد ما شئت، وأتصرف كما شئت. نقول: الأمر كذلك، لكنك مربوط بإرادة الله ﷻ.

ابن عثيمين، تفسير جزء عم (٣٧)

سورة المرسلات

﴿ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦)﴾

قال قتادة رحمه الله: عذرًا لله على خلقه، ونُذرًا للمؤمنين ينتفعون به، ويأخذون به.

جامع البيان للطبري ٦٥٣/٢٦

﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣)﴾

من المؤكد أنه لن يتم حسم كل القضايا هنا، سيبقى الكثير منها عالقًا ليوم الفصل!

د. عبد الله بن بلقاسم

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥)﴾

١) فلا أحسنَ من هذا التكرار في هذا الموضع، ولا أعظم منه موقعًا، فإنه تكرَّر عشرَ مرات، ولم يُذكَر في أثر دليل أو مدلول عليه عقيبَ ما يوجب التصديق به، فتأمَّل!

ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، ص ١٤٧

٢) ومن الويل عليهم؛ أنهم تنسد عنهم أبواب التوفيق، ويُحرمون كل خير، فإنهم إذا كذبوا هذا القرآن الذي هو أعلى مراتب الصدق واليقين على الإطلاق ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥)﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٩٢٦

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨)﴾

قال قتادة رحمه الله: عليكم بحُسن الركوع، فإنَّ الصلاة من الله بمكان!

الطبري، جامع البيان ٦٧٨/٢٦

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠) ﴾

إن القرآن احسن حديث؛ في بيانه، وحججه، ومواعظه، ووعده، ووعيده، وشرائعه، وأخباره، فمن لم يهتد بالقرآن، لم ينفعه أيُّ حديث بعده، فلا هدى بعد هدى القرآن، ولا بيان بعد بيانه!

د. عبد المحسن العسكر، تفسير جزء تبارك، ص ٣٩٠

سورة النبأ

﴿ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)﴾

قال عبد الله بن عمرو: ما نزلت على أهل النار آية قط أشد منها ﴿ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾، فهم في مزيد من عذاب الله أبدًا.

الدر المنثور ٨/٣٩٧

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥)﴾

من ترك اللغو وابتعد عنه، فقد استعجل شيئًا من نعيم الجنة.

د. عبد المحسن المطيري

سورة النازعات

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١)﴾

١) قال حاتم الأصم: رأيت الخلق يقتدون أهواءهم، ويبادرون إلى مرادات أنفسهم، فتأملت قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾، وتيقَّنت أنَّ القرآن حق صادق، فبادرت إلى خلاف نفسي، وتشمَّرت بمجاهدتها، وما متعتها بهواها؛ حتى ارتاضت بطاعة الله تعالى وانقادت.

أيها الولد للغزالي (١٢١ – ١٢٨)

٢) ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ يحتاج المسلم إلى ان يخاف الله، وينهى النفس عن الهوى، ونفس الهوى والشهورة لا يعاقب عليه – إذا لم يتسبَّب فيها–، بل على اتباعه والعمل به، فإذا كانت النفسُ تهوى وهو ينهاها، كان نهيُه عبادةً لله، وعملاً صالحًا، و﴿ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾؛ أي: قيامه بين يديه تعالى للجزاء.

ابن تيمية مجموع الفتاوى (١٠/٦٣٥)

٣) ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ إذا سمعت من الإذاعة حديثًا دينيًا، وسمعت من الأخرى أغنية لفلان أو فلانة، وتركت الأغنية للحديث، فأنت قوي الإرادة؛ لأنك سلكت الطريق الصعب، إنك تكون قد صعدت، والصعود إلى العلي صعب، أما الهبوط فهو هيّن.

على الطنطاوي، نور وهداية (٢٤٠)

٤) ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ أتظنُّ أن المسلم وهو يغالب شهواته، ويجاهد نفسه على الطهر والعفاف لا يجيش في نفسه الهوى؟ كلا، بل يتحرك في نفسه من النوازع مثل ما في نفوس الفجار أو أشد، ولكنه يخاف مقام ربه؛ فينهى النفس عن الهوى.

د. سلمان العودة

٥) مهر الجنة: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ إلى صاحب القلب القاسي! إلى متى وأنت تعبد هواك، تعبد الدرهم والدينار؟ فمتى يصفو لك التوحيد؟ سارع قبل فجأة الموت.

صالح المغامسي

﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦) ﴾

١) كان الحسن البصري إذا قرأ: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ قال: ابن آدم! هذه الدنيا إنما هي غدوة أو روحة، أما تصبر عن المعصية؟

آداب الحسن البصري (١٠٠)

٢) ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ تنطوي هذه الحياة الدنيا التي يتقاتل عليها أهلها ويتطاحنون، فإذا هي عندهم عشية أو ضحاها! أفمن أجل عشية أو ضحاها يضحون بالآخرة؟ ألا إنها الحماقة الكبرى التي لا يرتكبها إنسان يسمع ويرى!

سيد قطب، في ظلال القرآن (٧/٤٥٠)

٣) إذا كانت الدنيا كلها – في عمر الزمان – إنما هي ﴿ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾، فكيف بليال معدودات من عمر الدني كلها؟ والمؤمن يستعمل هذا المعنى في أمثال مواسم الطاعات؛ ليغتنم كل لحظة فيها، ويغار أن يمضي وقت منها في غير قربة، ولسان حاله يقول: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ (طه: ٨٤).

د. عمر المقبل

سورة عبس

﴿ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢)﴾

ذكر ابن أم مكتوم في قصته في سورة عبس بوصفه ﴿ الْأَعْمَى ﴾ ولم يذكر باسمه؛ ترقيقًا لقلب النبي عليه؛ ولبيان عذره عندما قطع على النبي حديثه مع صناديد مكة؛ وتأصيلاً لرحمة المعاقين، أو ما اصطلح عليه في عصرنا بذوي الاحتياجات الخاصة.

د. محمد الخضيري

﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) ﴾

إنما قال: ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾؛ لأن وقت البعث غير معلوم لأحد، فهو موكول إلى مشيئة الله تعالى، متى شاء أن يحيي الخلق أحياهم.

القاسمي، محاسن التأويل (٩/٤٠٩)

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤)﴾

تدبر عملي..

ألم يمر بك قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾؟ فكم مرةٍ نظرت إلى طعامك؟ جرّب لترى أثر ذلك في قلبك! وكم مرة سمعت: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (الغاشية: ١٧)؟ ثم بادرت لتنظر في عظمة خلقها!

إن تنفيذها لسهلٌ ويسير، وإن أثرها في القلب لعظيم.

د. عمر المقبل

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) ﴾

ابتدأ بالأخ ومن عادة العرب أن يبدؤوا بالأهم، والحكمة في ذلك أن الابتداء يكون في كل مقام بما يناسبه، فتارة يقتضي الابتداء بالأعلى، وتارة بالأدنى، وهنا المناسبة تقتضي الابتداء بالأدنى؛ لأن المقصود بيان فراره عن اقاربه مفصلاً شيئًا بعد شيء، فلو ذكر الأقرب أولًا لم يكن في ذكر لأبعد فائدة طائلة، فإنه يعلم أنه إذا فر من الأقرب، فر من الأبعد.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٧٤/١٦) (بتصرف)

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) ﴾

١) قدَّم الله في (سورة عبس) ذكر الوجوه المسفرة على الوجوه التي وصفها بالغبرة والقترة، بعكس ما وقع في (سورة النازعات) من تقديم أهل الهوى على أهل الهدى، وسرُّ التقديم المذكور؛ لأن سورة عبس أقيمت على عماد التنويه بشأن رجل من أفاضل المؤمنين، والتحقير لشأن عظيم من صناديد المشركين، فكان حظُّ الفريقين مقصودًا مسوقًا إليه الكلام، وكان حظ المؤمنين هو الملتفت إليه ابتداء، وأما "النازعات" فقد بُنيت على تهديد المنكرين للبعث، فكان السياق للتهديد والوعيد وتهويل ما يلقونه يوم الحشر.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٣٧/٣٠)

٢) قسمات وجوه الطلاب بعد تسليم ورقة الاختبار تشعرك بما تُكِنُّه صدورهم، وهو شيء مؤقت.. فما ظنك بالوجوه حين تؤخذ الكتب – يوم القيامة – باليمين والشمال؟ إما وجوه ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾، أو ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ (عبس: ٤٠ – ٤١)، وما بعد ذلك: نعيم لا ينفد، أو عذاب مؤبَّد، فهل من معتبر؟

سورة التكوير

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) ﴾

قرأ قارئ هذه الآيات، وفي الحاضرين أبو الوفاء بن عقيل، فقال له قائل: قد نشر الله الموتى للبعث والحساب، وزوج النفوس بقرنائها بالثواب والعقاب، فلم هدم الأبنية وسير الجبال ودك الأرض وفطر السماء ونثر النجوم وكور الشمس؟ فأجابه ابن عقيل: إنما بنى لهم الدار للسكنى والتمتع، وجعلها وجعل ما فيها للاعتبار والتفكر، والاستدلال عليه بحسن التأمل والتذكر، فلما انقضت مدة السكنى وأجلاهم من الدار، خرَّبها؛ لانتقال الساكن منها.

ابن القيم، بدائع الفوائد (٢٦٩/٤)

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨)﴾

سؤال الموؤدة لا يعارض الآيات النافية السؤال عن الذنب؛ لأنها سئلت عن أي ذنب كان قتلها؟ وهذا ليس من ذنبها، والمراد بسؤالها هنا توبيخ قاتلها وتقريعه؛ لأنها تقول: لا ذنب لي، فيرجع اللوم على من قتلها ظلمًا.

الشنقيطي، أضواء البيان (٥٠٤/٧)

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨)﴾

١) فيها إشارة إلى أن الذين لم يتذكروا بالقرآن ما حال بينهم وبين التذكر به إلا أنهم لم يشاؤوا أن يستقيموا، بل رضوا لأنفسهم الانحراف، ومن رضي لنفسه الضلال حُرم من الهداية: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (الصف: ٥).

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٦٦/٣٠)

٢) ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ وفي الآية إشارة إلى أن من الخطأ أن يوزن حال الدين الإسلامي بميزان أحوال بعض المسلمين أو معظمهم – كما يفعله بعض أهل الأنظار القاصرة من الغربيين وغيرهم – إذ يجعلون وجهة نظرهم التأمل في حالة الأمم الإسلامية، ويستخلصون من استقرائها احكامًا كلية يجعلونها قضايا لفلسفتهم في كنه الديانة الإسلامية.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٦٧/٣٠)

سورة الانفطار

﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) ﴾

في الكوارث الطبيعية من سيول ونحوها تذكرة ببعض ما سيكون يوم المعاد! لقد رأى الناس أثر نهدُّم بعض السدود فيما يقع من فواجع! فإذا كان هذا أثرًا لاجتماع سيل عارض من ماء، فكيف سيكون الحال إذا جاء زمان: ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) ﴾؟ هي مواقف نحياها، فالموفق يعتبر، ومن لم يعتبر، فليبحث عن قلب؛ فإن برودة الحس في أمثال هذه الأحداث علامة على قسوة القلب.

أ.د ابتسام الجابري

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) ﴾

١) حدثني أحد طلابي من الجنسية الفرنسية عن رحلته إلى الإسلام، فقال: حين سمعت قوله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ﴾ شدتني براعة الاستهلال، والعلو والثقة والقوة المطلقة التي يمتلكها قائل هذا الكلام، فأيقنت أنه ليس خطابًا بشريًا، فكانت هذه الصدمة البلاغية أول خطوات رحلتي إلى الإسلام.

أستاذ في جامعة أم القرى

٢) تأمَّل في سرِّ التعبير بقوله: ﴿ بِرَبِّكَ ﴾ دون قوله: (بالله) في قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾؛ فإنَّ في هذه اللفظة من معاني الملك والرعاية والرفق التي تناسب تذكر الإنسان بنعم الله عليه، وتذكير باستحقاقه تعالى لطاعة مربوبية.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٧٥/٣٠)

٣) أعد النظر في نفسك، وتأمل حكمة اللطيف الخبير في تركيب البدن، ووضع هذه الأعضاء مواضعها منه، وإعدادها لما أعدت له، وإعداد هذه الاوعية المعدة لحمل الفضلات وجمعها؛ لكيلا تنتشر في البدن فتفسده، ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (٢٦٢/١)

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤)﴾

١) كل من عدل في ولاية من هذه الولايات فساسها بعلم وعدل وأطاع الله ورسوله بحسب الإمكان؛ فهو من الأبرار الصالحين، وكل من ظلم وعمل فيها بجهل؛ فهو من الفجار الظالمين، إنما الضابط قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٦٨/٢٨)

٢) لا تظن أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ يختص بيوم المعاد فقط، بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة: الدنيا، والبرزخ، والآخرة، وأولئك في جحيم في دورهم الثلاثة! وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من بر القلب، وسلامة الصدر، ومعرفة الرب تعالى، ومحبته، والعمل على موافقته؟!

ابن القيم، الجواب الكافي (٨٤)

سورة المطففين

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١)﴾

١) قال سلمان الفارسي: "الصلاة مكيال، من وفَّى، وُفِّي له، ومن طفف، فقد علمتم ما قال الله في المطففين"، وهذا من عمق علم السلف بالقرآن، حيث عمَّم معنى الوعيد الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾، ولم يقصره على التطفيف في البيع والشراء فحسب.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٣٥/١٥)

٢) نزل قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ في تطفيف المكاييل والموازين الحسية، ويدخل في هذا الوعيد التطفيف المعنوي كمن يعتذر لنفسه ولا يعتذر لغيره، ويمدح طائفة بشيء لا يمدح به الأخرى، ولا يذكر للفاضل إلا العيوب والهفوات، وهذا القياس تطبيق لقوله: ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ (الشورى: ١٧)، فالقرآن توزن به الأمور، ويقاس ما لم يذكر على ما ذكر.

د. محمد الخضيري

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)﴾

١) قال حذيفة بن اليمان ﷺ: القلب مثل الكف، فيذنب الذنب فينقبض منه، ثم يذنب الذنب فينقبض منه؛ حتى يجتمع، فإذا اجتمع طبع عليه، فإذا سمع خيرًا دخل في أذنيه؛ حتى يأتي القلب فلا يجد فيه مدخلاً، فذلك قوله: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

الدر المنثور (٤٤٦/٨)

٢) قال علي ﷺ: إن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء، فإذا عمل العبد الصالحات، نَمَت، فزادت؛ حتى يبيض القلب كله، وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء، فإذا انتهك الحرمات، نمت وزادت؛ حتى يسود القلب كله، فيُطبع عليه، فذلك هو الختم وتلا قوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

الإحياء للغزالي (٢٣٥/١)

٣) انتبه قبل أن يموت قلبك!

قال الحسن البصري في قوله: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الذنب على الذنب حتى يعمى القلب؛ فيموت.

جامع البيان للطبري (٢٠١/٢٤)

٤) كلَّما تراكمت الذنوب، طبع على القلوب؛ وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ويستهين بأمر الآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

الغزالي، الإحياء (١٢/٣)

٥) قست القلوب وغلب عليها حب الدنيا، وملأتها مشاغل الحياة وهمومها ولذاتها، فلا بد أن نحتال عليها حتى نذكّرها بربها وبآخرتها، وأن ندور من حولها لنجد الباب الموصل إليها؛ لئلا نكون ممن قال الله فيهم: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح (١٠٥)

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥)﴾

١) قال الشافعي: في هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه ﷻ يومئذ.

فعلق ابن كثير على كلمة الشافعي قائلاً: وهذا الذي قاله الإمام الشافعي في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطوق قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة: ٢٢ – ٢٣). تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٥١/٨)

٢) قال الحسين بن الفضل: كما حجبهم في الدنيا عن توحيده، حجبهم في الآخرة عن رؤيته. معالم التنزيل للبغوي (٣٦٦/٨)

٣) حجاب دنيوي وأخروي!

أعظم عذاب أهل النار هو حجابهم عن ربهم ﷻ، ولما كانت قلوبهم قاسيةص لا يصل إليها شيء من نور الإيمان وحقائق العرفان، كان جزاؤهم على ذلك في الآخرة حجابهم عن رؤية الرحمن، والعارفون خوفهم في الدنيا من احتجابه عن بصائرهم، وفي الآخرة من احتجابه عن نواظرهم.

ابن رجب، تفسير ابن رجب (٥٥٠/٢)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾

الدنيا ليست نهاية المطاف: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ هل انتهى الأمر؟ لا: ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾.

سورة الانشقاق

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) ﴾

لا أرى أن نسمي الإجازة عطلة؛ لأنه ليس في أيام الإنسان المسلم المؤمن عطلة، بل ولا غير المؤمن، كل يعمل، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ نعم هي عطلة من الدراسة النظامية، لكن لو سُمِّيت بدلاً من العطلة إجازة، فهذا جيد.

ابن عثيمين، لقاءات الباب المفتوح (١٧/٢٩)

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١)﴾

كما أنه جعل كتاب الله وراء ظهره في الدنيا، جعل الله كتاب عمله وراء ظهره في الآخرة خزيًا وعارًا.

ابن عثيمين، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة (شريط ٧)

سورة البروج

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠)﴾

١) يقول أحد الدعاة: رأيت مغنيًا مشهورًا طالما فتن الشباب والفتيات، فقررت ألَّا أدعه؛ حتى أنصحه، فسلمت عليه، وألهمني الله أن ألقي في أذنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾، ثم ذهبت، فوالله ما مرت أيام إلا وقرأت خبر توبته في الصحف، فما أجمل الوعظ بالقرآن إذا صادف انتقاء حسنًا، وقلبًا واعيًا!

٢) قال الحسن رحمه الله: انظروا إلى هذا الكرم والجود، هم قتلوا أولياءه وأهل طاعته، وهو يدعوهم إلى التوبة! تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٩٤/٦)

٣) لا تيأس من التوبة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ انظر إلى سعة حلم الله تعالى؛ فهؤلاء يحرقون أولياءه ثم يعرض عليهم التوبة بقوله ﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾. محمد بن عثيمين، تفسير القرآن الكريم (٣٣٦/١)

٤) الذين أحرقوا المؤمنين في الأخدود سيحرقون، ولكن أين؟ في جهنم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ أحرقوا المؤمنين في الدنيا؛ فأُحرقوا في الآخرة، وما أعظم الفرق بين حريق وحريق.

د. عبد الوهاب الطريري

﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) ﴾

أوضاع أهلنا المستضعفين في أنحاء الأرض أمر يستوجب منا الفزع لربنا والتضرع إليه أن يفرج كربتهم، وأن ينتقم من عدوهم؛ فإن عدوهم مهما بلغت قوته فليس بشيء أمام قوة الجبار ﷻ، ألسنا نقرأ قوله تعالى في سورة البروج: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠)﴾، إذا لم تَسْكُبْ هذه الآيات – وأمثالها – القوة في قلوبنا لنترجمها إلى دعاء صادق، فأي شيء إذًا؟ ألا فلننطرح بين يدي ربنا، ونستنصر لإخواننا في صلواتنا ودعواتنا.

سورة الطارق

﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩)﴾

١) وفي التعبير عن الأعمال بـ (السر) لطيفة، وهو أن الأعمال نتائج السرائر، فمن كانت سريرته صالحة كان عمله صالحًا، فتبدو سريرته على وجهه نورًا وإشراقًا، ومن كانت سريرته فاسدة كان عمله تابعًا لسريرته، فتبدو سريرته على وجهه سوادًا وظلمة، وإن كان الذي يبدو عليه في الدنيا إنما هو عمله لا سريرته.

ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن (٦٤)

٢) صدرك صندوق لأكثر أعمالك، وسيفتح هذا الصندوق: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ فانظر ما الذي سيفتح عليه الصندوق؟ أيسرك أن يفتح وفيه رياء أم حسد أم شيء يكدر سلامته؟ هنيئًا لمن قيل له أنت ممن: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء: ٨٩).

د. عمر المقبل

٣) هل يسرك أن يعلم الناس ما في صدرك – مما تحرص على كتمانه ولا تحب نسبته إليه–؟! قطعًا لا تحب، بل ستتبرأ منه لو ظهر. إذن قف مع هذه الآية متدبرًا، وتأمل ذلك المشهد العظيم: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾، ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ (العاديات: ١٠)، أتريد النجاة من هذا كله؟ إذن حاول أن تأتي ربك كما أتى الخليل ﷺ ربه تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الصافات: ٨٤)، وهنا؟ "لن ترى ما يسوؤك". أ.د. ناصر العمر

﴿ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠)﴾

تأمل كيف نفت هذه الآية كلَّ سببٍ يمكن أن يكون للإنسان يوم القيامة، فإنه نفى القوة وهي ما عند الإنسان من داخله، ونفى الناصر وهو ما له من خارجه.

البغوي، معالم التنزيل (٣٩٥/٨) (بتصرف)

سورة الأعلى

١) قرأ ابن مسعود ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ فلما بلغ ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ ترك القراءة وأقبل على أصحابه، فقال: آثرنا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم، فقال: آثرنا الدنيا، لأنا رأينا زينتها ونساءها، وطعامها وشرابها، وزويت عنا الآخرة، فاخترنا هذا العاجل، وتركنا الآجل. الدر المنثور (٨/٤٨٧)

٢) اتفقت سورتا الاعلى والغاشية في كلمة ﴿ فَذَكِّرْ ﴾ مما يدل على أن السورتين تركزان على التذكير بعظم حق الله، استدلالاً بآياته، وتخويفًا من شدة عذابه؛ ولذا قال: ﴿النَّارَ الْكُبْرَى ﴾ (الأعلى: ١٢)، ﴿ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴾ (الغاشية: ٢٤)، مما يبعث المؤمن على الحرص على تزكية نفسه، والحذر من الإعراض عن شرع ربه. د. محمد الربيعة

﴿ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥)﴾

هذا مثل للحياة الدنيا، ولعاقبة الكفار ومن اغتبر بالدنيا، فإنهم يكونون في نعيم وزينة وسعادة، ثم يصيرون إلى شقاء في الدنيا والآخرة، كالمرعى الذي جعله غثاء أحوى – أي هشيمًا متغيرًا–. ابن تيمية، دقائق التفسير (٥/٧٤ – ٧٥)

﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩)﴾

١) أي: ذكّر حيث تنفع التذكرة، ومن هاهنا يؤخذ الأدب في نشر العلم، فلا يضعه عند غير أهله[1]. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٨/٣٨٠)

٢) ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ من مفهوم هذا أنها إن ضرت، فترك التذكير الموجب للضرر الكثير هو المتعين. السعدي، القواعد الحسان (٨٢)

---

[1] وليس مراد الحافظ – فيما يظهر – أن التذكير لا يُفعل إلا إذا ظُنَّ قبولُه، بل المراد: أن يذكر الإنسان بما يفهمه الشخص المقصود بالتذكير؛ حتى لا يترتب على ذلك تكذيب الموعظة أو ردها بسبب عدم فهمها، كما يدل لذلك إيراد ابن كثير لأثر علي ﷺ: (ما أنت بمحدِّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم).

٣) من الخطأ أن يبرر البعض ترك القيام بالدعوة استدلالاً بهذه الآية: ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ دون النظر في الآية الأخرى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٥). فالدعوة نافعة حالاً أو مآلاً، لكن قد تطرأ أسباب يكون من الحكمة تأخير التذكير لعارض، وبهذا نجمع بين الآيتين. أ.د. ناصر العمر

﴿ سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) ﴾

قال قتادة رحمه الله: والله ما خشي الله عبد قط إلا ذكره، ولا يتنكب هذا الذكر زهدًا فيه وبغضًا لأهله إلا شقى بَيِّنُ الشقاء. جامع البيان للطبري (٣١٧/٢٤)

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)﴾

استنبط بعضهم زكاة الفطر والتكبير والصلاة من هذه الآية، قال السعدي في هذا: إنه وإن كان داخلاً في اللفظ وبعض جزئياته، فليس هو المعنى وحده.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٩٣٠)

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧)﴾

١) قال مالك بن دينار: لو كانت الدنيا من ذهب يفنى، والآخرة من خزف يبقى، لكان الواجب أن يُؤثر خزف يبقى، على ذهب يفنى؛ فكيف والآخرة من ذهب يبقى، والدنيا من خزف يفنى؟! الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤/٢٠)

٢) السعيد يرغبه الله في الآخرة حتى يقول: لا شيء غيرها، فإذا هضم دنياه وزهد فيها لآخرتهن لم يحرمه الله بذلك نصيبه من الدنيا، ولم ينقصه من سروره فيها، والشقي يرغبه الشيطان في الدنيا حتى يقول: لا شيء غيرها، فيجعل الله له التنغيص في الدنيا التي آثر، مع الخزي الذي يلقى بعدها.

ابن المقفع، الأدب الكبير والأدب الصغير (٩)

سورة الغاشية

﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤)﴾

مرَّ الفاروق براهب، فوقف ونودي الراهبن فقيل له: هذا أمير المؤمنين، فاطلع فإذا بالراهب من الضرِّ والاجتهاد وترك الدنيا شيء عظيم، فلما رآه عمر بكى، فقيل له: إنه نصراني، فقال: قد علمتُ، ولكنّي رحمته، ذكرت قوله تعالى: ﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾، فرحمت نصبه واجتهاده وهو في النار. الدر المنثور (٤٩١/٨)

﴿ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١)﴾

في وصفه تعالى للجنة بقوله: ﴿ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ دلالة على انتقاء الجو الذي يعيش المرء فيه من العبارات الخادشة والقبيحة من أنواع النعيم؛ فينبغي على المسلم أن يُنزِّه لسانه وسمعه عن اللغو، ويربي نفسه وأهله على الطيب من القول.

د. عبد الرحمن الشهري

﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (٢٢)﴾

من الجهلة من يضع هذه الآية في غير موضعها، فيريد أن يتخذها حجة على حرية التدين بين جماعات المسلمين! وشتان بين أحوال المسلمين، فمن يلحد في الإسلام – بعد الدخلو فيه –، يستتاب، فإن لم يتب، قتل، وإن لم يقدر عليه، فعلى المسلمين أن ينبذوه، ويعاملوه معاملة المحارب. ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٧٢/٣٠)

﴿ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) ﴾

قال أهل العلم: وإنما قال: الأكبر؛ لأنهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والأسر والقتل.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣٧/٢٠)

سورة الفجر

﴿ وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) ﴾

١) ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ يا عبد الله؛ لُذ بالجناب ذليلًا، وقف على الباب طويلاً، واتخذ في هذه العشر سبيلاً، واجعل جناب التوبة مقيلاً، واجتهد في الخير تجد ثوابًا جزيلاً، قل في الأسحار: أنا تائب، ناد في الدجى: قد قدم الغائب.

ابن الجوزي، التبصرة (١٢٧/٢)

٢) ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ سبحان من فضل هذه الأمة، وفتح لها على يدي نبيها نبي الرحمة أبواب الفضائل الجمة، فما من عمل عظيم يقوم به قوم ويعذر عنه آخرون إلا وقد جعل الله عملاً يقاومه، أو يفضل عليه، فتتساوى الأمة كلها في القدرة عليه.

ابن رجب، لطائف المعارف (٢٤٩)

٣) من أسرار التعبير بهذه الجملة: ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾: هي ليال معلومة للسامعين، موصوفة بأنها عشر، ولم يقل (الليالي العشر)؛ لأن في تنوينها تعظيمًا، وليس في ليالي السنة عشر ليال متتابعة عظيمة مثل عشر ذي الحجة التي هي وقت مناسك الحج، ففيها غالبًا الإحرام، ودخول مكة، وأعمال الطواف، وفي ثامنتها ليلة التروية، وتاسعتها ليلة عرفة، وعاشرتها ليلة النحر، فتعين أنها الليالي المرادة بليال عشر.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣١٨/١٦)

٤) هذه الأيام التي كانت الصحابة يجتهدون فيها بالعبادة؛ فهي أفضل الايام على الإطلاق؛ لأنه يجتمع فيها ما لم يجتمع في غيرها من أمهات العبادات: من صلاة وصيام وصدقة، ولا يتأتى هذا الاجتماع في غير هذه الأيام، وعلى رأس العبادات التي فيها الحج.

محمد المنجد، عشر ذي الحجة (محاضرة)

﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥) ﴾

١) في قوله تعالى في أول سورة الفجر: ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ أي: عقل، فنأخذ منها معنى يحسن التنبيه إليه: وهو أن القرآن يخاطب العقول، وبالتالي فلا تناقض بين هداية القرآن ودلالة العقل، بل العقل الرشيد الصادق لا تخطئ دلالته؛ ولهذا أحالنا القرآن عليه: ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة)، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

د. سلمان العودة

٢) سمي العقل حِجْرًا؛ لأنه يعقل صاحبه ويحجره عما لا يليق به شرعًا وعرفًا، لكن مهمة العقل ليست مجرد المنع والحجر، بل إن من لوازم منعه عما لا يليق به: أن يصرفه إلى ما خلق له من الإبداع والتفكير والإنتاج؛ ولذا أكَّد القرآن على ذلك: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٦)، ﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ (يس: ٦٨).

أ.د. ناصر العمر

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥)﴾

قال مجاهد في الآية: ظن الإنسان كرامة الله في كثرة المال، وهوانه في قِلَّته، وكذب! إنما يُكرم بطاعته من أكرم، ويهين بمعصيته من أهان.

الدر المنثور (١٥/٤١٨)

﴿ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨)﴾

تأمل الإتيان بصيغة الجمع في قوله: ﴿ وَلَا تَحَاضُّونَ ﴾ ففي ذلك إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون هناك مجهود جماعي في الحث على الإطعام، ويؤكد هذا أن القرآن – في الفترة المكية – أبرز قضية العناية بحقوق الناس، وخاصة الضعفاء؛ لأن حفظ الحقوق يحفظ المجتمعات، وبالإطاحة بها تنهار المجتمعات من داخلها.

د. سلمان العودة

﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠)﴾

القرآن يضع أيدينا من أول يوم على موطن الداء، ومكمن المرض العضال، إنه مرض ذو شعبتين: شعبة تنخر في نفسية الفرد، وشعبة تفت في كيان الأمة والدولة.

محمد دراز، من خلق القرآن (٣٥)

﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢)﴾

حدثني أحد الإخوة بقصة ثلاثة أطفال من أسرة واحدة، كان أكبرهم حافظًا للقرآن ويتحدث الفصحى، وفي لحظة لعب فتحت أمهم الإذاعة، فإذا القراءة لسورة الفجر، فتفاجأت بأن الابن الأكبر ترك اللعب، وجلس يستمع التلاوة، بينما استمر البقية يلعبون، فسألته عن ترك اللعب فقال: أشعر أني أطير في السماء، وسمعتُ قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ فخفتُ واقشعر جلدي فتركتُ اللعب.

د. محمد الربيعة

﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) ﴾

من أهمته ذنوبهن صارت نصب عينيه ولم ينسها، ومن لم تهمه ذنوبه، هانت عليه فنسيها ولم يذكرها إلى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾.

ابن رجب، مجموع رسائل ابن رجب (٣٦٣/١)

﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) ﴾

١) إنما قال: لحياتي، ولم يقل: (لهذه الحياة) على معنى أن الحياة كأنها ليست إلا الحياة في الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ أي: لهي الحياة.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٦٠/٣١)

٢) العبد إذا أعرض عن الله واشتغل بالمعاصي، ضاعت عليه ايام حياته الحقيقية التي يجد غثَّ إضاعتها يوم يقول: ﴿ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾. ابن القيم، الجواب الكافي (٥٥)

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾

١) من لم تطمئن نفسه في هذه الدنيا بشريعة الله وحكمه، فلن يكون مطمئنًا في الآخرة، ولن يستمع لذلك النداء العظيم: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ فاطمئن هنا؛ لتطمئن هناك.

د. عمر المقبل

٢) ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ هل تأملت سر تقديم ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾؟ رفقة عباد الله نعيم في حد ذاته، فكيف إذا كانت هذه الرفقة في جنة الله؟

د. محمد القحطاني

سورة البلد

﴿ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧)﴾

أي موعظة هذه التي تقول للمرائي: قِف! وللزاني: عِف! وللسارق: كُف! ولكل عاص: خِف ثم خِف! أما تستشعر نظر من لا يخفى عليه شيء جَلَّ أو لطف؟.

د. عمر المقبل

﴿ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) ﴾

تدبرٌ تترجمه الدموع: قرأ الفضيل رحمه الله هذه الآية: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾، فبكى، فسئل عن بكائه، فقال: هل بتَّ ليلةً شاكرًا لله أن جعل لك عينين تبصر بهما؟ هل بتَّ ليلةً شاكرًا لله أن جعل لك لسانًا تنطق به؟ وجعل يعدِّدُ من هذا الضرب. جامع العلوم والحكم (٧٥/٢)

﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) ﴾

اختيار كلمة (النجدين) في هذه السورة بينما في السور الأخرى جاء التعبير ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴾ (الإنسان: ٣) و﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ (عبس: ٢٠) وغيرها؛ لمناسبتها جو السورة، فإن سلوك النجد فيه مشقة وصعوبة؛ لما فيه مشقة وصعوبة؛ لما فيه من صعود وارتفاع، فهو مناسب للمكابدة والمشقة التي خلق الإنسان فيها، ومناسب لاقتحام العقبة وما فيه من مشقة وشدة. د. فاضل السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (٢٦٤)

﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) ﴾

فيها تعليم أن الصدقة على القرابة أفضل منها على غير القرابة، كما ان الصدقة على اليتيم الذي لا كافل له أفضل من الصدقة على اليتيم الذي يجد من يكفله.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣٠٣/٢٢)

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧)﴾

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ التخلق بالصبر مِلَاك فضائل الأخلاق كلها، فإن الارتياض بالأخلاق الحميدة لا يخلو من حمل المرء نفسه على مخالفة شهوات كثيرة، ففي مخالفتها تعب يقتضي الصبر عليها؛ حتى تصير مكام الأخلاق ملكة لمن راض نفسه عليها.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٥٣٣/٢٠)

سورة الشمس

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) ﴾

النفس إن تركتها، كانت سفيرة إبليس لديك وعونه عليك، وإن ألزمتها الموعظة الدائمة والندم على كل ذنبن وصارت لوامة، وإن استمر ذلك منها؛ حتى صار عادة لها، ابتعد الشيطان عنها؛ فصارت نفسًا مطمئنة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾. علي الطنطاوي، نور وهداية (١٢٥)

﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) ﴾

إذا كان هذا عذابه لهؤلاء وذنبهم مع الشرك عقر الناقة التي جعلها الله آية لهم؛ فمن انتهك محارم الله واستخف بأوامره ونواهيه وعقر عباده وسفك دماءهم، كان أشد عذابًا.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٠١٦/٢٥٠)

سورة الليل

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧)﴾

١) ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ النحل: ١٢٨ هذان الأصلان هما جماع الدين العام كما يقال، التعظيم لأمر الله، والرحمة لعباد الله؛ فالتعظيم لأمر الله يكون بالخشوع والتواضع وذلك أصل التقوى، والرحمة لعباد الله بالإحسان إليهم. ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢١٤/١٤)

٢) قال الشيخ السعدي رحمه الله: هذه الآيات جمعت جميع الأسباب التي تنال بها السعادة؛ فاسبابها ثلاثة: فعل المأمور ﴿ أَعْطَى ﴾، واجتناب المحظور ﴿ وَاتَّقَى ﴾، وتصديق ما أخبر به الله ورسوله ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾. فمن جمعها ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾. تيسير اللطيف المنان (٣٣٢)

﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) ﴾

قال الإمام مالك: قرأ عمر بن عبد العزيز في الصلاة سورة الليل، فلما بلغ: ﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾، خنقته العبرة، فسكت، ثم قرأ فنابه ذلك، ثم قرأ فنابه ذلك، وتركها وقرأ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾. شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٤٤/٢)

﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥)﴾

قال أبو أمامة: لا يبقى أحد من هذه الأمة إلا أدخله الله الجنة، إلا من شرد على الله كما يشرد البعير السوء على أهله، فمن لم يصدقني فإن الله تعالى يقول: ﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ الذي كذب بما جاء به محمد ﷺ وتولى عنه. الدر المنثور (٥٣٧/٨)

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) ﴾

١) ومما يبين الحب لله والحب لغير الله: أن أبا بكر ﷺ كان يحب النبي ﷺ مخلصًا لله، وأبو طالب عمه كان يحبه وينصره لهواه لا لله، فتقبل الله عمل أبي بكر وأنزل فيه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴾ الآيات، وأما أبو طالب فلم يتقبل عمله، بل أدخله النار؛ لأنه كان مشركًا عاملاً لغير الله. ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥٢٥/١١)

٢) دلّ القرآن على تفضيل أبي بكر ﷺ، فإن قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) ﴾، نزل في أبي بكر بإجماع المفسرين، والأتقى: افعل تفضيل، فإذا ضممت إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣)، تبين لك أن أبا بكر أفضل هذه الأمة بعد رسول الله.

الرازي، التفسير الكبير (٢٠٤/٣١)

٣) تدبر سورتي: (الليل) و(الحجرات)؛ حيث وصف الله أبا بكر بأنه: (الأتقى)، و(الأكرم)، فكان جزاؤه بأنه: (سيرضى)، مع أن عمره في الإسلام قرابة: (٢٥) سنة.

فماذا حققت من تلك الصفات، التي أهلته لأن يدخل من أي أبواب الجنة شاء؛ لتفوز بالدخول من أحد هذه الأبواب؟ أ.د. ناصر العمر

سورة الضحى

﴿ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) ﴾

نزلت على النبي ﷺ نورًا وأُنسًا.. صلاة الضحى والليل تبعثان في النفس سرورًا وأُنسًا، وهما من أعظم العلاجات لكشف الهموم.

د. محمد الربيعة

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)﴾

انقطع الوحي عن النبي ﷺ ليلتين أو ثلاثًا فحزن كثيرًا؛ لأن القرآن كان زاده في الطريق الطويل، ونوره في الظلمات، فأنزل الله تسلية له: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾. فعجبًا لمن يودع القرآن ويهجره أيامًا وأسابيعَ بحجة انشغاله عنه! ما أقلَّ بركةَ عملٍ يشغلك عن كتاب ربك!

أ.د. ناصر العمر

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآَوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨)﴾

١) فلم يقل: فآواك فهداك فأغناك؛ لأنه لو قال ذلك، لصار الخطاب خاصًا ﷺ، وليس الأمر كذلك، فإن الله آواه وآوى به، وهداه وهدى به، وأغناه وأغنى به.

ابن عثيمين، تعليق على القواعد الحسان (٥٢)

٢) ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ وقد أغناه الله غناءين: أعظمهما غنى القلب إذ القى في قلبه قلة الاهتمام بالدنيا، وغنى المال حين ألهم خديجة مشاركته في تجارتها.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٧٨/١٦)

٣) تذكر جيدًا عظمة هذا القرآن الذي تقرأه، وأنه لا حياة لقلبك، ولن يرى النور، ولن ينفك من الجهل، ولن ينعم بالهداية إلا بهذا الكتاب، فأنت بدونه: ميت، وأعمى، وجاهل، وضال.

تأمل: ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾، و﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢).

﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠)﴾

١) السائل منكسر بالفقر وذل السؤال؛ فإذا ضممت إلى ذلك سوء الرد، تضاعف كسره، فإن لم تحسن إليه بالبذل، فلا أقل من حسن الرد.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (٢٣٨)

٢) كم يفوت علينا من الخير عندما تقصر المعنى على بعض أفراده، ومن ذلك هذه الآية حينما نحصر معناها في سائل المال! بينما المعنى اشمل من ذلك وأعم، وأعظمه السؤال عن العلم والدين، فهل يدرك المفتون والمعلمون أنهم مخاطبون بهذه الآية؟ فليترفقوا بالسائلين؛ استجابة لأمر الله، وتحدثًا بنعمة الله عليهم.

أ.د. ناصر العمر

سورة الشرح

المتدبر لمناسبة مجيء سورة الشرح بعد "الضحى" ينكشف له كثير من المعاني المقررة في السورة ومنها ما في قوله: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)﴾، فمجموع السورتين يعطيان مثالاً حيًّا لتقرير هذه السنة، فسورة الضحى تمثل جوانب العسر التي عانها نبينا ﷺ؛ ليعقبها جوانب اليسر في (الشرح) حتى إذا انتهى المثل، يأتي التعقيب بأن مجيء اليسر بعد العسر سنة لا تتخلف.

د. فلوة الراشد

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) ﴾

١) عن حفص بن حميد قال: قال لي زياد بن حدير: اقرا علي، فقرأت عليه: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣)﴾ فقال: يا ابن أم زياد، أنقض ظهر رسول الله؟! – أي: إذا كان الوزر أنقض ظهر الرسول فكيف بك؟! – فجعل يبكي كما يبكي الصبي.

حلية الأولياء (١٩٧/٤)

٢) هل تشعر بثقله؟ ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ هكذا الذنب: يثقل الظهر ويوهنه لمن بقى في قلبه إحساس.. أما رسولنا ﷺ فقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فماذا عنّي وعنك؟ تحسس مفاصل روحك، هل تشعر بصريرها؟

د. عمل المقبل

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)﴾

١) قال قتادة رحمه الله: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٠/٨)

٢) أهل السنة يموتون ويحيا ذكرهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم؛ لأن أهل السنة أحيوا ما جاء به الرسول؛ فكان لهم نصيب من قوله: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، وأهل البدعة شنئوا ما جاء به الرسول؛ فكان لهم نصيب من قوله: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥٢٨/١٦)

٣) من القواعد العامة (التخلية قبل التحلية)، وقد وردت في القرآن كثيرًا في مثل قوله تعالى: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾، وهذا مقام التخلية، فلما خلَّاه بوضع الوزر عنه، حلَّاه برفع الذِّكر: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾، واعتبر هذا في القرآن في كلمة التوحيد وغيرها، تجده كثيرَ الوقوع في القرآن.

د. مساعد الطيار

٤) كما أن الشانئ والشاتم هو الأنقص والأبتر، فإن مَن حمى جناب النبي ﷺ، ودافع عنه، له نصيب وافر من الرفعة وعلو المكانة؛ نظرًا لعلو ورفعة منزلة مَن دافع عنه، تدبر: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾.

أ.د. ناصر العمر

﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) ﴾

١) أشدر عسر واجهه النبي ﷺ كان عناد قومه وعدم استجابتهم له، فوعده الله بيسرين مقابل عسر واحد، فجاء اليسر الأول متدرجًا بإسلامهم آحادًا، ثم اكتمل اليسر الثاني بالنصر والفتح ودخول الناس في دين الله أفواجًا؛ فلا تيأس مهما واجهك من عسر وشدة، فهي محنة في طياتها منح.

أ.د. ناصر العمر

٢) تمر بنا أحيانًا ضائقة قد تبكينا أو حتى تدمينا ألمًا، ولكني أعزي نفسي بهذه الآية: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) ﴾ فوجدت الراحة التامة، حتى وأنا في أحلك الظروف ابتسم؛ لأني أعلم يقينًا أن بعد العسر يسرين. متدبر

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)﴾

١) هذه خطة لحياة المسلم وضعت للنبي، وهي: فإذا فرغت من عمل ديني، فانصب لعمل دنيوي، وإذا فرغت من عمل دنيوي، فانصب لعمل ديني أخروي، فالمسلم يحيا حياة الجد والتعب، فلا يعرف وقتًا للهو والبطالة قط. أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (٥/٥٨٩)

٢) في آخر يوم من الاختبارات كنت أفكِّرُ بما سأفعله في الأجازة – من نوم وراحة زائدة –، فلم يقطع هذه الأفكار إلا صوت الإمام وهو يقرأ في صلاة المغرب: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾، فعلمت أن المؤمن لا عطلة له عن طاعة الله، بل يتنقل من طاعة إلى طاعة.

متدبر

سورة التين

سورة التين يتجلى فيها الحسن والكمال: في الثمار، والبلدان، والخلقة والفطرة؛ فما ذكر فيها هو الأحسن في بابه وجنسه.

د. محمد القحطاني

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)﴾

من تدبر قول الحكيم جلّ وعلا: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ لم يتجرأ أن يسخر من إنسان خلقه الله، ولا أن يحتقر خلقه مدحها الله.

د. محمد القحطاني

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨)﴾

١) وهذا تقريرٌ لمضمون السورة؛ من إثبات النبوّة، والتوحيد، والمعاد، وحُكمه بتضمن نصره لرسوله على من كذَّبه.. بالحجة والقدرة والظهور عليه.

ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، ص ٤٧

٢) فهل تقتضي حكمته أن يترك الخلق سُدى لا يؤمرون ولا يُنهون، ولا يثابون ولا يُعاقبون؟! أم الذي خلق الإنسان أطوارًا بعد أطوار، وأوصل إليهم من النعم والخير والبر ما لا يحصونه لا بُدّ أن يعيدهم إلى دار هي مستقرهم وغايتهم؟!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٩٨١

سورة العلق

١) إذا جهل القلب عظمة الرب، تَجرَّأ فخاض ثم انغمس؛ فافتح لقلبك أبواب المعرفة بربك من خلال: إدامة النظر في كونه، وإطالة التدبر في آي كتابة، بهذا افتتح العليم كتابه في سورة العلم (اقرأ).

د. عصام العويد

٢) سورة العلق بدئت بـ: ﴿ اقْرَأْ ﴾ (العلق: ١) ، مفتاح العلم الذي بُيِّن بآية: ﴿﴾ (العلق: ٥)، وختمت بآية: ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ (العلق: ١٩)؛ ففيها بيان المنهج الحق الذي ضل عنه اليهود الذين لم يعملوا بعلمهم، والنصارى الذين عبدوا الله على جهل وضلال، فالطريق المستقيم: عبادة الله وحده على علم وبصيرة، مع توحيد مصدر التلقي المشار إليه بقوله: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ ﴾ (العلق: ١٩).

أ.د ناصر العمر

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾

١) في هذه الآيات الخمس تسع مسائل مرتبطة ببعضها ارتباط السبب بالمسبب، والعام بالخاص، والدليل بالمدلول عليه، وكلها من منهج هذا الكتاب المبارك، وكلها مسائل عظيمة الدلالة، وأشار ابن تيمية أنها وأمثالها من السور التي فيها العجائب؛ لما جاء فيها من افتتاح الرسالة.

عطية سالم، تتمة أضواء البيان (٢/٤٣٤)

٢) في قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) ﴾ إشارة إلى أن مركز القوة والحضارة والتقدم انتقل – من خلال الرؤية الإسلامية – من القوة المالية والبدنية إلى العلم والمعرفة.

أ.د. عبد الكريم بكار

٣) ﴿ اقْرَأْ ﴾ أول كلمة نزلت، تأمل في دلالتها، وحروفها: قراءة، ورقي، ورقية، فالقراءة: بوابة العلم. وهو رقي ورفعة: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (المجادلة: ١١)، ويوم القيامة يقال: "**اقرأ وارق**"[١]. وهو أيضًا: رقية وشفاء. فما أعجب هذا القرآن! أربعة أحرف حوت سعادة الدارين.

أ.د. ناصر العمر

٤) من تدبر القرآن تبين له أن الرب العظيم يذكر عباده كثيرًا بنعمة الخلق والإيجاد، وأن تذكر هذه النعمة، يثمر ثمرات جليلة، منها: استحقاق الخالق ﷻ للعبادة بجميع أنواعها، والإيمان بالبعث والنشأة الآخرة، وإثبات حكمة الله وعلمه في شرعه وقدره، ولزوم التواضع وترك الكبر؛ ولعل هذا من أسرار بدء الوحي بقوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢)﴾.

د. محمد القحطاني

٥) من لطائف اسم الربوبية (رب): أنه يظهر في بداية الوحي لمحمد ﷺ: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، ولموسى عليه السلام: ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ (طه: ١٢).

٦) من أسرار التنصيص على صفة الخلق في قوله: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾: أن ينبه الإنسان إلى أنه بهذا العلم (وهو القرآن) تكتمل في سرك وباطنك، كما كمل الله صورتك، فالذي كمّل صورتك بخلقه، هو الذي أنزل القرآن لتكتمل به سيرتك، فما أسعد من جمع الله له بين: كمال الصورة وجمال السيرة!

د. مصطفى البحياوي، مجالس صوتية في تفسير سورة الحجرات

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨)﴾

١) ومن الطغيان طغيان العلم، فالمرء قد يزداد عنده العلم حتى تكسبه تلك الزيادة طغيانًا فيتعدى على غيره، ولا يسلك مع الناس سبيل الشرع في العدل في اللفظ؛ لأن من أراد أن يقيم الأقوال فهو قاض، والقاضي يجب عليه أن يحكم بالعدل؛ لا أن يحكم بالهوى.

صالح آل الشيخ، شرح العقيدة الطحاوية (٦٩٣/٢)

---

[١] الترمذي ح (٢٩١٥)، وأحمد ح (٦٧٩٩).

٢) من أخطر أسباب طغيان الإنسان: غناه وإقبال الدنيا عليه مع نسيانه ربه ولقائه: تأمل قول ربك: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾، فمتى اجتمعت هذه الاسباب على العبد، فقد أحاط به الهلاك من كل جانب إن لم يتداركه ربه برحمته وتوفيقه.

د. محمد القحطاني

﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤)﴾

١) يا لها من آية تخلع القلب، ايها المتمادي في المعاصي، أيها المقيم على الذنب العظيم، أيها الناسي لرب الناس: إنَّ الله يرى!

د. عبد المحسن المطيري

٢) آية تهز الوجدان، وتفعل في النفس ما لا تفعله سلطات الدنيا كلها، إنها تضبط النوازع، وتكبح الجماح، وتدعو إلى إحسان العمل، وكمال المراقبة، فما أجمل ان يستحضر كل أحد هذه الآية إذا امتدت عينه إلى خيانة، أو يده إلى حرام، أو سارت قدمه إلى سوء، وما أروع أن تكون هذه الآية نصب أعيننا إذا اردنا القيام بما أنيط بنا من عمل[1]. د. محمد الحمد

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩) ﴾

العلم النافع إنما هو العلم المقرِّ إلى الله، الباعث على مراقبة الله، أما ترى سورة العلم (سورة العلق) بدأت بالوسيلة: ﴿ اقْرَأْ ﴾، وختمت بالغاية: ﴿ وَاقْتَرِبْ ﴾، وبينهما جاء الدواء لكل أنواع الجهل: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ (العلق: ١٤). د. عصام العويد

[1] من الآثار الحسنة لهذه الرسالة التي وصلتنا من الإخوة المشتركين، أن أحدهم قال: كنت أتهاون، بل لا أبالي بإطلاق بصري، وخاصة في وجه الخادمة التي عندنا، وأزعم أن هذا صعب، ولا يمكن، ولا يمكن، فلما قرأتُ هذه الرسالة سهل عليّ غض البصر، فتركتُ إطلاق البصر، فجزاكم الله خيرًا.

سورة القدر

سورة القدر على قصرها، إلا أنها تضمنت تعظيم هذه الليلة من عدة أوجه، منها:

١- نزول القرآن فيها.

٢- أنه تكرر فيها اسم الليلة ثلاث مرات، وفخم شأنها بالسؤال عنها ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾.

٣- مجيء ﴿ أَمْرٍ ﴾، ﴿ سَلَامٌ ﴾ بصيغة التنكير التي تدل على التعظيم.

٤- التنصيص على نزول الروح (وهو جبريل) مع أنه من جملة الملائكة.

التحرير والتنوير، تفسير سورة القدر (بتصرف)

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)﴾

١) عظم القرآن من ثلاثة أوجه:

١- أن أسند إنزاله إليه وجعله مختصًا به دون غيره.

٢- أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر، شهادة له بالنباهة، والاستغناء عن التنبيه عليه.

٣- الرفع من مقدار الوقت الذي أُنزل فيه.

الزمخشري، الكشاف (٤/٧٨٠)

٢) كم طارت نفوس الصالحين شوقًا لقيام هذه الليلة التي عظّم الله قدرها! أليست هي التي نزل فيها أشرف كلام؟ وجعلها الله خيرًا من ألف شهر؟ وفيها تتنزل ملائكة الله؟ تالله إنَّ المتاجر فيها مع الله لهو الرابح.. أليس من يحرم فضلها محروم؟

د. عمر المقبل

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) ﴾

١) إذا كانت ساعات الليل – في هذه الليالي – نحوًا من (١٠ ساعات)، فإن هذا يعني أن الساعة الواحدة تعادل أكثر من (٨ سنوات)، وأن الثانية الواحدة فقط تعادل نحوًا من (٥٠ يومًا)، فيا لطول حسرة المفرطين! ويا أسفى على المتخلفين عن ركب المشمرين!

د. عمر المقبل

٢) كم من شرف عظيم تميزت به هذه الليلة؟ شرف المنزل فيها، وشرف الزمان، وشرف العبادة، وشرف المتنزلين، وشرف العطاء بلا حدود، ومسك ذلك: ﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)﴾ فيا لطول حسرة المفرطين! ويا أسفى على من تخلف عن ركب المشمرين!.

أ.د. ناصر العمر

﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) ﴾

١) هل تدري كم تساوي ألف شهر في مقياس الساعات؟ إنها تعادل ٧٢٠.٠٠٠ ساعة، أي أكثر من ٤٣.٢٠٠.٠٠٠ دقيقة، أي أن دقيقة من دقائق ليلة القدر في ليالينا هذه = ٧٠.٢٤٤ دقيقة في غيرها! فيا حسرة على المفرطين!

قال ابن الجوزي: ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ والله ما يغلو في طلبها عشر، لا والله ولا شهر، لا والله ولا دهر! التبصرة (١٠٦/٢)

علق العلامة السعدي على كلامه قائلاً: وصدق رحمه الله، فلو أنفق الإنسان عمره في طلبها لما قدرها حق قدرها! شرح السعدي لعمدة الأحكام (٦٦٩/٢)

٢) سباق الزمن مع ليلة القدر:

لو عُرضت على أحدنا المساهمة في صفقة ربحها المضمون عشرة أضعاف، اركض إليها ركضًا! فكيف يفرط أحدنا بصفقة الربح فيها مضاعف ألف مرة؟! ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ إن هذا لهو الغبن العظيم. د. عمر المقبل

﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤)﴾

﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ نزول الملائكة في الأرض عنوان على الرحمة والخير والبركة؛ ولهذا إذا امتنعت الملائكة من دخول شيء، كان ذلك دليلاً على أن هذا المكان الذي امتنعت الملائكة من دخوله قد يخلو من الخير والبركة، كالمكان الذي فيه صور محرمة. ابن عثيمين، تفسير جزء عم (٢٧١)

﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) ﴾

١) استدل بعضهم على أن ليلة القدر هي (ليلة ٢٧) بأن كلمة ﴿ هِيَ ﴾ في سورة القدر تعد الكلمة (رقم ٢٧)، وهذا خطأ؛ ولو كان خفي على نبي الأمة وأصحابه وسلفه، وليس هو بمعهود العرب، ويخالف أدلة أخرى، وقد انتقده بعض العلماء كابن حزم.

ابن حزم، المحلى (٣٥/٧)

٢) ذكرت ليلة القدر في سورة القدر خمس مرات، واشتملت على خمس فضائل: إنزال القرآن، وأنها خير من ألف شهر، وأن الملائكة والروح (جبريل) تتنزل فيها، وفيها يفرق كل أمر، وأنها سلام هي حتى مطلع الفجر، فهل نقدرها حق قدرها، ونعظمها كما عظم الله شأنها؟

د. محمد الربيعة

٣) خصَّ الله تعالى ليلة القدر بالتسمية، وأفردها بسورة كاملة، وذكر فيها خمس فضائل لها، ألا يستحق ذلك منا أن نفردها أيضًا بعبادتنا، فنتفرغ من أشغالنا وأسواقنا ولهو العيد؟ هي ليلة، فاحذر أن تتحسَّرن فقريبًا ﴿ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾.

سورة البينة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧)﴾

قال أبو هريرة ﷺ: اتعجبون من منزلة الملائكة من الله؟ والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة أعظم من منزلة ملك! واقرؤوا إن شئتم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

الدر المنثور (٥٨٩/٨)

سورة الزلزلة

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) ﴾

قال: محمد بن كعب القرظي: لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ (إذا زلزلت، والقارعة) لا أزيد عليهما، وأتردد فيهما وأتفكر، أحب غلي من أن اهذَّ القرآن ليلتي هذًّا، أو قال: أنثره نثرًا. حلية الأولياء (٢١٤/٣)

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧)﴾

١) قال أبو الدرداء ﷺ: فلا تحقرن شيئًا من الشر أن تتقيه، ولا شيئًا من الخير أن تفعله؛ فإن الله يقول: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

الدر المنثور (٥٩٧/٨)

٢) إياك أن تستصغر ذرات الطاعات؛ فالتضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله أصلاً، بل الاستغفار باللسان أيضًا حسنة؛ إذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم، أو فضول كلام، بل هو خير من السكوت، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾.

أبو حامد الغزالي، الإحياء (٤٨/٤) (بتصرف يسير)

٣) اندرجت المصالح كلها، دقها وجلها، قليلها وكبيرها، جليلها وخطيرها، في هاتين الآيتين: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ و﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ (النحل: ٩٠).

العز بن عبد السلام، القواعد الصغرى (٢٠١)

٤) إذا كان الزارع يتعب نفسه في الحرث والبذر؛ أملاً بيوم الحصاد، فإن الدنيا مزرعة الآخرة، فازرعوا فيها من الصالحات؛ لتحصدوا ثمرتها حسنات يوم يقوم الحساب. ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾. الطنطاوي، نور وهداية (٩)

سورة العاديات

﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) ﴾

أقسم الله على شدة جحود الإنسان بالعاديات ضبحًا، ومناسبة ذلك تذكير الجاحد بأن الخيل لا ينسى فضل مالكه عليه، فيورد نفسه المهالك لأجله؛ تقديرًا لنعمة المنعم، فلا تكن البهيمة خيرًا وأوفى منك أيها الإنسان.

د. محمد الخضيري

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦)﴾

١) قال قتادة والحسن رحمهما الله: الكفور للنعمة.

الدر المنثور (٦٠٥/١٥)

وفي هذا تسلية للمرء إذا وجد قلة الوفاء من الخلق، فإذا كان جنس الإنسان كنودًا جحودًا لربه وهو الذي أوجده وأمده، وما به من نعمة فهي من الله؛ فكيف لا يكون فيه شيء من ذلك الجحود مع سائر الخلق وهم نظراؤه وأقرانه[١]؟

٢) قال الفضيل بن عياض: الكنود: الذي تُنسيه سيئةٌ واحدة حسناتٍ كثيرةً، ويعامل الله على عقد عوض.

المحرر الوجيز (٤٨٦/٥)

﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) ﴾

١) مناسبة الآيتين لبعضهما أن بعثرة ما في القبور إخراج للأجساد من بواطن الأرض، وتحصيل ما في الصدور إخراج لما تكنه فيها، فالبعثرة بعثرة ما في القبور عما تكنه الأرض، وهنا عما يكنه الصدر، والتناسب بينهما ظاهر.

ابن عثيمين، تفسير جزء عم (٢٩٨ – ٢٩٩)

٢) آه للمرائي من يوم: ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾.

ابن الجوزي، صيد الخاطر (٣٦٦)

[١] أرسل أحد الإخوة وهو إمام مسجد يقول: جاءت هذه الرسالة في اليوم نفسه الذي شكاني فيه أحد جماعة مسجدي بشكوى كيدية أنني أطيل الصلاة – مخالفًا إجماع جماعة المسجد – وليس هذا هو الشديد على نفسي، بل الأشد أن هذا الذي شكاني هو شخص أحسنتُ إليه كثيرًا، فجاءت هذه الرسالة سلوة عظيمة، وبردًا على قلبي، وهذه – والله – من بركات القرآن الكريم.

سورة القارعة

سورة القارعة تحذرك من الأعمال التي تخسف بالموازين يوم القيامة: كالرياء والغيبة والنميمة. فإنك قد تأتي بأعمال صالحة تحبطها مثل تلك الأعمال.

د. عبد الرحمن الشهري

﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥)﴾

١) إنما ضم بين حال الناس وبين حال الجبال، كأنه تعالى نبّه على أن تأثير تلك القرعة في الجبال هو أنها صارت كالعهن المنفوش، فكيف يكون حال الإنسان عند سماعها؟!

فالويل ثم الويل لابن آدم إن لم تتداركه رحمة ربه!

الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢/٢٦٧

٢) لو تصوَّرت هذا المشهد، يخرج الناس من قبورهم على هذا الوجه، لتصورت أمرًا عظيمًا لا نظير له!

ابن عثيمين، تفسير جزء عم، ص ٣٠١

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) ﴾

في تدبري للقرآن وجدتُ أنّ تضمين شيءٍ معنى شيءٍ آخر يجمع له المعنيَين.. فـ ﴿رَاضِيَةٍ﴾ بمعنى مرضيَّة تجمع للعِيشة رضاها هي، ورضا عايشِها بها.

د. صالح العايد

سورة التكاثر

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) ﴾

١) قال حمزة الكناني: خَرّجتُ حديثًا واحدًا عن النبي ﷺ من نحو مئتي طريق؛ فداخلني لذلك من الفرح غير قليل، وأُعجبت بذلك، فرأيت يحيى بن معين في المنام، فقلت: يا أبا زكريا، خرّجت حديثًا من مئتي طريق! فسكتَ عني ساعة، ثم قال: أخشى أن تدخل هذه تحت: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾.

سير أعلام النبلاء (١٦/١٨٠)

٢) ثقافة "التكاثر" في عدد المصلين، والمشاهدين، والحاضرين، والحافظين والمشتركين... والتي نقلت الكثرة والقلة من كونها "نبضًا" إلى كونها "معيارًا" للنجاح والفشل، وقبلت "المتبوع" إلى "تابع"؛ جاءت: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾؛ لتعرّي حقيقة هذه "اللهاية" والتي سيتلوها (علم اليقين)، فلقد تكرر لفظ (العلم) و(الرؤية) في التكاثر ست مرات!

د. عصام العويد

٣) قال ميمون بن مهران: كنت جالسًا عند عمر بن عبد العزيز فقرأ: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢)﴾، فبكى، ثم قال يا ميمون! ما أرى المقابر إلا زيارة؛ ولا بد للزائر أن يرجع إلى منزله في الجنة أو النار!

الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (٨٢)

٤) ﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ إذا كانت الإقامة في القبر مجرد زيارة مع أنها قد تمتد آلاف السنين؛ فيم نصف إقامتنا في الدنيا التي لا تتجاوز عدد سنين؟ تأمل ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴾ المؤمنون: ١١٣، فيا طول حسرة المفرطين!

أ.د. ناصر العمر

﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨) ﴾

١) يا من تتقلب في النعم، انتبه!

﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨) ﴾ هذا السؤال يعم الكافر والمؤمن، إلا أن سؤال المؤمن تبشير بأن يجمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة؛ وسؤال الكافر تقريع أنْ قابل نعم الدنيا بالكفر والمعصية.

الماوردي، النكت والعيون (٦/٣٣٢)

٢) لما اشتغل الكفار بالتكاثر بنعيم الدنيا ولذاتها عن طاعة الله وشكره؛ سألهم عن هذا النعيم يوم القيامة؛ ليبيِّن لهم أنَّ ما ظنوه سببًا لسعادتهم هو من أعظم أسباب شقائهم في الآخرة.

الرازي، مفاتيح الغيب (٣٢/٧٧)

٣) ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨) ﴾ قال ابن تيمية رحمه الله: أي: عن الشكر على النعيم فيطالب العبد بأداء شكر الله على النعيم؛ فإن الله تعالى لا يعاقب على ما أباح وإنما يعاقب على ترك مأمور وفعل محذور.

الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/١٩٨)

سورة العصر

﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾

١) سورة العصر على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره والحمد لله الذي جعل كتابه كافيًا عن كل ما سواه شافيًا من كل داء هاديًا إلى كل خير.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (٥٧/١)

٢) الله قد أقسم بالعصر (الذي هو الزمان) على أن الإنسان لفي خسر، إشارة إلى أن هذه الخسارة تأتي حتمًا مع الزمان، وليست خسارة مال يعوَّض ولا خسارة حبيب يُنسى، إنها خسارة الحياة نفسها.

الطنطاوي، نور وهداية (٢٥)

٣) تدبر سورة العصر: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) ﴾ ثم استثنى من الخسران من اتصف بصفات أربع، فهم الرابحون، وليس من تلك الصفات تحقق نتائج ما يتواصون به من الحق، وإنما الغاية تواصيهم بذلك، وصبرهم على ما يصيبهم. وفقه هذه الحقيقة للانتصار من أعظم عوامل الثبات والاطراد والتفاؤل.

أ.د. ناصر العمر

٤) أمران متلازمان: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ لا بد من التواصي بالحق والصبر؛ فالتواصي بالحق بدون الصبر كما يفعله الذي يعبد الله على حرف، والتواصي بالصبر بدون الحق كقول الذين قالوا: ﴿ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آَلِهَتِكُمْ ﴾ (ص: ٦) كلاهما موجب للخسران.

ابن تيمية، تفسير ابن تيمية (١٨٢/٧)

سورة الهمزة

﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣)﴾

فيها تصوير لشدة حبه للمال، حين يظن أن لا حياة له بلا مال؛ فلذلك يحفظه من النقصان ليبقى حيًّا، ومن كان كذلك استحق الوعيد بالويل في أول السورة؛ لأنه بهذا عبدٌ للمال على الحقيقة وفي الحديث الصحيح: "**تَعِسَ عبدُ الدِّينار**"[1].

الرازي، مفاتيح الغيب (٣٢/٨٨)

﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨)﴾

١) الأخلاق السيئة هي السموم القاتلة، والمهلكات الدامغة، والمخازي الفاضحة، والرذائل الواضحة، والخبائث المبعدة عن جوارب العالمين، المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين، وهي الأبواب المفتوحة إلى ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾.

الغزالي، الإحياء (٣/٤٩)

٢) ﴿ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾ لما كانت أفئدتهم محل الاعتقادات الباطلة، ومنطلق الهمز واللمز للمؤمنين، كان جزاؤها التحطيم والإحراق بنار الله الموقدة.

وهذا هو الدواء الشافي تجاه كتب ومحفوظات أهل الأهواء بغتلافها وإحراقها وتأديب حامليها؛ حماية للأمة من شرها وشرهم. أ.د. ناصر العمر

٣) ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ ﴾ أي: مغلقة الأبواب لا يُرجى لهم فرج – عياذًا بالله –! تأمل لو أن إنسانًا كان في حجرة أو في سيارة، ثم اتقدت النيران فيها، وليس له مهرب ولا مخرج، ما حاله؟ حسرة عظيمة لا يمكن أن يماثلها حسرة! والله تعالى أخبرنا بهذا لا لمجرد تلاوته، بل لنحذر من هذه الأوصاف الذميمة الواردة في هذه السورة (سورة الهمزة).

ابن عثيمين، تفسير جزء عم (٣١٧)

---

[1] البخاري ح (٢٨٨٧).

سورة الفيل

هذه السورة ردٌّ على الملحدين؛ كيف؟ لأن الملحدين ذكروا في الزلازل والرياح والصواعق وسائر الأشياء التي عذب الله تعالى بها الأمم – أعذارًا ضعيفة، أما هذه الواقعة، فلا تجري فيها تلك الاعذار؛ لأنه ليس في شيء من الطبائع والحيل أن تُقْبِلَ طيرٌ معها حجارة، فتقصد قومًا دون قوم فتقتلهم.

الرازي، مفاتيح الغيب (٩٢/٣٢)

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) ﴾

١) إذا تدَّبرت سياق قصة أصحاب الفيل أدركت أنَّ من أعظم الحِكَم في تولي الله الدفاع عن بيته ألا تكون للمشركين يدٌ على بيته، ولا سابقة في حمايته، بحميتهم الجاهلية، حتى إذا ما دعاهم النبي ﷺ لم يكن لهم سبب للاعتزاز بحماية بيت الله؛ ولذا ستفهم التعجب الذي بدئت به السورة ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾.

سيد قطب، في ظلال القرآن (٣٩٨٠/٦) (بتصرف)

٢) لم يتكرَّر في القرآن ذكر إهلاك أصحاب الفيل كبقية القصص لوجهين:

١- أنَّ هلاك أصحاب الفيل لم يكن لأجل تكذيب رسول من الله.

٢- أن لا يتخذ من المشركين غرورًا بمكانة لهم عند الله كغرورهم بقولهم المحكي في قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (الحج: ١٩).

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٤٧٨/٣٠)

٣) ما الحكمة من إهلاك أصحاب الفيل، وعدم إهلاك من يقصد الكعبة في آخر الزمان؟ "لأنَّ قصة اصحاب الفيل مقدمة لبعثة الرسول ﷺ التي يكون فيها تعظيم البيت، أما في آخر الزمان؛ فإن أهل البيت إذا أهانوه وأرادوا فيه بإلحاد بظلم، ولم يعرفوا قدره، حينئذ يسلط الله عليهم من يهدمه؛ حتى لا يبقى على وجه الارض".

ابن عثيمين، تفسير جزء عم (٣٢٠)

٤) قف متدبرًا لهذه الآية: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ ففيها تبكيت لكفار مكة، وإيماء إلى عجز آلهتهم عن الدفاع عن الكعبة عندما جاء أبرهة لهدمها، فالذي حماها هو ربك وليست أربابهم، فآي آلهة تلك التي لا تدافع عن البيت العظيم، بل ولا عن نفسها ومن يعيدها! فالأجدر ان يقال لهم ولها كما قال إبراهيم: ﴿ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: ٦٧). أ.د. ناصر العمر

﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢)﴾

هذا منهج إلهي مطرد، وسنة ربانية جارية تجاه كل جبار ومفسد في الأرض.

تدبر هذه الآيات وأمثالها تدرك حقيقة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس: ٨١)، ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٥٢)، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ (الأنبياء: ١٨).

فلِم الانهزام أمام الباطل؟ ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء: ٨١).

أ.د ناصر العمر

﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥) ﴾

١) كم في هذه السورة دلالة على قدرة الله وعظمته؟ طيور صغيرة الفت حجارة بحجم الحمصة على رجال، وافيال عظيمة، فصارت إلى ما قاله الله: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ أي: كزرع أكلته الدواب ووطئته باقدامها حتى تفتَّت. د. عمر المقبل

٢) تأمل هذا الأسلوب البديع: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ فلم يقل: "كروث الدواب"؛ لنتعلم حسن الخطاب وأدب الألفاظ، وهو منهج مطرد في القرآن، كما في قصة امرأة العزيز: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ (يوسف: ٢٤)، فلنتدبر هذه الآيات وأمثالها ونلتزم بها؛ لنكون من أولئك الذين ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ (الحج: ٢٤).

أ.د. ناصر العمر

سورة قريش

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١)﴾

١) ألف الله قريشًا بنعم شتَّى، فحبس عنهم الفيل، وعطف عليهم قلوب الناس، وفتح لهم التجارة، وأطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، ومع ذلك لم يستجيب أكثرهم أول الأمر؛ فلا يتعجب الداعية إذا أعرض الناس عن الله مع نعمه عليهم.

ابن الجوزي، زاد المسير (٣١٤/٨)

٢) ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ ما سرُّ تقديم الله تعالى تأليفه قريشًا على الأمر بعبادته؟ قال أهل العلم إنما قدم للاهتمام به، إذ هو من أسباب امرهم بعبادة الله، وشكره على نعمه الكثيرة عليهم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٤٨٦/٣٠)

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)﴾

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾، ولم يقل: فليعبدوا الله؛ لما يومئ إليه لفظ: ﴿ رَبَّ ﴾ من استحقاقه الإفراد بالعبادة دون شريك. واضيف ﴿ رَبَّ ﴾ إلى ﴿ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ (قريش: ٣) دون أن يقال: (ربهم) للايماء إلى أن البيت هو أصل نعمة الإيلاف بأن أمر إبراهيم ببناء البيت الحرام، فكان سببًا لرفعة شأنهم بين العرب. ابن عاشور، التحرير والتنوير (٤٩٢/٣٠)

٢) تأمل كيف ربط بين السبب والمسبب في قوله: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ﴾ وهذا ظاهر في أول آية في المصحف: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، والمعنى: أنه سبحانه مستحق للحمد؛ لأنه رب العالمين وخالقهم ورازقهم، وقرَّر هذا في أول نداء في المصحف: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾، ثم بيَّن السبب بقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ الآية (البقرة: ٢١). عطية سالم، تتمة أضواء البيان (١١١/٩)

٣) قال تعالى في سورة النمل: ﴿ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ (النمل: ٩١)، قال هنا: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾؛ لأن السياق هنا لبيان عظمة البيت، بينما في "النمل" المقام مقام بيان عموم ملكه؛ لئلَّا يدعي المشركون أنَّه رب البلدة فقط.

ابن عثيمين، تفسير جزء عم (٣٢٢)

٤) ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ الكريم يأسره المعروف، ويشكر الإحسان، ولا قرن سبحانه الأمر بعبادته بذكره لنعمه؛ لتنقاد لذلك نفوس عباده.

سورة الماعون

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) ﴾

١) هذا إيذانٌ بأنَّ الإيمانَ بالبعث والجزاء هو الوازع الحق الذي يغرس في النفس جذور الإقبال على الأعمال الصالحة؛ حتى يصير ذلك لها خلقًا إذا شبت عليه، فزكت وانساقت إلى الخير بدون كلفة، ولا احتياج إلى آمر، ولا إلى مخافة ممن يقيم عليه العقوبات حتى إذا اختلى بنفسه، وأمن الرقباء، جاء بالفحشاء والأعمال النكراء!

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٤٩٦/٣٠)

٢) الإيمان باليوم الآخر ليس اعتقادًا مجردًا، بل يحمل صاحبه على إطعام اليتيم والمسكين، كمن قال الله فيهم: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان: ٨)، وماذا يرجون؟ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ (الإنسان: ٩ – ١٠).

عطية سالم، تكملة أضواء البيان (١١٤/٩)

﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) ﴾

١) سمَّاهم مصلين، لكنهم ساهون عن فعلها، أو عن وقتها، أو عن أدائها بأركانها وشروطها، أو عن الخشوع وتدبر معانيها، فاللفظ يشمل هذا كلِّه، منِ اتَّصف بشيء من ذلك، فله قسط من هذه الآية، ومن اتصف بجميع ذلك، فقد تم نصيبه منها، وكمل له النفاق العملي.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٦٨١/٤)

٢) اعلم أرشدك الله لطاعته أن مقصود الصلاة وروحها ولبها هو إقبال القلب على الله تعالى فيها، فإذا صليت بلا قلب فهي كالجسد الذي لا روح فيه، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)﴾.

محمد بن عبد الوهاب، تفسير سورة الفاتحة (١)

﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦)﴾

جمع هؤلاء: تكذيبًا بالبعث وانتقاصًا لحقوق ضعفة الخلق وتفريطًا في الصلاة وشغفًا بالدنيا جعلتهم يتعلقون بحقير الأواني.. وهم – مع هذا – يراءُون، ولو فتَّشت، لوجدت أنَّ أقل الناس عملاً مثمرًا لهم نصيب وافر من هذه الصفات أو بعضها.

﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)﴾

﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ يمنعون الناس منافع ما عندهم، من القليل والكثير، وإذا أريد بالماعون الإناء، فهم لما هو أعظم منه أشد منعًا.

جامع البيان للطبري (٦٦٥/٢٤) (بتصرف)

سورة الكوثر

١) أبانت سورة الكوثر – مع اختصارها – عن حقيقة الخير الكثير الذي لا يتحقق إلا بأمرين:

١- تتابع العطاء.

٢- دفع المنغصات.

فالعاقل لا ينشغل في دينه أو دنياه بطلب الأول دون الثاني.

د. عصام العويد

٢) تدبر ترتيب سورة الكوثر، تجد التسلسل العجيب!

إذا أعطاك الله خيرًا عظيمًا – وأعظمه هذا الدين – وسخرك لدعوة الناس إليه وتعليمهم إياهن فتفرغ لعبادة ربك العبادة الشاملة، ولا تلتفت إلى ما يكيده خصومك لك من أذى حسي ومعنوي، ولا تقلق بسبب ذلك؛ فعاقبتهم خسار وبوار ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: ٣).

أ.د. ناصر العويد

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) ﴾

١) دلت الآية على أنه أعطاه الخير كله كاملاً موفرًا وإن نال منه بعض أمته شيئًا كان ذلك الذي ناله ببركة اتباعه والاقتداء به.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥٣٠/١٦)

٢) لا يُزهد في الدنيا شيء مثل تذكر نعيم الله تعالى، فأي شيء في الدنيا يُستعاض به عن الكوثر؟

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢)﴾

١) ومن فوائد الالتفات – أي من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب – في الآية أنها دالة على أن ربك مستحق لذلك، وأنت جدير بأن تعبده وتنحر له.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥٣٣/١٦)

٢) لما ذكر الله منَّته على نبيه: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾، امره بشكرها، فقال: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾، وهو دليل على أن من أعظم صور الشكر: العمل – عمل القلب وعمل الجوارح – ﴿ اعْمَلُوا آَلَ دَاوُودَ شُكْرًا ﴾ (سبأ: ١٣).

٣) ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾، النحر أفضل من الصدقة التي في يوم الفطر، ولهذا أمر الله نبيَّه ﷺ أن يشكر نعمته عليه بإعطائه الكوثر، بالصلاة له والنحر، كما شرع ذلك لإبراهيم خليله عليه السلام عند أمره بذبح ولده، وافتدائه بذبح عظيم.

ابن رجب، فتح الباري (١٦١/١)

٤) ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ إنما خص هاتين العبادتين بالذكر؛ لأنهما من أفضل العبادات وأجل القربات ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقلها في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٩٣٦)

٥) ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ ولم يقل: فصل لنا؛ لما في لفظ الرب من الإيماء إلى استحقاقه العبادة لأجل ربوبيته فضلاً عن فرط إنعامه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٥٠٣/٣٠)

٦) لما كانت الصلاةُ والنحر أكثر العبادات التي يصرفها المشركون لأوثانهم، خُصَّتا بالذكر في قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾، وأبرز مقصودهما وغايتهما: ﴿ لِرَبِّكَ ﴾، ولذا لم يقل: فصلِّ وانحر؛ ليستقر المعنى وهو: فصل لربك، وانحر لربك، وحده لا شريك له، مراغمًا المشركين الذين جعلوا صلاتهم ونحرهم لغير الله.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٥٧٤/٣٠) (بتصرف)

٧) ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ أي: تقرب إليه بالنحر، والنحر يختص بالإبل، والذبح للبقر والغنم، لكنه ذكر النحو؛ لأن الغبل أنفع من غيرها بالنسبة للمساكين؛ ولهذا أهدى النبي ﷺ في حجته مائة بعير، ونحر منها ٦٣ بيده، وأعطى علي بن أبي طالب الباقي فنحرها.

ابن عثيمين، تفسير القرآن (٢/٤٦)

﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣) ﴾

١) وصفه بكونه شانئًا، كأنه – تعالى – يقول: هذا الذي يبغضك لا يقدر على شيء آخر سوى أنه يبغضك، والمبغض إذا عجز عن الإيذاء، فحينئذ يحترق قلبه غيظًا وحسدًا؛ فتصير تلك العداوة من أعظم أسباب حصول المحنة لذلك العدو.

الرازي، مفاتيح الغيب (٢٥٢/١٧)

٢) من آثر كلام الناس وعلومهم على القرآن والسنة، فلولا أنه شانئٌ لما جاء به الرسول ما فعل ذلك، حتى إن بعضهم لينسى القرآن بعد أن حفظه! ويشتغل بقول فلان وفلان.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥٢٧/١٦)

٣) من شنآنه ﷺ بغض ما جاء به، وقد علق ابن تيمية على هذه الآية فقال: الحذر الحذر أيها الرجل، من أن تكره شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ، أو ترده لأجل هواك، أو انتصارًا لمذهبك، أو لشيخك، أو لأجل اشتغالك بالشهوات، أو بالدنيا، فإن الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله.

ابن تيمية، دقائق التفسير (٣١٢/٦)

٤) ولم يقل: إن شانئك أبتر، بل أبرز الضمير (هو) لإفادة الحصر، فكأنه لا مقطوع ولا مذموم سواه. وإذا كان شانئه ﷺ داخلاً في الآية دخولاً أوليًا، فإن شانئ سنته والداعين إليها له من ذلك نصيب بقدر بُغضِه وكرهه. ابن عاشور، التحرير والتنوير (٥٠٥/٣٠)

سورة الكافرون

١) معرفة العلاقة بين كثير من السور المتتابعة في المصحف له أثر في التدبر، فسورة النصر بعد الكافرون يفيد بأن النصر ثمرة من ثمار الثبات على المبادئ دون أي تنازل ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون: ٦).

وسورة قريش بعد الفيل فإهلاك من أراد بالكعبة شرًا ونجاة قريش نعمة كبرى تقتضي أن ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ (قريش: ٣) لا أن يعبدوا الأصنام التي لا تضر ولا تنفع.

أ.د. ناصر العمر

٢) سورتا الكافرون والإخلاص وردت قراءتهما مقترنتين في مواضع: مثل ركعتي الفجر، وجاءت فيهما فضائل، مثل كون الإخلاص تعدل ثلث القرآن.. فكان تدبرهما حقًا على كل قارئ.

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) ﴾

فيها تصريح بكفرهم وتسميتهم بتسمية الله لهم، وبعضهم يتخاذل؛ فلا يستطيع أن يسميهم إلا لقب (الآخر).

متدبر

﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢)﴾

١) كان نبيُّنا ﷺ يقرن بين سورة الكافرون والإخلاص في مواضع، ففي سورة الإخلاص: التوحيد القولي العلمي، وفي سورة الكافرون: التوحيد القصدي العملي: ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾، وبهذا يتميَّز من يعبد الله ممن يعبد غيره، وإن كان كلاهما يقرُّ بأن الله ربُّ كل شيء.

ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم (٣٩٤/٢)

٢) ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ في حالتي هيه، ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾ (الكافرون: ٤) في المستقبل، ففيه من قوة العبارة والثقة ما يقطع محاولاتهم بان يتنازل عند دينه.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٦٩٠/٤)

﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) ﴾

نزلت في أشخاص معينين، أي: لم تعبدوا الله في الحاضر، ولن تعبدوه في المستقبل، وهذا من علامات النبوة وصدق الوحي، فقد مات جميع هؤلاء على كفرهم دون أن يعبدوا الله.
أ.د. ناصر العمر

﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾

١) لا تلفيق ولا ترقيع، فالمادة الأولى: الصفاء وتوحيد المنهج، وإلا فلن يعجز نبينا ﷺ عن جميع العرب بفكرة اقتصادية، أو أدبية، أو فكرية، أو حزب شعبي، أو طموح أرضي.

د. عائض القرني

٢) ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ (الكافرون: ٣)، ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾ (التوبة: ٧٧)، ﴿ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ﴾ (التوبة: ٨٣)، ﴿ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ (النساء: ١٣٧)، عند تأمل هذه الآيات وأمثالها تجد أنها تتفق على حلول سخط الله باقوام عصوه، فحال بين قلوبهم وبين الهداية: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ (الأنفال: ٢٤)؛ فلنستجب له قبل فوات الأوان.
أ.د. ناصر العمر

٣) كنت في الهند ومعي صديقي فدخلنا سوقًا شعبيًا كبيرًا ينتشر فيه بيع الأصنام، بدأت أتأمل في هذا المنظر، وإذ بلساني ينطق: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ إلى نهاية السورة، وكأني لأول مرة أقرأها، ولم أزل أرددها وكأني أحدثهم، حتى خرجنا من هذا السوق، أما صديقي فهو مستمر في البكاء من عظمة هذا الموقف.

متدبر

سورة النصر

١) فَسَّر بعضُ الصحابة من جلساء عمر ﷺ من أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصونَ أن نحمد الله ونشكره ونسبِّحه – يعني: نصلِّي ونستغفره–، وهو معنى مليح صحيح، وثبت له شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثماني ركعات.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٦٩٢/٤)

٢) وجه استنباط ابن عباس من أن سورة النصر فيها إشارة إلى أجل النبي ﷺ: أنَّ حياتَه فاضلةٌ، وقد عُهِدَ أن الأمور الفاضلة تختم بالاستغفار، كالصلاة والحج، فأمر الله لرسوله بالحمد والاستغفار – في هذه الحال – إشارة إلى أن أجله قد انتهى؛ لذا كان ﷺ يكثر من التسبيح والحمد في صلاته.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٩٣٦)

٣) رسالة للدعاة الذين يقبضون ثمن نجاحهم!

فَسَّر عمر وابن عباس رضي الله عنهما سورة النصر بأجَلِ النبي ﷺ، ومن أسرار ذلك – والله أعلم–: أن الانتصار تعقبه غنائم جمة؛ فحتى لا يتعجل شيئًا من غنيمة الدنيا المتحققة تلقائيًا، توفاه قبل أن يتنعم بشيء من مكاسب الانتصار الدنيوية.

أ.د. ناصر العمر

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)﴾

١) عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يُكْثِرُ أن يقول في ركوعه وسجوده: "**سُبحانك اللَّهُمَّ ربَّنا وبحمدِكَ اللَّهُمَّ اغفر لي**"، يتأول القرآن[١]، والمعنى: أنه يفعل ما أمره القرآن به، وهذا من التدبر العملي.

٢) ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾ جمع بين التسبيح والاستغفار؛ إذ في الاستغفار محو الذنوب، وفي التسبيح طلب الكمال.

د. عبد المحسن المطيري

٣) كم بين قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء: ٣)، وقوله: ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾؟ إنها سنوات قليلةٌ لا تساوي شيئًا في أعمار الأجيال.

متدبرة

[١] أخرجه البخاري ح (٧٨٤)، ومسلم ح (٤٨٤).

سورة المسد

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) ﴾

فيها أن الأنساب لا عبرة بها، بل صاحب الشرف يكون ذمه على تخلقه عن الواجب أعظم، كما قال تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٣٠).

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٦٠٢/١٦)

﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) ﴾

قيلت هذه الآية لَمَّا ادَّعى أبو لهب أنه سيفتدي من العذاب بماله وولده، كما قال ابن عمِّه: ﴿ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ (مريم: ٧٧)، فقيل له: ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ (مريم: ٨٠)، فسبحان الله! تأمل كيف تشابهت قلوب أعداء الرسل في اغترارهم بأموالهم وأولادهم. متدبر

﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣)﴾

في هذه السورة دليل على النبوَّة، فإنه نزل قوله تعالى: ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ (المسد: ٣)، فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان، لا ظاهرًا ولا باطنًا، ولا سرًّا ولا علنًا، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوَّة الظاهرة.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥١٧/٨)

وقد كان تأمُّل هذا المعنى سببًا في إسلام أحد العلماء الأمريكان.

﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) ﴾

١) فيه عبرة لكل متعاونين على الإثم، أو على إثم مَّا، أو عدوان مَّا.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٦٠٣/١٦)

٢) إنها المرأة حين تعين زوجها على كفره وعناده؛ ولذا ستكون عونًا عليه في عذابه في نار جهنم! قارن هذا بحال خديجة، فإنها لما هيَّأت بيتًا هادئًا هانئًا لزوجها ﷺ، بُشِّرَت ببيتٍ في الجنة، لا صخب فيه ولا نصب، فما أعظم أثر المرأة في حياة زوجها!

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٨/٥١٥) (بتصرف)

٣) ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ كانت تحمل الحطبَ والشوك فتضعه في طريق النبيِّ ﷺ، فلما حصل لأبي لهب وعيدٌ مقتبس من كنيته، جعل لامرأته وعيدًا اقتبس لفظُه من فعلها.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٠/٦٠٥) (بتصرف)

﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٥) ﴾

١) روي أنَّ أُمَّ جميل – امرأة أبي لهبٍ – باعت "عقدًا" لها ثمنه ١٠٠٠٠ درهم أنفقتها في الباطل، فكان الجزاء ﴿حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ في جيدها؛ أي: في نفس موضع العقد، فالذي يهدي نار السجائر للناس من حوله أما فكَّر لحظةً في نوع الهدية التي يتلقَّاها فمه يوم القيامة؟!

د. عصام العويد

٢) تأمل في قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ إذ جعل لامرأة أبي لهب وعيدًا موافقًا لفعلها في الدنيا، حيث ستحمل ما يوقد به على زوجها الذي أطاعته في الصد عن الدين وأذية الدعاة إليه. ومن عظيم الخزي لهما أن جعل شدة عذاب الزوج على يد أحب الناس إليه، وأن جعلها سببًا لعذاب أعز الناس عليها.

د. محمد العواجي

سورة الإخلاص

١) حاول بعض الفصحاء والبلغاء في الأندلس أن يَنْظِم شيئًا يُشبه القرآن، فنظر في سورة (الإخلاص)؛ ليحذو على مثالها وينسج – بزعمه – على منوالها، قال: فاعترتني خشية ورقة؛ حملتني على التوبة والإنابة.

الشفا (٢٠٨/١)

٢) سورة الإخلاص ثلث القرآن كما صحَّ الحديث[١]؛ لأنَّ علوم القرآن ثلاثة: توحيد، وأحكام، وقصص، وقد اشتملت هذه السورة على تقرير التوحيد تمام التقرير؛ فهي ثلث القرآن.

ابن جزي، التسهيل (٣٧١/٣)

٣) هل تحفظ سور الإخلاص والمعوذات حقًّا؟ إن الذي لا يكابد منزلة الإخلاص، ولا يجاهد نفسه على حصنها المنيع، ولا يتخلق بمقام توحيد الله في كل شيء رغبًا ورهبًا؛ فليس بحافظ حقًا لسورة الإخلاص! وإن الذي لا يذوق طعم الأمان عند الدخول في حمى "المعوذتين"، لا يكون قد اكتسب سورتي الفلق والناس!

د. فريد الأنصاري، هذه رسالات القرآن فمن يتلقاها (مقالة)

٤) سورة الكافرون فيها توحيد العبادة، وسورة الصمد فيها توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتسميان سورتي الإخلاص؛ ولذا تشرع قراءتهما في أول اليوم في سنَّة الفجر وفي ركعتي الطواف، وفي آخر الوتر؛ تحقيقًا للتوحيد وتجديدًا له. د. محمد الخضيري

٥) الحج كله توحيد!

ألا ترى أن الحاج يفتتح حجه بـ "لبيك اللهُمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك" ويختمه بركعتي طواف الوداع التي يقرأ فيهما بسورتي الإخلاص والتوحيد، وأفضل ما يقوله الواقفون بعرفة كلمة التوحيد، وهذا من أبلغ ما يكون في بيان علاقة الحج بالتوحيد.

د. محمد الخضيري

[١] أخرج الحديث البخاري ح (٦٦٤٣)، ومسلم ح (٨١١)، وأبو داود ح (١٤٦١)، والترمذي ح (٢٨٩٦)، والنسائي ح (٩٩٥)، وابن ماجه ح (٣٧٨٧).

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) ﴾

١) ربما ظن بعضهم أنَّ السياق أن يقول: (هو الله الأحد الصمد)، ولكنها فُصِلَت عن التي قبلها؛ لأنَّ هذه الجملة مسوقة لتستقر في النفوس ولتعظم، فكانت جديرة بأن تكون كل جملة مستقلة بذاتها.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٠/٤٥٠)

٢) ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ أي: الذي يصمد إليه في الأمور، ويستقل بها، ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص: ٤)؛ أي: لا مثل له.

جامع البيان للطبري (٢٤/٦٩٢ – ٦٩٤) (بتصرف)

فهل لنا أن يكون الله تعالى – الذي لا مثل له – أول من نلتفت إليه في كل حاجة نحتاجها، في شدَّةٍ، أو رخاء، أو رغبةٍ، أو رهبة؟

﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) ﴾

فيها ردٌّ على أكثر فرق الضلالة، وعلى رأسهم اليهود الذين يقولون: عزير ابن الله، والنصارى الذين يقولون: المسيح الن الله، وغيرهم من فرق الضلال.

السيوطي، الإكليل (٣٠٢)

سورة الفلق

اشتملت سورتا الفلق والناس على ثلاثة أصول للاستعاذة:

أ- نفس الاستعاذة. ب- المستعاذ به. ج- المستعاذ منه.

فبمعرفة ذلك تعرف شدَّة الضرورة إلى هاتين السورتين، وأن حاجة العبد إليهما أعظم من حاجته إلى النَّفَس والطعام والشراب واللباس.

ابن القيم، التفسير القيم (٢/٢٦٠)

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) ﴾

١) في الاستعاذة بهذه الصفة تفاؤل، وتذكير بالنور بعد الظلمة، والسعة بعد الضيق، والفرج بعد الانغلاق، والفلق كل ما يفلقه الله تعالى، كالنبات من الأرض، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأولاد، والحب والنوى وغير ذلك، وكله مما يوحي بالفرج المشرق العجيب.

أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم (٩/٢١٤) (بتصرف)

٢) ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ والفلق هو: النور الذي يزيل الظلام ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ (الأنعام: ٩٦)، فهذا المطلع القوي يفيد التفاؤل عند مواجهة الأمور العظيمة، كهذه الشرور المذكورة في السورة. كما أنها تضمنت شرورًا تقع غالبًا في الليل، فقابلها بالنور الذي يفلقها ويزيل أثرها كما يزيل الصبح أثر الظلام.

أ.د. ناصر العمر

٣) ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ كثيرون يقرؤونها وهم يستحضرون في أذهانهم شرور غيرهم، بينما الواجب أن يستحضروا التعوذ من شرور أنفسهم ابتداءً، كما في خطبة الحاجة: "**ونعوذ بالله من شرور أنفسنا**"[(١)]، وحديث: "**أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشِرْكِهِ**"[(٢)]؛ فقدم شر نفسه على شر الشيطان.

أ.د. ناصر العمر

[(١)] رواه أبو داود ح (١٠٩٧)، والترمذي ح (١١٠٥)، والنسائي ح (٣٢٧٧)، وابن ماجه ح (١٨٩٢).

[(٢)] اخرجه الترمذي ح (٣٣٩٢)، وأحمد ح (٦٣).

٤) ما أعظم الاستعاذة بهذه الصفة العظيمة (رب الفلق)، وما تشتمل عليه من قوَّةٍ وغلبةٍ وسلطانٍ على ظلمات الشرور والسحرة والحاسدين. وتأمل لفظة الفلق وما يقابلها من انغلاق الليل، وانغلاق عقد السحرة، وانغلاق قلوب الحاسدين. متدبر

٥) ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ هل رأيت شيئًا يبعث الطمأنينة والأمن من الشرور مثل هذا؟ إنك لا تستعيذ من شيء بأعظم من الذي خلقه.

﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) ﴾

١) ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: الليل إذا دخل، ومن تأمل أنواع الشرور، وجد أكثرها في الليل، وفيه انتشار الشياطين، وأهل الغفلة والبطالة، فحريٌّ بالمسلم اغتنامه بالعبادة، وتجنب السهر فيما لا ينفع، وخصوصًا في الأسواق ونحوها.

عطية سالم، تتمة أضواء البيان (١٦٠/٩) (بتصرف)

٢) ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ غاسق هو الليل، وقد أمر الله بالاستعاذة من شر ما خلق، وإنما خص الليل؛ لأن أكثر المعاصي تقع في الليل، وأكثر السرقات في الليل، والهوام تخرج في الليل، والشياطين تنتشر في الليل، وهنا معنى لطيف ذكره العلماء: أن السحر أكثر ما يكون تأثيره على الإنسان في الليل. د. عمر العبد، المعوذات (شريط)

﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)﴾

١) اقتران الحسد بالسحر هنا يشير إلى وجود علاقة بين كلٍّ من السحر والحسد، وأقل ما يكون هو التأثير الخفي الذي يكون من الساحر بالسحر، ومن الحاسد بالحسد، مع الاشتراك في عموم الضرر، فكلاهما إيقاع ضرر في خفاء، وكلاهما منهيٌّ عنه.

عطية سالم، تتمة أضواء البيان (٦٤٠/٩)

٢) العائن حاسد خاص، وهو أضر من الحاسد؛ ولهذا جاء في السورة ذكر الحاسد دون العائن؛ لأنه

أعم، فكل عائن حاسد ولابد، وليسه كل حاسد عائنًا، فإذا استعاذ من شر الحسد دخل فيه العين، وهذا من شمول القرآن الكريم وإعجازه وبلاغته.

ابن القيم، بدائع الفوائد (٢/٢٢٣)

٣) اقترن الحاسد والساحر في السورة؛ لأنَّ مقصدهما الشر للناس، والشيطان يقارن الساحر والحاسد ويحادثهما ويصاحبهما، ولكن الحاسد تعينه الشياطين بلا استدعاء منه للشيطان، وأما الساحر فهو يطلب من الشيطان أن يعينه ويستعينه؛ فلهذا – والله أعلم – قرن في السورة بين شرِّ الحاسد وشر الساحر؛ لأنَّ الاستعاذة من شرِّ هذين تعم كلَّ شر يأتي من شياطين الإنس والجن، فالحسد من شياطين الإنس والجن، والسحر من النوعين، وبقى قسم ينفرد به شياطين الجن وهو الوسوسة في القلب، فذكره في سورة الناس.

عطية سالم، تتمة الأضواء (٩/١٦٢)

سورة الناس

١) ذكر الله تعالى في سورة الناس صفة الألوهية والربوبية والملك، كما ذكرها في سورة الفاتحة: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) ﴾ (الفاتحة: ٢ – ٤)، ومن اللطائف: أنهما أول سورة وآخر سورة؛ فينبغي لمن تصح نفسه أن يعتني بمعاني هذه الصفات.

محمد بن عبد الوهاب، تفسيره (١١)

٢) عدد أحرف سورتي الفلق والناس (١٥٣) حرفًا فقط، وعدد أحرف سورتي هو ويوسف (١٤٧٨١) حرفًا، ومع هذا فالمعوذتان أفضل بنص الحديث الصحيح، كتاب ربنا كتاب معاني، ومع هذا مازال بعضُنا يركض في حفظه وتلاوته يستكثر الحسنات في غفلة عن المعاني العظيمات.

د. عصام العويد

٣) سورة الفلق يستعيذ القارئ بصفة الربوبية مرَّة واحدة من أربعة أشياء، بينما يستعيذ في سورة الناس بثلاث صفات لله ﷻ من شرِّ شيءٍ واحد – وهو الشيطان –، وما ذاك إلا لشدَّة خطر الشيطان، فهلَّا استشعرنا عظمة صفات ربِّنا ونحن نستعيذ به من عدوِّنا؟

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥٣٩/٨) (بتصرف)

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) ﴾

من المعلوم أن الله رب جميع الخلائق، وإنما قال رب الناس مع أنه رب جميع مخلوقاته؛ للدلالة على شرفهم، ولكون الاستعاذة وقعت من شر ما يوسوس في صدورهم.

الشوكاني، فتح القدير (٦٤٢/٥)

﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦) ﴾

١) قال قتادة رحمه الله: إن الناس شياطين، فنعوذ بالله من شياطين الإنس والجن.

الدرر المنثور (٨٠٩/١٥)

٢) قال العلامة ابن باديس: والسر في التعبير بـ: ﴿ يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾، بدلاً من (قلوب الناس)؛ لأن القلب مجلى العقل، ومقر الإيمان، وقد يكون محصنًا بالإيمان فلا يستطيع الوسواس أن يَظْهَره، ولا يستطيع له نقبًا.

تفسير ابن باديس (٣٨٤/١)

٣) ﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ بين الله تعالى نوع الموسوس، بأنهم من الجنة والناس؛ لأنَّه ربما غاب عن البال أنَّ مِنَ الوسواس ما هو شرٌّ من وسواس الشياطين، وهو وسوسة الناس، وهو أشد خطرًا، وهُمْ بالتعوُّذِ منهم أجدر؛ لأنهم منهم أقرب وهو عليهم أخطر، وأنهم في وسائل الضرِّ أدخل وأقدر.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٥٥٦/٣٠)

٤) علَّق الوسوسة هنا بالصدر، الذي هو موضع القلب، وهو محل العقل والتقوى والصلاح والفساد، فحَرِيٌّ بالعبد أن يُطهِّر قلبَه، وما تطهَّرتِ القلوبُ بمثل ذكر الله، وتدبر كتابه، والإخلاص له، والتوبة إليه.

عطية سالم، تتمة الأضواء (١٧٩/٩)

تأملات في

أسماء الله الحسنى[١]

١) (القيوم) ﷻ: الذي قام بنفسه فلم يحتج إلى أحد، ولا قيام لغيره إلا به، وإذا ضممت هذا الاسم إلى اسمه (الحي) تبين أن الحي جامع لصفات ذاته و(القيوم) جامع لصفات أفعاله، ومن آثار الإيمان به:

- التبرؤ من الحول والقوة والافتقار الدائم له سبحانه.

- الجمع بين الاسمين (الحي القيوم) له أثر خاص في إجابة الدعوات وكشف الكربات.

ينظرك سنن النسائي (١٣٠٠)

٢) (الحميد) ﷻ، الذي حمد نفسه في أوسع دوائر الزمن: ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآَخِرَةِ﴾ (القصص: ٧٠) وحمد نفسه في أوسع دوائر المكان: ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الروم: ١٨) افتتح أول الخلق بحمد نفسه: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (الأنعام: ١) وختم الخلق بحمد نفسه: ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الزمر: ٧٥) إنه ربك الذي يرضى عنك إذا حمدته على لقمة تأكلها، أو شربة تشربها.

جامع البيان للطبري (٣٤٤/٢١) (بتصرف)

---

[١] قام بصياغة هذه الرسائل وإعدادها: د. عمر بن عبد الله المقبل مع الاستفادة من كتب كثيرة، أهمها كتابان:

١. فتح الرحيم للعلامة ابن سعدي.

٢. ولله الأسماء الحسنى، للشيخ عبد العزيز الجليّل.

٣) (النصير/خير الناصرين) جل جلاله: الذي وعد عباده بالنصر في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فبإعلاء كلمتهم ومنهجهم كما صنع بداود وسلمان ونبينا عليهم السلام، أو بانتقامه من أعدائه كما صنع بقوم نوح وبفرعون وجنوده.

جامع البيان للطبري (١٢٦/٦)، (١٨٣/١١) (بتصرف)

٤) ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (محمد: ١٩) فينبغي للمسلمين أن يعرفوا اسماء الله وتفسيرها، فيعظموا الله حق عظمته، ولو أراد رجل أن يتزوج إلى رجل أو يزوجه أو يعامله طلب أن يعرف اسمه واسم أبيه وجده، وسأل عن صغير أمره وكبيره؛ فالله الذي خلقنا ورزقنا – ونحن نرجو رحمته ونخاف سخطه – أولى أن نعرف اسماءهونعرف تفسيرها.

قوام السنة الأصفهاني، الحجة في بيان المحجة (١٣٤/١)

٥) (الرؤوف) تباركت أسماؤه: المتصف بالرأفة، وهي أعلى معاني الرحمة التي شملت الخلق كلهم في الدنيا، ولن تشمل إلا بعضهم في الآخرة، قال القرطبي رحمه الله: الرأفة لا ألم فيها بوجه من الوجوه، بخلاف الرحمة فقد تكون مؤلمة في الحال، وعاقبتها لذة، ألا ترى أن الله قال: ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ (النور" ٢) ولم يقل: رحمة؛ فإن ضرب العصاة على معصيتهم رحمة لهم لا رأفة بهم.

الأسنى في شرح الأسماء الحسنى (١٧٣/١) (بتصرف)

٦) (الكبير) الذي صغر دون جلاله كل كبير، فلا شيء أعظم منه، وإذا أردت أن تعرف مكانة هذا الاسم من الشريعة، فتأمل حب الله تعالى لهذا الذكر العظيم: (الله أكبر) وكم هي المواطن التي شرع فيها الذكر؟ حتى سمى بعض النصارى – كما قال ابن تيمية – عيد المسلمين (عيد الله أكبر)؛ لظهور التكبير فيه، وليس هذا لأحد من الأمم أهل الكتاب ولا غيرهم غير المسلمين، فلنكبر الله قولاً وعملاً.

ابن تيمية، الجواب الصحيح (٢٣٢/٥) (بتصرف)

٧) (الله) ﷻ.. دال على جميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا، فإنه دال على غلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له، مع نفي أضدادها عنه؛ ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم، كقوله تعالى: ﴿ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (الأعراف: ١٨٠) ويقال: الرحمن والرحيم والعزيز والحكيم من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن ونحو ذلك، فعلم أن اسمه (الله) مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم (الله)، واسم الله دال على كونه مالوهًا معبودًا تألهه الخلائق محبة وتعظيمًا وخضوعًا وفزعًا. ابن القيم، مدارج السالكين (٣٢/١)

٨) إذا تتبعت اسم (الرب) في القرآن، وجدته قد ارتبط بخمسة أسماء من أسماء الله الحسنى فقط، وهي: (الرحمن، الرحيم، الغفور، الغفار، العزيز) وفي (مدارج السالكين) بيان لشيء من حكم هذا الارتباط. مدارج السالكين (٣٥/١)

٩) (الرحمن) من أعطى اسم الرحمن حقه، عرف أنه متضمن لإرسال الرسل وإنزال الكتب أعظم من تضمنه إنزال الغيث، وإنبات الكلأ، وإخراج الحب؛ فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان.

ابن القيم، مدارج السالكين (٨/١)

١٠) (الأول) ﷻ، وقد فسره ﷺ بقوله: "**أنت الأول فليس قبلك شيء**"[(١)] يقول ابن القيم رحمه الله: فعبوديته باسمه الأول، تقتضي التجرد من مطالعة الأسباب والوقوف أو الالتفات إليها، وتجريد النظر إلى مجرد سبق فضله ورحمته، وأنه هو المبتدئ بالإحسان من غير وسيلة من العبد، إذ لا وسيلة له غي العدم قبل وجوده، أيُّ وسيلة كانت هناك وإنما هو عدم محض؟ وقد اتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا؟ فمنه سبحانه الإعداد ومنه الإمداد، وفضله سابق على الوسائل، والوسائل من مجرد فضله وجوده، لم تكن بوسائل أخرى، فمن نزّل اسمه الأول على هذا المعنى؛ أوجب له فقرًا خاصًا وعبودية خاصة. طريق الهجرتين (٢٠، ٢١)

(١) مسلم ح (٢٧١٣)، وأبو داود ح (٥٠٥١)، والترمذي ح (٣٤٠٠)، وابن ماجه ح (٣٨٣١)، وأحمد ح (٨٩٦٠).

١١) (الآخر) ﷻ: وقد فسره ﷺ بقوله: "**وأنت الآخر فليس بعدك شيء**"[١] فهو الباقي بعد فناء الخلق، "والتعلق بالآخر تعلق بالحي الذي لا يموت ولا يزول، فالمتعلق به حقيق أَن لا ينقطع، بخلاف المتعلق بغيره مما له آخر يفنى به، وهذا مما يوجب الاضطرار إلى عبودية الله، ودوام الافتقار إليهن فإليه تنتهي الأسبابن فليس وراء الله شيء يقصد أو يعيد". طريق الجرتين (٢٠ – ٢١) ٠بتصرف

١٢) (الظاهر) ﷻ: وقد فسره ﷺ بقوله: "**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**"[٢] فلا شيء أعلى منه، والتعبد بهذا الاسم "يجمع القلب على المعبود، ويجعل له ربًا يقصده في حوائجه، وملجأ يلجأ إليه، فإذا استقر ذلك في قلبه، وعرف ربه باسمه الظاهر، استقامت له عبوديته، وصار له معقل وموئل يلجأ إليه ويهرب إليه كل وقت إليه".

ابن القيم، طريق الهجرتين (٣٢)

١٣) (الباطن) ﷻ: وقد فسره ﷺ بقوله: "**وأنت الباطن فليس دونك شيء**"[٣] فلا يخفى عليه شيء من بواطن الأمور وإن دقَّت، "فمن تيقن إحاطته بالعوالم، وقرب العبيد منه، وظهور البواطن له، وبدو السرائر، وأنه لا شيء بينه وبينها، فإنه سيعامل ربه بهذا المقتضى، ويظهر سريرته، ويزكي باطنه". طريق الهجرتين (٢٦) (بتصرف)

١٤) (الرحيم) ورد في (١٢٣ موضعًا)، أكثرها مقترن باسم الله (الغفور)، وهو أخص من (الرحمن) فالرحيم متعلق بالمرحوم، بخلاف الرحمن فهو متعلق بصفة الرحمة الواسعة، وليتضح هذا المعنى تأمل الآيتين التاليتين: ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٤٣)، و﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١١٧)، فقد تعلق اسم الله (الرحيم) بالمرحومين – وهم المؤمنون – ولم يأت في النصوص أبدًا قوله: (رحمن بهم)؛ لأن اسم الرحمن يشمل البر والفاجر والمسلم والكافر والإنسان والحيوان. بدائع الفوائد (٢٤/١) (بتصرف)

---

(١) سبق تخرجه.

(٢) سبق تخرجه.

(٣) سبق تخرجه.

١٥) حقيقة الإيمان: أن يعرف الرب الذي يؤمن به، ويبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته؛ حتى يبلغ درجة اليقين، وبحسب معرفته بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه، ازداد إيمانه وكلما نقص، نقص، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك، تدبر صفاته وأسمائه من القرآن. السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٣٥)

١٦) (الرب) هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، وأخص من هذا تربيته لاصفيائه بإصلاح قلوبهم وارواحهم وأخلاقهم. السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٩٤٥)

١٧) تربية الله تعالى لخلقه نوعان:

تربية عامة: فهي خلقه سبحانه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

تربية خاصة: فهي تربيته لأوليائه بالإيمان، وتوفيقهم له، وتكميله لهم، ودفع الصوارف عنهم، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر؛ ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة. السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٣٩، ٩٤٥)

١٨) (الواحد/الأحد) الذي توحد بجميع الكمالات، وتفرد بكل كمال، ومجد، وحمد، وحكمة، ورحمة وغيرها من صفات الكمال فليس له فيها مثيل ولا نظير، فهو الأحد في حياته، وقيوميته، وعلمه وجلاله، وجماله، وغيرها من صفاته، موصوف بغاية الكمال، فيجب على العبيد توحيده: اعتقادًا وقولاً، وعملاً، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٩٤٥)، بهجة قلوب الأبرار (١٦٥)

١٩) (اللطيف) ﷻ: الذي يوصل رحمته لخلقه بالطرق الخفية، فيلطف بهم من حيث لا يعلمون ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون، ولا يخفى عليه شيء من أعمالهم. وإذا أردت أن ترى شيئًا من آثار هذا الاسم العظيم، فتأمل خاتمة قصة يوسف: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ (يوسف: ١٠٠) أي: يوصل بره وإحسانه إلى العبد من حيث لا يشعر، ويوصله إلى المنازل الرفيعة من أمور يكرهها. السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٤٠٥) (بتصرف)

٢٠) (الفتاح) ﷻ.. الذي يحكم بين عباده بشرعه..

الذي فتح لعباده جميع أبواب الخير: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ (فاطر: ٢).

أم تر كيف فتح لبعض عباده أبوابًا من الرزق لا تخطر على البال؟ وفتح على قلوب آخرين، فملأها بالعلم الرباني، والحقائق الإيمانية؟

وتاج ذلك كله: فتح القلب لمحبته والإقبال عليه سبحانه، والفهم عنه وعن رسوله، نسأل الله الكريم من فضله. السعدي، فتح الرحيم (٤٢)

٢١) (الجبار) ﷻ.. الذي يجبر الكسير، ويغني الفقير، ويجبر المريض والمبتلى، ويجبر جبرًا خاصًا قلوب المنكسرين لجلاله، الخاضعين لكماله، الراجين لفضله ونواله، بما يفيضه على قلوبهم من المحبة وأنواع المعارف الربانية، والفتوحات الإلهية، والهداية والإرشاد والتوفيق، والسداد. السعدي، فتح الرحيم الملك العلام (٢٦)

٢٢) (الودود) ﷻ.. يتودد إلى خلقه بصفاته الجميلة، وآلائه الواسعة، الخفية والجلية.. يحب أولياءه ويحبونه.

أرايت كيف يشرد العبد عن ربه فيتجرأ على حدوده، ويترك الواجبات وربه يستره، ويمده بالنعم، ثم يقيض له من الأسباب من يرده إلى مولاه؟ فيتوب ثم يغفر له تلك الجرائم، بل ويعيد عليه حبه ووده؟ وهذا – والله أعلم – سر اقتران الودود بالغفور في قوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ (البروج: ١٤). السعدي، فتح الرحيم الملك العلام (٤٩ – ٥٠) (بتصرف)

٢٣) ما السر في اقتران اسم الله (القدوس) باسم (الملك) في القرآن والسنة؟! لعل السر في ذلك: أن من صفات هذا الملك أنه قدوس، وهذا إشارة إلى أنه سبحانه مع كونه ملكًا مدبرًا متصرفًا في كل شيء، فهو قدوس منزه عما يعتري الملوك من النقائص، التي أشهرها الاستبداد والظلم والاسترسال مع الهوى والمحاباة. ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٠٧/٢٨)

٢٤) من معاني (القدوس) ﷻ: ذو البركة والفضل، ومنه: ﴿ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ (المائدة: ٢١) أي: المباركة. ومن آثار "القدوس": أن يكون أولياؤه قديسين – أي مباركين – كما جاء في الإنجيل: أن النبي الخاتم يفتح مكة بعشرة آلاف من القديسين.

د. سلمان العودة، مع الله (٥٧ – ٥٩) (بتصرف)

٢٥) (السلام) ﷻ: كثيرون يعلمون أن معنى (السلام) السالم في ذاته وأسمائه وصفاته من كل نقص وعيب، وأنه الذي يسلم عباده، ومع ذلك تتعجب ممن يرددون هذا الاسم ثم تتحول حياتهم إلى حرب لا تهدأ مع الأقربين والأبعدين، وعلى كافة المستوياتك النفسية والسلوكية والفكرية والأسرية.

د. سلمان العودة، مع الله (٦١)

٢٦) (الوارث) ﷻ: الباقي بعد فناء خلقه، والمسترد أملاكهم بعد موتهم، ومن أعظم آثار الإيمان بهذا الاسم:

١- الاجتهاد في العمل الصالح المؤدي للجنة التي لا يورثها الله إلا للمتقين.

٢- أن الباطل مهما انتفش، فإلى زهوق، وسيورث الله عباده المتقين أرضه؛ ليقام عليها حكم الله: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

ولله الأسماء الحسنى (١٨٢ – ١٨٤) (بتصرف)

٢٧) (المتكبر) ﷻ: المتعالي والمتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة فيقصمهم، فمن فقه معنى هذا الاسم، أورثه ذلك:

- التواضع لله، والانكسار بين يديه.

- الانقياد للشرع، والإذعان للحق.

- كل متكبر جبار من الخلق فسيقصمه المتكبر ﷻ، وهذا يورث التواضع للعباد، وإلا فسيرى المتكبرون يوم القيامة كأمثال الذر يطأهم الناس. ولله الأسماء الحسنى (٢٢٧ – ٢٣٢)

٢٨) (الكريم) ﷻ.. الذي يبدأ النعمة قبل الاستحقاق، ويتبرع بالإحسان من غير استثابة، ويغفر الذنب، ويعفو عن المسيء.. يقول الزجاجي رحمه الله: "الكريم: الجواد، والعزيز، والصفوح، هذه ثلاثة أوجه للكريم في كلام العرب، كلها مما يوصف الله به ﷻ" أ.هـ

ولله الأسماء الحسنى (٥٨٩)

٢٩) لن تحتاج إلى عناء لتأمل شيئًا من معاني وآثار اسم الله:

(الرحمن) فقط تأمل قوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، (الأعراف: ١٥٦) فإيجادك ورزقك، وصحتك، وتسخير المخلوقات لك، ولباسك، ونومك، وجوارحك، وغير ذلك، وكلها من آثار هذا الاسم (الرحمن) ﷻ، فرحم الله عبدًا ترجم شكره إلى عمل.

٣٠) (الملك) ﷻ.. وليس في الوجود ملك ينفذ أمره في كل ما يريد إلا (الملك) سبحانه، فله النهي والتصرف بقوله وأمره، تمَّ ملكه بكمال غناه عن خلقه، أما ملوك الأرض فلا يستغنون عن مستشارين وأعوان، تأمل: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ (سبأ: ٢٢).

٣١) من مظاهر كمال ملك (الملك) ﷻ:

– أنه هو الذي يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، فلم يدم لأحد ملك ولن يدوم إلا ملكه سبحانه.

– أن أي ملك مهما اتسع ملكه لا يستطيع أن يملك نفسه ملكًا تامًا، ولقد هبر عن ذلك أحد زعماء اوروبا حين قال – بعد انتصاره في الحرب العالمية –: "ملكنا العالم ولم نملك أنفسنا".

٣٢) (القدوس) ﷻ: المتصف بالكمال، المنزه عن كل نقص وعيب، حتى ولو كان كمالاً في حق المخلوق، فالنوم – مثلاً – كمال في حق المخلوق لكنه نقص في حق الخالق؛ ولهذا ورد في الحديث الجمع بين "السبوح والقدوس" أي: أننا ننزه عن كل نقص، المطهر من كل ما لا يليق بجلاله.

٣٣) من آثار الإيمان باسم الله (السلام):

– سلامة اقوال المؤمنين وأفعالهم من الفحش والبذاءة: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان: ٦٣).

– ربنا سلا يحب السلا، وسيلقى أولياءه، في جنته بالسلامن ورسول السلام يقول: "**أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**"[1].

---

[1] مسلم ح (٥٤)، وأبو داود ح (٥١٩٣)، والترمذي ح (٢٦٨٨)، وابن ماجه ح (٦٨).

٣٤) (المؤمن) ﷻ: ومعنى هذا الاسم يدور على معان منها:

١- المصدق لرسله وأنبيائه فيما بلغوا عنه، الذي يقيم لهم الشواهد على صدقهم.

٢- الذي أمن خلقه من أن يظلمهم. وهذا يروى عن ابن عباس[١].

٣- الذي يؤمن خوف عبده الذي لجأ إليه بصدق في كشف كربته، ويؤمنهم يوم الفزع الأكبر.

٣٥) (الحي) ﷻ: وإذا قرن باسمه (القيوم) فهو الاسم الأعظم في قول بعض العلماء، ومن آثار الإيمان بهذا الاسم:

- التوكل الصادق: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ (الفرقان: ٥٨).

- تعظيم الله وإجلاله حينما يتذكر العبد كمال خالقه بكمال حياته، ويدرك نقصه وضعفه حين يعلم أن الخلق كلهم سيموتون، فسبحان الحي الذي لا يموت.

٣٦) (العظيم) ﷻ: ألم يستوقفك كثرة ورود هذا الاسم في أدعية نبيك ﷺ؟ إنَّ تأمل معناه ليورث في النفس:

١- خضوعًا واستكانةً وتذللاً لعظمة الله! تأمل في أركان وواجبات وأذكار الصلاة! فستجدها تدور على تعظيم العظيم.

٢- تعظيمًا لشعائر الله كالصلاة والحج وسائر الشعائر ولو كانت من السنن كالعيدين.

٣- تعظيمًا لحرمات الله وحدوده.

٣٧) (العلي/الأعلى/المتعال) ﷻ: أسماء يفسر بعضها بعضًا ويستشعر المؤمن وهو يتدبر معانيها:

- علو الله تعالى بذاته وأسمائه وصفاته.

- الخضوع والإخبات لهذا العلي العظيم.

- الحذر من العلو في الأرض بغير الحق.

- تنزيه الله تعالى عن كل ذم ألحقه به الظالمون، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

---

[١] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/٨٠.

٣٨) (الحكيم) ﷻ.. اتقن كل شيء خلقه وشرعه.. فلا يخلق شيئًا عبثًا، ولا يشرع شيئًا سدى.. وفي أقدار الله أسرار وأسرار.. تأمل – مثلاً – : أين تربى موسى ؈؟ ثم كيف انتهت قصته مع فرعون؟ تدبرها وغيرها من القصص.. تجدها كلها ناطقة بحكمة أحكم الحاكمين.

٣٩) (السميع) ﷻ.. الذي تمدح بسعة سمعه من فوق سبع سماوات لخبر امرأة جاءت تجادل في زوجها، وعائشة في ناحية الحجرة لا تسمع!

السميع الذي أجاب دعوة يوسف: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (يوسف: ٣٤) فيَا كُلَّ مهموم! ويَا كُلَّ مكروب! ربك يحب أن يسمع دعاءك وشكواك.. فارفعها.ز فإنما هي (كن) ويأتي الفرج.

٤٠) (الرزاق) ﷻ.. هل رأيت نملة تسحب حبة إلى بيتها؟ أو طائرًا يجوب الفضاء وفي فمه قطعة من طعام؟ أو جنينا في بطن أمه؟ من الذي رزقها كلها؟ أما إذا اطمأن قلبك بذكره، أو نزلت عليك سكينة عند مصيبة، أو أنعم عليك ربك بالرضا يمر القضاء.. فهذا رزق القلوب، وهو البحر الذي لا ساحل له!.

٤١) (الوهاب) ﷻ: تأخر الولد عنه (٢٠ سنة)، فدعا ربه، فوهبه ولدًا.. يسرف على نفسه بالمعاصي، فيأوي إلى كنف الله، فيهبه منه رحمة تسكب السكينة والإيمان في قلبه.ز يخاف من زيغ قلبه، فيتذكر أن الثبات على الحق من أعظم المنن، فيلهج بـ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران: ٨).

٤٢) (الغني) ﷻ.. هو لا يتذكر هذا الاسم عند رؤية أصحاب الملايين فحسب، بل هو يهتز حينما يرى ملايين الناس في عرفة ورمضان – في الحرمين – رافعي أيديهم يسألونه حاجاتهم بكل ذل وافتقار، وفيهم الملوك والتجار والفقراء، وكأنه يسمع نداء ربه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ (فاطر: ١٥) وحينما يتذكر أن أشرف الغنى غنى القلب لم يملك إلا الانكسار بين يدي مولاه.

٤٣) (الشهيد) ﷻ..

فهو أعظم شاهد على توحيده، وعلا بلاغ رسله..

الشهيد.. الذي إذا تذكر العبد شهادته عليه، استحيا منه أن يراه على معصيته..

ولو تدبرت هذه الآية جيدًا؛ لازداد فهمك لمعنى اسم الشهيد:

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ﴾.

﴿ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ ﴾.

﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ ﴾.

﴿ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ (يونس: ٦١).

٤٤) (الواسع) ﷻ..

هل تتذكر قول عائشة رضي الله عنها – في قصة المجادلة–: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات؟! لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ، وإني لفي ناحية البيت ما أسمع قولها"![(١)].

ألم تتأمل سعة السماء؟

ألا ترى كم وسع الله عليك في رزق بدنك وقلبك؟

سبحانك ربنا! يا من شمل فضله الواسع جميع خلقه!

٤٥) (المجيد) ﷻ.. عظيم الصفات، الذي تمجد بأفعاله، فمجده خلقه لعظمته.. يتذكر العبد هذا المعنى، وهو يقرأ في (الفاتحة): ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (الفاتحة: ٤) وكأنه يسمع مولاه يجيبه: مجدني عبدني.

يا الله! ما أعظمه من شرف أن نقف هذا الموقف؛ ليجيبنا الرب بهذا الجواب الذي يملأ القلب تعظيمًا وحبًا للحميد المجيد.

٤٦) (الخبير) ﷻ: المحيط ببواطن الأشياء وخوَافيها كما أحاط بظواهرها.. لقد وعظ الله عباده بهذا الاسم في مواضع عدة.. فوعظ المطْلِقين لأبصارهم في الحرام بهذا الاسم (النور: ٣٠)، ووعظ أصحاب الإرادات السيئة بهذا الاسم (النساء: ١٣٥)، فتفقد قلبك – يا عبد الله – فإنه موضع نظر الرب الخبير، وفتش عن إرادتك ونواياك.

---

(١) ابن ماجه ح (١٨٨).

٤٧) (القوي) ﷻ: قلب بصرك في السماء التي فوقك! وتأمل في الزلازل والفيضانات! لو سألتها لأجابتك: هذا صنع القوي جل في علاه.

ترى.. كم مر بك من سير الأقوياء بأبدانهم أو بسلطانهم؟ أين وكيف هم الآن؟ ولذا لما افتخرت عاد بقوتها، قيل لهم: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ (فصلت: ١٥)؟!

٤٨) (المتين) ﷻ: الذي تناهى في قوته وقدرته، فتكفل برزق جميع المخلوقات، وأوصله إليهم برًا وبحرًا وجوًا، وهذا ما لا يقدر عليه إلا الله المتين ﷻ.

٤٩) (العزيز) ﷻ: عز كل شيء فقهره، وغلب الأشياء فلا ينال جنابه لعزته وعظمته، يشهد العبد العزة إذا تمسك بدينه: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المنافقون: ٨)، ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ (فاطر: ١٠)، ويشهدها العبد حين يأتي القدر على خلاف مراده، ويشهدها في مقام تَذَلّلِهِ بين يدي مولاه العزيز تبارك وتقدس.

٥٠) (القاهر/القهار) ﷻ: العالي على خلقه، الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه كلها.. من فهم هذا الاسم حقًا، لم يلج من بوابة الشرك: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (يوسف: ٣٩)، بل تعلق قلبه بربه القهار، وتوكل عليه، وقطع العلائق بالأسباب المقهورة.

٥١) (القدير/المقتدر) ﷻ: أوجد المخلوقات، ودبرها وأحكمها بقدرته، يحيي ويميت، ويقلب الأحوال والقلوب بقدرته، لا يمنعه ولا يعجزه من فعل ما يريده شيء..

إذا هالك منظر السماء بغير عمد، أو تنوع المخلوقات في البر والبحر، أو رأيت آثار الزلازل والأعاصير، فتذكر قدرته.. فهنيئًا لمن أورثه هذا الاسم قوة تعلق بربه، وصدق توكل عليه.

٥٢) (الخالق/الخلاق) ﷻ.. هل تأملت في خلق الله لك؟

ألم تحاول أن تتخيل خلقك لو كان على غير هذه الصورة؟!

هل أجلت نظرك فيما حولك من مخلوقات؟ وهل تفكرت لحظة في ذلك التنويع العجيب في أصناف مخلوقات البحر؟ من الذي أبدع صنعها؟ من الذي أحسن خلقها؟

إنه ﴿الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ (الحشر: ٢٤).

٥٣) (الحافظ/الحفيظ) ﷻ: يحفظ السماوات والأرض حتى لا تزول ولا تندثر: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ (البقرة: ٢٥٥)، ويحفظ أعمال عباده ويحصيها في كتاب: ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ (الكهف: ٤٩)، ويحفظ عبده من المهالك والمعاطب، وأعلى صور الحفظ التي نسأل الله إياها: حفظه لأوليائه عما يضر إيمانهم، أو يزلزل يقينهم من الشبهات والفتن.

٥٤) (الولي) ﷻ: الذي تولى شؤون خلقه عامة، وتولى خواص خلقه، وهم أولياؤه، فهو ينصرهم ويتولاهم بعونه وتوفيقه، ومن أعظم نثار توليهم أنه: ﴿ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة: ٢٥٢)، فكيف نكون من أوليائه؟ الجواب في هذه الآية: ﴿ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ (الأنفال: ٣٤)، الذين: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (يونس: ٦٢ – ٦٤).

٥٥) (الكافي) ﷻ: الذي يكفي عباده؛ فيرزقهم، ويحفظهم، ويدفع عنهم الملمات، الذي يكفي بمعونته عن غيره، ولا يكفي منه أحد، كما قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ (الزمر: ٣٦) بالجمع كما في القراءة الأخرى، إنه الله الكافي الذي أجاب دعاء الغلام حين قال: "**اللَّهُمَّ اكفنيهم بما شئت**"[1]، فكفاه.

٥٦) (المولى) ﷻ: ناصر أوليائه، خاذل أعدائه: ﴿ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وهو تعالى مولى الخلق كلهم باعتبار كمال ملكه، وتمام قهره للخلق: ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ﴾ (الأنعام: ٦٢)، فاحرص أن تكون من أهل الولاية الأولى فهم: ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (يونس: ٦٢)، واحذر أن تعادي أحدًا منهم، فمن عادى وليًا لله، فقد آذن ربَّه بالحرب!

[1] مسلم ح (٣٠٠٥)، وأحمد ح (٢٣٩٣١)، والنسائي ح (١١٥٩٧).

٥٧) (الوكيل) ﷻ: الذي تكفل بأرزاق خلقه وحاجاتهم، ومحياهم ومماتهم: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الأنعام: ١٠٢) المدبر لشؤون خلقه، لا يشغله شيء عن شيء، المحيط بكل شيء علمًا سبحانه وبحمده.

٥٨) (الصمد) تقدست أسماؤه: السيد المطاع، الذي تصمد له الخلائق في أمورها، وينزل الخلق حوائجهم به، ولا أحد فوقه،.. صمدت إليه القلوب رغبة ورهبة ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ (الرحمن: ٢٩)، أحب أحد الصحابة سورة (الصمد) فأحبه الله، فتفقد حب هذه السورة ومعانيها في قلبك!.

٥٩) (الهادي) ﷻ: هدى خلقهن فعرفوه بربوبيته، والوهيته، واسمائه وصفاته، وارقام منارات الهداية في طريق السائرين إليه وإلى الدار الآخرة، فأجل ما أعطي العبد أن يحقق الله دعاءه اليومي: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة: ٦).

٦٠) (الحكم) خير الحاكمين ﷻ: الذي يقضي بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون بالقسط، فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يجازي أحدًا بأكثر من ذنبه، وهو الحَكَم وإليه الحُكْم، لا يجد المؤمن في نفسه حرجًا من حكمه ﷻ – وإن خالف هواه –، بل لسان حاله – لو دُعي لغير حُكمه – أن يقول: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ (الأنعام: ١١٤).

٦١) (البر) ﷻ: اللطيف بعباده، يحسن إليهم، ويصلح أحوالهم.. هل تفكرت في النعم التي تتقلب فيها؟ إنها جميعًا من آثار بره بك ﷻ.. أما بره بأوليائه فهو أعظم البر.. وأجل ثمرات ذلك أن يبلغهم دار السلام، ألم تسمع قوله تعالى عن أهل الجنة: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ (الطور: ٢٨)؟

٦٢) (الحليم) جل في علاه .. ألم تر كيف يسرف العبد على نفسه، وربه يرخي عليه ستره، ويحلم عنه؟!

فوالله لولا عفوه ما ترك على ظهرها من دابة!

إنَّ عِلم المؤمن بحلم الله يغلق عليه باب اليأس من رحمة الله، كما أنه يجعله يحذر غضب الحليم سبحانه!

٦٣) (التواب) ﷻ.. جاء هذا الاسم على صيغة المبالغة؛ ليشمل تكرر توبته على عباده، الذين يتكرر منهم الخطأ والذنب! فعجبًا لمن يقنطه الشيطان من ذنوبه مهما عظمت وهو يعلم أن من أسماء ربه: التواب الرحيم!

٦٤) (الشاكر/الشكور) ﷻ: يزكو عنده القليل من العمل الصالح، ويعفو عن الزلل، ولا يضيع أجر من أحسن عملاً، بل يضاعفه أضعافًا كثيرة، وقد يجزي الله العبد على العمل بأنواع من الثواب العاجل قبل الآجل.. أفلا يورثنا هذا حبًا لربنا وحياء منه على تقصيرنا في شكره قولاً وعملاً؟

٦٥) (البصير) تقدس اسمه: الذي أحاط بصره بكل شيء، فيرى دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، ويرى جميع أعضائها الباطنة والظاهرة، وسريان القوت في اعضائها الدقيقة، ويرى نياط عروقها، ويرى ما أهو أصغر وأدق من ذلك.. فهل يورثك هذا العلم بعظيم بصره مراقبة له في سرك وعلنك؟

٦٦) (القريب) ﷻ: فهو قريب من خلقه بعلمه وخبرته، وهو قريب من عابديه وسائليه ومجيبيه، وهذا القرب يقتضي محبتهم ونصرتهم وحسن ثوابهم..

فيا عبد الله! هذا ربك القريب يقول – وهو الغني-: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ١٨٦) فأرِ الله من نفسك خيرًا.

٦٧) (المجيب) جل وعلا: الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويغيث الملهوف إذا ناداه، حتى ولو كان في حالة اضطراره مشركًا.. فكيف إذا كان الداعي مؤمنًا موحدًا؟ إن الله لا يخفى عليه شيء من أحوالنا، لكنه يحب – وهو الغني عنا – أن يسمع دعاءنا، وأن نظهر له اضطرارنا.

٦٨) (المحيط) جل في علاه: الذي أحاط بكل شيء: علمًا، وقدرة، ورحمة، وقهرًا، وهذا يورث العبد:

١- خوفًا من الله وحياء منه.

٢- الحذر من ظلم العباد والاعتداء عليهم؛ لأنه تعالى محيط به، فما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها.

٣- عدم تضخيم قوة الأعداء مهما بلغت، مع الأخذ بأسباب دفع شرهم.

٦٩) (الحسيب) ﷻ: بمعنى الكافي عبده همومه وغمومه، وأخص من ذلك أنه الحسيب للمتوكلين، وهو الذي يحفظ أعمال عباده ويحاسبهم، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، الحاسب لعباده.

فرحم الله عبدًا حاسب نفسه قبل أن تحاسب، وتذكر لحظة يبهت فيها أهل الإجرام حين يوضع الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة!

٧٠) (المبين) ﷻ: الذي أبان لعباده الأدلة في الآفاق وفي الأنفس على وجوده ووحدانيته، وهو المبين – سبحانه – الذي أظهر الحق للخلق، وأبانه لهم على ألسنة رسله، وفي كتبه التي أعظمها القرآن الذي وصفه الله بانه (مبين) و(تبيان) وكل هذا الذي يثمر في قلب المؤمن طمأنينة على قيام الحجة في الفطرة وفي الوحي المنزل.

القرآن غيرني

١) كنت متهاونة في أمر الصلاة، وأعيش في ضيق، وتمر بي أزمات ومشاكل لا طاقة لي بها، وأتمنى أن أجد حلاً.. وفي أحد الأيام سمعت قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (البقرة: ٤٥) فانتبهت وقلت لنفسي: إن ربي يأمرني أن أستعين بالصبر والصلاة، وأنا لا أزال مفرطة؛ فكانت نهاية التفريط في تعلقي بالصلاة.

٢) كنت فيما مضى غافلاً لاهيًا لا أفكر إلا في مصالحي.. وذات مرة – وأنا أصلي – سمعت الإمام يتلو قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ ﴾ (البقرة: ١٤٦) وكنت ممن يحفظون من كتاب الله لكني مقصر في العمل، فخشع قلبي لها، ومن ذلك الحين بدأت حياتي تتغير، وبدأت أخشع في صلاتي، ولله الحمد والمنة.

٣) أقرضت قريبة لي ٥٠٠٠ آلاف ريال، فلما تذكرت قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ (البقرة: ٢٨٠)، سامحتها؛ فعوضني الله أن قيض لي أحد أقاربي، فسدد عني أقساطًا بأكثر من ١٠٠.٠٠٠ ريال.

٤) هذه الآية غيرتني ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (آل عمران: ٩٢)، فعندما تأملتها قلت لنفسي: أنا لن أدخل الجنة حتى أنفق مما أحبه، كنت أحب النوم فصرت أترك منه جزءًا كبيرًا وأقوم الليل، ولمّا أضعف، اتذكر الآية!

٥) تغيرت حياتي بسبب قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٢) فقد كنت مقصرة، وأظن أن الالتزام صعب، فتدبرت هذه الآية، فأثرت فيّ كثيرًا، وتفكرت ماذا سيصيبيني مقابل ما حصل للصحابة، وما هي الصعوبة التي أمامي؟ لا شيء! وأحسست أن الله شكر لي التغيير اليسير مني، ووفقني للالتزام بالشرع كله بإذنه تعالى.

٦) كنت يومًا أقرأ: ﴿وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ (آل عمران: ١٩٥) فاستوقفتني ﴿وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ وسألت نفسي: هل أوذيت في سبيل الله؟ فحزنت، وخشيت ألَّا أنال حظًا من الآية، وعزمت أن اتحرك وأبذل لديني، واتحمل التبعات؛ حتى أنال الجزاء الوارد في ختام الآية.

٧) بعد سلوكي طريق الاستقامة هجرني القريب، ولامني البعيد، وأحسست بالوحشة، بدأت بلوم نفسي لعلني أخطأت الطريق، وفي يوم بلغ الأمر مبلغه، وأنا أقرأ حزبي من القرآن استوقفتني آية: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٢٧)؛ فعاد السكون إلى قلبي وأحسست ببرد اليقين.

٨) كنت واقعة في ذنب يشق علي تركه، وفي كل مرة ارتكبه يتملكني شعور بالضيق الشديد، وفي أحد الايام فتحت المذياع؛ فإذا بقول الله ﷻ: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ (النساء: ١٠٨) يرتله أحد القراء بصوت مؤثر جدًا؛ فاقشعر جسمي، وكان ذلك اليوم الحد الفاصل بين المعصية والإنابة إلى الله.

٩) كنت أستغفر باستمرار؛ فجاءني الشيطان قائلاً: كل هذا الاستغفار! ولا فرج ولا إجابة! فتركت وساوسه، فقرأت رسالة عظيمة من ربي، وهي قوله تعالى: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ﴾ (النساء: ١٤٧) فقلت: نعم! والله إن ربنا لغني عنا، وعن تعذيبنا! إنما هي ذنوبنا التي نسينا كثيرًا منها، فأدمت الاستغفار، والحمد لله.

١٠) حدث بيني وبين أحد إخوتي سوء تفاهم؛ فأرسل رسالة جوال تحمل: اتهامات باطلة، وظنونًا سيئة، وكلمات مؤلمة؛ فغضبت وكدت أن أدفع الإساءة بمثلها، فقرأت أحد ابني آدم: ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ ﴾ (المائدة: ٢٨) الآية؛ فعلمت أن المؤمن يجب أن يجعل خوف الله نصب عينيه، ولا تغلبه حظوظ النفس، وتأخذه العزة بالإثم؛ فآثرت كظم غيظي، والعفو عنه، والإحسان إليه.

١١) من أعظم الأشياء التي كانت تصدني عن التوبة: تلبيس الشيطان عليّ في القنوط من رحمة الله، وأني صاحب ذنب لا يُغتفر؛ حتى قرأت: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) ﴾ (المائدة: ٧٣) فإذا كان الله فتح باب التوبة لمن نسب له الصاحبة والولد، فكيف بمن دونه!

١٢) حاولت – بعد عدة محاولات – الامتثال لقول الحق ﷻ: ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٦)؛ فوجدت ما سرني، مع أني لم أحسن إلا بالقليل، إلا أن رحمة الله كانت اسبق، فسبحانه جل في علاه.

١٣) ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾ (يونس: ٣) كنت سابقًا أهتم في شؤون الحياة كثيرًا، وأرهق نفسي بذلك، وعندما تفكرت في هذه الآية؛ أيقنت أن الله ﷻ هو المدبر المتصرف في خلقه، وأن على المؤمن أن يتوكل على الله، ويعمل بالأسباب.

١٤) إني أُحدِّث عن نفسي: لقد وجدت التوبة علاجًا لداء الضيق والهموم والغموم التي أورثتها الذنوب! هكذا أوحت لي هذه الآية: ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (التوبة: ١١٨).

١٥) مما أثر فيّ ذلك الخطاب المليء رقة وعطفًا، من ذلك الأب المكلوم، والمفجوع بفقد ولديه: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ (يوسف: ٨٧) أبعد كل هذا يناديهم بكلمة ولا ألطف منها: (يا بني)!

أهذه رحمة أب بابنائه الذين أخطؤوا عليه؟! فكيف هي إذن رحمة أرحم الراحمين؟!

١٦) طفلة صغيرة (عمرها خمس سنوات) ضربها أخوها الذي يكبرها قليلاً، وحينما أرادت الأم أن تعاقب الابن؛ فوجئت بصغيرتها تقول: لقد سامحته كما فعل يوسف وسامح إخوته! (وكانت الأم قد قصت عليها قصة يوسف قبل ذلك).

١٧) كان لي موعد بعد صلاة العشاء مع معصية، وفي صلاة العشاء قرأ الإمام قوله تعالى: ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٤)؛ فتذكرت ما أنا فيه من الخير والنعيم.. واستحييت، فأحمد الله على التوبة.

١٨) كنت كثيرة العصيان في أوقات الخلوة، وأشعر بالندم لحالي، وبعد فترة كنت مع رفقة صالحة، وتذكرت أمري، ودعوت الله أن يغفر لي، وأمسكت المصحف؛ فوقعت عيني على قوله: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٥) فبكيت، وعزمت على تزكية نفسي؛ لتكون أهلاً للمغفرة.

١٩) آية عشت معها، وأصبحتْ منهجًا في حياتي: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء: ٣٦) فإذا حدثتني نفسي – خصوصًا إذا كنت خاليًا وعلى النت – أن أرى مالا يرضيه، جاءت هذه الآية أمامي؛ لتردعني.

٢٠) كان بيني وبين الصُّحبة الصالحة بعض المشاكل، حتى وسوس لي الشيطان ترْكهم، فقرأت قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ (الكهف: ٢٨)؛ فكان ذلك أعظم مثبِّت لي معهم، وعلمت أنه "**إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**"[١].

٢١) عالجت مشكلة ضعف الخشوع في صلاتي بتذكر هذه الآية: ﴿ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا ﴾ (الكهف: ٤٨) فكلما تذكرت الوقوف بين يدي الله والعرض عليه – وأنا أصلي –، زاد خشوعي حينها؛ لأن صفة العرض في الصلاة تشبه صفة العرض يوم القيامة.

---

[١] الحاكم ح (٧٦٥).

٢٢) كنت لا أعرف طريق المسجد! والحياة عندي عبث! فسمعت يومًا قارئًا يقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ (الكهف: ١٢٤) فتأملت في حالي؛ فأحسنت حقًا أن كل ما كنت فيه من لهو وعبث وضلال ليس إلا لهثًا وراء سعادة زائفة! معيشة ضنكًا؛ فأطفأت السيجارة، وأشعلت انوار الإيمان، أسأل الله الثبات.

٢٣) كادت الشهوة ترديتي الهاوية – عياذًا بالله-؛ حتى تدبرت قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (الكهف: ١٣١) جعلت أردد وأتدبر: ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾؛ فصغرت في عيني الشهوة.

٢٤) عندما أسمع أو أقرأ هاتين الآيتين: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ (الأنبياء: ٩٠)، و: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (الواقعة: ١٠ – ١٢)، أتساءل: كم سبَقَنا إلى الرحمن من سابق، وتعب في مجاهدته نفسه، لكنه الآن صار من المقربين! فأعود إلى نفسي وأحتقرها إذا تذكرت شديد تقصيرها، وأقول: يا ترى أين أنا؟!

٢٥) وقع بيني وبين زوجة أخي سوء تفاهم، وهي التي أخطأت في حقي، وبدأتُ أدعو ربي كيف أتصرف؟ فوصلتني من جوال تدبر رسالة عن قوله تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (المؤمنون: ٩٦) فملت بها، والآن أمورنا أحسن.

٢٦) هذه الآية: ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ (النور: ١٥) غيّرت حياتي.. فأصبحتُ عباداتي وشؤون حياتي اليومية – مع زوجي وابنائي ومع الصغير والكبير بل والقريب والبعيد – على أساس تعظيم شأن كل طاعة ومعروف وإحسان وبر، مهما صغر ولم يؤبه به، وكذا تعظيم المعصية أو الإثم والسيئة والأذى مهما قلل أو احتقر شانها الآخرين، فصرت أنصح وآمر وأنكر بها.

٢٧) كنت ممن أقوم ببعض المعاصي طاعة لزوجي مع أنها محرمة؛ تجنبًا لغضبه، حتى قرأت ذات مرة الآية: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور: ٦٣)؛ فارتجف قلبي، وارتعدت فرائصي، وبكيت خوفًا، وعاهدت الله ألا أعصيه ولو غضب زوجي.

٢٨) حفظت القرآن وعمري (١١ عامًا)، ثم ضيعت ما حفظت، ثم وقفت يومًا متدبرًا لهذه الآيـة: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ (الفرقان: ٣٠) فعقدت العزم مستعينًا بالله؛ فراجعت القرآن وأتقنته، وحصلت على إجازتين في الإقراء، وأصبحت إمام وخطيب جامع.

٢٩) كنت أصلي بالناس في صلاة التراويح، فلما قرأت في سورة العنكبوت قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت: ٥١) تأثرت كثيرًا، وبكيت بكاء وجدت له طعمًا ولذة، وطال وقوفي عندها، وأنا أتأمل كفاية القرآن، وما فيه من الرحمة والذكرى.

٣٠) لقد تأثرت بآية في كتاب الله، وكانت سبيلي للهداية وهي قوله: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦٩) فقد كنت أرددها في نفسي وأنا ذاهبة للكلية وخارجة منها، وفي أغلب أحوالين مع خوف واستشعار لهذه الآية، والحمد تغير حالي، واهتديت بفضل الله، وأصبحت حافظة لكتاب الله، نسأل الله الثبات.

٣١) كانت لي قصة مع هذه الآية: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦٩)، فقد كنت طالبة بالتحفيظ وتدبرتها، وأثرت على سلوكي، فجاهدت؛ حتى بَلَّغني ربي مستوى ومكانة عالية في قلوب الجميع، ولله الحمد.

٣٢) كنت معجبًا جدًا بالغرب وحضارته، وفي يوم من الأيام كانت جدتي معي في سيارتي، فأخذت أحدثها عن حضارة الغرب وتقدمهم، فتلت علي قوله تعالى من سورة الروم: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (الروم: ٧)؛ فايقنت أن لا شيء يعدل الإيمان.

٣٣) كنت كغيري أقرأ القرآن بسرعة وهذرمة، وكان همي آخر السورة! وكنت أقرأ في الساعة الواحدة ثلاثة أجزاء، فلما استمعت إلى كلمات أحد مشايخي عن التدبر، واثره في صلاح القلب، بدأت أدرّب نفسي على ذلك، فصرت – والله الشاهد – لا أجد لذة للقراءة إلا بالتدبر؛ حتى إني قد ابقى في الجزء الواحد نحو ثلاث ساعات، فأدركت شيئًا من معاني: ﴿ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ (ص: ٢٩).

٣٤) أنا طالب علم، وذات مرة توقَّفْت عند قوله تعالى: ﴿ أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر: ٩)، فبكيت كثيرًا على ضياع ليال كثيرة في هذه الليالي الشاتية الطويلة، وأنا لم أشرّف نفسي بالانتصاب قائمًا لربي ولو لدقائق، فكان هذا البكاء مفتاحًا لبداية أرجو أن لا تتوقف؛ حتى القى ربي.

٣٥) كلما أحاطني اليأس، وسكبت عيني أدمعي، وأقض الألم مضجعي، أتذكر هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر: ١٠) راجية ما عند ربي من ثواب، ست سنوات من المرض! ها أنا أحتسب آلامها وأوجاعها؛ بما هو عند الله من ثواب، مستشعرة هذه الآية العظيمة.

٣٦) آية تستوقفني كثيرًا: ﴿) أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (الزمر: ٢٤) يا له من مشهد فظيع من مشاهد المعذبين في جهنم! الأيدي مغلولة فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه! إنه مشهد يكفي لردع العاصي عن معصيته، لو تخيل أنه ربما يقع له.

٣٧) جلست مرة مع شباب ممن انغمسوا في قراءات فكرية منحرفة، وسمعتهم يستشهدون لأفكارهم بمقولات الفيلسوف الفلاني والمفكر الفلاني؛ ممن لم يشموا رائحة الوحي! – والابتسامة تعلو وجوههم! – فقلت لهم: هذه الأفكار موجودة في القرآن، ثم تلوت الآيات، فتمعرت وجوههم، فتذكرت عندها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (الزمر: ٤٥)! فكانت هذه من عوامل هدايتي الفكرية.

٣٨) أشهد أن ية غيرت حياتي..

كنت مولعًا بسماع الأغاني الغربية، وذات مرة وأنا أسير بسيارتي ثم اقفلت المسجل؛ فإذا بقارئ في إذاعة القرآن يقرأ: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر: ٥٣)، فشعرت أن الله سبحانه يدعوني إلى التوبة ومنذ ذلك الحين والأغاني من أبغض الأشياء إلى قلبي بفضل الله.

٣٩) لـي ابـن صـغير، عنـدما أعِدُه بشـيء ولا أنفذه، أو إذا شـعر أنـي أكـذب؛ يـذكرني: ﴿وَيَـوْمَ الْقِيَامَـةِ تَـرَى الَّـذِينَ كَـذَبُوا عَلَـى اللَّـهِ وُجُـوهُهُمْ مُسْـوَدَّةٌ أَلَـيْسَ فِي جَهَـنَّمَ مَثْـوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (الزمر: ٦٠) أتريدين هذا المصير؟!

فما أجل أن نجعل لأولادنا شعارات قرآنية نتحاكم إليها!

٤٠) ثلاث سنين قضيتها في العلاجات والأطباء والأعشاب؛ لأرزق بطفل، وفي يوم ما وبعد أن قاربت الوصول إلى اليأس، كنت أقرأ قوله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ (غافر: ٥٧)؛ فقلت: إذا كان خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، فهو قادر على أن يخلق جنينًا في رحمي، وما هي إلا أيام معدودات حتى حملت، وانعم الله علي بطفلتي الجميلة، فله الحمد والشكر.

٤١) كلما قرأت هذه الآية: ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (الشورى: ٧) أو سمعتها أو ذكرتها؛ أحس قلبي يتقطع، إذ لا أعلم من أي الفريقين سأكون؟ أسأل الله أن يجعلنا من الذين: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

٤٢) ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (الجاثيـة: ٢١) والله الـذي لا إلـه غيـره، لقد جربت الحالتين، فلمست الفرق الذي أثبتته هذه الآية؛ حين نَفَت التماثل بين حالة العاصي وحالة المؤمن.

٤٣) ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (الجاثية: ٢١) هذه الآية كانت درسًا لي، عندما قرأتها شعرت كأني المخاطبة.

أريد الجنة، واريد رؤية الله سبحانه! لكن أين العمل؟!

ومن لحظتها قررت الاجتهاد في العمل الصالح.

٤٤) في ظل التقلبات والاضطرابات العالمية والإقليمية، ما قرأت هذه الآية إلا اضافت إلـى نفسـي نوعًـا مـن الاطمئنـان، وهـي قـول الحـق تعـالى: ﴿ وَلِلَّـهِ جُنُـودُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الفتح: ٤).

٤٥) كنت أعاني من هم وضيق، فسمعت شرحًا لقصة موسى، ورأيت كيف أنه لمّا أحسن للفتاتين، وسقى لهما، ودعا ربه أتاه الفرج، وكانت عندنا مستخدمة بالمدرسة فقيرة؛ فأحسنت إليها، وطلبت من الله الإحسان؛ ففرج الله همي وشرح صدري، وصدق الله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (الرحمن: ٦٠).

٤٦) يقع مني ندم كثير على أشياء كثيرة وقعت في الماضي، فتأتي هذه الآية: ﴿ لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ (الحديد: ٢٣)؛ لتكون بلسمًا شافيًا لقلبي.

٤٧) كثيرًا ما أشعر بتأنيب لنفسي عند كسلي في القيام بما يجب من مثلي وأنا اقرأ قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف: ٢) فكنت إذا قلت قولاً، ثم تكاسلت في فعله أهذب نفسي بهذه الآية. فأفعل هذا الأمر من غير تكاسل، ولله الحمد.

٤٨) كنت على أحد الأرصفة مع زملائي، وصدري أضيق من سَمِّ الخياط! فأتى أحد الدعاة – لا أعرفه من قبل – فوعظنا وقرأ قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (الملك: ١٠) فتأملتها، ووقفت معها كثيرًا، وكانت سبب رجوعي إلى الله.

٤٩) ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ (الطارق: ٩) كل إنسان ستظهر سريرته وينكشف مخبؤه وسيظهر مستوره.. يا له من يوم.. حقًا لمّا تدبرت هذه الآية حركت مكامن الخوف عندي، رغم أني أحفظها وأرددها. وصرت أتقي الله في خلوتي وفيما أحفظه في سريرتي.

٥٠) تقول إحدى الأخوات: إن آية: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ (البلد: ٤) أعطتني يقينًا أن هذه الدنيا ممر امتحان وعبر، وهنيئًا لمن صبر، وحمد ربه وشكر، وإنه لا تكتمل فرحة فيها ولا بد من نكد إما من: زوج، أولاد، جار، مرض، فقر؛ فارتحت ورضيت بما قسم لي ربي من الابتلاءات؛ لأن غايتي رضى الله.

٥١) يقول أحد الإخوة: "كنت قبل رمضان مدمنًا على مشاهدة الأفلام، ومع رمضان تبت إلى الله تعالى، وكنت أجد لذة لتوبتي وأنا أستمع للقرآن في التراويح والقيام، وبعد رمضان كلَّما وجدت من نفسي ضعفًا، ألجأ للقرآن، فأجد لذة أعظم وأطول وأعمق من تلك التي أجدها في الأفلام".

٥٢) تجربتي هذا العام في رمضان كانت مختلفة عن كلِّ الأعوام السابقة، وذلك بفضل الله، ثم بفضل خدمة تدبر، التي جعلتني أقرأ كثيرًا من تفسير الآيات، فمن خلال قراءتي للتفسير شعرت بفرق رائع وأنا أتدبر معاني القرآن، واصبح كتاب التفسير مقارنًا لمصحفي.

٥٣) رمضان كان بدايتي الحقيقية مع التدبر، فبعد أن سمعت محاضرة لأحد المشايخ في إذاعة القرآن حول التدبر ركزت عليه، بحيث لا أنتقل من الآية حتى تؤثر في قلبي، فوجدت العجب العجاب، ووجدت حياة لقلبي، وتعلقًا بالله لم أجدها في حياتي (٣٧ سنة)، مع أنني مع الالتزام وطلب العلم منذ بضع عشرة سنة، فجعلت هذا ديدني في رمضان، فبدل أن كنت أقرأ في الساعة (٣ أجزاء)، صرت أقرأ الجزء في ساعة أو ساعتين.

لطائف القراءات[1]

١) قوله تعالى: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ في كلمة ﴿ مَالِكِ ﴾ قراءتان:

(مَالِك) بالألف، و(مَلِك) بدون ألف:

فلفظ (مَالِك) داخل تحت (مَلِك) كما قال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ﴾ (آل عمران: ٢٦)، وأما توجيه قراءة (مَلِك) أن الملِك أخص من المالك وأمدح؛ لأنه قد يكون المالك غير مَلِك، ولا يكون الملِك إلا مالِكًا.

ابن خالويه، الحجة في القراءات (٦٢)

٢) ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ (البقرة: ٣٦)، ففي كلمة: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ قراءتان:

الأولى: بإثبات الألف والتخفيف (فأَزَالَهُما) ومعناها: من الزوال والانتقال عن الجنة.

والثانية: بحذف الألف مع التشديد: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾، والمعنى: من الزَّلل والخطأ، ويحتمل أن يكون المعنى: من (زلَّ) عن المكان إذا تنحىن فتتحد القراءتان في المعنى.

ابن زنجلة، حجة القراءات (٩٤)

٣) ﴿ وَاتَّخِذُوا ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (البقرة: ١٢٥)، فيها قراءتان:

الأولى: (واتَّخِذُوا) بكسر الخاء، أي: أمر باتخاذه مصلى.

الثانية: (واتَّخَذُوا) بفتح الخاء، والمعنى: أن هذا إخبار عن ولد إبراهيم عليه السلام أنهم اتخذوا من مقام أبيهم إبراهيم مصلى.

الطبري، جامع البيان (٥٢٢/٢ – ٥٢٤)

---

[1] قام بإعداد هذه الرسائل الشيخ: د. محمد بن عمر الجنايني، دكتوراه في القراءات القرآنية، مجاز بالقراءات العشر الكبرى والصغرى، ومدير ملتقى الرسائل الجامعية بملتقى أهل التفسير.

٤) كلمة: ﴿ كَبِيرٌ ﴾ في قوله تعالى عن الخمر والميسر: ﴿ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ (البقرة: ٢١٩)، فيها قراءتان:

١- (كبير) بالباء، أي: إثم عظيم.

٢- (كثير) بالثاء، والمعنى: أن الخمر تحدث مع شربها آثامًا كثيرة: وفي الوقت نفسه كبيرة، من قتل أو فحش وسب وعداوة وخيانة، أو تفريط في الفرائض أو غير ذلك.

فسبحان من رحم عباده بتحريمها. الطبري، جامع البيان (٦٧٨/٣)

٥) كلمة ﴿ يَطْهُرْنَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ (البقرة: ٢٢٢)، فيها قراءتان:

١- (يَطْهُرْنَ) بسكون الطاء وضم الهاء، والمعنى: انقطاع دم الحيض.

٢- (يَطَّهَّرْنَ) بتشديد الطاء والهاء، والمعنى: الاغتسال بعد انقطاع دم الحيض.

الطبري، جامع البيان (٧٣١/٣ – ٧٣٢)

وإذا ضممت القراءتين إلى بعضهما تبين أنه لا يجوز إتيان الزوجة إلا بعد اغتسالها، لا بمجرد انقطاع حيضها.

وفي هذا ما يدل بوضوح على عناية الإسلام بالنظافة التامة.

٦) قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ (البقرة: ٢٤٩)، ففي كلمة (غُرْفَةً) قراءتان:

١) (غُرْفَةً) بضم الغين.

٢) (غَرْفَةً) بفتح الغين.

وقد ذكر في معنى القراءتين أن ما كان باليد فهو (غَرْفَةً) بالفتح، وما كان بإناء فهو (غُرْفَةً) بالضم. ابن خالويه، الحجة في القراءات (٩٩)

٧) ﴿ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ (البقرة: ٢٥٩)، ففي (نُنشِزُهَا) قراءتان:

١- (نُنشِزُهَا) بالزاي، أي: نرفعها، من (النشز) وهو المرتفع من الأرض، والمعنى: وانظر إلى العظام كيف نرفعها من أماكنها من الأرض على جسم صاحبها ليحيى بعد موته.

٢- (نُنشِرُهَا) بالراء، من النشر وهو الإحياء، والمعنى: وانظر إلى عظام حمارك – التي ابيضت من مرور الزمان عليها – كيف نحييها! الطبري، جامع البيان (٦١٥/٤ – ٦١٧)

٨) في كلمة (فَصُرْهُنَّ) من قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ﴾ (البقرة: ٢٦٠)، قراءتان:

١- (فَصُرْهُنَّ) بضم الصاد، أي أمِلْهن واجمعهن، والعرب تقول: (صُر وجهك غلي) اي اقبل عليّ واجعل وجهك إليّ.

٢- (فَصِرْهُنَّ) بكسر الصاد، أي قطعهن وشققهن ومزقهن.

الطبري، جامع البيان (٦٣٤/٤ – ٦٣٦) (بتصرف

٩) قوله تعالى: ﴿ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، ففي كلمة: (وكُتُبِهِ) فيها قراءتان:

١- (وكُتُبِهِ) جمع كتاب، وهي مناسبة للجمع قبلها وبعدها في (ملائكته) و(رسله).

٢- (وكِتَابِه) ولهذه القراءة وجهان:

الأول: أن الكتاب هنا المراد به القرآن.

الثاني: أن المراد به جميع الكتب؛ لأن (كتاب) مفرد فإذا أضيف صار عامًا.

الطبري، جامع البيان (١٤٨/٥) (بتصرف)

١٠) قال تعالى عن ام مريم: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ (آل عمران: ٣٦)

ففي كلمة ﴿ وَضَعَتْ ﴾ قراءتان:

١- (وضَعَتْ) بفتح العين وسكون التاء، من إخبار الله تعالى عن أم مريم، والتاء فيها للتأنيث.

٢- (وضَعْتُ) بسكون العين وضم التاء، حكاية عن أم مريم ما أخبرت به عن نفسها، ويؤيد هذه القراءة أنها قالت: ﴿ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾ (آل عمران: ٣٦)، كأنها أخبرت الله بأمر هو أعلم به منها، فتداركت ذلك بقوله: (والله أعلم بما وضعتُ).

ابن خالويه، الحجة في القراءات (١٠٨)

١١) ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٩)، ففي كلمة: ﴿ تُعَلِّمُونَ ﴾ قراءتان:

١- (تُعَلِّمون) بضم التاء، وفتح العين، وكسر اللام المشددة، من التعليم، وهذه القراءة أبلغ في المدح؛ لأن المعلم لا يكون معلمًا حتى يكون عالمًا بما يعلمه للناس.

٢- (تَعْلَمُون) بفتح التاء وإسكان العين وفتح اللام، أي: بعلمكم الكتاب، وهي مناسبة لقوله: (تدرسون).

ابن خالويه، الحجة في القراءات (١٢٢) (بتصرف)

١٢) في كلمة ﴿ قَرْحٌ ﴾ من قوله تعالى: ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ (آل عمران: ١٤٠)، قراءتان:

١- (قَرْح) بفتح القاف.

٢- (قُرْح) بضم القاف.

قال الفراء: كأن (القُرح) بالضم، ألم الجراحات، وكأن (القَرح) بالفتح، الجراح نفسها.

معاني القرآن (٢٣٤/١)

١٣) في كلمة (قَاتَل) من قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١٤٦)، قراءتان:

١- (قاتل) بفتح القاف وألف بعدها، وهي أبلغ في المدح من القراءة الأخرى؛ لأنها تشمل المقاتل والمقتول، كما قال تعالى: (وقاتلوا وقتلوا).

٢- (قُتِلَ) بضم القاف وكسر التاء، أي وكم من نبي قتل قبل محمد ﷺ ومعه ربيون كثير فما وهنوا لقتل نبيهم وما ضعفوا، وفيها عتاب لمن أدبر عن القتال يوم أحد حين أشيع قتله ﷺ.

ابن زنجلة، حجة القراءات (١٧٥)

١٤) ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ﴾ (آل عمران: ١٩٥)، من القراءات المتواترة في هذه الآية:

١- ﴿ وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ﴾ أي أنهم قاتلوا وهم أحياء ثم قتلوا.

٢- (وقُتِلُوا وقَاتَلُوا) فإن قيل: كيف يقَاتلون وقد قُتلوا؟

فالجواب: أن المعنى قُتِلَ بعضهم، وبقى الآخرون يُقَاتِلُون، وفي هذا إشارة – والله أعلم – إلى أنه لما كان مقصدهم واحدًا عُبر عن قتل بعضهم بقتل جميعهم.

ابن زنجلة، حجة القراءات (١٨٧) (بتصرف)

١٥) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾ الآية النساء: ٩٤، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ في قوله: ﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ قراءتان:

١- (فَتبيَّنُوا) من البيان، أي: استوضحوا.

٢- (فَتثَبَّتُوا) من التثبت، أي: فتأنوا حتى تتيقنوا صحة الخبر.

ابن خالويه، الحجة في القراءات (١٢٦)

هذا أمر بالتثبت في الجهاد والتعامل، فكم جنى التعجل على أهله من آفات! وكم ستضيق دائرة الشحناء والقطيعة لو امتثلنا هذا الأمر.

١٦) قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ (المائدة: ١٣)

قرئت ﴿قَاسِيَةً﴾ على وجهين:

١- (قاسِيَة) من قست تقسو، إذا كانت يابسة صلبة لا تعي الخير ولا تفعله، كقوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الزمر: ٢٢).

٢- (قَسِيَّة) بدون ألف وبتشديد الياء، ومعناها: فاسدة عاتية لا خير فيها.. والمعنيان كلاهما خطير على القلب.

نعوذ بالله من فساد القلوب وقسوتها.

١٧) ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ (الأنعام: ٥٧) قرئت (يقُصُّ):

١- (يَقُصُّ الحق) بضم القاف والصاد، من القصص؛ لأن جميع ما أنبأ به فهو من أقاصيص الحق.

١- (يَقْضِ الحق) بالضاد من القضاء، والمعنى: يقضي القضاء الحق، أو: يقضي بالحق، ويؤيد هذه القراءة قوله في آخر الآية: (وهو خير الفاصلين)؛ لأن الفصل إنما يكون في القضاء.

ابن زنجلة، حجة القراءات (٢٥٤)

١٨) ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (الأنعام: ١١٩)، ففي (يضلون) قراءتان:

١- (يُضلّون) بضم الياء: أي مضلون لغيرهم.

٢- (يَضلّون) بفتح الياء: أي ضالون في أنفسهم.

الطبري، جامع البيان (٩/٥١٥)

وفي كلا القراءتين تنبيه على خطر الهوى!

وإن كان الإضلال أكثر خطرًا؛ لأن المضل يتحمل إثمه وإثم من أضله.

والضال في نفسه قد يضل غيره من حيث لا يشعر، حيث يكون ممن يُقتدى به في ضلاله.

١٩) قوله تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (الأنعام: ٩٢)، في قوله (ولتنذر) قراءتان:

١- (وَلِتُنذِر) بالتاء، أي لتنذر أنت يا محمد أهل مكة، ويدل على هذه القراءة قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ ﴾ (النازعات: ٤٥).

٢- (ولِيُنذِر) بالياء، أي لينذر الكتاب أهل مكة، ويدل على هذه القراءة قوله في أول الآية: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ (الأنعام: ٩٢). ابن خالويه، الحجة في القراءات (١٤٥)

٢٠) قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: ١٥٩) كلمة (فرقوا) فيها قراءتان:

١- (فَرَّقُوا) من التفريق، أي جعلوه فرقًا، ويدل على هذه القراءة قوله: (وكانوا شيعً).

٢- (فَارَقُوا) من المفارقة، أي تركوه وانصرفوا عنه.

والمعنيان متقاربان؛ لأنهم إذا فرَّقوا الدين فقد فارَقُوه.

ابن خالويه، الحجة في القراءات (١٥٢)

٢١) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠١)، ففي (طائف) قراءتان:

١- (طَائِف) بالالف: الذي يمشي حول المكان ينتظر الإذن له، وأطلق هنا على الخاطر الذي يخطر في النفس ويبعث على فعل المنهي عنه، شبه ذلك الخاطر في مبدأ جولانه في النفس بحلول الطائف قبل أن يستقر.

٢- (طَيْف) بالياء، ومعناه: ما يتخيل في القلب، أو يرى في النوم مما يوسوسه الشيطان للإنسان. ابن زنجلة، حجة القراءات (٣٠٥)

٢٢) في جملة (أولا يرون) من قوله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ﴾ (التوبة: ١٢٦)، قراءتان:

١- (أولا يَرون) بالياء، أي أو لا يرى المنافقون أنهم يفتنون، أي يمتحنون بالمرض وغيره في كل عام مرة أو مرتين.

٢- (أولا تَرون) بالتاء، أي أنتم معشر المؤمنين أنهم يفتنون، يعني المنافقين.

ابن زنجلة، حجة القراءات (٣٢٦)

٢٣) قال تعالى عن يوم القيامة: ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ (يونس: ٣٠)، في (تبلو) قراءتان:

١- (تَبْلُو) من البلاء، أي: الاختبار والمعنى: "ستلاقي كل نفس جزاء ما أسلفت من خير أو شر".

٢- (تَتْلُو) بتاءين، أي: تقرأ ما أسلفت، وقيل: تتبع كل نفس ما أسلفت.

الطبري، جامع البيان (١٢/١٧٣)

ومع اختلاف المعنيين إلا أن مؤداهما واحد، فماذا أعددت – رحمك الله – ليوم العرض على الله؟

٢٤) ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ (يونس: ٢٢)، ففي قوله: ﴿ يُسَيِّرُكُمْ ﴾ قراءتان:

١- يُسَيِّركم) من التسيير، أي: يجعلكم تسيرون فيهما.

٢- (يَنشُركم) بفتح الياء وسكون النون وضم الشين، من النشر بمعنى: التفريق، أي: يفرقكم في البر والبحر.

الأزهري، معاني القراءات (٤١/٢)

فهنيئًا لمن مشى في مناكب الارض، أو ركب البحار متذكرًا فضل الله عليه بتيسير التنقل، وجعله فرصة لمزيد من شكر النعم.

٢٥) اثنى الله تعالى على نبيه يوسف بقوله: ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (يوسف: ٢٤)، وقد قرئت بفتح اللام: (المخلَصِين) وكسرها: (المخْلِصِين)، فمن فتحها فمعناه: الذين أخلَصَهم الله لعبادته وكرامته، ومن كسرها فمعناه: الذين أخلَصُوا أنفسهم ودينهم لله.

قال ابن جرير: وذلك أن من اخلَصه الله لنفسه فاختاره، فهو مخلِص توحيده لله، ومن أخلَص توحيده، فهو ممن أخلَصه الله.

الطبري، جامع البيان، (٥٠/١٦)

٢٦) في كلمة (آيات) من قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾ (يوسف: ٧)، كلمة (آيات) فيها قراءتان:

١- (آيَات) على الجمع، وهي تدل على كثرتها وتنوعها، ففيها بيات للسائلين في شتى المجالات الإيمانية، والعقدية، والسياسية، والتربوية، والاقتصادية، والاجتماعية.

٢- (آيَة) أي عبرة، فجعل أمر يوسف كله عبرة وآية.

ابن زجلة، الحجة في القراءات (١٩٣) (بتصرف)

٢٧) ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾ (الحجر: ١٤ – ١٥)، في كلمة: ﴿ سُكِّرَتْ ﴾ قراءتان:

١- (سُكِّرت) بتشديد الكاف، أي: سُدَّت وغُطّيت.

٢- (سُكِرَت) بتخفيف الكاف: أي سُحِرَت وحُبست، فكأن المعنى: لا ينفذ نورها ولا تدرك الأشياء على حقيقتها فكأنها حبست. ابن زنجلة، حجة القراءات (٣٨٢).

فانظر إلى أثر إصرارهم على التعامي عن الحق والتمادي في الغي والضلال!

٢٨) في كلمة (زكية) من قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ الكهف: ٧٤، قراءتان:

١- (زكيّة) بغير ألف، قيل في معناها: اذنبت ثم تابت.

٢- (زَاكِية) بالألف، وهي التي لم تذنب قط. ابن زنجلة، حجة القراءات (٤٢٤)

٢٩) في كلمة (لأَهَبَ) من قوله تعالى في قصة مريم: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ (مريم: ١٩)، قراءتان:

١- (لأَهَبَ) بالهمزة، على الحكاية، والمعنى: أنني رسول من عند الله أرسلني لأهب لك، فالفعل لله سبحانه، وجبريل يحكي عن الله.

٢- (لِيَهَبَ) بالياء، أي ليهب الله لك، ولم يكن جبريل الذي يهب بل الله يهب، والمعنى: أرسلني الله ليَهَبَ لك. ابن زنجلة، حجة القراءات (٤٤٠)

٣٠) ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴾ (الشعراء: ١٤٩)، ففي كلمة: (فارهين) قراءتان:

١- (فَارِهِين)، والفاره: الحاذق بالشيء، أي: حاذقون بنحتها.

٢- (فَرِهِين) أي يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشرًا وبطرًا، من غير حاجة لسكناها. الطبري، جامع البيان (٦٢١/١٧)

فكأن قراءة (فَرِهين) ثمرة لقراءة (فَارِهِين) كعادة كثير من المجتمعات التي تصاب بالبطر والاستعلاء بعد التمكن المادي.

٣١) ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ (الصافات: ١٢) قرئت:

١- (عَجِبتَ) بفتح التاء، معناها: بل عجبتَ يا محمد من جهلهم وتكذيبهم وهم يسخرون منك.

٢- (عَجِبتُ) بضم التاء، فيها إثبات صفة العَجَب – بفتح العين والجيم – لله تعالى على ما يليق به سبحانه، يقول الشنقيطي: "فهي إذًا من آيات الصفات على هذه القراءة".

أضواء البيان (٣٠٨/٦)

٣٢) في كلمة (عباد) من قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا ﴾ (الزخرف: ١٩)، قراءتان:

١- (عِباد) جمع عبد، وفي هذه القراءة تكذيب على من زعم ان الملائكة بنات الله.

٢- (عِند) ظرف مكان، وفيه دلالة على رفع منزلتهم وقربهم.

ابن زنجلة، حجة القراءات (٦٤٧)

فأفادتنا القراءتان: إثبات عبوديتهم، وعظيم منزلتهم.

٣٣) ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ (التكوير: ٢٤)، في كلمة (ضنين) قراءتان متواترتان:

١- (بضنين) بالضاد، معناه: البخيل، أي: لا يبخل بما آتاه الله من العلم والقرآن، ولكن يرشد ويعلم.

٢- (بظنين) بالظاء، معناه، المتهم، اي: ما هو على الغيب بمتهم، بل هو الثقة فيما يخبر عن الله تعالى.

ابن زنجلة، حجة القراءات (٧٥٢)

قائمة المصادر والمراجع

١) إتحاف أهل الإيمان بدروس شهر رمضان، د. صالح الفوزان، دار المسلم (الرياض)، ط٢ (١٤١٤هـ).

٢) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، اعتنى به: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٣٩٤هـ).

٣) ثار ابن باديس، عبد الحميد محمد باديس الصنهاجي، اعتنى به: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط١ (١٣٨٨هـ).

٤) آثار محمد البشير الإبراهيمي، اعتنى به: د. أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي (تونس)، ط١ (١٩٩٧م).

٥) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: عواد عبد الله المعتق، مطابع الفرزدق (الرياض)، ط١ (١٤٠٨هـ).

٦) أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، اعتنى به: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط٣ (١٤٢٤هـ).

٧) أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص، اعتنى به: محمد صادق القمحاوي، دار شاكر، دار الآفاق الجديدة (بيروت).

٩) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة (بيروت).

١٠) أخبار لحفظ القرآن الكريم، أبو القاسم ابن عساكر علي بن الحسن، اعتنى به: خير الله الشريف، دار الفوائد (دمشق)، ط١ (١٩٩٦م).

١١) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، أبو الفرج عبد الرحمن بن احمد بن رجب، اعتنى به: جسم الفهيد الدوسري، مكتبة دار الأقصى (الكويت)، ط١ (١٤٠٦هـ).

١٢) الإخلاص والنية، ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد، اعتنى به: إياد خالد الطباع، دار البشائر ط١ (١٤١٣هـ).

١٣) أخلاق العلماء، أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، اعتنى به: الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، رئاسة إدارة البحوث العلمية والغفتاء والدعوة والإرشاد (الرياض).

١٤) أخلاق أهل القرآن، أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، اعتنى به: المكتب السلفي لتحقيق التراب، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط٣ (١٤٢٤هـ).

١٥) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الآفاق الجديدة (بيروت)، ط٢ (١٣٩٩هـ).

١٦) الإخوان، أبو بكر ابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد، اعتنى به: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤٠٩هـ).

١٧) آداب الحسن البصري، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، اعتنى به: سليمان الحرش، دار الصديق (بيروت)، ط١ (١٤٢٦هـ).

١٨) الآداب الشرعية والمنح المرعية، أبو عبد الله محمد بن مفلح بن محمد شمس الدين المقدسي، دار عالم الكتب (بيروت).

١٩) الأدب الصغير والأدب الكبير، عبد الله بن المقفع، دار صادر (بيروت).

٢٠) الأذكار، ابو زكريا يحيى بن شرف النووي، اعتنى به: عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر (بيروت)، (١٤١٤هـ).

٢١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي (بيروت).

٢٢) الاستقامة، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، اعتنى به: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١ (١٤٠٣هـ).

٢٣) أسرار التكرار في القرآن (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان)، أبو القاسم برهان الدين الكرماني محمود بن حمزة بن نصر، اعتنى به: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة.

٢٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الجكني الشنقيطي، دار الفكر (بيروت)، (١٤١٥هـ).

٢٥) الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى (مصر).

٢٦) إعجاز القرآن، ابو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، اعتنى به: أحمد صقر، دار المعارف (مصر)، ط٥ (١٩٩٧م).
٢٧) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤١١هـ).
٢٨) إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: محمد عفيفي، المكتب الإسلامي (بيروت) ومكتبة فرقد الخاني (الرياض)، ط٢ (١٤٠٨هـ).
٢٩) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف (الرياض).
٣٠) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، اعتنى به: ناصر بن عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب (بيروت)، ط٧ (١٤١٩هـ).
٣١) اقتضاء العلم العمل، الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي، اعتنى به: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي (بيروت)، ط٤ (١٣٩٧هـ).
٣٢) الإكليل في استنباط التنزيل، عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين السيوطي، اعتنى به: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية (بيروت)، (١٤٠١هـ).
٣٣) آل حم: غافر – فصلت (دراسة في أسرار البيان)، أ.د. محمد أبو موسى، مكتبة وهبة (القاهرة)، ط١ (١٤٣٠هـ).
٣٤) الأم، أبو عبد الله محمد – بن إدريس الشافعي، دار المعرفة (بيروت)، (١٤١٠هـ).
٣٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، اعتنى به: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط١ (١٤١٨هـ).
٣٦) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم (المدينة النبوية)، ط٥ (١٤٢٤هـ).
٣٧) أيها الولد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، اعتنى به: علي محيي الدين علي القره داغي، دار البشائر الإسلامية (بيروت)، ط١ (١٤٣١هـ).
٣٨) بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، اعتنى به: د. الإسلامية (بيروت)، ط٤ (١٤٣١هـ).
٣٩) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة الفاسي، اعتنى به: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي (القاهرة)، (١٤١٩هـ).

٤٠) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، اعتنى به: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١ (١٤٠٨هـ).
٤١) بدائع التفسير (الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية)، اعتنى به: يسري السيد محمد وصالح أحمد الشامي، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية – الدمام)، ط٢ (١٤٣١هـ).
٤٢) بدائع الفوائد، ابم قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار الكتاب العربي (بيروت).
٤٣) البدهيات في القرآن الكريم، أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، الجامعة الإسلامية (المدينة المنورة)، السنة ٢٧ العددان ١٠٣ و١٠٤ – ١٤١٦ / ١٤١٧هـ.
٤٤) برد الأكباد عند فقد الأولاد، ابن ناصر الدين محمد بن عبد الله، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١ (١٤١٨هـ).
٤٥) البرهان في تناسب سور القرآن، ابن الزبير الغرناطي، اعتنى به: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (المغرب)، (١٤١٠هـ).
٤٦) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بد الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، اعتنى به: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، (١٣٧٦هـ).
٤٧) بستان الواعظين ورياض السامعين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، اعتنى به: أيمن البحيري، مؤسسة الكتب الثقافية (بيروت)، ط٢ (١٤١٩هـ).
٤٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادي، اعتنى به: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي (القاهرة)، (١٤١٦هـ).
٤٩) بلاغ الرسالة القرآنية (من أجل إبصارٍ لآيات الطريق)، د. فريد الأنصاري، دار السلام (القاهرة)، ط١ (١٤٣٠هـ).
٥٠) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الهلال (بيروت)، (١٤٢٣هـ).
٥١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، اعتنى به: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط٢ (١٤١٣هـ).
٥٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي، اعتنى به: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي (بيروت)، ط١ (١٤٢٢هـ).
٥٣) تاريخ دمشق، ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن، اعتنى به: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر (بيروت)، ط١ (١٤١٩هـ).
٥٤) تاريخ قضاة الأندلس (المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، أبو الحين علي بن عبد الله الأندلسي، اعتنى به: لجنة إحياء التراث العربي في دار النفاق الجديدة (بيروت)، ط٥ (١٤٠٣هـ).

٥٥) تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، اعتنى به: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت).

٥٦) التبرج وخطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله، عبد العزيز بن باز، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية)، ط١ (١٤٢٣هـ).

٥٧) التبصرة، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤٠٦هـ).

٥٨) التبيان في آداب حملة القرآن، ابو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، الوكالة العامة للتوزيع (دمشق)، ط١ (١٤٠٣هـ).

٥٩) التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: محمد حامد الفقي، دار المعرفة (بيروت).

٦٠) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر (تونس)، (١٩٨٤م).

٦١) تحفة الحبيب على شرح الخطيب (حاشية البجيرمي علي الخطيب)، سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَميّ، دار الفكر، (١٤١٥هـ).

٦٢) تحفة المودود بأحكام المولود، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان (دمشق)، ط١ (١٣٩١هـ).

٦٣) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، اعتنى به: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد (الطائف) ودار البيان (دمشق)، ط٢ (١٤٠٩هـ).

٦٤) التذكار في أفضل الأذكار، شمس الدين القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤٠٦هـ).

٦٥) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العلم والمتعلم، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، اعتنى به: محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر (بيروت)، ط٣ (١٤٣٣هـ).

٦٦) تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان، إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن، مكتبة الرشد (الرياض)، ط١ (١٤٢٨هـ).

٦٧) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرية، شمس الدين القرطبي أبو عبد الله بن أحمد، اعتنى به: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، دار المنهاج (الرياض)، ط١ (١٤٢٥هـ).

٦٨) تراث أبي الحسن الْحَرَالِّي المراكشي في التفسير، الحرالي أبو الحسن علي بن أحمد، اعتنى به: محمادي بن عبد السلام الخياطي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي (الرباط)، ط١ (١٤١٨هـ).

٦٩) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، اعتنى به: د. عبد الله الخالدين شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم (بيروت)، ط١ (١٤١٦هـ).
٧٠) تصنيف الناس بين الظن واليقين، د. بكر بن عبد الله أبوزيد، دار العاصمة (الرياض).
٧١) التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، دار عمَّار (عمَّان)، ط٩ (١٤٣٥هـ).
٧٢) تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم)، ابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد، اعتنى به: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز (المملكة العربية السعودية)، ط٣ (١٤١٩هـ).
٧٣) تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، اعتنى به: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤١٦هـ).
٧٤) تفسير ابن رجب الحنبلي (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، اعتنى به: طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة (الرياض)، ط١ (١٤٢٢هـ).
٧٥) تفسير ابن عرفة، أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عرفة، اعتنى به: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية (تونس)، ط١ (١٩٨٦م).
٧٦) تفسير ىل عمران، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية – الدمام)، ط٣ (١٤٣٥هـ).
٧٧) تفسير الإمام الشافعي، اعتنى به: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان، دار التدمرية (المملكة العربية السعودية)، ط١ (١٤٢٧هـ).
٧٨) تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، اعتنى به: د. محمد عبد العزيز بسيوني وآخرون، ((ج١ : كلية الآداب – جامعة طنطا)، (ج٢ – ٣ : دار الوطن (الرياض))، (ج ٤ – ٥ : جامعة أم القرى (مكة المكرمة))).
٧٩) تفسير السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، اعتنى به: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن (الرياض)، ط١ (١٤١٨هـ).
٨٠) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوين مطابع أخبار اليوم، (١٩٩٧م).
٨١) تفسير سورة الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية – الدمام)، ط١ (١٤٢٣هـ).
٨٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٠م).
٨٣) تفسير القرآن العظيم (تفسير السخاوي)، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي، اعتنى به: موسى علي موسى مسعود ود. أشرف محمد عبد الله القصاص، دار النشر للجامعات

(القاهرة)، ط١ (١٤٣٠هـ).

٨٤) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، اعتنى به: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة (الرياض)، ط٢ (١٤٢٠هـ).

٨٥) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، اعتنى به: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤١٩هـ).

٨٦) تفسير القرآن الكريم : (الحجرات، ق، الذاريات، الطور، النجم، القمر، الرحمن، الواقعة، الحديد)، محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا (الرياض)، ط١ (١٤٢٥هـ).

٨٧) التفسير القيم (تفسير ابن القيم للقرآن الكريم)، اعتنى به: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال (بيروت)، ط١ (١٤١٠هـ).

٨٨) تفسير الكواشي (تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر)، موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف الكواشي، الجامعة الإسلامية (المدينة النبوية).

٨٩) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١ (١٣٦٥هـ).

٩٠) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن النسفي، اعتنى به: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب (بيروت)، ط١ (١٤١٩هـ).

٩١) تفسير آيات من القرآن الكريم (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس)، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، اعتنى به: د. محمد بلتاجي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض).

٩٢) تفسير جزء عم، محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا (الرياض)، ط٢ (١٤٢٣هـ).

٩٣) تفسير سورة الصافات، محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا (الرياض)، ط١ (١٤٢٤هـ).

٩٤) تفسير سورة النساء، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية – الدمام)، ط٢ (١٤٣٣هـ).

٩٥) تفسير سورة ص، محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا (الرياض)، ط١ (١٤٢٥هـ).

٩٦) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية (الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير)، اعتنى به: إياد بن عبد اللطيف القيسي، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية – الدمام)، ط١ (١٤٣٢هـ).

٩٧) تفسير عبد الرزاق الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، اعتنى به: د. محمود محمد

عبده، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤١٩هـ).
٩٨) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، اعتنى به: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث (بيروت)، ط١ (١٤٢٣هـ).
٩٩) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، اعتنى به: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية (المغرب)، (١٣٨٧هـ).
١٠٠) تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، اعتنى به: محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية.
١٠١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي، اعتنى به: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط١ (١٤٠٠هـ).
١٠٢) التواصل الأسري ٠كيف نحمي أسرنا من التفكك)، أ.د. عبد الكريم بكار، دار وجوه (الرياض)، ط٣ (١٤٣٢هـ).
١٠٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنام، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط١ (١٤٢٠هـ).
١٠٤) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية – السعودية)، ط١ (١٤٢٢هـ).
١٠٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير ابن جرير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، اعتنى به: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ود. عبد السند حسن يمامة، دار هجر، ط١ (١٤٢٢هـ).
١٠٦) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، اعتنى به: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط٧ (١٤٢٢هـ).
١٠٧) جامع المسائل لابن تيمية، اعتنى به: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبوزيد، دار عالم الفوائد، ط١ (١٤٢٢هـ).
١٠٨) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، اعتنى به: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية – الدمام)، ط١ (١٤١٤هـ).
١٠٩) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، شمس الدين القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، اعتنى به: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية (القاهرة)، ط٢ (١٣٨٤هـ).
١١٠) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي، اعتنى به: د.

محمود الطحان، مكتبة المعارف (الرياض)، (١٤٠٣هـ).

١١١) جدد حياتك، محمد الغزالي السقا، دار نهضة مصر، ط١.

١١٢) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة (الكويت)، ط٢ (١٤٠٧هـ).

١١٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، اعتنى به: علي بن حسن وعبد العزيز بن إبراهيم وحمدان بن محمد، دار العاصمة (الرياض)، ط٢ (١٤١٩هـ).

١١٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار المعرفة (المغرب)، ط١ ١٤١٨هـ).

١١٥) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، أبوزيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، اعتنى به: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط١ (١٤١٨هـ).

١١٦) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، دار المدني (القاهرة).

١١٧) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي)، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، دار صادر (بيروت).

١١٨) حديث القرآن عن القرآن، محمد بن عبد الرحمن الراوي، مكتبة العبيكان (الرياض)، ط١ (١٤١٥هـ).

١١٩) الحديقة، محب الدين الخطيب، اعتنى به: سليمان بن صالح الخراشي، دار العاصمة (الرياض) والمكتبة السلفية (القاهرة)، ط٢ (١٤٣٢هـ).

١٢٠) حراسة الفضيلة، د. بكر بن عبد الله أبوزيد، دار العاصمة (الرياض)، ط١١ (١٤٢٦هـ).

١٢١) حسن الظن بالله، ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد، اعتنى به: مخلص محمد، دار طيبة (الرياض)، ط١ (١٤٠٨هـ).

١٢٢) الحسنة والسيئة، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دار الكتب العلمية (بيروت).

١٢٣) الحلم، ابن أبي الدنيا، اعتنى به: محمد عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية (بيروت)، ط١ (١٤١٣هـ).

١٢٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، دار الفكر (بيروت)، (١٤١٦هـ).

١٢٥) خلق المسلم، محمد الغزالي السقا، دار نهضة مصر، ط١.

١٢٦) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر
(بيروت)، (١٩٩٣م).

١٢٧) درء تعارض العقل والنقل، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، اعتنى به: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢ (١٤١١هـ).

١٢٨) درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، اعتنى به: د. محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى (مكة المكرمة)، ط١ (١٤٢٢هـ).

١٢٩) دستور الأخلاق في القرآن الكريم، د. محمد بن عبد الله دراز، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ١٠ (١٤١٨هـ).

١٣٠) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، جيلان بن خضر العروسي، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية (المدينة النبوية)، (١٤١٠هـ).

١٣١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين الجكني الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية (القاهرة)، ط١ (١٤١٧هـ).

١٣٢) دقائق التفسير (الجامع لتفسير ابن تيمية)، اعتنى به: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن (دمشق)، ط٢ (١٤٠٤هـ).

١٣٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان البكري، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة (بيروت)، ط٤ (١٤٢٥هـ).

١٣٤) الدِّين، د. محمد بن عبد الله دراز، دار القلم (الكويت).

١٣٥) ذم الهوى، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، اعتنى به: مصطفى عبد الواحد.

١٣٦) ذيل طبقات الحنابلة، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، اعتنى به: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان (الرياض)، ط١ (١٤٢٥هـ).

١٣٧) الرحلة في طلب الحديث، الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي، اعتنى به: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٣٩٥هـ).

١٣٨) الرد على المنطقيين، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دار المعرفة (بيروت).

١٣٩) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: عبد الله بن محمد المديفر، مطابع الشرق الأوسط (الرياض)، ط١ (١٤٢٠هـ).

١٤٠) الرسالة التبوكية (زاد المهاجر إلى ربه)، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني (جدة).

١٤١) رسالة الحجاب (مطبوع مع رسالة في الدماء الطبيعية للنساء)، محمد بن صالح العثيمين.

١٤٢) رسالة في الدماء الطبيعية للنساء، محمد بن صالح العثيمين، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف

والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية)، ط١ (١٤٢١هـ).

١٤٣) رسائل ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، اعتنى به: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت)، ط١ (١٩٨٣م).

١٤٤) الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء السادس)، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، اعتنى به: صالح بن فوزان الفوزان ومحمد بن صالح العيلقي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض).

١٤٥) الرضا عن الله بقضائه، ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد، اعتنى به: ضياء الحسن السلفي، الدار السلفية (الهند – بومباي)، ط١ (١٤١٠هـ).

١٤٦) الرقة والبكاء، ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد، اعتنى به: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم (بيروت)، ط٣ (١٤١٩هـ).

١٤٧) ركائز الإيمان بين العقل والقلب، محمد الغزالي السقا، دار نهضة مصر، ط١.

١٤٨) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني، اعتنى به: أ.د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي (مكة المكرمة٩، ط١ (١٤٢٩هـ).

١٤٩) روائع إقبال، أبو الحسن علي الحسني الندوي، دار الفكر (دمشق)، ط١ (١٣٧٩هـ).

١٥٠) روائع الطنطاوي، علي بن مصطفى الطنطاوي، اعتنى به: إبراهيم مضواح الألمعي، دار المنارة (المملكة العربية السعودية – جدة٩، ط١ (١٤٢١هـ).

١٥١) روح البيان في تفسير القرآن، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، دار الفكر (بيروت).

١٥٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، اعتنى به: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية (بيروت)ن ط١ ١٤١٥٠هـ).

١٥٣) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، اعتنى به: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط١ (١٤٢١هـ.

١٥٤) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار الكتب العلمية (بيروت)، (١٤٠٣هـ).

١٥٥) زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، اعتنى به: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط١ (١٤٢٢هـ).

١٥٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، مؤسسة الرسالة (بيروت) ومكتبة المنار الإسلامية (الكويت)، ط ٢٧ (١٤٢٥هـ).

١٥٧) الزهد والرقائق، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك، اعتنى به: حبيب الرحمن الأعظمي، دار

الكتب العلمية (بيروت).

١٥٨) الزهد والورع والعبادة، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، اعتنى به: حماد سلامة ومحمد عويضة، مكتبة المنار (الأردن)، ط١ (١٤٠٧هـ).

١٥٩) الزهد، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، اعتنى به: ياسر بن إبراهيم بن محمد وغنيم بن عباس بن غنيم، دار المشكاة (مصر – حلوان)، ط١ (١٤١٤هـ).

١٦٠) الزهد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، اعتنى به: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤٢٠هـ).

١٦١) زهرة التفاسير، أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى، دار الفكر العربي.

١٦٢) سر تأخر العرب والمسلمين، محمد الغزالي السقا، دار نهضة مصر، ط١.

١٦٣) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، مطبعة بولاق – الأميرية – (القاهرة)، (١٢٨٥هـ).

١٦٤) السنة، أبو بكر أحمد بن محمد الخلال، اعتنى به: عطية بن عتيق الزهراني، دار الراية (الرياض)، ط٢ (١٩٩٤م).

١٦٥) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، اعتنى به: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط٣ (١٤٠٥هـ).

١٦٦) شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، اعتنى به: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي (دمشق)، ط٢ (١٤٠٣هـ).

١٦٧) شرح العقيدة السفارينية، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن (الرياض)، ط١ (١٤٢٦هـ).

١٦٨) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، اعتنى به: شعيب الأرناؤوط ود. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ١٠ (١٤١٧هـ).

١٦٩) الشرح الممتع على زاد المستنقع، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية – الدمام)، ط١ (١٤٢٢هـ).

١٧٠) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن (الرياض)، (١٤٢٦هـ).

١٧١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، اعتنى به: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد (الرياض)، ط٢ (١٤٢٣هـ).

١٧٢) شرح عمدة الأحكام، عبد الرحمن السعدي، اعتنى به: أنس بن عبد الرحمن بن عبد الله العقيل، دار النوادر (دمشق)، ط١ (١٤٣٠هـ).

١٧٣) شرح مقدمة التفسير لابن تيمية، محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به: أ.د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، دار الوطن (الرياض)، ط١ (١٤١٥هـ).

١٧٤) شرح منظومة الآداب الشرعية، موسى بن أحمد الحجازي، اعتنى به: نور الدين طالب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية).

١٧٥) شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين بن علي، اعتنى به: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد (الرياض) والدار السلفية (الهند – بومباي)، ط١ (١٤٢٣هـ).

١٧٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، دار الفيحاء (عمَّان)، ط٢ (١٤٠٧هـ).

١٧٧) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار المعرفة (بيروت)، (١٣٩٨هـ).

١٧٨) الشكر، ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد، اعتنى به: بدر البدر، المكتب الإسلامي (الكويت)، ط٣ (١٤٠٠هـ).

١٧٩) الصارم المسلول، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، اعتنى به: محمد محيي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي (المملكلة العربية السعودية).

١٨٠) صفة الصفوة، أبو الفرج ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، اعتنى به: أحمد بن علي، دار الحديث (القاهرة)، (١٤٢١هـ).

١٨١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة (الرياض)، ط١ (١٤٠٨هـ).

١٨٢) صيد الخاطر، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، اعتنى به: حسن المساحي، دار القلم (دمشق)، ط١ (١٤٢٥هـ).

١٨٣) الضياء اللامع من الخطب الجوامع، محمد بن صالح العثيمين، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (الرياض)، ط١ (١٤٠٨هـ).

١٨٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار السلفية (القاهرة)، ط٢ (١٣٩٤هـ).

١٨٥) العاقبة في ذكر الموت، ابن الخراط عبد الحق بن عبد الرحمن الأشبيلين اعتنى به: خضر محمد خضر، دار الأقصى (الكويت)ن ط١ (١٤٠٦هـ).

١٨٦) العبودية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، اعتنى به: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي (بيروت)، ط٧ (١٤٢٦هـ).

١٨٧) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار ابن كثير (دمشق) ومكتبة دار التراث (المدينة المنورة)، ط٣ (١٤٠٩هـ).

١٨٨) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين الجكني الشنقيطي، اعتنى به: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد (مكة المكرمة)، ط٢ (١٤٢٦هـ).

١٨٩) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، اعتنى به: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي (بيروت).

١٩٠) العقيدة الواسطية، ابو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، اعتنى به: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف (الرياض)، ط٢ (١٤٢٠هـ).

١٩١) العلم، أبو خثيمة زهير بن حرب النسائي، اعتنى به: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي (بيروت)، ط٢ (١٤٠٣هـ).

١٩٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، اعتنى به: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤١٦هـ).

١٩٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، اعتنى به: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة (بيروت).

١٩٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، اعتنى به: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، مكتبة الغرباء الاثرية (المدينة النبوية)، ط١ (١٤١٧هـ).

١٩٥) فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان، اعتنى به: عبد الله إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية (بيروت)، (١٤١٢هـ).

١٩٦) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا بن محمد الأنصاري، اعتنى به: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم (بيروت)، ط١ (١٤٠٣هـ).

١٩٧) فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية – الدمام)، ط٣.

١٩٨) فتح القدر الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار ابن كثير (دمشق)، ودار الكلم الطيب (بيروت)، ط١ (١٤١٤هـ).

١٩٩) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن ىل الشيخ، اعتنى به: محمد حامد فقي،

مطبعة السنة المحمدية (القاهرة)، ط٧ (١٣٧٧هـ).

٢٠٠) الفجور السياسي، د. فريد الأنصاري، دار السلام، (القاهرة)، ط٢ (١٤٣٢هـ).

٢٠١) الفروع (ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي)، أبو عبد الله محمد بن مفلح بن محمد شمس الدين المقدسي، اعتنى به: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط١ (١٤٢٤هـ).

٢٠٢) فصول في الدعوة والإصلاح، علي بن مصطفى الطنطاوي، اعتنى به: مجاهد مأمون ديرانية، دار المنارة (المملكة العربية السعودية – جدة)، ط١ (٢٠٠٨م).

٢٠٣) فضائل القرآن، أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي، اعتنى به: يوسف عثمان فضل الله جبريل، مكتبة الرشد (الرياض)، ط١ (١٤٠٩هـ).

٢٠٤) فقه السيرة، محمد الغزالي السقا، اعتنى به: محمد ناصر الدين الألباني، دار القلم (دمشق)ن ط١ (١٤٢٧هـ).

٢٠٥) فهم القرآن ومعانيه، ابو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، اعتنى به: حسين القوتلي، دار الكندي ودار الفكر (بيروت)، ط٢ (١٣٩٨هـ).

٢٠٦) الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (الرياض)، ط١ (١٤١٢هـ).

٢٠٧) الفوائد، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط٢ (١٣٣٩هـ).

٢٠٨) في العقلية الليبرالية، عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، دار الحجاز (مصر – الإسكندرية)، ط١ (١٤٣٢هـ).

٢٠٩) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق (بيروت)، ط ١٧ (١٤١٢هـ).

٢١٠) قاعدة في المحبة، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، اعتنى به: د. محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي (القاهرة).

٢١١) قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي (الرياض)، ط١ (١٤١٢هـ).

٢١٢) قناديل الصلاة، د. فريد الأنصاري، دار القرويين (المغرب – الدار البيضاء)، (١٤٢٠هـ).

٢١٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام، اعتنى به: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية (القاهرة)، (١٤١٤هـ).

٢١٤) القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة الرشد (الرياض)، ط١ (١٤٢٠هـ).

٢١٥) القواعد الصغرى (الفوائد في اختصار المقاصد)، العز بن عبد السلام، تحقيق: د. صالح بن عبد العزيز بن إبراهيم آل منصور، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط١ ١٤١٧٠هـ).

٢١٦) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية – الدمام)، ط٢ (١٤٢٤هـ).
٢١٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط٣ (١٤٠٧هـ).
٢١٨) كشف المعاني في المتشابه من المثاني، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، اعتنى به: د. عبد الجواد خلف، دار الوفاء (مصر – المنصورة)، ط١ (١٤١٠هـ).
٢١٩) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، اعتنى به: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي (بيروت)، ط٤ (١٣٩٧هـ).
٢٢٠) لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، الخازن علاء الدين علي بن محمد، اعتنى به: علاء الدين علي بن محمد، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤١٥هـ).
٢٢١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، اعتنى به: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤١٩هـ).
٢٢٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، أبو الفرج عبد الرحمن بن احمد بن رجب، دار ابن حزم، ط١ (١٤٢٢هـ).
٢٢٣) لطائف قرآنية، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم (دمشق)، ط١ (١٤١٢هـ).
٢٢٤) لمحات الأنوار وري الظمآن لمعرفة ما ورد في ثواب قارئ القرآن، محمد بن عبد الواحد الغفقي، اعتنى به: د. رفعت فوزي عبد المطلب، دار البشائر الإسلامية، ط١ (١٤١٨هـ).
٢٢٥) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د. فاضل بن صالح السامرائي، دار عمَّار (عمَّان)، ط٣ (١٤٢٣هـ).
٢٢٦) مآلات الخطاب المدني، إبراهيم بن عمر السكران، مركز الفكر المعاصر (الرياض)، ط١ (١٤٣٥هـ).
٢٢٧) المتمنين، ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد، اعتنى به: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم (بيروت)، ط١ (١٤١٨هـ).
٢٢٨) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابو الفتح ضياء الدين ابن الأثير نصر الله بن محمد، اعتنى به: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية (بيروت)، (١٤٢٠هـ).
٢٢٩) مجالس القرآن، د. فريد الأنصاري، دار السلام (القاهرة، ط٢ (١٤٣١هـ).
٢٣٠) مجالس شهر رمضان، محمد بن صالح العثيمين، الجامعة الإسلامية (المدينة النبوية)، (١٤٠٨هـ).
٢٣١) المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية (البحرين) ودار ابن حزم (بيروت)، (١٤١٩هـ).

٢٣٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية، اعتنى به: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (المدينة النبوية)، (١٤١٦هـ).

٢٣٣) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، اعتنى به: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

٢٣٤) مجموع فتاوى ابن باز، عبد العزيز بن باز، اعتنى به: محمد بن سعد الشويعر.

٢٣٥) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن (الرياض) ودار الثريا (الرياض)، (١٤١٣هـ).

٢٣٦) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، اعتنى به: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤١٨هـ).

٢٣٧) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، دار الارقم بن أبي الارقم (بيروت)، ط١ (١٤٢٠هـ).

٢٣٨) المحاور الخمسة للقرآن الكريم، محمد الغزالي السقا، دار نهضة مصر، ط١.

٢٣٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي أبو محمد عبد الحق بن غالب، اعتنى به: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤٢٢هـ).

٢٤٠) المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الفكر (بيروت).

٢٤١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، اختصره: ابن الموصلي، اعتنى به: سيد إبراهيم، دار الحديث (القاهرة)، ط١ (١٤٢٢هـ).

٢٤٢) مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية)، ط١ (١٤١٨هـ).

٢٤٣) مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، أصل الكتب الثلاثة للمؤلف: أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي، اختصرها: أحمد بن علي المقريزي، حديث أكاديمي (باكستان – فيصل أباد)، ط١ (١٤٠٨هـ).

٢٤٤) مختصر منهاج السنة، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، اختصره: الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، دار الصديق (صنعاء)، ط٢ (١٤٢٦هـ).

٢٤٥) مختصر منهاج القاصدين، نجم الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، اعتنى به: محمد أحمد دهمان، مكتبة دار البيان (دمشق)، (١٣٩٨هـ).

٢٤٦) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط٣ (١٤١٦هـ).

٢٤٧) المدخل إلى السنن الكبرى، أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين بن علي، اعتنى به: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي (الكويت).

٢٤٨) المرأة الاسفنجية، عبد الملك القاسم، دار القاسم (الرياض).

٢٤٩) مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، اعتنى به: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، دار المنهاج (الرياض)، ط١ (١٤٢٦هـ).

٢٥٠) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، محمد الغزالي السقا، دار نهضة مصر، ط١.

٢٥١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن احمد بن علي الحكمي، اعتنى به: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم (المملكة العربية السعودية – الدمام)، ط١ (١٤١٠هـ).

٢٥٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، اعتنى به: محمد عبد الله النمر وآخران، دار طيبة، ط٣ (١٤١٧هـ).

٢٥٣) معاني القرآن، ابو جعفر أحمد بن محمد النحاس، اعتنى به: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى (مكة المكرمة)، ط١ (١٤٠٩هـ).

٢٥٤) معرفة السنن والآثار، أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين بن علي، اعتنى به: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية (باكستان) ودار الوعي (حلب) ودار قتيبة (دمشق)، ط١ (١٤١٢هـ).

٢٥٥) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، اعتنى به: بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط١ (١٤٠٤هـ).

٢٥٦) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط٣ (١٤٢٠هـ).

٢٥٧) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار الكتب العلمية (بيروت).

٢٥٨) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، اعتنى به: صفوان عدنان داودي، دار القلم، ط١ (١٤١٢هـ).

٢٥٩) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، اعتنى به: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي (دمشق)، ط١ (١٤٢٥هـ).

٢٦٠) مكارم الأخلاق، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن (الرياض)، ط١.

٢٦١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي، اعتنى به: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية (بيروت).

٢٦٢) من أسرار التنزيل، فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر، اعتنى به: عبد القادر أحمد عطا، دار المسلم (مصر).
٢٦٣) من خلق القرآن، د. محمد بن عبد الله دراز، اعتنى به: عبد الله إبراهيم الأنصاري، إدارة الشؤون الدينية بدولة قطر، (١٣٩٩هـ).
٢٦٤) مناقب الإمام أحمد، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، اعتنى به: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط٢ (١٤٠٩هـ).
٢٦٥) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣.
٢٦٦) المنتقى من فرائد الفوائد، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن (الرياض)، (١٤٢٤هـ).
٢٦٧) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١ (١٤١٧هـ).
٢٦٨) المواهب الربانية من الآيات القرآنية، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: د. عمر المقبل، دار الحضارة (الرياض)، ط٢ (١٤٣٦هـ).
٢٦٩) موسوعة الأعمال الكاملة للشيخ محمد الخضر حسين، اعتنى به: علي الرضا الحسيني، دار النوادر (دمشق)، ط١ (١٤٣١هـ).
٢٧٠) ميراث الصمت والملكوت، عبد الله بن عبد العزيز الهدلق، ط١ (١٤٣١هـ).
٢٧١) النبأ العظيم، د. محمد بن عبد الله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، دار القلم، (١٤٢٦هـ).
٢٧٢) نحو تفسير موضوعي، محمد الغزالي السقا، دار نهضة مصر، ط١.
٢٧٣) نظرات لغوية في القرآن الكريم، أ.د. صالح بن حسين العايد، دار كنوز إشبيليا (الرياض)، ط٣ (١٤٢٥هـ).
٢٧٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي (القاهرة).
٢٧٥) النفقة على العيال، ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد، اعتنى به: د. نجم عبد الرحمن خلف، دار ابن القيم (المملكة العربية السعودية – الدمام)، ط١ (١٤١٠هـ).
٢٧٦) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب، اعتنى به: علي بن غازي التويجري وآخران، دار ابن القيم ودار ابن عفان، ط١ (١٤٢٤هـ).
٢٧٧) النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن الماوردي علي بن محمد، اعتنى به: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية (بيروت).

٢٧٨) نور وهداية، علي بن مصطفى الطنطاوي، اعتنى به: مجاهد مأمون ديرانية، دار المنارة (المملكة العربية السعودية – جدة)، ط٢ (١٤٢٩هـ).

٢٧٩) نونية ابن القيم (الكافية الشافية٩)، ابن القيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن ايوب، مكتبة ابن تيمية (القاهرة)ن ط٢ (١٤١٧هـ).

٢٨٠) الهدى والبيان في أسماء القرآن صالح بن إبراهيم البليهي، ط٢ (١٤٠٣هـ).

٢٨١) هذه مفاهيمنا، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم لل الشيخ، إدارة المساجد والمشاريع الخيرية (الرياض)ن ط٢ (١٤٢٢هـ).

٢٨٢) هكذا علمتني الحياة، مصطفى بن حسني السباعي، المكتب الإسلامي، ط٤ (١٤١٨هـ).

٢٨٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب، اعتنى به: سيد إبراهيم، دار الحديث (القاهرة)، ط٣ (١٩٩٩م).

٢٨٤) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، اعتنى به: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت)، (١٤٢٠هـ).

٢٨٥) وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤٢١هـ).

٢٨٦) الوصية المباركة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي، اعتنى به: أم عبد الله بنت محروس العسيلي، دار تيسير السنة، ط١ (١٤١١هـ).

٢٨٧) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين ابن خلكان، اعتنى به: إحسان عباس، دار صادر (بيروت)، ط١ (١٩٩٤م).